

يوهان فك العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

ترجمة: عبد الحليم النجار

تصدير: أحمد أمين بك

تقديم: محمد يوسف موسى

تقديم هذه الطبعة: محمد حسن عبد العزيز

ميراث الترجمة

الكتاب تاريخ اللغة العربية ولهجاتها ابتداءً من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، يشير في أثناء رحلته عبر هذه العصور إلى الطرق التي سلكتها العربية في تطورها، وهو حافل بالأفكار النافعة، غني بالتفسيرات المقنعة، ولا يزال متميزاً بالجدة والعمق والشمول، والكتاب يؤكد على أن العربية نشأت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي بوصفها رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية.

العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1271
- العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب
- يوهان فوك
- عبد الحليم النجار
- أحمد أمين بك
- محمد يوسف موسى
- محمد حسن عبد العزيز
- اللغة: الألمانية
- 2014

هذه ترجمة كتاب:

ARABYIA:

Untersuchungen zur arabischen Sprach und Stilgeschichte

Von: Johann Fück

Copyright © Akademie Verlag GmbH

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554

العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

تأليف: يوهان فانك

ترجمة: عبد الحلیم النجار

تصدير: أحمد أمين بك

تقديم: محمد يوسف موسى

تقديم هذه الطبعة

محمد حسن عبد العزيز



2014

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فك، يوهان
للعربية: دراست في اللغة واللهجات والأساليب / تأليف: يوهان فك،
ترجمة: عبد الحليم النجار، تصدير: أحمد أمين بك، تقديم:
محمد يوسف موسى، ومحمد حسن عبد العزيز؛
القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤
٣٤٤ ص، ٢٤ سم
١ - اللغة العربية - تاريخ ونقد
(أ) النجار، عبد الحليم (مترجم)
(ب) أمين بك، أحمد (مصدر)
(ج) موسى، محمد يوسف (مقدم)
(د) عبد العزيز، محمد حسن (مقدم مشارك)
(هـ) العنوان

٤١٠,٩

رقم الإيداع: ٥٣٢٣ / ٢٠١١
الترقيم الدولي: 7 - 511 - 704 - 977 - 978 - I.S.B.N
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

مقدمة

هذا كتاب جدير حقا بإعادة نشره، وما يزال - بعد مرور ستين عاما على ظهوره ١٩٥١ م - حافلا بالأفكار النافعة، غنيا بالتفسيرات المقنعة، وما يزال متميزا بالجدة والعمق والشمول.

قال عنه المستشرق الألماني "شبيتالر": قدم "فك" بكتابه عملا لم يقدم مثله من قبل. وقال عنه العلامة أحمد أمين: ما أحوجنا إلى بحث دقيق يبين لنا تطور الأساليب في اللغة العربية واللهجات في الأزمنة المختلفة والعوامل التي عملت في هذا التطور في بيئات طبيعية أو بيئات اجتماعية... ولم نعرف كتابا من قبل عالج هذا الموضوع معالجة مستقلة.

الكتاب تاريخ للعربية ولهجاتها ابتداء من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، يشير في أثناء رحلته عبر هذه العصور إلى الطرق التي سلكتها العربية في تطورها.

لقد استطاع المؤلف - كما يقول شبيتالر - بالقراءة الواسعة المستفيضة.. وبالشواهد التي لا تحصى من المصادر العربية الأصيلة.. أن يقدم عرضا مثيرا يشوق القارئ دائما للأحوال والظروف التي تقلبت فيها العربية والتاريخ الإسلامي، وكذلك للتأثيرات المتعددة للبيئات المتغيرة دائما على اللغة والأدب، فمن تخطيط تاريخي للحضارة إلى بحوث معجمية وتحليلات أدبية وأسلوبية تختلط بملاحظات إعرابية، لنصوص غير مجهولة لنا في سياق جديد، ومادة غير معروفة من قبل تُساق للبرهنة في أصالة.

إن ما كتبه "فك" عن العربية المولدة التي بدأ ظهورها بانتشار الإسلام والعربية في أقطار مختلفة، واستمرارها حية وتطورها حتى يومنا هذا، وإن إشارته إلى هذه العربية المولدة في كتابات النصارى واليهود في مرحلة مبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، لعمل غير مسبوق يغري الباحثين الجادين في التعرف على تاريخها وتتبع تطورها، وإنه على أية حال تاريخ للعربية وتطورها، وبكل أسف قلما يُعنى باحثونا بمثل هذه الموضوعات.

إن نظرة متأملة في نوعية المصادر العربية التي رجع إليها لتعلمنا درسا نافعا في البحث العلمي، وتكشف لنا عن رؤيته النافذة في اختيارها وفي قراءتها. لم يرجع "فك" إلى كتب اللغة فحسب، بل رجع إلى مصادر عديدة في الأدب والتاريخ والجغرافية والرحلات والتراجم... إلخ فاستخرج منها ملاحظات ثمينة وشواهد غالية في اقتراح فروضه وفي توثيقها وفي التدليل عليها، ونشير فحسب إلى ما استخلصه من مؤلفات الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وكتاب المقدسي (ت ٣٨٠ هـ) أحسن التقاسيم. وإن نظرة أخرى إلى الفهارس المتنوعة التي ذيل بها كتابه لتجعل منه مرجعا لا غنى عنه لكل باحث، وتكشف عن سعة مادته ووثاقته.

والحق - كما يقول العلامة أحمد أمين - : إن ترجمة الدكتور النجار جاءت دقيقة مع صعوبة أصلها.. لقد نجح المترجم في أن يكشف غامضها ويذهب التواءها في ثوب واضح.

لم يحدث في تاريخ العربية أبعد أثرا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ونزول القرآن. في ذلك العهد - قبل أكثر من أربعة عشر قرنا - تأكدت رابطة وثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي كانت دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة.

صارت العربية لغة الدين والحضارة على الإطلاق، وأصبحت لغة الطبقات السائدة الموجهة في دولة واسعة الأرجاء من إسبانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا. وزحفت العربية مع الفاتحين البداة فاستقرت في بعض الأقاليم، واضطرت إلى الانسحاب بأخرة من بعض آخر.. ومع ما تعرضت له من منافسة في بعض المناطق فقد ظلت فيها في آخر الأمر لغة العلم المعتمدة فحسب.

بدأت اللغة العربية في التطور سريعا أي بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وابتداء الفتوح الإسلامية، وما كان نتيجة حتمية لهذه الفتوحات من دخول عناصر غير عربية إلى البيئة العربية، ثم بسبب انتقال اللغة نفسها إلى مواطن أجنبية أثرت وتأثرت بها بطبيعة الحال.

لكن العرب، وهم جد حراس على لغتهم، لم يرضهم هذا الخلط الذي أصابها، فنشأ في عهد الأمويين مبدأ (تنقية اللغة العربية)، وذلك عن طريق التربية والتعليم، وكان في هذا ما أوجد الدافع في نهاية القرن الأول إلى دراسة اللغة العربية؛ ضمانا لسلامتها من هذا الخلط الذي كان يهددها في أصولها وحرركاتها وأصواتها.

جعل الإسلام من العربية الفصحى نموذجا مفروضا ومثلا أعلى يقتفيه كل كاتب عربي... وتكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل.. بعرضها وتصويرها في جميع مظاهرها في صورة مقننة شاملة.

هذه القواعد تكشف عن أهم صفات العربية وهو الإعراب، وبهذا أصبح الإعراب هو الفارق الذي يعتده المثقفون العرب بين العربية الفصحى وجميع القوالب والأساليب المولدة حتى اللهجات الدارجة واللغات العامية.

ويشهد الشعر العربي والقرآن الكريم بأهمية الإعراب في بيان المعاني. إن لغة القرآن تختلف اختلافا كبيرا عن لغة الشعراء، فهي تعرض من حيث هي أثر لغوي صورة فذة لا يدانيها أثر لغوي في العربية على الإطلاق.

إن ما أثاره "فولرز" من أن القرآن كان في بادئ الأمر بلسان محمد أي بلهجة مكة الخالية من الإعراب... وأنه خضع بعد ذلك لتنقيحات لقواعده ليس صحيحا، وأن النقاد المسلمين قد عرفوا أن الروايات التي اعتمدها "فولرز" مزيفة، وأن التخلص من الإعراب قد وقع في وقت متأخر، وأن لهجة مكة لم تكن خالية من الإعراب.

* * *

امتدت دولة الإسلام شرقا وغربا امتدادات واسعة في عهد بني أمية، وصحبتها العربية في كل مكان وصلت إليه الفتوح، وكان هذا إيذانا بعصر جديد للغة العربية تأثرت فيه بلغات البلاد المفتوحة وأثرت فيها.

ومن جانب آخر أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صميم العربية، وإلى توحيد لهجات البدو أنفسهم، وقد كان ذلك ميسورا؛ لأن أغلب الفروق بينها كان ذا طبيعة صوتية - وقد كان لسياسة الخليفة عمر ومن بعده في استيطان العرب أثر واضح في ظهور لغة بدوية مشتركة بين الجيوش العربية.

بيد أن عاملاً مؤثراً آخر هو الموالى الذين دخلوا الإسلام من جميع طبقات الناس من كبار المزارعين والتجار، بل من العبيد والخدم الذين صحبوا الجيوش العربية، وأقاموا بين جنودها، تمثل هذا الأثر في لغة للتفاهم قائمة على وسائل التعبير البسيطة فقلل الحصول الصوتي، وتبسطت القوالب والتراكيب، وقلت المفردات وتنازلت عن الإعراب، وكان هذا إيذاناً بظهور (العربية المولدة).

لقد كان من العسير على هؤلاء الموالى أن ينطقوا بالأصوات العربية التي لا نظير لها في لغاتهم، ومن ثم استبدلوا بها ما يقاربها من أصوات لغاتهم الأولى.. كما آثروا التصرف في القواعد العربية المعقدة فاستعملوا العبارات التقريبية التي تعودوها في لغاتهم وتخلصوا من حركات الإعراب.

وباتخاذ العبيد والجواري لإدارة المنازل تشكل منهم بعد أجيال قليلة الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامي.. وظهرت على السنة هؤلاء سمات من التطور إلى العربية المولدة، ومن هذه اللغة الدارجة في القرن الأول نشأت اللهجات المتأخرة في المدن الإسلامية.

وفي هذا المحيط نشأ بعض الأمراء العرب، وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد ٣٠ - ٦٧ هـ الذي أصبح والياً على العراق وكانت أمه من الجواري، وكان ينطق عربية غير فصيحة (وانظر في تأثير اتخاذ الجواري في البيوت وفي تسريهن الصفحات ٢٢ - ٢٩).

وفي هذه الفترة من تاريخ العربية يتحدث الكاتب عن نشأة المدن الإسلامية وبخاصة في العراق: البصرة والكوفة، ويشير إلى أن اللغة اليونانية في غربي الدولة والفارسية في شرقيها ظلتا قرناً كاملاً لسان الحكم والإدارة. وكانت الفارسية منتشرة في البصرة بين الجنود الذين استقدمهم عبيد الله بن زياد من أصبهان وبخارى.

وكذلك كان الحال في الكوفة؛ حيث كانت الفارسية لغة بقايا الجيش الفارسي الذين قاتلوا سعد بن أبي وقاص، وقد أسلموا وأنزلهم سعد بالكوفة وسموا أنفسهم باسم نقيهم "ديلم" وانتشر التجار والصناع وغيرهم بالكوفة وسرعان ما أصبح أغلب السكان من الفرس وصارت الفارسية لغة التفاهم السائدة فيها.

وفي مصر كانت القبطية لغة سكانها، وظلت العربية مقصورة على المعسكرات التي أقامها العرب في الفسطاط، وبقيت اللغة اليونانية في بادئ الأمر هي اللغة الرسمية، ولم تدخل العربية في دوائر الإدارة إلا في سنة ٨٧ هـ وظل الجمهور الأعظم من السكان متمسكا بالقبطية. بيد أن أثر القبطية في اللهجة العربية كان ضئيلا. وقد تم تعريب مصر بصورة سريعة، ففي القرن الثاني الهجري كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها وفق نظام مرسوم، وازداد عدد الداخلين في الإسلام، وكانت العربية تسود شيئا بعد شيء ثم رجحت كفتها في القرن الثالث وتراجعت القبطية إلى الصعيد حتى تلاشت تماما في القرن السادس.

وفي هذه الفترة لم تبقى الحياة البدوية غير متأثرة بالمؤثرات اللغوية الأجنبية، ومن أشهر من ظهرت في لغتهم بعض هذه الآثار الشاعر ابن ميادة (ت ١٤٩ هـ).

وفي الثلث الأخير من القرن الأول الهجري أخذت (العربية المولدة) تنمو، وفي الوقت نفسه ظهرت الحملة على فساد اللغة وظهر (مبدأ تنقية اللغة) في محاربة اللحن والإزراء باللحنين.

ومع مظاهر اللحن التي ظهرت آنذاك فقد ظل المجتمع العربي في عهد الأمويين يعتد بالعربية الفصحى قدوة رفيعة ومثلا أعلى، بل إن الدوائر الإسلامية غير العربية من طبقة الموالي كانت تحاكي العرب الخالص في عربيتهم، وتحتضن مبدأ تنقية اللغة بما يعني

إعلاء شأن العربية البدوية الخالصة، وقد كان الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) ضليعا في العربية، شهد بذلك نخاة عصره كأبي عمرو بن العلاء. بل ظهر من بين الأعاجم من برز في فن الشعر، ولعل من أشهر هؤلاء زياد الأعجم (ت ١٠٠ هـ) وكان فارسي الأصل، وبلسانه لُكنة فارسية؛ وأبا عطاء السندي وقد كان عبدا من السند.

إن تشدد الطبقة العليا من العرب في المحافظة على العربية التي كانت معرضة دائما - من حيث هي لغة البداوة - لخطر الفساد والاضلال في المدن بخاصة، وظهور (حركة تنقية اللغة العربية) التي كانت تلح باطراد على تطهير اللغة، وطموح المسلمين الجدد البعدي الهمة إلى امتلاك ناصية اللغة العربية بجميع دقائقها وأسرارها؛ كل ذلك أوجد الدافع في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني إلى دراسة القواعد وتحديد الاستعمال اللغوي الصحيح، وهذا واضح من المناقشات التي كانت تدور بين اللغويين من أمثال ابن أبي إسحاق (ت ١١٧ هـ) والشعراء من أمثال الفرزدق.

* * *

لم تمو العربية في هوة السقوط التي حاقت بالدولة العربية الأموية. وربما كان ذلك بسبب أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم أيّا كانت لغته الأصلية جزءا لا ينفصل عن حقيقة الإسلام، وقد كان هذا واضحا كل الوضوح للفرس الذين باشروا الحكم إذ ذاك، بل إن الشعوبيين أنفسهم لم يستطيعوا أن ينقصوا شيئا من مكانة العربية وقيامها مثلا أعلى.

مضى العهد الأموي وجاء العهد العباسي، فكان من أثر ذلك أن دخلت العربية في مرحلة جديدة من مراحل حياتها، وهذا بسبب بعد العباسيين - وإن كانوا أصلاء في عروبتهم - عن حياة البدو بعدا كبيرا، وبسبب اصطناعهم لعناصر أجنبية لا تستطيع أن

تستبطن اللغة العربية والحياة العربية الصحيحة. ومن السهل أن نتبين ما أصاب اللغة من تطور في نثر ابن المقفع وشعر بشار بن برد مع حرص كليهما على تقليد القدماء في الأصوات والمادة اللغوية والأساليب.

إن اللغة التي كتب بها ابن المقفع ليست هي العربية القديمة، إنما عربية شفافة مبسطة حسب أغراضها تحفل بالتعبيرات العامة وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة.. وكانت تركيباته النحوية واضحة شفافة، يتجنب الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة، وصيغ التعجب والاستغاثة والتداخل العسير الفهم.. وما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين.

وكذلك الحال مع بشار، فأسلوبه رشيق أنيق، وبيانه ناصع كأسلوب ابن المقفع. إن هذا التطور في الأسلوب الذي ظهر في نثر ابن المقفع وشعر بشار آذن بشروق عهد جديد في تاريخ العربية دعا إليه الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في مجال الأدب واللغة. وهكذا أصبحت العربية مستعملة عند جميع الطبقات المثقفة دون تمييز بين أصل وأصل وبين لغة وأخرى.

وقد كان الإحساس لا يزال قويا في عهد العباسيين بوجوب المحافظة على اللغة وتنقيتها من الغريب عنها مادة وأسلوبا، وقد كان اللحن - حتى ذلك الوقت - معيبا مستهجنًا.

وفي هذا الوقت ظهر النحو العربي في أوضح وأشمل صورة في كتاب سيبويه، ولم يكن غريبا أن القواعد التي وضعها في كتابه كانت مستخلصة من لغة العرب في بواديهم مع ترجيح لسان الحجازيين، وظهر كذلك أول معجم عربي، صنعه الخليل بن أحمد.

بلغت الدولة في عهد الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) ذروة سلطاتها وراثتها... وأخذت علوم العربية في عهده نهضة جديدة اقترنت بأسماء الأصمعي وأبي عبيدة والخليل وسيبويه والفراء والكسائي... إلخ. وعند هؤلاء جميعا كانت لغة البدويين هي القدوة المثلى، والنموذج الرفيع، وكانوا بذلك دائما مناهضين للهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض.

وكان الرشيد نفسه مُحببا إليه مجالسة الشعراء والنحاة، وكان يقدر سلامة اللغة حق قدرها.

وقد كان (مبدأ تنقية اللغة) في عصره قويا مرعيا، وظهر أول مصنف في لحن العامة صنعه الكسائي لهارون الرشيد.

وقد ظهرت آثار سيادة هذا المبدأ في أن كثيرا من الشعراء احتذوا العربية الفصيحة التي لا لحن فيها، وأظهر هؤلاء أبو نواس (١٣٠ - ١٩٩ هـ)، ومسلم بن الوليد (ت ٢٠٨ هـ) وغيرهما، وما قيل عن وقوعهما في اللحن قد يكون مرجعه إلى ضرورة من الضرورات الشعرية.

ومع ذلك فقد وجدت لغة الشعب مساعا في التعبير الأدبي، وتسلفت إليه بعض استعمالات شائعة بين العامة (وانظر ص ٩٥ فيما أطلق عليه المواليا).

وقد ظهرت قوالب شعرية جديدة في الشعر الفصيح، مثل الأغاني التي على قالب المزدوجات، ومن أمثلته أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي نظم عليه كليلة ودمنة، (وانظر في ذلك ص ٩٧ - ٩٩).

ولعل من أهم ما كتبه "فك" وأظهره حديثه عن (العربية المولدة) وتبعه لتطورها بالقياس إلى العربية الفصحى. يرى "فك" أن (مبدأ تنقية اللغة) ظل مسيطرا حتى عهد

هارون الرشيد، واحتفظت عربية الدولة بفصاحتها وبالتزام الإعراب.. وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التي كان يتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن سائدة.

وقد أخذت تلك العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية التي أحدثتها سقوط دولة بني أمية العربية.

ويشير المؤلف إلى عامل مهم ربما لم تنتبه إليه المصنفات اللغوية وهو أن اليهود والنصارى بالشرق كانوا يعيشون في جو من التراث الأدبي يختلف تماما عن محيط العالم الإسلامي من حولهم، فقد ظلوا طويلا دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية، ولذلك لم يستخدموا لأول عهدهم بالكتابة العربية تلك العربية الفصحى بل اللغة الدارجة في عصرهم.

وفي هذه العربية نجد النصوص الأولى للعربية المولدة مكتوبة في صورة متماسكة.

هذه العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني إنما نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية الذين لا صلة لهم بالبادية وعربيتها. بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب التي أخضعوها، فصارت لغة التخاطب والتفاهم، وهي بغض النظر عما بينها من اختلافات بفعل المكان تتميز تميزا واضحا عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها في الأصوات والأبنية والتراكيب (انظر في ذلك ص ١٠٢ - ١٠٤).

وقد كان أظهر هذه الخصائص المميزة لها عن العربية الفصحى هو ترك التصرف الإعرابي.. وبذلك فُجعت العربية المولدة منهجا اجتازته اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير، وحلول الترتيب محل الإعراب في بيان مواقع الكلام ومعانيه، وظهر فيها أيضا الخلط بين علامات الإعراب مثل: رأيت أبو عمرو، مكره أخاك لا بطل.. وفي المثنى: يداك ضربتا (ضربتني يداك)، وفي المطابقة، وبين ما ينصرف وما لا ينصرف، والإضافة مثل: مدبرين الأرض، سامعين الناموس. وتحول اسم الموصول إلى الصيغة الجامدة (اللي)، ولعل هذه الظواهر مما يميز اللهجات المحلية الدارجة في العصر الحديث. (وانظر أمثلة أخرى ص ١٠٧ - ١٠٩).

وفي أهمية العربية المولدة يقول "فك": "ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية إلى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتى ظهور الأسلوب التحليلي للغة في وقت كانت الآداب العربية المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين لا تزال في أسلوبها اللغوي مليئة بالمثل العليا للعربية الفصحى".

وفي عصر المأمون (١٩٨ - ٢٣٥ هـ) من الناحية الثقافية واللغوية يرى "فك" أنه على الرغم من اضمحلال سلطة الدولة في الجانب الغربي لها وامتداده إلى بلاد فارس، فقد لمّضت الحياة الثقافية على عهد المأمون بوجه خاص في مختلف النواحي في الشعر وعلوم اللغة والدين والكلام.. لمّضة تسمى بحق العصر الذهبي للأدب العربي.

وفي عهد المأمون والمعتصم والمتوكل القرن الثالث الهجري كانت لغة الأعراب لم تزال بعد - كما كانت من قبل - تعد النموذج الذي لا يدرك لكمال الفصاحة. بيد أن هذه اللغة أصابها شيء من اللحن على ألسنة بعض متبنّيها من الشعراء، فأبو تمام (١٩٠ - ٢٣١ هـ) كانت لغته عالية رفيعة لا نكاد نجد فيها ما يؤخذ عليه، ومعظم ما أخذ عليه راجع إلى تعمقه في المعاني والصور.

بيد أن لونا آخر من شعر الفرص والمصادفة مثل شعر ابن زنب المراكبي بدا أقوى تأثيرا باللغة الدارجة (انظر أمثلة لذلك ص ١٢٥)، وكانت مثل هذه اللحن التي يقع فيها الشعراء مجال نقد من النحاة والنقاد.

ومع سيادة الفصحى في الشعر الفصيح صارت اللغة الدارجة على ألسنة المثقفين في القرن الثالث تبتعد شيئا فشيئا عن النموذج الفصيح.

ومن العوامل التي أوصلت نظام الحكم والأدب إلى هذا أن الأتراك في عهد المعتصم كانوا قوام الجيش وقواده، وكان نفوذهم قويا على سياسة دولة الخلافة، ولم يكن هؤلاء ذوي ثقافة علمية كما لم يكن لهم اهتمام ألبتة بالأدب، وبسيادة هؤلاء على نظام الحكم بدأ تاريخ العربية الفصيحة عصر الانحلال.

واستمرت سيطرة الأتراك في عهد المتوكل والرائق (ت ٣٢٤ هـ) وانتزع الحكم من أيدي الخليفة وتقسمت الدولة إلى دويلات تزيد على العشر. وسرعان ما اكتسب القواد الأتراك نفوذا عظيما في السياسة حتى أدى ذلك أخيرا إلى إنشاء الحكم العسكري، والانحلال السياسي والاقتصادي ومن ثم انحط مستوى الثقافة العامة. وخسرت العربية في هذه المرحلة الزمنية مساحة واسعة من أرضها، على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولدة متغلغلة في أرقى الأوساط. ولم تستطع التزعة السنية المحافظة التي حددت اتجاه الثقافة أن توقف هذا الانحلال.

ومن أبرز اللغويين المقاومين لانحلال الثقافة العربية وهبوط المستوى الأدبي الفصيح للغة ابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) وكتبه تُعنى بأن قمى للكتاب القائمين على الخدمة في الدواوين والشئون المدنية عدة من المعارف التي لا غنى عنها للنهوض بأعمالهم. وقد كان كتابه (أدب الكاتب) من أهم كتبه.

لقد ألف كتابه هذا ليبين للكتاب كيف ينبغي للمسلم المثقف في القرن الثالث أن يعبر عن أفكاره نطقاً وكتابة ويبين لهم - بوجه خاص - الأخطاء التي عليهم أن يتجنبوها.

ولعل من أهم فصوله الباب الذي وضعه (كتاب تقويم اللسان) وفي هذا الفصل يذكر كثيراً من خصائص العوام مقرونة بنظائرها من الفصح.

وفي كتابه (عيون الأخبار) وهو كتاب في المعارف العامة يعقد لمسألة التعبير الصحيح والخاطئ باباً هو (باب الإعراب واللحن) يضم الباب على حكم وأشعار في الإشادة باللغة الفصيحة الصحيحة والحث على دراسة القواعد والنحو، كما يشتمل على قصص وأمثلة للحن المختلف الأنواع.

وكان حال اللغة الدارجة أسوأ من حال الفصحى كثيراً، وكان لا بد أن ينحط مستواها؛ إذ كان عوام الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر، وصار بعض الوزراء يتكلمون هذه الدارجة.

وفي هذه الفترة توطد الحد الفاصل بصورة حاسمة بين العربية الفصحى التي صارت لغة العلم والأدب، والعربية المولدة الدارجة.

وفي عربية الأدب في القرن الرابع الهجري يقول "فك": "أخذ النمو والانتشار اللغوي في مجرى القرن الثالث يطارد العربية الفصحى التي نظم النحاة قواعدها، والتي قامت على أساس لغة الأعراب، وبمعن في عزلها باطراد عن جميع مناطق اللغة الدارجة، بيد أنها ظلت في الأدب الملكية المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من ادعى إلى الثقافة بسبب أو نسب".

وقد كان لكتاب قدامة بن جعفر (جواهر الألفاظ)، وكتاب الهمداني (الألفاظ الكتابية)، وغيرهما أثر فعال في تزويد الكتاب بثروة لغوية واسعة من الألفاظ والعبارات منظومة في أبواب موضوعية تعينهم على استعمال العربية الفصيحة في مكاتباتهم ومخاطباتهم.

هذا ما أصاب الفصيحة في تقدير "فك" وقد أصاب اللهجات العربية تغيير ملموس، ففي هذا القرن تغيرت لهجة المثقفين إلى لهجات البدو في الإعراب وأصبح الاحتذاء التام للغتهم نوعا من التقعر.

وفي هذا القرن أيضا صارت العربية الفصحى لغة للكتابة فحسب وتطورت أساليبها وأصبحت لغة نموذجية للأدب والعلم.

بيد أن بعض اللهجات قد تطورت أيضا فقد آذنت الحميرية في جنوب الجزيرة إلى الاختفاء وزحفت عربية الشمال إلى مراكزها.

بيد أن عاملا آخر ظهر بين اللغويين - مع تقديرهم للغة الأعراب - وهو روح الدقة والنظر العلمي في نقد وتمحيص لغتهم، وبيان تعارضها كثيرا مع قواعد النحو، وقد خصص ابن جني مثلا بابا في كتابه (الخصائص) لأغلاط الأعراب، وقد اعترض كثير من الشعراء على غرور النحاة وجرأتهم وعلى تخطئتهم للأعراب والشعراء (انظر ما نظمته في ذلك عمار الكلبي ص ١٦١).

ويرجع المؤلف روح النقد التي انتشرت آنذاك للغة الأعراب أن الطبقات الوسطى للمجتمع تغيرت نظرهما إلى أهل البادية أنفسهم ولم يعد ينظر إليهم تلك النظرة المثالية التي تجعل منهم مثلا أعلى للرجولة والشرف والكرم.

وفي العربية المولدة وعلاقتها بالفصيحة يرى "فك": أن أثر انحلال الدولة العباسية إلى أكثر من عشر دويلات مستقلة سنة (٣٢٤ هـ) ظهر واضحا في اللغة. انضمت لهجة كل إقليم بعضها إلى بعض وتآلفت مجموعات من اللهجات تمتاز كل منهما على الأخرى بدرجة ما: ظهرت لهجات عراقية وسورية ومصرية وأندلسية... إلخ لم تظهر فحسب على السنة العامة بل وجدت طريقها أيضا على السنة المثقفين.

ومع ذلك بقي مقام العربية الفصحى لغة للأدب والعلم ثابتا نظرا لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة، بل زاد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذي قبل، لأن جميع الأقاليم أخذت تسهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط عظيم، وأصبحت العربية آنذاك لغة يتعلمها من يرغب فيها لا لغة لمن يعيش بين الأعراب كما كانت قديما.

وقد ظهرت اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع الهجري وبخاصة في شعر الفرص والمناسبات. ومن بين الشعراء الذين استعملوا أساليبها المبتذلة: ابن الحجاج (ت ٣٩١ هـ)، وكان مولعا باستخدام لهجات العامة بمختلف طبقاتها.

وفي المغرب العربي شهدت اللغة العربية تطورا بالغ الأهمية حين عمد الشعراء الأندلسي إلى اختراع الموشح الذي كان قالبا فنيا مبتدعا ومختلفا عن العروض القديم بل تأثرا عليه.

ولم يكن الموشح ثورة فحسب على العروض القديم، بل كان كذلك ثورة على اللغة الفصحى نفسها؛ إذ شاعت فيه العبارات الأعجمية الإسبانية والعامية واللحن فيها شائع، ومن أشهر المبدعين فيه ابن قزمان (ت ٥٥٥ هـ).

* * *

باستيلاء السلجوقيين على الحكم وصل الأتراك الذين ينتمون إلى وسط آسيا والذين اعتنقوا الإسلام فيما وراء النهرين وخراسان إلى الرياسة والسلطان فاتخذوا دولة السامانيين ونظمها نموذجاً لها، وصارت الفارسية على عهدهم لغة سُدة الملك والسفارات الرسمية والسياسة والأدب والشعر، وأخذت تنافس العربية من خراسان إلى داخل سورية.

وقد حافظت العربية على مكانتها الفذة من حيث هي لغة القرآن والعبادة والفقهاء.. ولذلك وجدت عناية عظيمة عند السلجوقيين في المدارس المنتشرة في البلاد كالمدرسة النظامية ببغداد. ومن أشهر اللغويين آنذاك أبو زكريا التبريزي الذي فُضّ بشرح ديوان الحماسة والمعلقات، بل درس كذلك كتاب الألفاظ وإصلاح المنطق لابن السكيت.

وكان مبدأ (تنقية اللغة) قد أصبح قوياً بل متشدداً، ظهر ذلك عند الحريري في كتابه (درة الغواص)، وهو يعالج أخطاء محلية تسربت تدريجاً إلى لغة المثقفين.

وعلى أية حال يمثل مذهب الحريري مذهب البصريين المتشددين، ولهذا كثرت المصنفات التي تعترض عليه فيما نسبته إلى الخواص من أوهام، وعلى رأسهم ابن بري (ت ٤٩٩ هـ) والشهاب الخفاجي (ت ٩٧٩ هـ).

ومع ذلك فإن الحريري قد أراد أن ينفخ من روحه في العربية القديمة الفصيحة ليعيئها إلى الحياة من جديد، بيد أن القوة الكامنة والنشاط المتجدد في حياة اللغة الشعبية الدارجة الحية كانت أقوى من كل مبادئ المتزمطين وتعاليمهم.

وفي هذه الفترة ظهر بالإضافة إلى ما صنف في لحن الخاصة والعامة موسوعات نحوية عديدة فُضّ بها ابن مالك والرضي وابن الحاجب وغيرهم.

وهكذا لم تعد عربية الأدب في العصر الإسلامي الأوسط منذ نهاية القرن الثالث الهجري لسانا طبيعيا لطائفة لغوية من الشعوب، بل تحولت إلى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أساسا لتكوينها الحقيقي وطابعها الداخلي.. وأصبح التمسك الصارم بقواعدها يختلف من شخص إلى شخص ومن موضوع إلى موضوع.

* * *

اكتسح الغزو المغولي بلاد الإسلام وأسقط الخلافة في بغداد ٦٥٦ هـ، وبذلك تقطعت أوصال الثقافة العربية التليدة.

وفي هذه الفترة برزت مصر إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامي بعد أن نجت من عاصفة المغول وردت الصليبيين على أعقابهم.

وقد ازدهرت مصر آنذاك من طريق التجارة الهندية الواسعة المدى في القرنين الثامن والتاسع؛ مما ساعد على إنشاء نهضة أدبية في مصر وسوريا تميزت - من الوجهة اللغوية - بظهور التعبيرات المحلية المصرية.

ودامت هذه النهضة قرنين، فتناقصت ثروة البلاد باكتشاف البرتغاليين طريق البحر إلى شرقي الهند والقضاء على التجارة المصرية ثم جاءت الضربة القاصمة باستيلاء العثمانيين على مصر ٩٢٣ هـ.

وفي هذه المرحلة يقول "يوهان فك": وتشمل المرحلة التي بدأت بذلك العهد ممتدة إلى آخر القرن التاسع عشر الميلادي أحلك قرون التاريخ العربي لا من الوجهة السياسية فحسب بل من الوجهة اللغوية كذلك.

وبكل أسف لم يتعرض "فك" لهذه المرحلة واكتفى بهذه السطور، وهي مرحلة جديرة بالدراسة.

* * *

وشهد فجر القرن العشرين في مصر طلائع النهضة في كل مجالاتها، وبواكير الجهود لإقالة العربية من عثارها، وإرجاعها إلى مكانتها الجديرة بها ومن ثم فقد نشأت بها حركة التنقية اللغوية نشأة جديدة.

ولم يقف أمر هذه الحركة على نشر المؤلفات في النحو العربي والمعاجم ودواوين الشعر وكتب الأدب، بل اشتدت العناية أيضا بالبحث في مسائل الاستعمال اللغوي وصواب التعبير ومقاومة الدخيل من اللغات الأوروبية.

ومع هذه الجهود العظيمة فقد تركت اللغات الأوروبية أثرا عميقا في العربية الحديثة.

وثمة تطور آخر كان لمصلحة العربية الفصحى وهو انكماش الأمية الذي نتج عنه تغلغل لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ومفرداتها في دوائر كانت لا تعرف من قبل سوى العامية وكان للصحافة فضل في دعم هذا الاتجاه.

بيد أن أثرا سلبيا قد ظهر آنذاك أن علت أصوات بعض دعاة الإصلاح في مصر تنتقد العربية الفصحى وترعى العامية، وقد وُوجهت هذه الحركة بمعارضة شديدة؛ لأنها تقضي حتما على الثقافة العربية والفصحى.

وهنا ينهي "فك" عرضه الشامل لتاريخ العربية ولهجاتها، وكما بدأه بالعلاقة الوثيقة بين الإسلام والعربية طوال أربعة عشر قرنا من ماضيها الطويل يختمه بتأكيد هذه العلاقة نفسها في مستقبلها الواعد. يقول: "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية.

ولقد برهن جبروت التراث العربي النالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية".

فهل تصدق البوادر حقا ؟ هذه قضية تستأهل النظر والبحث، فهل من مجيب ؟

محمد حسن عبد العزيز

فهرس تحايلي لموضوعات الكتاب

١ - تمهيد

(ص ١ - ٦)

الإسلام يقرر مصير العربية — العربية لغة الدين والحضارة في العالم الإسلامي —
سقوط الدولة الأموية لم يضعف العربية — العصر الذهبي للعربية في أوائل الدولة
العباسية — العربية في عصر السلاجوقيين — ص ٢ : مصر تزعم البلدان العربية —
نقد بعض دعاة الإصلاح حديثا لمقيدة العربية الفصحى — عسر رسم صورة واضحة
لنمو العربية في ١٣٠٠ عام — القواعد العربية بلغت مستوى عظيم من الكمال —
لا تزال كتب النحو تعد العربية لغة إعراب — تلاشي الإعراب منذ أجيال — الإعراب
فارق بين الفصحى والمولدة — ص ٣ : الإعراب وسيلة سطحية في تمييز اللغة الفصيحة
— جوهر القالب اللغوي هو المميز — فقدان الإعراب في جميع اللغات ما عدا العربية
والبابلية القديمة — النزاع حول تاريخ تلاشي الإعراب في لغة التخاطب — أشعار
البادية — اختلاف النحاة إلى عرب البادية — بعض البقايا الجامدة في لهجات البدو
— أساليب العروض — القرآن — ص ٤ : التركيب العربي كالتركيب اللاتيني —
شهادة القرآن بعدم الفرق بينه وبين لغة العرب — لا يعارض هذا قيام فروق اللهجات
— قواعد رسم المصحف تدل على فروق اللهجات المحلية — ص ٥ : القرآن يعرض
صورة لا يداينها أثر عربي — اختلاف القرآن عن لغة الكهنة والعرافين — ص ٦ :
مخالفة القرآن للقواعد ليس شذوذا عن العربية — تطور العربية بعد وفاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم) .

٢ — الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية (الأموية)

(ص ٧ - ٤٩)

هجرة القبائل للغزوات مشرق عصر جديد للعربية — تأثير العربية وتأثرها بلغات
الأقاليم الجديدة — اختلاف اللهجات لم يحل دون تفاهم العرب — ص ٨ : فروق
اللهجات التي لفتت أنظار النحاة — سياسة عمر العبقري بإزاء العرب والعربية —

معسكرات العرب أسس للمدن الإسلامية من بعد — ص ٩ : تعذر قيام حد فاصل بين العرب وأصحاب الديار الأصليين — نشأة طبقة عربية من عظام الملاك — نشوء لغة مبسطة للتفاهم بين العرب ومن يتصلون بهم — *Pidgin — lingua franca — English* — ص ١٠ : بعض ظواهر لغة التفاهم الجديد — ص ١١ : الروايات العربية عن أوائل النحو غير تاريخية — الدافع إلى الملاحظات النحوية — اصطلاحات التحليل النحوية — اصطلاحات سيويه — ص ١٢ : حذق الزوج للعربية في الجاهلية والإسلام — سكان المدن وألسنتهم وأنسابهم — إشارة القرآن إلى اللغة الأجنبية — معرفة بعض الصحابة بلغة أجنبية — ص ١٣ : تأثير أسرى الفتح في العربية — الأسرى يكونون الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الإسلامي — اختلاف طبقات المجتمع من الوجهة اللغوية — نشوء لغة دارجة محلية — ممارسة العربية للغات المحيطة بها — ص ١٤ : الأنباط ولغتهم — الفارسية لسان الإدارة في الشرق — اليونانية لسان الإدارة في المغرب — الفارسية بالبصرة والكوفة في القرن الأول — العلاقات اللغوية بالبصرة — ص ١٥ : أساورة البصرة — عبيد الله بن زياد وأسرته — سخرية ابن مفرغ من عبيد الله بن زياد — ص ١٦ : حياة ابن مفرغ دليل على انتشار الفارسية بالبصرة — انتقام ابن زياد منه — ص ١٧ : العلاقات اللغوية بالكوفة — الحيرة ومكانتها قبل الإسلام وبعده — العناصر الفارسية في الكوفة — ص ١٨ : ديلم ، سكان الكوفة — الجاحظ يصف تأثير الفارسية في العربية — ص ١٩ : الفارسية تنفذ إلى الوطن العربي القديم — الجاحظ يصف أثر الفارسية في المدينة وما حولها — ص ٢٠ : شواهد من شعر جرير والفرزدق — مناقشة الشواهد المذكورة — ص ٢١ : موازنة الشواهد بالفقه الإسلامي — القبطية في مصر — العربية مقصورة على المعسكرات — أغلب المهاجرين إلى مصر من قبائل يمنية — اليونانية هي اللغة الرسمية — متى صارت العربية لغة رسمية — ص ٢٢ : أثر القبطية ضئيل في العربية — ثلاثي القبطية في القرن السادس — طبيعة الحياة العربية وأثرها في نشر اللغة — ص ٢٣ : أبناء الجوارى في الإسلام — أبناء صمية — ص ٢٤ : أسرة المهالبة — ص ٢٥ : نبوغ أبناء الجوارى في أواخر القرن الأول — حرص الأمويين على خلوص الدم العربي — إبعاد أبناء الجوارى عن الخلافة واستثناء يزيد — ص ٢٦ : تأثير الحياة البدوية بالمؤثرات الأجنبية — ظهور الأخطاء اللغوية في دوائر المجتمع العليا — نشوء مبدأ : تنقية العربية — الأمويون حماة المبادئ العربية — ص ٢٧ : عبد الملك بن مروان — عمر بن عبد العزيز — ص ٢٨ : الحجاج — طعن خصومه في

بلغته — ص ٢٩ : رؤية — ص ٣٠ : خالد بن عبد الله القسري — ص ٣١ : موقف
الدوائر الإسلامية من حركة تنقية اللغة — الحسن البصري — ص ٣٢ : مآخذ على
قراءة الحسن — ص ٣٣ : ظهور خصائص أجنبية في اللسان المتمكن من العربية —
لهجة الفقيه الدمشقي « مكحول » — لهجة « نافع » « شيخ مالك » — تعرض
الشعر لمنافسة الأجانب — زياد الأعجم — ص ٣٤ : أبو عطاء السندی — ص ٣٦ :
من الزوج من ملك زمام العربية — أحد الزوج يهجو جريرا — ص ٣٧ : رداة
التأليف في شعر الفرزدق — فتور الإحساس اللغوي عند شعراء أواخر القرن الأول
— شعر الطرماح — ص ٣٨ : مآخذ على الطرماح — ص ٤٠ : الكميث بن زياد
— مآخذ عليه — ص ٤٣ : شعر ذى الرمة ومآخذ عليه — ص ٤٥ : موازنة
بين شعر الغزل بالحجاز وسائر الشعر في الدولة — ص ٤٦ : عمر بن أبي ربيعة — قصص
الغرام في أوائل العصر الإسلامي — رأى ابن السكبي في قصة مجنون ليلى — قصص
بنى عذرة — الدوافع إلى دراسة النحو — ص ٤٧ : عبد الله بن أبي إسحاق النحوي
ينقد الفرزدق — هجاء الفرزدق إياه — ص ٤٨ : أبو عمرو بن العلاء ينقد اللحن —
ص ٤٩ : يونس بن حبيب ينقد ابن قيس الرقيات — نقد كثير .

٣ — عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

(ص ٥٠ — ٨٤)

سقوط الدولة لم يضعف العربية — لغة القرآن تصير جزءا من حقيقة الإسلام —
الأسرة العباسية تبرز الطابع الديني لسلطانها — الثقافة العربية مثل أعلى —
الشعويون لم يستطيعوا نقض مكانة العربية — العصر العباسي الأول يشهد بأكورة
العلم العربي — نحو الفارسي « سيويه » — ص ٥١ : كتاب سيويه يدل على
اعتماد القواعد على استعمال عرب البادية — لا يستشهد بشعر المحدثين — يستشهد
بشعراء لم يعتمدهم أكثر علماء اللغة — ص ٥٢ : لم يستشهد بأبي يحيى اللاحقي
— لم يستشهد ببيشار — البدو حجة في جميع مسائل اللغة — الحوار بين سيويه
والكسائي — ص ٥٣ : فصحاء الأعراب — لم تعد الفصاحة أمراً طبعياً في
القرن الثاني — بعض من عرف بسلامة لغته بالبصرة — ص ٥٤ : موازنة بين
الأمويين والعباسيين — ص ٥٥ : اثنان من الفرس في طليعة أدباء العربية :
ابن المقفع وبيشار — أدب ابن المقفع ولغته — ص ٥٦ : موازنة بين لغته ولغة عرب

البادية — ص ٥٧ : بشار بن برد وأدبه ولقته — ص ٥٨ : تطور أسلوب ابن المقفع
وبشار مرحلة جديدة في تاريخ العربية — ص ٥٩ : التطور الجديد يحمل سمات مولدة —
محاورة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال — ص ٦٠ : قد
الأصمعي للغة ابن المقفع وتصحيح ابن درستويه — بعض البدويين ينفذ لغة المنصور —
ص ٦١ : النحو يستبد أحياناً في وضع قواعده — اللغويون لم يتفقوا دائماً على الاستعمال
اللغوي الصحيح — خلاف البصرة والكوفة في القياس النحوي وتفسير الظواهر اللغوية
— تعصب اليزيدي لمدرسة البصرة — ص ٦٢ : غضبه على أئمة الكوفيين — انتشار
العيب باللحن من بدء العصر العباسي — طعن يونس بن حبيب في حماد الراوية — ص ٦٣ :
الكيت يرفض إملاء شعره على حماد — رأى المفضل الضبي في حماد — رأى
أبي عمرو بن العلاء في حماد — سره قصد البصريين بالكوفيين — جناد بن واصل
الكوفي ورأى يونس والتوزي فيه — ص ٦٤ : علماء الكوفة يعنون بمسائل سلامة
اللغة — طعن حفص بن أبي ودة في شعر المرقش — رد حماد مجرد عليه — ص ٦٥ :
الطعن باللحن في دوائر علماء الفقه — أبو حنيفة وقصة لحنه — ص ٦٦ : لحن أبي شيبة
قاضي واسط — ص ٦٧ : شبيب بن شبة — خالد بن صفوان — ص ٦٨ : الاشتغال
بالعربية في غير العراق — قلة عناية المدينة بدراسة العربية — رأى الأصمعي في المجتمع
المدني — عيسى بن داب — ص ٦٩ : رأى خلف الأحمر في ابن داب وابن شوكر —
عجب الأصمعي من لحن مالك بن أنس — مالك يستأنس للحنه بلحن شيخه ربيعة الرقي
— ص ٧٠ : ملاحظة التسهيل اللغوي في القراءات المدنية — قراءة نافع — ص ٧١ :
التسهيل في النحو ظاهرة عامة عند المحدثين — الجاحظ ينقل رأى ابن سبينة في رواية
الحديث باللحن — ص ٧٢ : هل يجوز الشعبي تصحيح ما روى ملحونا من الحديث ؟
— أيوب السختياني — هل تجب مراعاة سلامة اللغة في رواية الحديث ؟ — رأى الأعمش
الكوفي — ص ٧٣ : سعيد بن عبد العزيز التنوخي — حماد بن سلمة — باعث سيويه
إلى دراسة النحو — ص ٧٤ : عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي — وهب بن
جرير — سفيان بن عيينة يرجع إلى ابن مناذر في تفسير غريب الحديث — ص ٧٥ :
لحن هشيم بن بشير محدث العراق — وكيع بن الجراح — ص ٧٦ : إسماعيل بن
أبي خالد — أسرة أبي أيوب الطنافسي — عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري —
مهدي بن مهلهل يتخلص من اللحن بالوقوف على أواخر الكلمات — موقف ابن المديني
من تصحيح اللحن في الحديث — ص ٧٧ : ابن الطبري المصري — النسائي —

الاستشهاد بروايات من الحديث على تصحيح اللحن — أقوال عن عمر في الحث على تعلم العربية — ص ٧٨ : نهى عمر عبد الله بن مسعود عن القراءة بلسانه الهذلي — روايات عن ابن مسعود — ص ٧٩ : لم يسهم أهل الحديث في حركة تنقية اللغة — لم يمنع اللحن أهل الحديث أن ينبغوا في فهم — ص ٨٠ : لم يقتصر ظهور اللحن على غير المثقفين — استيعاب النحاة لصيغ المقصور والمدود بسبب اللحن فيهما — الجاحظ يحكي لحن يوسف بن خالد التيمي — ص ٨١ : خطأ « نولدكه » في الاحتجاج على صوغ أفعال التفضيل من أسماء العيوب الخلقية — ص ٨٢ : تعسر الحكم على لغة الطبقات الدنيا والوسطى في المدن والأقاليم — افتراض عدم انتشار العربية بين شعوب البلدان المفتوحة — ص ٨٣ : الفارسية كانت سائدة في مدن العراق — الأصمعي كان يحسن الفارسية — ص ٨٤ : إجادة الفارسية إلى جانب العربية كانت أمراً شائعاً — انتشار الألقاب الفارسية إلى الأسماء العربية .

٤ — اللغة العربية في عصر هارون

(ص ٨٥ — ٩٩)

بلوغ الدولة ذروة سلطانها في ظل هارون — ازدهار علوم العربية — اقترانها بأعلام العلماء — لغة البدويين هي المثل الأعلى — خلاف علماء اللغة مع اللهجة الدارجة — البصريون يهتمون القراءة باللحن — ص ٨٦ : الخليفة يظل العلماء يعطفه — فصاحة زيدة — الأصمعي يخطئ أبا يوسف الفقيه — ص ٨٧ : بصر الكسائي باللغة — باء الكسائي إلى تعلم النحو — ص ٨٨ : لم يحصل واحد من علماء اللغة على دراية كاملة بالعربية — أبو عبيدة يعجب من فصاحة أم الهيثم الأعرابية — الخلاف حول من يرجع إليه في العربية — ابن الأعرابي لا يعتد بالأصمعي ولا أبي عبيدة — عدم رسوخ ابن الأعرابي نفسه في اللغة — ص ٨٩ : قلة خبرته بالأنساب — أقدم الآثار الأدبية لحركة تنقية اللغة ينسب إلى الكسائي — ص ٩٠ : نقد تحليلي لنسبة الكتاب — الأصمعي ينظم الاستعمال اللغوي بتحديدات معنوية دقيقة — لم يسلم الأصمعي من مخالفة استعمال البدوي — ص ٩١ : البطليوسي يلوم ابن قتيبة على متابعته للأصمعي — الشعر الرفيع يعتنق مبدأ تنقية اللغة في جميع العصور — شعرا أبي نواس — ص ٩٣ : وقوع شعراء الطبقة الثانية في اللحن الصريح — العمانى — إبراهيم الموصلى — مسلم بن الوليد — ابن سيابة — ص ٩٤ : اللحن في أشعار القصور أقل منه في شعر القرص والمناسبات — أبو النضر يعد لحنه لهجة — تهكم أبا ن

منه — محمد بن يسير البصرى وشعره — ص ٩٥ : لغة الشعب نجد مساغا في التعبير
الأدبي لأول مرة في عصر هارون — رثاء البرامكة — ص ٩٦ : أول من نظم
المواليا — نشأة محور الأغاني الشعبية — قالب المزدوجة وأقدم نماذجه — ص ٩٨ :
تاريخ الدوييت أو الرباعي — عريية الكلام في أواخر القرن الثاني — ص ٩٩ :
ابن مناذر يوازن بين لهجة مكة والبصرة ..

٥ — العربية المولدة

(ص ١٠٠ — ١١٠)

مبدأ «تنقية اللغة» يجعل عريية البدو مثلاً أعلى للكلام والتحرير — أثر الحضارة في اللغة —
عريية الدولة واللغة الدارجة — العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة — لم يتأثر
المجتمع الراقي بالعريية المولدة حتى القرن الثالث — الأوساط البدوية أبعد من التأثير
بها — اليهود والنصارى بالمشرق يستخدمون اللغة الدارجة — ص ١٠١ : الآثار
المسيحية — العربية في القرن الثاني تقدم أول الوثائق للعريية المولدة — حظ اليهود
والنصارى ضئيل من الثقافة العريية — خصائص مادتهم اللغوية لم تقو على تكوين
لهجة خاصة — لهجة يهود المدينة في عهد الوجيه تختلف عن لغة سكان المدينة — على
النقيض من ذلك لهجة نصارى العرب — عريية الأدب اليهودى النصرانى تكونت
خارج الجزيرة — ص ١٠٢ : خصائص اللغة المذكورة — حرف الضاد خاص بالعريية —
ص ١٠٣ : الفرق الخاص بين المولدة والفصحى — ص ١٠٥ : ترك الإعراب في اللغات
السامية لا يقتضى أن يكون راجعاً في العريية إلى طبيعتها — سبب هذه الظاهرة —
نشأة قوالب جديدة من التعبير تأخذ صفة الإعراب النحوية — ص ١٠٦ : أثر اختلاف
الترتيب في علاقات المطابقة — ص ١٠٨ : الانتقال من النوع اللغوى التركيبى إلى النوع
التحليلى — الخلط في النحو والتصريف من ظواهر التطور اللغوى لآمن أسبابه —
ص ١١٠ : النصوص العريية اليهودية والنصرانية تعين على دراسات اللهجات
الشعبية الحديثة .

٦ — العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية

(ص ١١١ — ١٢٩)

امتداد عهد الازدهار بعد هارون حتى أواسط القرن الثالث — العصر الذهبى
للأدب العربى — كتب الجاحظ تكشف العلاقات اللغوية من أواخر القرن الثانى

حتى النصف الأول من القرن الثالث — ص ١١٢ : الجاحظ يتنبه إلى لغة الأطفال —
لهجة الأجنبي ثم عليه — الجاحظ يتنبه إلى أثر تعدد اللغات على لسان شخص واحد —
موسى الأسوارى من أعاجيب الدنيا في الفصاحة بالعربية والفارسية — ص ١١٣ : لم
يعن الجاحظ باللغات الأجنبية لذاتها — أول كتاب في اللغة الفارسية — ص ١١٤ : الجاحظ
يوجه عناية خاصة إلى عيوب اللسان — الجاحظ يعقد فصلا طويلا عن واصل بن عطاء —
ص ١١٥ : أسماء عيوب اللسان عند الجاحظ — ص ١١٦ : بيان الجاحظ عن اللهجات
واللغات الخاصة — الجاحظ يصف في كتاب البخلاء دوائر الأدب في البصرة — تصوير
الجاحظ للغة المحادثة بالبصرة — نظرة في زموز المحتالين — في أدب المائدة —
ص ١١٧ : حديث الجاحظ عن الأعراب — الجاحظ يبين مواضع وجوب استعمال
الإعراب وإهماله — الجاحظ يذكر أول لحن سمع بالبادية ويعقد بابا خاصا للحن —
ص ١١٨ : الجاحظ يفصل أنواع التشديق والتصنع في الكلام — ص ١١٩ : نموذج
الأسلوب المتقعر وشخصية أبي علقمة النحوى — استعمال الإعراب والتصريف كان
بعد تقعرا على عهد الجاحظ — ص ١٢٠ : لحن بشر بن غياث المريسى أحد تلاميذ
أبي يوسف — الأشعار على قافية الهمزة — ص ١٢١ : علي بن الجهم يسقط من نظر
المبرد للحنه — ص ١٢٢ : لغدة الأصهباني معاصر أبي حنيفة الدينورى — تأثير لغة
الأعراب بالتجديدات المختلفة — سبب تقدم مدرسة البصرة على مدرسة الكوفة في نظر
الرياشى — عمارة بن عقيل حفيد جرير ومآخذ النقاد عليه — ص ١٢٣ : الشعر الرفيع في القرن
الثالث يطابق المثل الأعلى في نظر النحاة — شعر أبي تمام — ص ١٢٤ : بعض المآخذ
عليه — ص ١٢٥ : أشعار الفرص والناسبات أقوى تأثيراً باللغة الدارجة — شعر
ابن زينب المراكبي — الجماز البصرى وعبد الصمد بن العذل — ص ١٢٦ : الحسن
ابن وهب الكاتب — اللغة الدارجة تبتعد باطراد من النموذج الصحيح — ص ١٢٧ :
هناك فروق في لغة المحادثة — المأمون يؤاخذ عما له على اللحن — وزير المعتصم
يعجز عن تفسير كلمة في إحدى الرسائل — ص ١٢٨ : ضعف ثقافة المعتصم — نفوذ
الأتراك على عهد المعتصم ، الفتح بن خاقان يشذ بسعة الثقافة عن صفوف الأتراك —
ص ١٢٩ : كتاب أخلاق الملوك ليس للجاحظ — نفوذ الأتراك يخفض مستوى اللغة —

٧ — العربية تصير لغة الأدب الفصحى في النصف الثاني من القرن الثالث

(ص ١٣٠ — ١٤٢)

اضمحلال الدولة وأثره في اضمحلال العربية — انتشار الأساليب المولدة —
ص ١٣١ : شكوى ابن قتيبة وتسجيله لفساد اللغة — ص ١٣٢ : كتاب أدب الكاتب
ووصفه — موازنة بينه وبين الجاحظ — ابن قتيبة يذنب عن مبدأ تنقية اللغة المتطرف —
ابن قتيبة لا يحيد عن رأى الأصمعي — بيان مصادر أدب الكاتب وتحليل أبوابه —
ص ١٣٤ : لا يعنى ابن قتيبة في كتبه الأخرى إلا عرضاً بمسائل اللغة — ص ١٣٥ :
لم يجد ابن قتيبة صدى بعيداً عند معاصريه — لم يف هو نفسه بالتزام مطالبه — حتى
الشعر الرفيع في عصره لم يجر على مبادئه — شعر البحترى — ص ١٣٦ : ابن الرومي
— أحمد ابن المدبر — ص ١٣٧ : علي بن محمد الحناني العلوي — انحطاط اللغة
الدارجة أيضاً بسبب نفوذ عوام الأتراك في القصور — الوزير يتكلم اللغة الدارجة
— ص ١٣٨ : ظهور الفروق العظيمة في التعبير بين الأوساط المختلفة — آل طاهر
— ص ١٤٠ : ضعف الترية النحوية والملكة اللسانية — الكلام على طريقة
الأعراب لم يعد يسير روح العصر — ص ١٤١ : ضعف الملكة اللسانية عند النحويين
في ختام القرن الثالث — ثعلب — الأخفش الأصغر — ص ١٤٢ : نهاية القرن الثالث
تضع حداً فاصلاً بين العربية الفصحى والمولدة الدارجة .

٨ — عربية الأدب في القرن الرابع

(ص ١٤٣ — ١٥٢)

النمو اللغوي يطارد العربية الفصحى — العربية ملكة متوجة في دائرة الثقافة والأدب
— أثر النمو اللغوي في الأساليب — قدامة بن جعفر يبرز نتائج النمو المذكور في
كتابه : نقد النثر — تفرقه بين الأسلوبين السخيف والجزل — ص ١٤٣ : موقفه
تجاه خلوص اللغة واللحن فيها — ص ١٤٤ : قد يستحسن اللحن — الإرشاد العملي
إلى الأسلوب الجزل في كتاب جواهر الألفاظ لقدامة — باكورة ازدهار السجع
يغدو في عصر قدامة — السجع أداة من أدوات الأسلوب — وسائل كمال الأسلوب
— ص ١٤٥ : قدامة يعنى أيضاً بالموضوع — الأسلوب اللفظي في النثر الفني يطفئ
على الأفكار وانصالحها — ص ١٤٧ : لم يحتط قدامة لذلك بل ساعد عليه — الخطوات
الأولى نحو تطور النثر إلى تلاعب بالألفاظ — ص ١٤٨ : لم يتكرر قدامة وضع

المركز اللغوي في ترتيب عملي — مبدأ الاتجاه إلى ذلك منذ القرن الثاني — موازنة بين كتاب قدامة وكتاب الألفاظ لابن السكيت — ص ١٤٩ : لم يكن قدامة أيضا أول من حاول سد حاجات الكتاب العملية — كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني — موازنة بين الكتابين — كتاب الألفاظ الكتابية يحتوي على زيادات لابن خالويه — ص ١٥٠ : الباعث للهمداني إلى تأليف كتابه — ص ١٥١ : رأى صاحب ابن عباد في كتاب الهمداني — دلالة هذا الرأي على انحطاط الأدب — سبب الانحطاط اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر — التلذذ الذوقي باللغة وجرسها ديدن العرب منذ قديم — مقام الخطيب إلى جانب الشاعر قبل الإسلام — السجع يرفع الفوراث الانفعالية لدى الكهان القدماء — السجع في القرآن — ص ١٥٢ : علو كلمة السجع تدريجا .

٩ — العربية ولهجات البدو في القرن الرابع

(ص ١٥٣ — ١٦٦)

تغير نظر المتقنين إلى لهجات البدو — احتذاء لغة البدو على عمر القرن الثالث نوع من التقدير — العربية الفصحى تصير لغة الكتابة في بدء القرن الرابع — اختلاط البدو بغيرهم أقعد لغتهم صفاءها وخلوصها — ص ١٥٤ : بيان الهمداني عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة حوالي نهاية القرن الثالث — اختلاط الألسنة الأصلية بعربية الشمال — طريقة الهمداني ضاعفت من عنائه في تصوير أخلط اللهجات — الهمداني يرى أن لغة الكتابة العربية هي اللغة الأصلية في جنوبي الجزيرة — ص ١٥٥ : الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو — لا يفرض اللهجات اليمن أساسا من لغة أخرى غير عربية الشمال — ملاحظات الهمداني السطحية على اللهجات وتقسيمها إلى فصيحة ومعقدة — تفصيل لهجات القبائل الجنوبية — الهيرة والشحيرة — لهجات حضرموت — سرو مذحج — مأرب — بيهان — حريب — تحديد المنطقة بين مأرب وذمار — منطقة قائفة — كومان — ص ١٥٦ : منطقة همدان — لهجة سفيان بن أرحب — بنو حرب — المنطقة العظمى التي تغلب فيها الفصاحة — القبائل التي تسكنها — ص ١٥٧ : أهل تهامة عربيتهم رديئة — ناحية صعدة — بعض لهجات أخرى غير فصيحة — لهجات المنطقة الجبلية — ألهان وأنيس غربي ذمار — جبال حراز — جبال الحضور — ص ١٥٨ : الجحادب — بعض قبائل غم (غير فصيحة) — ظاهر همدان النجدي — لهجة جُبلان — لهجة يحصب ورعين

— منطقة الكلاع — سرو حمير — ص ١٥٩ : لحج وأبين ودثينة والعامريون —
لهجة السكاسك — لهجات جيشان — المغافر في منطقة نعر الحالية — اللهجات
خارج اليمن — العروض — الحجاز — الشام — ديار مضر — ديار ربيعة —
نشوء علم اللغة في هذا العصر على أساس فلسفي بعد انقضاء عصر النشاط في جمع اللغة
— ص ١٦٠ : ابن جني يعقد في كتاب الخصائص باباً لأغلاط الأعراب — ص ١٦١ :
عمار الكلبي يشكو من غرور النحاة وجراثيمهم — ص ١٦٢ : الأزهرى صاحب المعجم
— ص ١٦٣ : اختلاف نظرة الطبقات الوسطى إلى البدويين عن ذى قبل — حروب
القرامطة من أسباب تغيير رأى المجتمع في البدويين — ابن بسام يسمع من الأعراب
ألفاظاً مستكرهة — صاحب بن عباد يعيب على المتنبي تفاسحه بالألفاظ النافرة —
موقف ابن عباد من غريب اللغة — ص ١٦٤ : رسالة أبي حيان التوحيدي في تحقير
ابن عباد وابن العميد — ص ١٦٥ : لم يمثل ابن عباد مذهب تنقية اللغة المتطرف —
الطعن في معجم ابن عباد اللانوى ذى السبعة الأجزاء — ص ١٦٦ : أبو حيان
النوحيدى يعقب على موقف ابن عباد — المطالب التى تتوخى فى الأسلوب البليغ —
تلاشى الفرق بين بلاغة التعبير فى الشعر والنثر — كتاب الصنائع لأبى هلال .

١٠ — العربية واللغة المولدة فى القرن الرابع

(ص ١٦٧ — ١٨١)

انحلال الدولة العباسية مبدأ عهد جديد للعربية المولدة — نشأة مجموعات متميزة
من اللهجات — المقدسى يحاول تمييز كل إقليم من الوجهة اللغوية — كتاب المقدسى
نفيس القيمة فى جغرافية الكلمات — اللغة الفصحى تبقى عنوان وحدة الثقافة فى العالم
الإسلامى — ص ١٦٨ : لم تقم حواجز بين الأقاليم الإسلامية تمنع التبادل العلمى —
حياة التجول كانت قاعدة مطردة — العربية الفصحى صارت تكتسب بالتعلم لا بتأثير
الوسط العربى — ص ١٦٩ : أسمى درجات العربية فى فارس — مقياس فصاحة العربية
فى ذلك العهد — مقياس اللحن اللغوى — حتى لغة المتنبي تتأثر بالعربية المولدة —
ص ١٧٠ — ١٧٢ : أمثلة من ذلك — خصائص فى أسلوب المتنبي — ص ١٧٣ — ١٧٤ :
أمثلة من ذلك — لم تلفت الظواهر الخاصة فى شعر المتنبي أنظار معاصريه — صاحب
ابن عباد يحمل على المتنبي فى كتاب خاص — ص ١٧٤ — ١٧٥ : مطاعن صاحب فى
المتنبي — ص ١٧٦ : تساهل ابن عباد تجاه اللحن ظاهرة عامة عند أدباء العصر — ص ١٧٧ :
حاجة العصر إلى شرح مصنفات الشعر والنثر — المتنبي يشفع شعره بالشرح —

ابن جني يكتب شرحين لديوان المتنبي — ص ١٧٨ : لم يكن ابن جني عمدة في شرح الشعر وتذوق الجمال الفني — انحصار عمله في دائرة النحو واللغة — ص ١٧٩ : لا يجوز في الشرح إغفال التكوين الداخلي للشعر — طريقة المتنبي في نظم الشعر — من نقد ابن جني من العلماء — ابن فورجه — ص ١٨٠ : أبو حيان التوحيدي — الشريف المرتضى — أبو القاسم الأصفهاني — ابن وكيع — ابن جني لا يتراجع عن طريقته في الشرح — يؤلف كتابا في شرح بيت واحد — أربعة أجزاء في شرح أربع مراث للشريف الرضي — ص ١٨١ : أبو العلاء المعري يقرن بعض دواوينه بالشرح — سقط الزند قوى التأثير بالمتنبي — الفصول والغايات .

١١ — ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع

(ص ١٨٢ — ١٩٠)

شعر الفرص والمناسبات يحمل طابع العربية المولدة — يتيمة الدهر للثعالبي — شعر ابن حجاج مرآة للغة عصره — مذهبه في الشعر — ص ١٨٣ : كثرة الدخيل من لغة بغداد في شعره — ص ١٨٤ : ابن حجاج يحسن الفارسية — تحقيره مبدأ تنقية اللغة — ص ١٨٥ : تحرر بلاد المغرب أيضا من النماذج الأدبية المتعارفة — موازنة بين التحرر الموضوعي في المشرق والتحرر الأسلوب في المغرب — اختراع «الموشح» في المغرب — أوليات الموشح في المشرق — ص ١٨٦ : أول من اخترع الموشح بالمغرب — محمد بن محمود القبري الضير — عبادة بن ماء السماء — ص ١٨٧ : نموذج من موشحات عبادة — ص ١٨٨ : قالب التفسير — الموشح والموسيقى — خصائص الموشحات من عوامل التحرر اللغوي — ص ١٨٩ : اللغة الشعبية في الموشحات — محاولة نظم «الزجل» — المزج بين الفصيحة والدارجة في الاستعمال الفني بالأندلس — ص ١٩٠ : تقليد المشرق للمغرب في الموشحات — السبب في عدم نفوذ الموشحة إلى العراق .

١٢ — وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي

إبان القرن الرابع الهجري

(ص ١٩١ — ٢٠٧)

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — قيمته من ناحيتي الموضوع والأسلوب — ولع المقدسي بالثر السجوع — ميله إلى الاقتباس — ص ١٩٢ : تضمينه للآثار

الأدبية — تعبيره في وصف كل إقليم ببلغة ذلك الإقليم — مراده لغة المثقفين لا لغة الشعب —
أصح العربية في فارس — مناطق الفصاحة اللغوية — في جزيرة العرب — الثغور — لهجة عدن
— ص ١٩٣ : عربية العراق — لهجة الكوفة والبصرة — ما بين النهرين — ص ١٩٤ :
مصر — المغرب — قائمة من الاستعمالات المحلية في شتى الشئون — ص ١٩٥ : فهرست
أسماء السفن — ص ١٩٦ : أسماء المقاييس والموازين والنقد — ص ١٩٧ : وسائل
السقي والري — الألفاظ الدالة على سكان الريف — أسماء السنور — ص ١٩٨ :
الاختلاف اللغوي دليل اختلاف الثقافة — قصده إلى تنويع الكلام وتجميله أكثر
من النولين بالصيغة المحلية — استعماله ألفاظاً خارجة عن محيط العربية — ص ١٩٩ :
لم تقتصر عناية المقدسي على اللغة العربية بل تناولت اللهجات الفارسية لذلك العهد —
كان يحسن الفارسية — لهجة نيسابور — ص ٢٠٠ : لهجات طوس ونسا — مرور —
لسان هراة — سرخس وأبيورد — جرجستان — جوزجان — طخارستان
وباميان — لهجة خوارزم — لهجة بخارى — سمرقند — لهجات الهيطل —
الصغدية — قومسن وجرجان — ص ٢٠١ : لسان طبرستان — الديلمية — الجيلانية —
الحزرية — لهجة الري — همدان — قزوین — الأصفهانية — خوزستان —
الكرمانية والحراسانية — البلوصية ولغة السند — لغة مكران — المقدسي يروي حديثاً
مذهبياً في اللغة الفارسية — أسماء الأعلام الشائعة في فارس — ص ٢٠٢ — ٢٠٣ :
لا يغدعنا الطلاء البلاغي في لغة المقدسي عن أن لغته مولدة — نماذج من التوليد في
لغته — ص ٢٠٤ : طريقة : « دى غويه » في نشر كتاب المقدسي — ص ٢٠٥ —
٢٠٧ : موازنة بين المقدسي ومعاصريه في أسلوب الكتابة — أسلوب ابن النديم .

١٣ — اللغة العربية في عهد السلجوقيين

(ص ٢٠٨ — ٢٢٩)

لم تكد العربية الفصحى تعمر قرنين من الزمان — عوامل ذلك — الفارسية
تصير لغة رسمية — استخدامها في التأليف — ص ٢٠٩ : إتقان العربية بالتربية
والتعليم — سياسة السلجوقيين الدينية تحفظ العربية — تأسيس مدارس ذات هدف
عملي للدولة — الفقه القانوني مركز الدائرة — كتب التبريزي تصور طريقة التعليم —
تأسيس المدرسة النظامية ببغداد — ص ٢١٠ : شرح ديوان الحماسة للتبريزي —
ص ٢١١ : مصادر التبريزي في شرح الحماسة — تهذيب التبريزي لكتابي : الألفاظ وإصلاح

المنطق — خلف التبريزي في المدرسة النظامية — ص ٢١٢ : الفصيحي — الجواليقي —
كتاب العرب — شرح أدب الكاتب للجواليقي — موازته بشرح البطلوسي —
كتاب درة الغواص للحريري — ص ٢١٣ : بيته الحريري — يمثل مبدأ تنقية اللغة —
مصادر درة الغواص — تلاشي الشعور اللغوي في عصر الحريري — ص ٢١٣ —
٢١٧ : نماذج — ص ٢١٧ — ٢١٩ : أمثلة من تزلزلت الحريري وتعصفه — ص ٢١٩ —
٢٢٠ : الترجيح الاختياري والتصحيح الخطيء عند الحريري — نشاط اللغة
الدارجة أقوى من مبادئ التزميتين — ص ٢٢١ : الحريري نفسه ينزلق في تيار
اللحن — نماذج — ص ٢٢٢ : لم تستطع الملاحظات اللغوية وقف تطور اللغة —
عوامل ضعف العناية بالتراث الأدبي — كتابة الحريري تثير اهتماما كبيرا — احتدام النزاع
بين الحريري ومشاهير اللغويين — دلالة ذلك على ضعف الإحساس اللغوي وملكة
النقد — اعتراف اللغويين باللغة الشعبية — اختلافهم على تصحيح ماخطأه الحريري —
تعليقات ابن بري على درة الغواص — الشهاب الحفاجي — ص ٢٢٣ : تحليل هذه
التعليقات ودلالاتها على ضعف ملكة النقد — فكرة ابن بري عن مبدأ تنقية اللغة —
كتاب أغلاط الضعفاء من أهل الفقه لابن بري — ص ٢٢٤ — ٢٢٥ : نقد
الكتاب المذكور وتحليله — تعليقات ابن ظفر على درة الغواص — ص ٢٢٦ :
تعليقات ابن الخشاب — نزاعه مع ابن بري — تلاشي الإحساس اللغوي وأمثلة من ذلك —
الاحتجاج بالحديث في أمور اللغة — ص ٢٢٧ : ابن خروف أول من اعتمد حجة
الحديث — ابن مالك — الحافظ اليونيني — مراتب فصاحة اللغة في رأي ابن مالك —
توسع الاسترابات في الاحتجاج اللغوي — تحول عريضة الأدب إلى لغة النحو
والقواعد — ص ٢٢٨ : اختلاف الكتاب في التمسك باللغة الصحيحة — تقرير
ابن الصلاح عن شيوخ عصره — اللهجات المولدة تنضح بقوة على لغة الأدب — أسلوب
أسامة بن منقذ — ص ٢٢٩ : ابن يعيش النحوي وأسلوبه — تراجم الأطباء لابن أبي
أصيبعة مرآة اللغة المسامرة والحديث بالقاهرة .

١٤ — عود على بدء

(ص ٢٣٠ — ٢٣٤)

أثر السيل المغولي في تاريخ اللغة — مصر تصدر بلدان العالم الإسلامي — النهضة
الأدبية في مصر تستمر قرنين من الزمان — كشف البرتغاليين طريق البحر إلى الهند
وأثر ذلك في انحطاط النهضة — خضوع البلدان الإسلامية للعثمانيين — ص ٢٣١ :

أحلك قرُون التاريخ العربي — بدء المرحلة الحديثة بحملة « نابليون » — إدخال
النظم العربية على يد محمد علي — الألفاظ الدخيلة حديثاً في العربية — نشوء معركة
تنقية اللغة من جديد — ص ٢٣٢ : أعمال المجمعين العلميين في القاهرة ودمشق —
طبيعة الكفاح في وجه الغريب — اقتراب العربية إلى طبيعة التعبير الأوربي —
ص ٢٣٣ : لا يقتصر تأثير الغرب على العربية الفصيحة بل يتناول اللهجات المحلية —
أثر انكماش الأمية في تطور اللغة — الصحافة — الخدمة العسكرية — مسارح السمر
الشعبي — المذيع والحكاكي والخيالة (السينما) الناطقة — ازدهار الحضارة بمصر يجعل
لغة التجاثر القاهرية مثلاً أعلى — استعادة مصر مكانتها في زعامة البلاد العربية —
أصوات النقد للعربية الفصيحة — العربية تقضى على حركة النقد — ص ٢٣٤ : العربية
هي الرابطة العام لكل البلدان الناطقة بالضاد — هي الرمز اللغوي لوحدة العالم
الإسلامي — العربية لسان المدنية الإسلامية .

ملحق — مادة : ل ح ن ومشتقاتها

(ص ٢٣٥ — ٢٤٦)

عرب البادية لم يعرفوا اصطلاح اللحن — كانوا يعرفون العوائق اللسانية —
مدلول اللحن نشأ عن اتفاق عرقي — المدلول الأصلي للحن — ص ٢٣٦ : معنى لحن
على وزن فطن — مصدر اللحن بسكون الحاء — أفعل التفضيل — وروده في الحديث
— ص ٢٣٧ : اللحن مجاز في هديل الحمام — ص ٢٣٨ : اسم الفاعل « لاحن » —
ألحن من الجرادتين — ألحن بالتشديد — تلحين — معنى آخر للحن — ص ٢٣٩ :
لحن اليمن — أقوال مأثورة عن عمر في اللحن — اللحن بمعنى التورية — ص
٢٤٠ : وهم الجاحظ في تفسير بيت لملك بن أسماء — تنبيه على بن يحيى المنجم للجاحظ —
انتشار كتب الجاحظ عاق دون إصلاح الخطأ — ص ٢٤١ : ابن دريد يصحح خطأ
الجاحظ — أبو بكر الصولي — تأثير الجاحظ في ابن قتيبة — نقد ابن الأنباري
لابن قتيبة — تأثر قدامة بن جعفر بالجاحظ — ص ٢٤٢ : أبو حيان التوحيدي
يدافع عن الجاحظ — اللحن بمعنى التورية والرمز في الحديث — في رسالة لأحد
الأعراب — في سورة محمد عليه السلام — ص ٢٤٣ : فعل لاخن — معنى آخر
للحن — ابن دريد وكتابه : الملاحن — ص ٢٤٤ : اللحن بمعنى الخطأ في التعبير —
قدح لاحن وقوس لاحنة — اشتهاى اللحن في المعنيين : الخطأ والقضاء — خطأ
ابن الأعرابي في عده اللحن من قبيل الأضداد — انحراف مذهب ابن الأعرابي بوجه
عام — ص ٢٤٥ : متى تقل لفظ اللحن إلى الخطأ في الكلام — ص ٢٤٦ : ارتباط
ذلك بمبدأ تنقية اللغة — بعض الشواهد القديمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

بقلم مفضرة صاحب الغزة الأستاذ الكبير «أحمد بك أمين»

اللغة نظام اجتماعي كالدين والحكومة ، خاضع لتأثير الزمان والمكان ؛ فكم من الفرق بين اللغة يتكلمها الأقدمون ، واللغة يتكلمها المعاصرون .
نعم إن الطبيعة عودتنا حتى في الماديات أن يكون الانتقال بطيئاً جداً ، ومتدرجاً جداً . . . ألسنت فيما ترى تجد الانتقال من شمس إلى ظل . . . بل إنك تمر بفترة لاتدرى أهى ظل بحث ؟ أم شمس بحث ؟ ثم تدرج إلى الظل الخالض ، أو الشمس الخالصة . . .

هذا في المحسوسات ، فما بالك بالمعاني ؟ فإنك مثلاً لاتدرك فرقا كبيراً بين اللغة أمس ، وبين اللغة اليوم ؛ ولـكن إذا باعدت بين الزمانين أدركت الفرق واضحاً . فكم من الفرق بين ما روى لنا من خطب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من مجمل صبت صبا كأنها حكم لاتصل بين جملتين منها صلة ، بل يعتمد في الاتصال بينهما على الإدراك الذهني ؛ وبين كلام عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، في التفصيل ، وربط الجمل ، واتضح المعنى وتحديد . .
بل ما أكر الفرق في عصرنا هذا بين الأساليب في أول عهدنا بالنهضة العلمية ، والأساليب اليوم : كانت الأساليب الأولى ترمى إلى السجع وتحسين اللفظ وتزويقه ، ولا تأبه للمعنى كثيراً ؛ ثم رأينا الأساليب ترسل إرسالا ، ويقصد فيها إلى المعنى أكثر من اللفظ ، ورأينا المدرسة القديمة تندثر شيئا فشيئا في تدرج وبطء ، ويموت أعلامها شيئا فشيئا في تدرج وبطء أيضاً ؛ وتحيا المدرسة الحديثة في تدرج وبطء كذلك ؛ حتى لو أننا قارنا بين المدرستين لأخذنا العجب كل العجب كيف يفعل باللغة الزمان . . . ؟

وذلك بفضل أن اللغة كانت تستقى في مدرستها الأولى من منابع الأدب العربي القديم ؛ وعمادها في ذلك عبد الحميد ، وابن المقفع ، والجاحظ ؛ ثم صاحب بن عباد وابن العميد ، ثم القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني ، وأمثالهم ؛ على حين أن المدرسة الجديدة تستقى من الأدب الغربي معانيه ، وأساليبه ، وتفنته ؛ ولم تستق من الأدب العربي إلا ألفاظه وبعض أساليبه أيضاً . هذا بالنسبة إلى عامل الزمان ؛ وكذلك عامل المكان ؛ فكل سكان الأقطار العربية من سوريين ، ومصريين ، وعراقيين ، يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها ؛ ولكن ما أشد الفروق بينهم ؛ فقد عملت بيئة كل قطر عملاً خاصاً في حناجرهم ، وفي ألفاظهم التي استقوها من العرب الذين نزلوا بهم ، وطريقة أدائهم لهذه الألفاظ ، وغير ذلك من العوامل المكانية .

كل هذا من اختلاف عوامل الزمان والمكان يحتاج إلى دراسة دقيقة جداً... وقد تنبه المحدثون إلى أهمية هذه العوامل ، فأنشأوا معاهد للأبحاث اللغوية ، بعضها يسجل اختلاف اللهجات ، وبعضها يتجه إلى رسم خرائط تبين كيف تعبر كل بلدة عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، وحتى إن اتحدت في الألفاظ فكيف تعبر عنها مع اختلاف النطق بها ، ونحو ذلك .

ويأتى علماء الاجتماع بعد ، فيستتجون ، من دلائل هذه الاتفاقات والاختلافات ، القوانين على اتحاد الأصول إن اتحدت ، واختلافها إذا اختلفت ، وهكذا .

كما عنى بعض المستشرقين بدراسة بعض اللهجات العربية ، فاتجهوا مثلاً إلى قبيلة هذيل ، ودرسوا أشعار الهذليين ؛ بما يمتازون بألفاظهم وبعض معانيهم عن القبائل الأخرى .

فما كان أحوالنا إلى بحث دقيق ، يبين لنا تطور الأساليب في اللغة العربية واللهجات في الأزمنة المختلفة ، وإمكانة الاختلاف ؛ والعوامل التي عملت في هذا التطور من بيئات طبيعية ، أو بيئات اجتماعية . فهذا يفيدنا ، من ناحية في وقوفنا على هذا التغير ، ومن ناحية على العوامل التي تعمل فيه حتى نضع أيدينا عليها ، فنقويها أو نضعفها .

ولم نعرف كتاباً من قبل عالج هذا الموضوع معالجة مستقلة ، بل نعرف تنفاً في الكتب هنا وهناك ، ومسائل صغيرة بها . فوقف الأستاذ : يوهان فك (Johann Fück) نفسه على هذا البحث المضني العميق . فكم فتش في ثنايا الكتب عما يدله على بحثه ، ووفق في الجزئيات الصغيرة أن يستنتج منها نتائج كبيرة .

ونشهد الله أننا كنا نمر عليها وتفهمها ، ولكننا لا نستنتج منها النتائج التي وصل إليها . . . وقد عُرف الألمان بدقة البحث والصبر عليه ، والاستطاعة العجيبة في أن يؤلفوا بين أجزائه المتناثرة ، وأن يصلوا منه إلى أدق النتائج وأعمقها . وهذا ما فعله الأستاذ المؤلف . فنحن ، إذا قرأنا الكتاب ، نرى أنه شرح لنا تدرج الألفاظ والأساليب من أول الهجرة العربية إلى القرن الرابع الهجري .

نعم إن الكلمة التي ذكرها المؤلف ليست هي الكلمة الأخيرة في الموضوع ؛ ولكنها الكلمة الأولى ؛ فهي تحتاج إلى كلمات أخرى تبسط المجلد ، وتوضح الغامض ، وتزيده بدءاً إلى أول عهدنا باللغة العربية ، ونهايةً إلى عهدنا الحاضر . . . ولكنه على كل حال له فضل السبق ، وفتح الباب .

وإذا كان المؤلف يحتاج منا إلى ثناء عظيم على ما بذل من جهد ، وما وفق من نتائج ؛ فللمترجم : « الأستاذ النجار » فضل نقله إلى العربية ، لينتفع به أهل العربية الذين ألف الكتاب لهم وللفهم ، فهم أجدر بالاستفادة منه ، والجري على منواله .

والحق أن الترجمة جاءت دقيقة واضحة ، مع صعوبة أصلها ، وملئها بالمثل المعارضة ، التي تُدخلها عادة في باب الغموض ؛ فاستطاع الأستاذ المترجم ، مع دقة الأصل ، ومع هذه التراكيب الملتوية بعض الالتواء ، أن يكشف غامضها ، ويُذهب التواءها ، ويعرضها في ثوب واضح .

وإذا كان هذا العمل فاتحة عمل المترجم فإنه يحق لنا أن ننتظر منه كثيراً من الأعمال الجيدة ؛ وهل بعد الإرهاص إلا الإعجاز ؟ أو هل بعد الإزهار إلا الإثمار ؟ والله يوقته .

أحمد أمين

تقديم

بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ المساعد بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

اتصال الغرب بالشرق أمر معروف منذ زمن طويل قبل الميلاد . كان ذلك في مصر حين وفد إليها غير قليل من فلاسفة اليونان ومفكرها للافادة من علماء مصر وكهنتها ؛ وكان في فارس بسبب الحروب وما يتصل بها ؛ وكان في الإسكندرية التي أنشأها الإسكندر الأكبر لتكون ملتقى حضارة الإنسانية جميعاً : الشرق والغرب .

ثم جاء الإسلام ، وانتشر في الشرق والغرب انتشاره المعروف ، واستيلاؤه على بعض البقاع في أوروبا : الأندلس ، فرنسا ، إيطاليا ؛ فكان لكل هذا نتيجة الحتمية من اتصال الغرب والشرق اتصالاً علمياً قريباً ، وأخذ الغرب كثيراً من الشرق في نواح عديدة من نواحي العلوم والمعارف . وأخيراً تقلص الإسلام وجلا عن أوروبا ، إلا أن بعض العلماء الغربيين — وقد راعهم قوة الإسلام ، وحضارته وانتشاره — رأوا العكوف على التراث الإسلامي بأوسع معانيه لتعرف أسباب تلك القوة ، ومقومات هذه الحضارة ؛ ومن هنا كانت نشأة الحركة التي عرفت فيما بعد بحركة « الاستشراق » .

ولسنا بمعرض الحديث عن الاستشراق والمستشرقين ؛ ولكننا نريد أن نشير إلى أن المستشرقين عالجوا كل ما يتصل بالشرق من دين ، وحضارة ، وثقافة . وكان هذا بأسلوبهم الخاص ، ومنهجهم الغربي ؛ ولم يضئوا في هذا بجهد أو مال . ولقد أنشأوا لذلك الجمعيات الأسبوعية المعروفة ، بفرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا ؛ واستخدمت كل جمعية من هذه الجمعيات أدوات النشر المعروفة : الكتاب ، والصحيفة الدورية ، والبحوث الفردية ، والجمعية ، يكشفون بسببها الغبار الذي تراكم على المكتبة العربية في أنحاء المعمورة بهمة لا يحدها كلل أو ملل .

وكان من هذا أن عرف العالم علماء أعلاما ، امتازوا بالتوفر على دراسة الشرق عامة ، والإسلام بوجه خاص . وقد ظفروا بثروة كبيرة من المؤلفات العربية التي نشرها هؤلاء العلماء نشرأ علمياً حقاً ، فضلاً عن البحوث العلمية العميقة التي قام بها أولئك الأعلام ، وانفعنا ولا تزال ننتفع بها كثيراً فيما نكتب عن العربية وعن الإسلام .

ومن هذه البحوث القيمة ، هذا الكتاب ، الذي يسعدني كثيراً أن أسهم في تقديمه للقراء ، من نتاج الأستاذ للمستشرق الألماني : « يوهان فك » ؛ وهو دراسات في اللغة العربية ، ولهجاتها ، وأصاليها ، وتطورها مع تطور الزمان ؛ دراسات عميقة تقوم على الملاحظة القوية لحياة هذه اللغة وتطورها . وعوامل هذا التطور ومظاهره ، في أدوار التاريخ وقراته المختلفة ، حتى هذا العصر الذي نعيش فيه .

أول ما لاحظته المؤلف بحق ، في تمهيد الكتاب ، هو أن ظهور الإسلام كان أهم حدث في تاريخ اللغة العربية وتقرير مصيرها ؛ إذ جعل الإسلام من اللغة الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي . على أن هذا لم يمنع أن تبدأ هذه اللغة في التطور سريعاً ، أي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وابتداء الفتوحات الإسلامية ، وما كان نتيجة حتمية لهذه الفتوحات من دخول عناصر غريبة من الأتباع والسراري في البيئة العربية ، ثم بسبب انتقال اللغة نفسها إلى مواطن أجنبية ، أثرت فيها وتأثرت بها بطبيعة الحال .

لكن العرب ، وهم جد حراس على لغتهم ، لم يرضهم هذا الخلط الذي أصابها ، فنشأ في عهد الأمويين مبدأ « تنقية اللغة العربية » ، وذلك عن طريق التربية والتعليم ، وكان في هذا ما أوجد الدافع في نهاية القرن الأول إلى دراسة قواعد اللغة ، ضماناً لسلامتها من هذا الخلط ، الذي كان يهددها في أصولها ، وحركاتها ، وأصواتها .

ومضى العهد الأموي ، وجاء العهد العباسي ، فكان من أثر ذلك أن دخلت اللغة العربية في مرحلة جديدة من مراحل حياتها ؛ وهذا بسبب بعد العباسيين — وإن كانوا أصلاء في عروبتهم — عن حياة البدو بعداً كبيراً ، وبسبب اصطنائهم لعناصر أجنبية لا تستطيع أن تستبطن اللغة العربية ، والحياة العربية الصحيحة . ومن السهل علينا أن نتبين ما أصاب اللغة من تطوّر وتغير في ثر ابن المقفع وشعر بشار بن برد ، مع حرص كليهما على تقليد القدماء في الحروف والأصوات ، والمادة اللغوية ، والأسلوب .

على أن الإحساس كان لا يزال قويا في عهد العباسيين أيضا ، بوجوب المحافظة على اللغة وتنقيتها من الغريب عنها ، مادة وأسلوبا ، حتى كان اللحن معيأ جداً ؛ فهذا الكميّ الشاعر يرفض أن يملئ شعره على حماد ، لأنه خشى لحنه ، كما يقول ابن النديم : إن حماداً كان كثيراً ما يلحن (ص ٦٣) . وهذا عبد الله بن إدريس الأودي ، وكان يعيش في أيام الرشيد ، ورفض أن يلى القضاء حين ندبه له ، كان إذا لحن الرجل عنده في كلامه لم يحدثه ، كما كان يفضّ درسه إذا لحن واحد من مستمعيه ، كما يروى الخطيب في تاريخ بغداد (ج ٩ ص ٤١٩) . وكان من الطبيعي لهذا أن تبدأ في الظهور مصنفات في لحن العامة ، بل وفي أوهام الخواص ، على ما هو معروف . وهذه المصنفات خدمت بلا ريب مبدأ « تنقية اللغة » ، وعاونت على اعتناء عربية البدو ، التي صارت بعد القدوة المثلى ؛ حتى لقد وصل الأمر إلى أن اعتنوها المثقفون في الكلام الشفوي ، والتجريد الكتابي جميعاً (ص ١٠٠) .

ومع ضرورة الحيلة التي اضطلع بها أصحاب مبدأ « تنقية اللغة » ، نرى اللغة — وهي في سبيل انتشارها وتطورها — ندخل عليها تجديدات كان سدتها يحسون عدم جوازها ، وذلك في القرن الثالث ؛ وقد ضرب المؤلف لذلك بضعة أمثلة (في ص ١٢٢ - ١٢٣) . ونعتقد أن هذا الأمر جد طبيعي ، ما دامت اللغة كائناً حياً يتأثر بما يحيط به تأثيراً لا معدى عنه بحال . ومهما يكن من أمر ، فقد نالت هذه التجديدات من المستوى العام

لثقافة اللغوية ، فكان من نتائج ذلك ظهور كتاب مثل أدب الكاتب لابن قتيبة ، لعلاج النقص الذي لم يسلم منه بعض كتاب الدولة ووزرائها . ومن الطبيعي ، وهذا شأن اللغة الفصحى ، أن يكون حال اللغة الدارجة أشوأ من ذلك بكثير ؛ ولا سبيل — كما يقول المؤلف ص ١٣٧ — « وقد كان عوام الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر » .

ونشأت من ذلك ظاهرة قد تعتبر غريبة ، وهي نجد طبيعية ما دامت قد وجدت أسبابها ؛ ذلك أن لغة الأعراب كانت تعتبر المثل الأعلى للتكلم والكاتب ، وكانت لهجاتهم حتى أواسط القرن الثالث هي المعين الذي يستقى منه علماء اللغة ؛ ولكن لما قويت العربية المولدة ، شالت كفة اللغة الفصحى ، وصار يعد من التقعر احتذاء لغة البدو احتذاء تاماً ، وبخاصة والأعراب ، كما لاحظ ابن جنّي ، قد يقعون في اللحن ؛ ولهذا تراه يخصص في كتابه « الخصائص » باباً مستقلاً لأغلاط الأعراب .

وكان انحلال الدولة العباسية نهائياً في القرن الرابع إلى دويلات عديدة ، مما عاون بقوة على نشوء لهجات إقليمية يتميز بعضها عن بعض ؛ وتستطيع التأكد من هذا بالرجوع إلى كتاب مثل كتاب « أحسن التقاسيم » للمقدسي ، إذ حرص على أن يميز كل إقليم من الوجهة اللغوية بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به . بيد أن وحدة الثقافة في الدولة ، على اتساع رقعتها ، وانقسامها إلى دويلات عديدة ، ضمن للعربية الفصحى مقاماً ثابتاً لم ينل منه انحلال الدولة العباسية بحال . لكن يلاحظ المؤلف بحق أن اللغة الفصحى ، وقد كملت يقواعدها وعلومها ، لم يعد لها تأثير حتى متبادل مع لهجة الأعراب ، وصار على المتعلم أن يتعلمها كما يتعلم لغة ماتت أو كادت (ص ١٦٨) .

هذا ، وقد خلق استيلاء السلجوقيين ومن والاهم وخلف بعدهم من أمثالهم على الحكم منافساً قوياً للعربية الفصحى ، نعتى اللغة الفارسية التي صارت اللغة الرسمية ، ولغة الأدب ، والشعر ، والعلم ، حتى لقد ألّف بها عدد غير قليل من العلماء ، مثل الوزير نظام الملك ، وحجة الإسلام الغزالي . وقد استتبع

هذا الأمر نتيجه الطبيعية ، نعى أن طلاب العلم صاروا في حاجة إلى شروح بين يدي النثر أو الشعر الفصيح ، ليتيسر لهم فهمه . وقد قام أبو زكريا التبريزي ، الذي عاش في القرن الخامس بخدمات مجلى بما وضعه من شروح لغير قليل من دواوين العربية وعيون كتبها .

ومهما كانت هذه الجهود التي بذلها التبريزي ، ومعاصره الحريري (بكتابه درة الغواص في أوهام الخواص) وأضرابهما ، والتي أريد بها بعث العربية القديمة الفصيحة ، فقد كانت حيوية اللغة الشعبية الدارجة أقوى من ذلك كله ؛ ولقد كتب لها النصر والبقاء على أفاض الأولى ، وساعد على هذه النتيجة ما كانت تعانيه الدولة الإسلامية من اضطراب وانحلال وحروب صليبية ، مما لم يكن يسمح بالعناية الكافية بالتراث الأدبي التليد .

وجاء السيل المغولي الذي اكتسح خلافة بغداد عام ٦٥٦ هـ ، فكان الضربة القاضية ، إذ بلغت به مرحلة الانحلال اللغوي والقومي إلى آخر حلقاتها ، وصار على العربية بعد هذا أن تسلك أشد فترات حياتها سواداً وركوداً ؛ وهي فترة تمتد إلى آخر القرن التاسع عشر .

وأخيراً شهد فجر هذا القرن العشرين طلائع النهوض ، وبواكير الجهود ، لإزالة العربية من عثاها ، وإرجاعها إلى مكانتها الحرة بها ؛ وكان لمصر ، ولا يزال ، في هذا السيل الفضل الأول ؛ وهذا ما أدى إلى « نشوء حركة التنقية اللغوية نشأة جديدة أخرى » (ص ٢٣١) .

وإنّ ما وصلت إليه اللغة العربية في مصر ، لعهدنا هذا ، من السلامة والفصاحة ، مادة وأساليب ، وبخاصة لدى المثقفين ثقافة عربية إسلامية ، ليجعلنا نقول مع المؤلف في ختام كتابه بأنه « قد برهن جبروت التراث العربي الثالث الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية عن مقامها المسيطر . وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطيء الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيق ، من حيث هي لغة المدينة الإسلامية ، ما بقيت هناك مدينة إسلامية » .

هذه نظرة تحليلية عابرة لهذا الكتاب النفيس ، الذي يسر « جماعة الأزهر للنشر والتأليف » أن عنيت بنشره ، كما يبرني شخصياً أن أقدمه للقارىء العربى ؛ وهى نظرة قد تكشف عن بعض الجوانب ، بما زخر به الكتاب من معارف جمة ، وعرض واسع المدى ، واسترسال طويل النفس ، ثرى بالملاحظات الصائبة ، والتجليل الدقيق ، والدراسات المتنوعة الألوان ، فى قوة وعمق ، للغة العربية وتطورها فى مادتها ولهجاتها وأساليبها منذ ظهور الإسلام إلى العصر الحاضر .

وتزيد من نفاسة هذه الدراسات ، ويعلى من قيمتها أنها نتيجة عمل دقيق ، أساسه الصبر الجليلد ، والهمة القعساء ، قام به مستشرق من نوابغ مدرسة المستشرق الألمانى الباقي الذكر ، الخالد الاسم : أوجست فيشر August Fischer ؛ ومن مزايا المستشرقين الألمان بوجه عام ، والمدرسة المذكورة على الخصوص ، الدأب المتواصل ، والنشاط الحثيث فى كل ما يباشرون من عمل ، مع بناء آخرهم ، على الأسس التى وضعها أولهم ؛ وهكذا يتقدم العلم على أيديهم خطوات ظاهرة ملموسة فى كل ما يكتبون على تعاقب الأجيال .

ولالأستاذ المؤلف : يوهان فك Johann Fück تاريخ حافل فى خدمة العربية ، وتجديد معالمها ؛ ومن آخر ما عرفنا توفره عليه ، ونبوغه فى دراسته وتحقيقه : كتاب الفهرست لابن النديم ؛ وقد ذكر له ذلك وأثنى عليه الأستاذ العالم المؤرخ ، ألدوميللى Aldo Mielli (انظر . Aldo Mielli, la science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale, Paragraph § 17, p. 98, 222

كما أن سلامة أحكامه ، وصحة نتائج ومقدماته ، كما يعرضها فى هذا الكتاب المائل بين أيدينا ، أصدق شاهد على تضلعه ، وتخصه دهرأ طويلاً فى هذه الناحية من علوم الامتشرقاق .

أما ناقل الكتاب إلى العربية فهو صديقنا الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ؛ وهو من أسرة عرفت بحب العلم ، والدأب على الدرس والبحث ، والتوفر على العلوم

الإسلامية ؛ وهو نفسه من نوابغ العلماء الذين جمعوا كلتا الثقافتين : الشرقية والغربية ، إذ كان مبعوثا إلى جامعة برلين التي نال فيها الدكتوراه في الدراسات الشرقية والإسلامية .

وتشهد له ترجمته لهذا الكتاب بعلو الكعب ، ورسوخ القدم فيما يعرض له من دراسة ؛ فإن هذه الترجمة فضلا عن أنها لا تكاد تجعل القارئ يلمس أثر النقل من لغة أجنبية ، إذ جاءت مطبوعة مصبوبة صبا ، كما لو كانت تأليفا لا ترجمة — تم عن تخصص وإحاطة بالناحية التي عرض لها الكتاب ، بما قام به من تحقيق وتعليق ، ودرس للنصوص والنقول عميق .

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يكتب ناقله إلى لغة الضاد في سجل العلماء العاملين لخدمة الدراسات العربية والإسلامية ؛ والله ولي التوفيق .

محمد يوسف موسى

(١) تسبيح

لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام . ففي ذلك العهد — قبل أكثر من ١٣٠٠ عام — عند ما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة . ولا ينحصر هذا في المقام الذي أخذته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامي كافة ، من حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق ، بل يتجاوزه بمقدار أعظم إلى النتائج التي تركتها غزوات الفتح على أيدي عرب البوادي، تحت راية الإسلام في لغتهم . وبذلك صارت العربية لغة الطبقات السائدة الموجهة في دولة سرعان ما امتدت رقعتها — في أوج اتساعها وانتشارها بعد سنة ٧٠٠ م — من أسبانيا غرباً ، إلى أواسط آسيا نحو المشرق . وقد زحفت العربية مع الفاتحين البداة فاستقرت في بعض الأقاليم ، واضطرت إلى الانسحاب بأخرة من بعض آخر ؛ كما كانت هناك مناطق استعاض سكانها الأصليون من العربية إحياء ما بلى من لهجاتهم ، وأخيراً أخرى بقيت فيها العربية لغة العلم المعتمدة فحسب . ولم يقم سقوط الدولة العربية (الأموية) سنة ٧٥٠ م لغة العرب معه في الانحلال والانحلال ؛ بل لقد شهد عصر النور في أوائل الدولة العباسية أقصى درجات العناية بالقواعد العربية ، ثم شهد ، على أثر ذلك مباشرة ، العصر الذهبي للأدب العربي ؛ كما أن انحلال الدولة العباسية إلى دويلات عديدة مستقلة ، ذلك الانحلال الذي أخذ نهايته في سنة ٩٣٥ م ، لم يزعزع من مكانة العربية ، التي ربطت إذ ذاك جميع أقطار المدنية الإسلامية ، على أنها اللغة الأصلية للعلم والأدب ، برباط جامع وثيق . حقاً لقد رفع العصر السلجوقي بالقطر الإسلامي الشرقي من شأن اللغة الفارسية

الحديثة ، فجعلها لسان سُدَّة المُلْك ، ولغة الهيأة الدولية (الدبلوماسية) ، وترجمان الثقافة العالية ، والأدب الرفيع ؛ على حين أنه اعترف بالعربية فقط من حيث هي لغة الدين والفلسفة الكلامية ؛ كما أن الأحداث السياسية قد دفعت مصر إلى أن تتبوأ مكانة الرياسة بين البلدان الناطقة بالضاد بعد الحروب الصليبية وهجوم المغول ؛ مكانة عرف وادى النيل كيف يحتفظ بها إلى هذا اليوم ؛ بيد أن مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقي حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان ، وطيد الدعائم ؛ ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه تقدم اليوم — دون جدوى — إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى .

هذه العقيدة التى جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربى ، جعلت من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذى أخذته العربية ، ككل لغة حية ، فى مدة تربو على ثلاثمائة وألف عام . ولقد تكفلت القواعد التى وضعها النحاة العرب فى جهد لا يعرف الكلل ، وتوضحية جديرة بالإعجاب ، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها فى جميع مظاهرها ، من ناحية الأصوات ، والصيغ ، وتركيب الجمل ، ومعانى المفردات على صورة محيطية شاملة ؛ حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد . ولا تزال كتب القواعد الأساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة ، محافظة على علامات الأحوال والتصرفات المختلفة ، مثل الضمة فى حالة رفع الاسم والفعل ، والكسرة فى حالة خفض الاسم ، والفتحة فى حالة نصب الاسم والفعل الخ . ولما كانت علامات الإعراب هذه قد تلاشت منذ أجيال تفوق الحصر فى جميع العالم العربى ، سواء على لسان عامة الشعب ، فى القرى والمدن ، أم فى شتى أساليب الكلام الجارى على ألسنة الطبقات المثقفة ، بل فى لهجات البدو أنفسهم ، فقد صار التصرف بالإعراب هو الفارق الذى يميز عند المثقفين من العرب بين العربية الفصحى وجميع

القبول والأساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية . بيد أن هذا الإعراب ، أى الطريقة الخاصة التى كان ينطق عرب البادية على مقتضاها ، هى فى ذاتها سطحية ، بحيث لا تكفى وحدها لتكون ميسماً مميزاً للغة الفصحى . وليس من النادر أن نجد الإعراب مجرد حلية فارغة يقصد منها إلى إعاره نوع من التعبير ، فى قالب يخالف للفصحى فى جوهره ، مسحة زائفة من الفصحى . وإذا فُجِهر القالب اللغوى وحقيقته هو الذى يميز الطابع الصحيح للعربية الفصحى . ومن هنا يصح أن نقول : إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على مخالفة الفصحى ، لا العكس ، أى أنه ليست مخالفة الفصحى منحصرة فى التحرر من الإعراب .

لقد احتفظت العربية الفصحى ، فى ظاهرة التصرف الإعرابى ، بِسِمَةِ من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية — باستثناء البابلية القديمة — قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى . وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابى فى لغة التخاطب الحى . فأشعار عرب البادية — من قبل العهد الإسلامى ومن بعده — ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان . كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين واللغويين الإسلاميين كانوا — حتى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى على الأقل — يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم ، تدل على أن التصرف الإعرابى كان بالغاً أشده لذلك العهد . بل لا تزال حتى اليوم نجد فى بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداءة ظواهر الإعراب . أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربى ، وهو القرآن ، قد حافظ أيضاً على غاية التصرف الإعرابى ، فهذا أمر ، وإن لم يكن من الوضوح والجلال بدرجة الشعر ، الذى لا تترك أساليب العروض والقافية مجالاً للشك فى إعراب كلماته ، إلا أن مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثراً للشك فيه كذلك . انظر مثلاً آية ٢٨ من سورة فاطر : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »

• وآية ٣ من سورة التوبة : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » .

وآية ١٢٤ من سورة البقرة : « وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ » .

وآية ٨ من سورة النساء : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ » .

فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات (كالاستعمال اللاتيني *matrem amat filia*

الأمَّ تُحِبُّ الْبِنْتَ) لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً .

يضاف إلى ذلك شهادة القرآن نفسه ، مثل آية ١٠٣ من سورة الفحل : « وَهَذَا

لِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ » . وصريح من هذا أنه لم يقم عند محمد ومعشره فرق هام بين

لغة القرآن وبين لغة العرب ، أى قبائل البدو . ولا يمنع ذلك أنه كانت هناك فروق

بين لهجة مكة ولهجات البادية ، وبين هذه الأخيرة بعضها مع بعض . فهاى ذى

قواعد رسم المصحف تدل على أن مكة قد تحررت من تحقيق الهمز ، كما أن لغة القرآن

تختلف اختلافا غير يسير عن لغة الشعراء ، فهي تعرض ، من حيث هى أثر لغوى ،

صورة فذة لا يدانيها أثر لغوى في العربية على الإطلاق^(١) . ففي القرآن ، لأول مرة

(١) على أساس هذا الاختلاف بين ك فلرز K. Vollers في كتابه : Volkssprache

und Schriftsprache im alten Arabien, Strassburg 1906 نظريته اللاتنة

للانظار ، من أن القرآن كان في بادىء الأمر بلسان محمد ، يعنى بلهجة مكة الحالية من ظواهر

الإعراب ، وأنه يدين بأسلوبه الذى وصل إلينا ، إلى تنقيح خاضع للقواعد التى اعتمدت في العربية

على الأخص من حيث الإعراب . وهذه النظرية التى تناولها نولده Nöldeke بنقد يرفض

التسليم بها في كتابه : — Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissen

Schaft, Strassburg 1910, 1 - 5 في كتابه : P. Kahle

The Cairo Geniza, London 1947, p. 78 - 84 وإن كان في غالب معتدل . وقد ساق كاله هنا ، وبتفصيل وبسط في مقاله The Qur'an and

the Arabiya المنشور في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق « جولد تسيهر » ، ص ١٦٣

و ١٨٢ ، عدداً من النصوص والروايات التى تحت الملبين على مراعاة الإعراب في ترتيب القرآن .

نعم لا تدل هذه الروايات على أن القرآن في حياة محمد قرىء في أوساط المسلمين دون إعراب ،

— وقد عرف النقاد المسلمون أنها موضوعة مزيفة ، وأبقوها بعيدة عن المصاحف المعتمدة — ،

ولكنها تدل على أن ترك الإعراب قد حصل في وقت متأخر ، وأن النحاة رأوا من الضروري

أن يعملوا على عاربيتها . وقد ساق كاله ، في كتابه السالف الذكر ، نقلا عن القراء المتوفى سنة

٢٠٧ هـ ، في نص عربى يتضمن بعض هذه الروايات مع بيان لهذا النحوى الكوفى الضليع

في موضوع إعجاز القرآن . وفي هذا يؤيد القراء مذهب أهل السنة من أن القرآن نزل بأفصح

اللغات ، ويرد على بعض علماء الشعر، ورواة الأخبار التاريخية عن عرب البادية ، الذين لا يريدون

في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياً له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة ، على حين أن هذا الأثر العظيم ، الذي وجد التعبير الموائم لحصول جديد برُمته ، إنما يصور مجهوداً لمحمد صلى الله عليه وسلم جدّ أصيل^(١) ، لا ينقص من قيمته أن محمداً نفسه كان يرى أنه وحى إلهي

== أن يلتسوا إعجاز القرآن في قوالبه اللغوية ، بل يرون كمال الفصاحة في لغة عرب البادية ، ثم يختلفون (الكوفيون والبصريون والمدنيون والمكيون) حول أي القبائل أفصح ؟ حسب اختلاف جوار كل منهم لقبيل من العرب . فيذهب القراء رداً على جميع هؤلاء إلى أن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق . ومن ينكر عقيدة الإعجاز اللغوي في القرآن أهل الاعتزال من علماء اللغة . وقد أخذ تفسير الإعجاز القرآني عند المعتزلة مذاهب شتى (انظر : Goldziher ، Muh-Studien 2, 401) كما أن آراء المعتزلة انتشرت انتشاراً بعيداً بين علماء اللغة من أواخر القرن الثاني ، بحيث لم يعد السني المحافظ إبراهيم الحارثي ، المتوفى ٢٨٥ هـ ، لمعهده غير أربعة من نخبة البصريين الذين لا يتعلق الشك بثقتهم وصحة مذهبهم (انظر : الخطيب ، تاريخ ج ١٠ ص ٤١٨) . وكان القراء نفسه يعيل إلى الاعتزال ، ولكن ذلك لم يمنعه من موافقة مذهب أهل السنة في موضوع إعجاز القرآن كما ذكر . وقد روى عنه أنه أتى بشدة اللائمة على أبي عبيدة في محاولته تفسير مجاز القرآن من الوجهة اللغوية (خطيب ، في الموضع السابق ، ج ١٣ ص ٢٥٥) .

وقد عالج Kahle توضيحات القراء مرة أخرى في مقاله : The arabic Readers of the Koran (Journal of Near Eastern Studies 8, 1947, p. 65-71) .

وأراد أن يعتبر من منكري إعجاز القرآن اللغوي ، قراء القرآن الأولين في المدن الإسلامية الكبرى ، الذين رحلوا لمخالطة عرب البادية الخبيثين في جوارهم ، قصداً إلى دراسة رواياتهم عن شعراء البدو ، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر لقراءة النص القرآني على مثالها ، وهو يفترض أن هذه الضرورات العملية هي التي أوجدت الباعث إلى جمع شعر الجاهلية وكتابته في أوائل العصر الإسلامي . وعلى أساس هذه المادة التي تم جمعها ، وضعت لغة نموذجية ، كان الإعراب من مميزات ، ومن ثم أدخل الإعراب في قراءة القرآن . اهـ كاله .

(١) يفهم مما ذكر أن المؤلف لا يرضى ما رآه كل من Kahle و Vollers من أن القرآن كان عرضة للتغيير من الوجهة اللغوية . على أن Nöldeke قد تكفل من قبل ببيان ما وقع فيه Vollers من خطأ علمي ، وبناء على غير أساس . أما كلام Kahle فلا يخفى ما فيه من التخليط ؛ ذلك أن الخلاف في موضوع إعجاز القرآن ، إنما هو بحث في أمر من كاليات اللغة ، ومراتب ذروتها في البلاغة ، وشتان بين هذا وبين النزول إلى افتراض عامية القرآن أو خلوه من الإعراب ، وجريانه على الأساليب الدارجة ، فذلك ما لم يدركه أحد من العلماء على الإطلاق .

تلقاه في أوقات الاستغراق الديني . والاستعمالات القرآنية الخاصة ، التي تحتوى هي أيضاً على مخالفات للقواعد العامة ، تعدّ في مستوى مغاير للشذوذ المختلف المراتب ، بالنسبة للتصرف الإعرابي ، في العربية الفصحى والعربية المولدة . وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما نقلت العربية بعد وفاة الرسول مباشرة بوساطة غزوات الفتح الإسلامي الكبرى في العهد الأول ، إلى خارج حدود الوطن العربي ، في مواطن لغوية أجنبية^(١) .

(١) هذا على ما يمتدده الغرييون من أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تخفى مخالفة هذا لعقيدة الإسلام .

(٢)

الروابط اللغوية في عهد الدولة العربية (الأموية)

٦٣٢/١١ - ٧٥٠/١٣٢

كانت هجرة القبائل العربية ، عقب وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٦٣٢/١١ ، إيذاناً بشروق عصر جديد للغة العربية . ففي مدة عشرات من السنين حملت قبائل البادية ، في غزوات الفتح ، لهجاتها نحو الشمال إلى فلسطين وسورية وما بين النهرين حتى جبل طوروس وجبال أرمينية ، ونحو الشرق ، عبر العراق ، إلى إيران ، ونحو الغرب ، عبر شبه جزيرة سيناء ، إلى مصر وشمال أفريقيا ، ولم تكد تمضي مائة عام على وفاة محمد (عليه السلام) حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس في الغرب ، وإلى أواسط آسيا على شواطئ نهر الهند في المشرق ؛ وهذا النفوذ الذي بلغته اللغة العربية ، إلى مناطق كانت تستوطنها لغات أخرى ، لم يكن لير عليها دون تأثير أو تغيير ، مهما اختلفت نتائج هذه العلاقات الجديدة ، حسب اختلاف الأحوال ، في مظاهرها وظواهرها . ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية أيضا في البلدان التي استولت عليها ، بطريقة حياتها البدوية ؛ وحافظت بذلك على سلامة لهجاتها وخصوصها . ولهذا كان لا يزال ممكناً في أوائل العهد العباسي ، أن يلاقي المرء من جنوب البرتنال في الغرب ، إلى خراسان في الشرق ، قبائل عربية ، وأن يسمع من أفواها عربية بدوية خالصة ، لا تشوبها هجنة ولا عجمة . ومن جانب آخر لقد أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صميم العربية ، وإلى توحيد لهجات البدويين أنفسهم . فعلى غرار البدويين من غير العرب ، كقبائل الترك مثلاً ، لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم ، حتى بين القبائل المتباعدة بعضها عن بعض في السكنى والجوار ؛

إذ أن أغلب الفروق — فيما يظهر — كانت ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات ، والقوالب ، والمفردات ؛ أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت أنظار النحاة واللغويين الإسلاميين ، الذين نعتمد على أخبارهم وحدها في معارفنا عن اللهجات البدوية^(١) . ومن تلك الفروق — مثلاً — : العننة ، أى إبدال العين من الهمزة ؛ والكسكة ، وشبهتها الكشكشة ، أى إبدال السين أو الشين من الكاف ؛ والتلاتة ، أى كسر حرف المضارعة ؛ [والعججة ، أى] قلب الياء المشددة جيماً في النسبة [مثلاً] ؛ وأخيراً الأمثلة التي لاحصر لها من استعمال لفظ عند قبيلة ، في صيغة تخالف صيغته عند أخرى ، أو بمعنى يختلف قليلاً . فهذه الخصائص القبلية ، الراجعة إلى اللهجات المحلية ، قد صُقلت إلى حد بعيد في عهد الفتوحات التي وحدت القادرين على حمل السلاح من مختلف القبائل في سبيل التعاون في الجهاد . يضاف إلى ذلك أن السياسة الواسعة الأفق التي امتاز بها الخليفة الثاني ، عمر العبقري ، مؤسس الدولة العالمية الإسلامية (حكم ٦٣٥/١٣ — ٦٤٤/٢٣) قامت بقسط لا يستهان به في سبيل توحيد اللغة ، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعاً ؛ كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال . فلكى يحفظ عمر العرب من التلاشي في جماهير الشعوب المغلوبة ، التي تفوقهم بكثرة العدد ، حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع في الأقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطناً ومقاماً ؛ كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة ، ماعدا سورية التي كانت استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام بواسطة القبائل العربية التي هاجرت إليها^(٢) ، فأسكنهم في معسكرات من الخيام ، كانت نواة للمدن العظمى في العالم الإسلامي ، التي نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة ، والكوفة ، والقبة وغيرها . وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب ، اكتسبت أيضاً لهجاتهم قوة وفتوة ، ونشأت لغة

(١) يقدم كثيراً من النصوص : H. Kofler: WZKM (Wiener Zeitschrift für

Kunde des Morgenlandes) Band 47 - 49.

Wellhausen : a) Skizzen, 6, 51 ff. b) Reich 83

(٢)

بدوية مشتركة ، وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى .
 حقاً لم يكن ممكناً أن يبقى حد فاصل ، بين الفاتحين العرب والمغلوبين على أمرهم
 من غير العرب ، قائماً على الدوام . لقد كانت توجد في جميع الأقاليم مناطق زراعية ،
 لم يكن لأحد من السكان الأصليين عليها حق قانوني : الضياع الملكية للأسر المبعدة
 من الحكم ؛ الأملاك التي انقرض ملاكها ؛ التركات التي هرب أصحابها أو نفوا ؛
 إلى غير ذلك . هذه الضياع والأملاك احتازها ولاية الأمر في العهد الجديد على صورة
 إقطاعيات . وهذه الطبقة السائدة ، من الملاك العظام ، كانت على اتصال دائم بالسكان
 الوطنيين ، مهما كان هؤلاء — من حيث قلة العدد — أضعف من أن يؤثر أو أثراً
 ظاهراً في تكييف العلاقات اللغوية وتغييرها . بل لقد كانت أكثر من ذلك كثيراً
 تلك الطائفة التي تلتحق بكل جيش عربي من غير العرب ، من العبيد ، والخدم ،
 والتجار ، والطهاة ، الخ ، الذين كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد ،
 ويخلقون بذلك مشكلة لغوية غير هينة . ومن هنا نشأت بالضرورة لغة التفاهم ،
 لا يمكن أن نصورها بسهولة كافية إذا ضربنا لها مثلاً : *lingua franca* ،
 أو *Pidgin - English* ، أو غيرها من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند
 الضرورة ^(١) وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي ،
 فبسطت الحصول الصوتي ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط
 المفردات ؛ وتنازلت عن التصرف الإعرابي ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال
 الكلمة وتصريفها . كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية ، واكتفت ببعض
 القواعد القليلة ، الثابتة في مواقع الكلام ، للتعبير عن علاقات التركيب .
 وفي أي صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة ؟ هذا ما تشير إليه قصة تاجر

(١) *lingua franca* اصطلاح أوربي يقابله في بلاد الشرق تميمير : اللغة الافرنجية ،
 وهي خليط من الكلمات الإيطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشارقة في التفاهم مع
 الأوربيين . و *Pidgin - English* اصطلاح على لهجة إنجليزية مبسطة محررة من القيود اللغوية ،
 يجري التفاهم بها بين الإنجليز والأجانب . على الأخص في بلاد الشرق الأقصى . و *Pidgin*
 كلمة محرقة عن : *business* الإنجليزية .

الدواب ، الذى باع جنود المسلمين دواب رديئة ، فاستنطقه الحجاج ، فأجابه :
« شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجيى تكون » ؛ أى أن هذه
الدواب قد وصلت على ما هى عليه من رداءة من شركائه فى بلادهم بالأهواز
والمداين^(١) . ولم تكن أقل من ذلك عدداً تلك الجماعات غير العربية ، التى وقعت
فى الأسر فى أثناء حروب الفتح ، والتى دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيداً
وإماء ، فوجدت نفسها فجأة متغلغلة فى جو لغة عربية مشتركة ، واضطرت إلى
استعمال لسان السادة ولهجتهم . وفى هذا لقيت العربية على لسان غير العرب تغييرات
هددت بالمسح صورة وقعها وجزمها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها فى الصميم .
وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام أخبار المعاصرين . بيد أن عالم
التأليف المتأخر عن ذلك قد حفظ لنا مقداراً كبيراً من الأخبار عن الأخطاء اللغوية ،
التى وإن كان كل منها على التفصيل ليس بذى قيمة خاصة ، إلا أنها فى مجموعها
تؤكد نوعاً من الخصائص والسمات بصورة مستفيضة ، بحيث يجوز لنا أن نعتبرها
طابعاً مميزاً لهذا التطور . وهكذا نجد أن غير العرب يستبدلون بأصوات عربية معينة ،
أخرى أسهل عليهم ، بحيث كان العربى يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق
فارسياً أو نبطياً . وقبل كل شيء ، نجد التعارض مع قواعد النحو والتصريف العربى
للأسماء والأفعال كثير الذكر فى الأخبار ، دليلاً على أن ترك التصرف الإعرابى كان
من أول السمات على الخطأ فى طريقة التعبير . هذا ، ولم تكن هناك لغة واحدة بين
اللغات التى التقت بها العربية فى عهد الفتح ، كانت محتفظة بنظام تصريفها ؛ ولهذا
كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا إذ ذاك إلى استخدام العربية ،
أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للنحو العربى القديم ؛ فأثروا التصرف بوساطة
أساليب التعبير التقريبية ، التى اعتادوها فى لغاتهم الأصلية ، وحذفوا حركات
الإعراب الأخيرة . ومن المعلوم أن الروايات العربية تقرر أوائل النحو العربى

(١) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٦٠ .

بأبي الأسود الدؤلى (المتوفى ٦٨٩/٦٩) ، الذى يقال إنه وضع أسس هذا العلم ، إما بدافع من نفسه ؛ أو بأمر من والى الأموى زياد بن أبيه ؛ أو بإرشاد من الخليفة على نفسه ، لحفظ لغة القرآن من الفساد ، على ألسنة الداخلين الحديثين فى الإسلام^(١) . وعلى الرغم من أن هذه الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح ، فإنها تحتوى على إدراك عميق لأن اتخاذ المسلمين الجدد لغة العرب لساناً لهم كان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية . وإلى أى حد كانت صعوبات التصريف الإعرابى هى الموجهة لقواعد النحو الناشئة ؟ هذا ما تدل عليه الاصطلاحات التى ترتب الظواهر اللغوية ترتيباً سطحياً بحثاً بالنظر إلى حركات أواخر الكلمات ، بقطع النظر عن اختلاف تأثيرها النحوى فهاهو ذا الخليل بن أحمد (المتوفى ١٦٠ ، أو ١٧٠ هـ) ، أقدم علماء النحو ، الذى أنقذت مصادفة سعيدة^(٢) اصطلاحاته ، يستعمل الرفع فى الاسم المضموم المنون ، وكذلك الخفض فى الاسم المجزور المنون ، والنصب فى الاسم المفتوح المنون ؛ على حين يسمى بقية الحركات العارية من التنوين فى الأحوال والصيغ المختلفة بأسماء الحركات العامة ، أى الضم والكسر والفتح ، كما أنه يسمى بالجر حركة الكسر التى تربط بين آخر الصيغة الفعلية وبين همزة الوصل^(٣) . ولا يوجد عنده ما يدل على تأثير النظرية القائلة بأن اختلاف حركات الكلمات المتصرفة متوقف على العامل النحوى ، إلا فى التفرقة التى جعلها بين التوقيف ، أى عدم الحركة فى أواخر الحروف وما شاكلها ، والجزم ، أى سكون الفعل المجزوم . وعند تلميذه سيبويه نجد التقسيم الثنائى إلى متمكن وغير متمكن ضمن الاصطلاحات التى ساقها . وهو يتوسع فى إطلاق الرفع والجر والنصب على

(١) الجعفى : طبقات ص ٥ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ٢٨٠ ، ابن الأثير : نزهة ص ٣ — ١٣ ، ابن الأثير : المثل الدائر (١٢٨٢ هـ) ص ٧ . وقد ساق ابن قتيبة فى عيون الأخبار كلمة منسوبة لأبي الأسود فى اللحن .

(٢) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٣٠ وما بعدها .

(٣) عبارة مفاتيح العلوم (عن الخليل) : والجر ما وقع فى أعجاز الأفعال المجزومة عند

استقبال ألف الوصل نحو لم يذهب الرجل اه .

حركات أواخر الكلمات غير المتصرفة^(١) . ولكن لا تفرقة عنده ولا عند البصريين المتأخرين^(٢) بين الاسم والفعل المرفوعين ، والمنصوبين ، في تسمية الحركة ؛ والفعل الحالى يسمى المضارع ، أى المشابه للاسم فى تصرفه ؛ ولا توجد عنده اصطلاحات خاصة لأحوال الاسم ، وتغيرات الفعل ، بله تصرف الاسم والفعل بوجه عام . وإذا فالإعراب ، أى التعريب أو الاستعراب اللغوى ، بمعنى النطق على طريقة العرب الخالص ، يتجلى فى الدقة التامة فى مراعاة دقائق التصرف الإعرابى . هذا ، واتخاذ العبيد والجوارى لإدارة المنازل فى العهد الإسلامى المبكر ، يجد ما يشبهه فى الدور الذى لعبه الرقيق من الزوج^(٣) بوجه خاص فى الجاهلية . فالمثل الذى نجده فى شاعر المعلقات « عنتره » وغيره من أغربة العرب^(٤) ، أى المتمين إلى آباء من العرب وأمهات من زوج أفريقية ، يدل على أن الزوج سرعان ما يصبغون ألستهم بلغة ساداتهم . ولا بد من أن يكون اختلاف الألسنة فى المدن التجارية ، لكثرة سكانها الأخطاط ، كما فى مكة مثلاً ، أقوى من ذلك كثيراً . وتحتوى آية ١٠٣ من سورة النحل ، فى الطور المكى الثالث ، على إشارة غامضة إلى اللغة الأجنبية : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ » أى الرجل الذى توهمه أعداء محمد معلماً له . ومن أول حوارى الرسول يُعَدُّ بلال الحبشى ، أول مؤذن فى الإسلام . وهناك صحابى قديم آخر من صحابة الرسول : صُهَيْب بن سنان ، وهو وإن كان عربى الأصل إلا أنه اختطفه البيزنطيون فى طفولته فربوه ، ولذلك كان ينطق العربية بلسنة بيزنطية^(٥) . كما يروى عن معاصر ثالث للرسول : سُحَيْم

(١) سيبويه ص ٢ وما بعدها .

(٢) انظر أيضاً مفاتيح العلوم ص ٢٩ .

(٣) انظر فى هذا الموضوع : 44 B. Moritz : Arabien .

(٤) نقائش جرير والفرزدق ص ٢٧٢ .

(٥) ابن حجر : إصابه (١٣٢٨ هـ) ج ٢ ص ١٩٥ . ورواية الجاحظ (بيان ج ١ ص ٢٢٢) أن صهيبياً كان يقول : إنك لهائن ، يريد إنك لحائن ، تشير فقط إلى أن العرب قد لقت نظرهم فى اللهجة الرومية لإبدال الحاء هاء .

المشهور بعبد بنى الحسحاس ، الشاعر المشهور ، أنه كان يرتطن لكثرة أجنبية ..
ولكن نظراً إلى أنه صار في عهد مبكر بطل رواية غرامية ، لم تعد التفاصيل التي
تخبر عن لکنته النوبية أو الحبشية جديرة بالثقة^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد كان
عدد أمثال هؤلاء الأجانب من القلة بحيث لم يكن لهم تأثير في طابع العربية . ولكن
الأمر بالنسبة إلى أسرى الحروب في العهد الأول للفتوحات الإسلامية كان على
صورة أخرى . فقد كان عدد هؤلاء وفيرا ، وأخذ في الازدياد ، إذ كانوا يتمتعون
بحقوق النسب والمصاهرة ، وكان لهم أن يشتروا أنفسهم ، ويحرروا رقابهم ، كما كان
يعد قربة إلى الله تحريرهم بالإعتاق . وقد تألفت من هؤلاء العتقى أو الموالى ، بعد
أجيال قليلة ، الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامى ، وامتلكت العناصر
الطامحة من هذه الطبقات زمام اللغة التي تنطقها الطبقة العربية العليا ، على حين بقي
السواد الأعظم عند أسلوب لغوى دارج ، ظهرت فيه ، بوساطة ترك التصرف
الإعرابى قبل كل شيء ، سمات من التطور إلى العربية المولدة . ومن هذه اللغة
الدارجة في القرن الأول ، التي أخذت — كما يبدو — بعض الخصائص المحلية في المدن
المختلفة ، نشأت اللهجات المتأخرة في المدن الإسلامية .

استمرت ممارسة العربية للغات العالم المحيط بها بضعة قرون ، خرجت منها
تدریجاً بمحصولها الحالى . ففي بادئ الأمر ، قدمت العربية لأقاليم دولة الخلافة مجرد
خيوط واهية في شبكة تتألف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان
الأصليين . وقد كانت قوة تلك الخيوط العربية موقوفة على قوة الجيوش العربية ،
والإمدادات اللاحقة بها ؛ كما كانت تتناقص بوجه عام كلما ازداد البعد عن الوطن

(١) الجاحظ (بيان ج ١ ص ٣٢) يروى مثلاً لذلك قوله : سمعت ، بدلاً من شعرت .
أغاني ج ٢٠ ص ٢ ، روى عنه : أحسنت بدلاً من أحسنت . وعلى النقيض من ذلك روى عنه
ابن قتيبة (الشعر والشعراء ص ٢٤١ وابن جنى في سر الصناعة كما في خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٥٧)
أحسنتك ، بدلاً من أحسنت ، أى أنه يصوغ الضمير المتصل للفرد المتكلم على مثال اللغة الحبشية .
انظر في هذا : Nöldeke, BSSW 21, Anm 2.

القديم : وقد هاجرت مع قبائل البدو ، الذين فتحت لهم غزوات الفتح مراعى جديدة لم تكن سعتها وعظمتها في حسابان ، لهجاتهم ولحونهم حتى حدود الدولة . وإزاء هذا تمسك السكان الأصليون في أول الأمر ب لهجاتهم البالية . فقد كان الفلاحون ، الذين يسميهم الكتّاب المسلمون بالأنباط^(١) ، والذين كانوا يؤلفون في المنطقة اللغوية الآرامية جمهور السكان الزراع ، ينطقون اللهجات الآرامية . وأمثال هؤلاء النبط كانوا يوجدون في سورية ، على الرغم من أن هذا الإقليم كان قد شهد هجرة عربية قوية قبل الإسلام ؛ وفيما بين النهرين ، وفي الأرض الزراعية الخصيبة من سواد العراق . وكذلك في المدن لم تتغير العلاقات اللغوية إلا بمقدار الزيادة التي أضافتها العربية الجديدة إلى ما فيها من تعدد الألسنة . وفي أي صورة من البطء أخذت العلاقات تتغير؟ يدل على ذلك الحقيقة الثابتة ، من أن اللغة اليونانية في غربى الدولة ، والفارسية في شريقها ، ظلتا قرنا كاملاً لسان الحكم والإدارة ، وحتى في المدن الناشئة في مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية تحتل مكان التصدر في القرن الأول . ففي البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تختتم عادة بمقطع : — آن^(٢) ؛ وهكذا كانت تسمى القطاعات الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل : مهلبان ، أميتان (نسبة إلى أبي أمية) ، جعفران (نسبة إلى أم جعفر) ، عبد الرحمانان ، عبّيداللان . ويوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صيغ ، مثل : خالدان ، طلحتان ؛ وأشهر الأمثلة من هذا النوع اسم : رباط عبّادان^(٣) . وفي الفرق العسكرية الساسانية التي انضمت إلى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة في الجيش ، على حين كان

(١) Nöldeke, 25,124 ff.

(٢) Grundriss der iranischen Philologie I 2,176,Nöldeke L A 12,183

(٣) أخذت هذه الأمثلة من الباب الخامس بتقسيم البصرة في كتاب البلاذرى ص ٣٧٢، ٣٤٦

وفيه كثير غير ذلك . ومن هنا أيضاً أخذ ياقوت القائمة التي ذكرها في معجم البلدان ج ١ ص ٦٤٥

ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية محضة مثل : المسارية (بلاذرى ص ٣٦٤) .

بعضهم ، ولا سيما الزُّط ، والسيابجة ، والأندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ، التي انتظموا منها في الجندية^(١) . وكان الفارس منهم يحمل اللقب الفارسي لمرتبه ، وهو : أسوار^(٢) ، الذي جمعه العرب على أساورة ، ونسبوا إليه : أسواري . وفي هذه الأوساط نشأ عبيد الله بن زياد (حوالي ٣٠ - ٦٧ هـ) الذي صار فيما بعد والياً على العراق^(٣) ، إذ كانت أمه مرجانة (مرجريت^(٤)) — ويدل الاسم على أن أصلها غير عربي — قد تزوجت الفارس شيرويه^(٥) : Sheroë ، وسمح لها أبوه ، زياد بن أبيه ، أن تحتفظ بطفلها معها ، ونشأ من ذلك أن عبيد الله كان ينطق عربية غير فصيحة^(٦) ، فيقال إنه كان ينطق الهاء بدلا من الحاء ، والكاف بدلا من القاف — كما روى عن مولى لأبيه أيضاً ، وهو : « فيل » الغني ، أنه كان ينطق الهاء بدل الحاء ، والهمز بدل العين^(٧) — وأنه (عبيد الله) قال عن الأرض : است الأرض ، وأمر الجنود يوماً فقال لهم : افتحوا (أي سُلُّوا) سيوفكم ؛ مما دعا ابن مفرغ الشاعر أن يسخر منه بقوله :

(١) البلاذري ص ٢٧٥ وانظر أيضاً : G. Ferrand El (Enzykl. des Islam) IV, 214 & 1326

(٢) في البهلوية : asvâr وفي الفارسية الحديثة سفار وفي القواميس : أسفار. انظر : P.Horn Grundriss der neupersischen Etymologie 165 Nr 749

(٣) انظر : Zetterstéen El IV 1066

(٤) يرجع لفظ مرجان بوساطة اللغة الآرامية (مرجانينا) إلى اللغة اليونانية .

: انظر : Sachau على العرب للجواليقي ص ٦٥ .

(٥) Sheroë شيرويه بالمرية أحد الأسماء الكثيرة التي عالجها بالتفصيل Nöldeke في : Persische Studien I (SWA 16, I) 4 ff. . وما يدل على معرفة العرب بأن لفظ : شير معناه الأسد ، قول ابن منذر في رجل اسمه شيرويه : وسمى اللبث في الفارسية . (أغاني ج ١٧ ص ٢٧) . وكان القصر الذي بناه شيرويه المذكور لمرجانة ، يسمى بالفارسية : هزاردار أي ذو الألف باب (بلاذري ٢٥٩) .

(٦) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٢ ، وح ٢ ص ٢ ؛ ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١١٨ ؛ المبرد : كامل ص ٢٦٦ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٣ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ .

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضياع^(١)
ويروى أن معاوية أوصى زياداً ، الذي كان خطيباً مفوهاً^(٢) ، أن يصالح من
لسان ابنه ؛ وإن كان روى أيضاً أنه عندما ذكر لمعاوية لحن عبيد الله (مع أنه
ظريف) ، أجاب بأنه يجد لحنه (على التورية) أظرف^(٣) :

وحياة ابن مفرغ^(٤) الآنف الذكر تقدم دليلاً آخر على الدور الذي لعبته اللغة
الفارسية بالبصرة . ذلك الرجل الذي عدّ نفسه — دون حق — من الحميريين ،
والذي نسبت إليه تبعة أسطورة « تَبَع »^(٥) ، صلب سنة ٥٦ هـ^(٦) عباد بن زياد
إلى خراسان ، ولكنه وقع معه في خصومة ، فأخذ يحقر أسرة زياد منذ ذلك الوقت
في أشنع صورة ، وكانت البصرة جمعاء تتغنى بهجائه . وبعد عناء طويل استطاع
عبيد الله بن زياد أن يضع عليه يده . وكما تجمع الروايات^(٧) ، أمر هذا بجر ذلك
الأيثم عقاباً له في ثياب مهلهلة ، مشدوداً إلى هرة وخنزيرة في قرْن ، ليسير في طرق
المدينة (البصرة) على هذا النحو . وقد ذكر أيضاً أنه كان من الضروري أن صبيان
الأزقة تجمعوا خلفه ، ساخرين من حالته المزرية ، وهم يسألونه بالفارسية :

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٢ ؛ ابن قتيبة : ج ١ ص ١٦٥ ويرى صاحب الأغاني أن الشعر
قبل في أخيه عباد بن زياد وفي أيها .

(٢) كانت لخطبته التي افتتح بها ولايته على البصرة شهرة واسعة ، انظر : Wellhausen
Das arab. Reich S. FF . وقد ذكر الرواة بعد ذلك اسمه مقترناً بأوائل النحو العربي ،
(ابن الأنباري : ترجمة ص ١٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ٢٨٠) ، كما رويت أخبار جمة عن
دقة إحسانه في الأمور اللغوية (الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ و ج ١ ص ٢٦ ؛ ابن قتيبة : عيون
ج ٢ ص ١٥٩ ؛ القلقشندي ج ١ ص ١٦٩ ؛ الجهشباري : الوزراء (BAHGI) ص ٢٢ ،
وإن كانت مثل هذه الأخبار صرورية أيضاً عن الحسن البصري .

(٣) القالي : أمالي ج ١ ص ٥ ؛ ابن دريد : ملاحن ص ٦ ؛ ابن الأنباري : الأضداد
(القاهرة ١٣٢٥) ص ٢٠٨ ؛ عبد القادر : خزائن ج ٣ ص ١٤ الح .

(٤) انظر : A. Ebermann : Die Perser unter den arabischen Dichtern der Umayyadezeit OLF 30, 1149

(٥) أغاني ج ١٧ ص ٥٢ .

(٦) Zambaur, Manuel de généalogie 4 F

(٧) أغاني ج ١٧ ص ٥٦ ؛ ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٢١٠ ؛ الطبري : تاريخ ج ٢ ص ١٩٢

إبن جيس : ما هذا ؟ وأنه أجابهم بالفارسية أيضاً : آبُ أَسْت ، نبيذ أَسْت ،
عَصَاة زيب أَسْت ، سَمِيَّة رُوسِي^(١) أَسْت ؛ أي هذا ماء ، ونبيذ ، وعصاة
زيب ، وسمية البَغِيَّ (يعني بها الخنزيرة) .

وكما يشهد البلاذري^(٢) ، كانت توجد في البصرة جالية أصبهانية يرجع أولها
إلى صدر العصر الإسلامي . وزيادة على هذا جمع عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ فرقة
من الرماة مكونة من ألفي رجل من بخارى ، وجعل البصرة مقراً لهم^(٣)

ولم يختلف عن ذلك كثيراً أسر العلاقات اللغوية بالكوفة . فقد قامت هذه
المدينة في منطقة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية ، والفارسية ، والعربية من قديم .
كما أن الحيرة الواقعة على مقربة منها ، والتي كانت بها — في نظر العرب — سُدَّة
إمارة اللخمين ، كانت قبل الإسلام مصدر انتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة
الساسانيين ، بين قبائل البدو في السهول السورية العربية المجاورة . وقد أخذت
الكوفة المؤسسة حديثاً سُنَّة الحيرة ، فسارت على منوالها القديم ، وازدهرت وشيكا ،
على حين تراجعت الحيرة إلى الوراء . وكما كان للبصرة أساورتها ، فقد كانت في
الكوفة بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إلى العرب ، وأخذت تجاهد تحت
راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وبناء على خبر^(٤) للمؤرخ الكوفي « مسعر بن
كدام »^(٥) « عقد أربعة آلاف فارس من جند شاهنشاه الذين قاتلوا تحت قيادة
رستم في القادسية ، أماناً مع سعد بن أبي وقاص ، يخوّلهم حق النزول حيث أحبوا ،
ومخالفة من أحبوا من العرب ، ويفرض لهم في العطاء . وقد اختاروا الكوفة

(١) روسي : رويت في الخزانة ، على حين يذكر في الروايات الأخرى : روسفيد (بيضاء
الوجه) انظر في هذا : Nöldeke : Das iranische Nationalepos S. 91 Anm. 2

(٢) ص ٣٦٦ .

(٣) ساق أدلة على تكوين هذه الفرقة : De goeje BGA V, XVI . وانظر ياقوت :
معجم البلدان ج ١ ص ٥٢٢ ، وابن قتيبة : عيون ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) بلاذري ص ٢٨٠ .

(٥) توفي ١٥٢ هـ انظر ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٦٥ .

مقرأ لهم ، وسموا^(١) ، باسم نقيبهم « ديلم » : حمراء ديلم . أما في سورية ، حيث ساق زياد جماعة منهم بأمر معاوية ، فكانوا يسمون الفرس فقط ، كما أن زياداً نقل آخرين منهم إلى البصرة ، ونظمهم في صفوف الأسلورة .

وكما حصل في البصرة ، كان يرد على الكوفة أيضاً سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كوتوا مع أسارى الحرب ، الكثيرى العدد ، ذوى الأصل الفارسى ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهم السائدة هى الفارسية . وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في الجيوش العربية ، بما أورده من ألفاظ معربة في لهجة الكوفة^(٢) . فهو يذكر أن الكوفيين يقولون : خيار ، بدلا من قِثاء ، باذروج ، بدلا من الحوك (البقلة الحقاء ، الرجل) ، ويدى^(٣) ، بدلا من مجذوم . وإذا كانت كل سوق بالكوفة تسمى : بازار ، فإن هذا النطق المطابق للفارسية القديمة (على عكس : بازار في الفارسية الحديثة) يدل على التاريخ البعيد القدم لاستعمال الألفاظ الفارسية . وفي الكوفة أيضاً يعبر عن المسحاة بلفظ : بال . وهى في الفارسية الحديثة : بل^(٤) . وكان الناس في الكوفة يفهمون من كلمة : جَهَارْسُوك — وهى بالفارسية الحديثة : جَهَارْسُو — سوقاً على مقطع طريقين (وتسمى في البصرة : مَرْبَعَة) .

(١) كانت هذه التسمية سبباً في الالتباس ببلاد الديلم ، فقد ذكر بعضهم (البلاذرى ص ٢٨٠) أن أساورة الكوفة كانوا يرابطون على حدود الديلم ، وبعد الاستيلاء على قزوين (أى في سنة ٢٤ هـ) انضموا إلى صفوف المسلمين كما انضم إليهم أساورة البصرة في مثل هذه الأحوال . أما المدائنى فيرى (البلاذرى أيضاً في الموضع المذكور) أن جيش رستم الذى انضم إلى سعد بن أبى وقاص ودخل في الإسلام في حروب المدائن بعد ما استولى على جلولا . واستوطن الكوفة ، كان مكوناً من أعقاب أربعة آلاف أسير استرقهم برويز في حروبه مع الديلم . ونقل البلاذرى عن أحد العلماء أن معنى الحمراء هو « النجم » .

(٢) البيان ج ١ ص ١٠ ، وانظر أيضاً ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٣) في القواميس الفارسية : فيدى .

(٤) يرى Horn في Grundriss der neupersischen Philologie :

أن ييل bel نشأ من : بال bal الموجود في بعض اللهجات ، بطريق الإمالة ، على حين يذكر في : Grundriss der iranischen Philologie أن كلا اللفظين مثال للتبادل بين ð ، é في الفارسية الحديثة . وقد قسر لفظ : معبدة في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٥ بلفظ : بال .

ولم يقتصر نفوذ اللغة الفارسية على العراق ، حيث برز بطبيعة الحال في أقوى مظهر ؛ ولكنه كان لافتاً للأنظار أيضاً في الوطن العربي القديم . فقد كانت تسير منذ قديم قوافل التجارة الفارسية بين مدن الثغور في الجزيرة العربية ، كما جاء في غزوات الفتح عدد كبير من أسرى الحرب الإيرانيين إلى الحجاز بوجه خاص . والجاحظ أيضاً هو الذي لاحظ^(١) التأثير اللغوي للبحالية الفارسية القديمة في المدينة وما حولها من البلدان العربية . وطبقاً لما ذكره كان المدنيون يستعملون كلمة : خَرَبُوز الفارسية (المعربة إلى خَرَبُز) بدلاً من : بطيخ ، ورُودَق ، بمعنى منتوف الوبرة ، بدلاً من سَمِيط ، و : أَشْتَرَنْج ، بدلاً من : شَطَرَنْج ، و : مَمْرُوز ، بدلاً من : ممصوص ؛ أى هزيل . والأول من هذه الأمثلة اصطلاح تجارى ، على حين يتصل الثانى بالمطبخ ؛ إذ يقول صاحب برهان قاطع^(٢) : إن رود أو رُودَه كاللفظ العربى : سَمِيط^(٣) ، كلها بمعنى حيوان (حمل أو طائر) ينتف وبره أوريشه قبل قلبه ، وبعد أن يسلق في ماء حار لهذا الغرض . واللفظ الثالث : أَشْتَرَنْج (دون شكل عند الجاحظ) ، يدل على أنهم في المدينة لم يعبروا عن اللعب المعروف بكلمة : شَطَرَنْج^(٤) المعربة عن شترنج الفارسية — رجعت الصيغة العربية : شَطَرَنْج ، إلى فارسية الكتابة الحديثة ، وغلبت تقريباً على كلمة : شَتَرَنْج الفارسية — بل تمسك المدنيون في هذا المعنى بالنطق السائد عند الدوائر الفارسية بالمدينة : أَشْتَرَنْج . أما أنهم اتخذوا طريقة التعبير الفارسى هنا وهناك ، حتى في الألفاظ العربية الفصيحة ، فهذا ما يتضح من المثال الرابع : ممروز ، بدلاً من ممصوص ، حيث يستعاض عن البصاد الصعبة النطق على اللسان الفارسى ، بالزاي^(٥) مع قليل من الإدغام في الميم . وأخبار الجاحظ هذه عن

(١) بيان ج ١ ص ١٠ .

(٢) انظر في مادة : رود : Vullers Lexicon Persico - Latinum وفعل : رودان بمعنى : تنف ، لم يزل باقياً في الفارسية — اليهودية ، انظر : Horn, Grundriss S. 258 Nr. 628

(٣) انظر : سَمِيط في قاموس Lane .

(٤) يضبطه المترمون في الافة : شَطَرَنْج على وزن فعلل ؛ انظر الحريرى : درة الغوامس ١٣١ .

(٥) انظر : H. Schuchardt - Brevier S. 57. F .

العناصر الفارسية في اللهجة العربية للمدينة ، تنطبق على القرن الأول للهجرة ، إذ أنه في ذلك الوقت وردت كلمة : روذق ، الآفة — وإن لم يكن في المدينة — في البيت التالي لجرير (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وهو في نقائض جرير والفرزدق ص ٨٤٥ س ١٠ :
 لاخير في غضب الفرزدق بعد ما سلخوا عجائك سلخ جلد الروذق^(١)
 ويصدق هذا أيضا على الشطرنج واصطلاحاته الفارسية على طول الخط ، فقد صاغ العرب مفرداً لكلمة : يياذق ، التي أخذوها على أنها جمع حسب شعورهم ، فقالوا : يياذق ، تماماً على نمطهم في صوغ مفرد : فردوس ، لفراديس الذي حسبوه جمعاً . وقد استعمل الفرزدق كلمة يياذق في معناها ، وكان يعرف قاعدة اللعب ، من أن البيذق يتقدم إلى الرقعة الأخيرة فيتحول إلى وزير : نقائض جرير والفرزدق صفحة ٧٨٧ سطر ٦ :

ونحن إذا عدت تميم قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق
 منعك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدرعى يياذق في البياذق^(٢)

وكذلك استعمل جرير نفس اللفظ للدلالة على شيء تافه القيمة ، وذلك في بيت يرمى فيه جعثن ، أخت الفرزدق — مع الإشارة إلى مهر المثل — بأنها لم تأخذ مهراً معينا في عقد النكاح : نقائض ص ٨٤٥ س ١٥ :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا إذ مهر جعثن مثل حُرّ البيذق

كما أن استعمال كلمة : يياذق ، أيضاً ، بمعنى رجل قصير القامة^(٣) ، يرجع إلى

(١) فسر لفظاً : روذق في الترح مرة بالجل ثم بالجلد الملوخ . ولما كان المعنى الثاني غير ظاهر من السياق رجح Bevan الأول ، وصواب التفسير هو : حل متوف الوبرة بعد سلقه . وانظر أمثلة أخرى للألفاظ والجلل الفارسية ذكرها Bevan في النقائض : Glossar S. 612 Gildemeister, L D M 628 (1844) 693 (٢) انظر :

(٣) أغاني ج ١٢ ص ٢٠ وعبارته ... قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيذق (بالذال لا بالذال) وكان قصيراً فلقب بالبيذق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن خلق الله إنساناً اه بقي أن يعرف هل هو البيذق الذي زار يزيد بن عبد الملك ؟ ربما كان غيره وإلا فإن هذا عاش في القرن الثاني . وقد سمي بالبيذق أيضاً أبو بكر بن علي الصنهاجي الذي ذكر حديثه عن أستاذه المهدي في : Lévy-Provençal, Documents inédits d'histoire =

القرن الأول ؛ فقد كان هذا اللفظ يطلق لقباً على مغنٍ وقارىء مدنى ، زار^(١) في أواخر حياته الخليفة يزيد بن عبد الملك (حكم ١٠١ — ١٠٥ هـ) . وهذا الكشف — عن قدم استعمال لفظ : شطرنج ومتعلقاته حتى القرن الأول — يتفق تماماً — كما يلاحظ بهذه المناسبة — مع قول الفقهاء الإسلاميين إن مسألة تحليل لعب الشطرنج في الشريعة كانت موضع البحث لأول مرة في عهد الطبقة الثانية ، بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] ، أى طبقة التابعين . نعم هناك عدد من الأحاديث المروية عن الرسول في تحريم^(٢) اللعب (المذكور) ، ولكن النقاد المسلمين تبينوا عدم صحتها ، ولم يؤخذ واحد منها ضمن المجاميع^(٣) المعتمدة .

وفي مصر ، كانت القبطية هى اللغة التى اصطدمت بها العربية . وقد بقيت لغة الفاتحين هنا أيضاً كما فى العراق — مقصورة بادية ذى بدء على المعسكرات كالفسطاط قبل كل شيء ، وعلى المناطق التى اختارتها القبائل العربية ، لتكون مراعى لسواهم . وكان للحقيقة الثابتة ، من أن أغلب المهاجرين العرب قد تجمعوا من قبائل يمنية الأصل ، أثر حاسم فى التطور اللغوى بهذا الإقليم . وقد بقيت اللغة اليونانية بادية الرأى هى اللغة الرسمية . ولم تدخل العربية فى دوائر الإدارة إلا فى سنة ٨٧ هـ . بيد أنها لم تستوعب سوقها إلا فى أوائل القرن الثانى . وقد ظل الجمهور الأعظم من السكان متمسكاً بالقبطية ، كما أن النسبة المثوية للأقباط فى المدن كانت جدّ كبيرة . ولكن بينما أثرت الفارسية فى عربية العراق تأثيراً بعيد المدى ، وكثرت فى اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة ملحوظة ،

Almohade p. 50 - 133 كما ذكر ياقوت أيضاً فى معجم البلدان مكاناً اسمه : « شاهيدق » فى بيت من الشعر لعبد الله بن أبى عوف الخزاعى (معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٤) .

(١) ماغانى ج ١٣ ص ١٦٣ .

(٢) انظر ابن قتيبة عيون ج ١ ص ٣٢٣ .

(٣) انظر المتقى : كنز العمال ج ٧ ص ٣٣٢ ؛ ابن حجر : إصراة (القاهرة ١٣٤٧) ج ١

ص ٣٨٩ ؛ لسان الميزان ج ٢ ص ١٦٦ ؛ ابن الديبع : تميز الطيب (القاهرة ١٣٤٧) ص ١٦٨ . وانظر النووى فى ابن الديبع فى الموضع السابق .

كان أثر القبطية في اللهجة العربية جد ضئيل^(١). وقد أراد بعض العلماء أن يعزو أسباب ذلك إلى الطابع القبطي القومي^(٢)؛ ولكن بقي علينا أن ننظر فيما إذا كان تعذر كشف أثر اللغة القبطية في عربية التفاهم في أثناء القرنين الأولين راجعاً إلى طبيعة مصادرها. فلو أن مصر مُنيت بكتاب مثل الجاحظ الذي أواع بتصوير مستوى الطبقات الدنيا والوسطى بين سكان المدن في القرن الثاني، ربما كان أفادنا أن العلاقات اللغوية في الفسطاط القديمة لم تختلف كثيراً عنها في البصرة والكوفة. حقاً لقد تم تعريب مصر (احتلال العرب لها) بصورة أسرع وأعمق من العراق؛ ففي القرن الثاني كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها وفق نظام مرسوم، كما يبدو أن تكرار الدخول في الإسلام قد ازداد بقوة في نفس الوقت، بعد أن كان لا يتقدم في القرن الأول إلا في حدود معتدلة، بحيث رجحت كفة العربية في القرن الثالث، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت^(٣) تماماً في القرن السادس.

والهوة الواسعة التي كانت تفصل بين الطبقة العربية الحاكمة، وبين الجماهير الغفيرة من رعاياها حتى سقوط الدولة العربية سنة ١٣٢/٧٥٠، لم يكن أبعد أثراً في اقتحامها والتغلب عليها من التسري واقتناء السادة العرب للسراري والجواري، فإن النظرية التي ترجع إلى عهد الوثنية العربية، والتي تبيح لمالك الأمة أن يعاشرها معاشرة الأزواج، قد احتفظ بها الإسلام، فصار سنة متبعة، أن يجد الأسارى من النساء مدخلاً إلى حرم ساداتهن، وهكذا سرعان ما نشأ، حتى في بيوت السادة العظام من العرب، جيل بين أمهاته كثيرات من غير العربيات. وكان لا بد أن يترك ذلك أثراً بعيد المدى في العلاقات اللغوية، فإذا كانت الأجنيبات اعتدن الدخول إلى

(١) انظر: K Vollers, ZDMG 50 - 653-6 Littmann ebd, 56, 681 - 4,

Spiegelberg Zf Sem. 4, 61 f, EI II 1046 f.

Vollers a, a, O,

(٢)

G, Wiet, EI, Qibt, J. Simon, ZDMG, 90, 44, f

(٣) انظر:

حرم الدوائر العليا ، وإذا كانت هذه الدوائر العليا تعتمد على غير العرب أيضا في خدمتها ورعاية شئونها الدنيا ، فلا جرم أن تأخذ الشبيبة الناشئة — تحت تأثير هذه العلاقات — شتى الظواهر اللغوية من لغة التفاهم الدارجة التي كانت غريبة عن العربية . ولقد كان النسل الناتج من غير الحرار موسوما في نظر المجتمع بميسم عدم الكفاءة في المولد ، ولكن القانون الإسلامي يعدهم أحراراً ، ويسوى بينهم وبين إخوتهم من الحرار في الملك والميراث . أما أن هؤلاء الأبناء ، غير الأكفاء في المولد ، قد سمو إلى مراتب رفيعة ، على الرغم من تأخر رتبتهم بحسب المولد ، لمناقبتهم الشخصية ، أو لمواتاة القرص والأسباب ، فهذا ما يؤيده مثال أبناء سُمَيَّة ، فقد كانت أمهم جارية فارسية^(١) أو بيزنطية^(٢) الأصل — كما جاء في الروايات — أهديت إلى سيدها الحارث بن كلدة الطيب . وعند ما حاصر محمد (صلى الله عليه وسلم) الطائف في السنة الثامنة للهجرة ، ووعد^(٣) كل من ينضم إليه من أهلها ، سواء كان حراً أم عبداً ، الحرية ، صمم أحد أبنائها ، وهو أبو بكر^(٤) نَفِيع ، أن ينحاز إلى الرسول ، فصار معدوداً من مواليه منذ ذلك الوقت . أما أخوه نافع^(٥) فقد ركن إلى الحارث بن كلدة وبقى عنده ، فأعلن الحارث حريته وبنوته ، كما اعترف أيضاً بنسب أزدة^(٦) بنت سمية . وأزدة هذه تزوجها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة . هذا الزواج فتح لإخوتها — كان هناك ثالث لأبي بكر ونافع ، هو زياد المولود سنة ٨ هـ — طريقاً إلى المجتمع الراقى ، فقد تبعوا أخوتهم إلى البصرة ، وامتلكوا ضياعاً عظيمة ، ولعبوا دوراً هاماً^(٧) بعد ذلك بقليل في المجتمع . وكما هو معلوم ، رقي

(١) ابن قتيبة : معارف ٩٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٩٥٢ (عن ابن الكلابي) ؛ انظر أيضاً شعر ابن مفرغ (أغاني ج ١٧ ص ٦٥) .

(٢) عوانة (كما ذكره ابن حجر : إصابه ج ٤ ص ٢٤٠) .

(٣) ابن هشام ص ٨٧٤ ؛ واقدي ص ٢٧١ (Wellhausen) ؛ سهيلي : الروض ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٤) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٨ وما بعدها .

(٥) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٤٩ ؛ البلاذري ص ٣٥٠ ، يحيى بن آدم (طبع ١٣٤٧ هـ) ص ٧٨ .

(٦) ابن قتيبة : معارف ص ٩٧ .

Wellhausen, Das arab. Reich S, 75 f.

(٧) البلاذري ص ٣٤٣

زياد أعلى المناصب . وأخيراً اعترف به الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاه من أبيه . ولم يكن معاوية ليقدم على ذلك لو لم تكن أبوة أبي سفيان له — على الأقل — أمراً ظاهراً . أما أن سمية كانت عاهراً ، فهذا أمر قد تقرر — على أقل تقدير — في أبيات ابن مفرغ^(١) ، التي كانت تفقد مغزاها لو أن الإخوة الثلاثة نسلوا من نكاح صحيح .

كذلك يحتاط الغموض أصل أسرة أخرى من العهد الأموي : أسرة المهالبة . ويريد أبو عبيدة^(٢) الذي كان يتبع بجماعة جمع كل المثالب عن المجتمع العربي ، أن يعلم أن أبا المهلب كان نَسَاجاً^(٣) فارسياً ، وهاجر من جزيرة خارك Harak في الخليج الفارسي إلى عُمان ، وهناك انتقل من المجوسية إلى الإسلام^(٤) ، مغيراً اسمه^(٥) إلى أبي صُفْرَة ، وصار سائس خيل عثمان بن أبي العاص الثقفي ، الذي هاجر معه أخيراً إلى البصرة . وليكن باقياً بعدُ بيان مبلغ هذه الأخبار من الصحة ، فحسبنا نحن فيما يتعلق بوجهة نظرنا ، أن دعوى أن المهالبة يجرى في عروقهم دم فارسي قد لقيت تصويماً وتأكيذاً في الإبيات التي هجا بها كعب بن الأشقر^(٦) يزيد بن

-
- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢١٢ ؛ أغاني ج ١٧ ص ٦٠ ؛ ابن خلكان : وفيات ج ٣ ص ٢٢٣ ؛ خزائن الأدب ج ٢ ص ٥١٦ ، وانظر : Nöldeke im Islam 14, 132 .
 (٢) ابن رسته (BGA 205) ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ .
 (٣) يسم العرب النساكين وكل ذوي صناعة يدوية بميم الضمة (G, Jacob, Altarab, Beduinen leben S, 150 f) ، ولقد غالى بعضهم فروى من الأحاديث ما يؤكد ذلك ، ولكنه لم يرو في الجامع المعتمد (انظر ابن حجر : لسان الميزان ج ١ ص ٤٤٢ ، ج ٢ ص ١٤٤ ، ج ٤ ص ١٣١ ، ص ٣٤٩) .
 (٤) سماه أبو عبيدة : بسخرة بن يهوذا . وكلا الاسمين موجودان في شعر كعب بن الأشقر كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ على حين يذكر في الأغاني (ج ١٣ ص ٦٤) في نفس البيت : مرذاذاء وفسخراء . ويذكر التعليق في الصحيفة المذكورة أن هذين الاسمين لأبي أبي صفرة وجده . انظر أيضاً : Marquart, Festschrift, E, Sachau .
 (٥) مثل هذا التغير تجده في : Goldziher, Muh Studien I, 133 Anm 2 .
 وفي الخطيب : تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٨٢ .
 (٦) أغاني ج ١٣ ص ٦٤ (أربعة أبيات) ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧ (البيتان الثاني والثالث) مع تغير كثير . ويوجد البيت الأول أيضاً في ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٩٣٣ مع تغير كثير أيضاً ، وفي البلاذري ص ٤٢٦ .

المهلب . ولا تستطيع تغطية ذلك شجرة^(١) النسب الفاخرة ، التي عُتبت الأسرة بتأليفها بعد ذلك .

وفي المدينة برز أبناء الإمام في النصف الثاني من القرن الأول . فقد كان عليّ زين العابدين (٣٦ — ٩٤ هـ) من حفدة عليّ ، والقاسم بن محمد من حفدة أبي بكر ، وأخيراً الفقيه الضليع سالم بن محمد (المتوفى ١٠٦ هـ) من حفدة عمر ، كان هؤلاء جميعاً غير أكفاء من جهة الولادة ، بيد أنهم لعبوا دوراً رئيساً في المجتمع . وكما يرى الأصمعي ، أسهموا بقسط عظيم — بوساطة مناقبهم الشخصية — في تغيير^(٢) رأى المجتمع في أبناء الجوارى . بل لقد أمكن في ذلك الوقت ، حتى في أسرة عريقة في الوثنية ، كأسرة « أبي لهب » الملعون في القرآن ، أن يفخر^(٣) أحد أعقابها من غير الأكفاء : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب — وكانت جدته حبشية^(٤) بانتسابه إلى عبد مناف . وقد ظل بيت الخلافة الأموية أحرص البيوت ، وأطولها أمداً — بصورة نسبية — في الاحتفاظ بمثل الجاهلية الأعلى من نقاء الدماء . وها هو ذا مسلمة بن عبد الملك (٦٣ — ١٢٠ هـ) بنى^(٥) مبعداً عن عرش الخلافة لأنه من أولاد الجوارى . نعم لقد ولى الخلافة يزيد الثالث ، وهو ابن جارية صُغدية^(٦) من الأسرى ، سنة ١٢٦ هـ ؛ ولكن الفضل في هذا راجع إلى ثورة نشبت ، كما أنه حصل قبل سقوط الدولة العربية (الأموية) نهائياً بسنوات قليلة .

(١) ابن سعد . (VII, 1, 71) أغاني ج ١٨ ص ٨ ؛ المسعودي (تنبيه BGA VIII) ص ٣٢٠ ؛ ابن حجر : إصابة ج ٤ ص ١٠٨ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب (على هامش ابن حجر) ج ٤ ص ١٠٩ .

(٢) ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٨ .

(٣) أغاني ج ١٤ ص ١٧٨ يضاف إلى هذا : Vollers Centenario Michele

Amari 1,88 وقد رجع هذا إلى : الفضل : الفاخر ص ٤٣ ، ابن حجر : فتح الباري ج ١١ ص ٦٢ وغير ذلك .

(٤) أغاني ج ١٥ ص ٢ .

(٥) El, 3, 454

(٦) Wellhausén Das arab. Reich 226

بل كذلك طبيعة الحياة البدوية لم تبق بعيدة غير متأثرة بالمؤثرات اللغوية الأجنبية . وهذا هو الحجاج يهذى جريراً ، لأول زيارة له بالعراق ، جارية^(١) من الرى ، ولدت للشاعر كثيراً من الأولاد ، كما تغنى بها فى أشعاره . وفى وسعنا أن نثق بالرواية التى تحدثنا عن عيوب فى تعبيرها ، مهما تكن الجملة التى قيلت على لسانها مخترعة^(٢) . وهذا ابن ميادة يقدم لنا مثالا آخر فى الجيل التالى لذلك ؛ ويعدّه بعض النّقدة آخر من يحتج به من شعراء البادية . وقد أهداه الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥ — ١٢٦ هـ) جارية من طبرستان ، كانت كاملة من جميع الوجوه ، ما عدا لهجتها العربية ، فقال ابن ميادة فيها :

بأهلى ما أَلَدَك عند نفسى لو أنك بالكلام تعرّيننا
كانك ظلية مضغت أراكا بوادى الجزع حين تبغميننا^(٣)

وفى الثلث الأخير من القرن الأول ، كان قد أخذ نمو العربية المولدة ، التى تكونت من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة فى مناطق العربية القديمة ، حدّاً لم تتوقف فيه الأخطاء اللغوية عن الظهور ، حتى فى الدوائر الأولى من المجتمع العربى . لقد صار منذ زمن طويل غير مفهوم بطبيعة الحال أن يتعلم أولاد هذه الدوائر الأولى ، من المحيط الذى هم فيه ، عربية جيّدة . وقد كانت هذه التجديدات تعدّ عند العرب الذين كانوا ذوى إحساس دقيق منذ القدم ، بجهل لغتهم ، خطأ لغوياً (لحناً^(٤)) . ولهذا قامت بينهم حركة رجعية ضد فساد اللغة ، ونشأ من ذلك فى أواخر القرن الأول (السابع الميلادى) مبدأ «تنقية اللغة العربية» الذى حمل راية المحافظة على خلوص اللغة . وهنا أيضاً برهن الأمويون على أنهم حماة المبادئ العربية القديمة . فقد روى أن عبد الملك (حكم ٦٥ — ٨٦ هـ) كان يحذّر أبنائه من اللحن ؛ فإن اللحن

(١) البرد ص ٣٠١ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٢٢ ، ج ٢ ص ٣ .

(٣) الأغاني ج ٢ ص ١١٢ .

(٤) انظر الملحق فى خاتمة الكتاب .

في منطق الشريف أقبح من آثار الجدرى في الوجه ، وأقبح من الشق في ثوب .
نقيس^(١) . ويروى أن هذا الخليفة لم يكن يستعمل^(٢) صيفاً ملحونة حتى في المزاح ؛
وأنه كان يقدر الدقائق اللغوية حق قدرها ؛ فحينما غير الشاعر الخارجي أبو المنهال .
عتبان بن وصيلة بيته :

« ومنا أمير المؤمنين شبيب » إلى : « ومنا أمير المؤمنين شبيب » ، نال على .
هذا التغيير في الجواب استحسان الخليفة حتى أطلق سراحه^(٣) . وعلى الرغم من ذلك
فقد روى أنه أهلك^(٤) تأديب ابنه الوليد (حكم ٨٦ — ٩٦ هـ) ، ولذلك رويت
في أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة^(٥) . وعلى النقيض منه تأدب سليمان .
ابن عبد الملك (حكم ٩٦ — ٩٩ هـ) أدبا رفيعا ؛ وكان يحسن^(٦) الإشادة بقيمة .
الجمال اللغوي ؛ كما روى عنه أنه قال في المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ،
أحد أشرف قريش ، ساخرأ منه : « المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخّم اللحن
كما يفخّم نافع بن جبير الإعراب » . وكذلك كان أخوه مسلمة رفيع الثقافة ؛ وكان
يكره عمرو بن مسلم ، أخا قتيبة بن مسلم ، لأنه كان يلحن^(٧) في كلامه ؛ كما روى أنه
كان يمقت السائلين الذين يلحنون^(٨) في لغتهم . وكان عمر الثاني (ابن عبد العزيز)

(١) البلاذرى (آلورد) ص ٢٦٠ ؛ الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ؛ ابن قتيبة : عبون
ج ٢ ص ١٥٣ .

(٢) الزجاجي : أمالي (طبع ١٣٤٢ هـ) ص ١٤ فابعدا .

(٣) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٣٩٩ ؛ الدميرى (١٣٤٨ هـ) ج ٢ ص ١٦١
وكثيراً ما تساق أبيات هذا الشعر دون تسمية قائله ؛ ابن قتيبة : عبون ج ٢ ص ١٥٥ ؛ ياقوت :
إرشاد ج ١ ص ٢٥ ؛ البيهقي : محاسن ص ١٤١ الخ .

(٤) الرزباني : موشح ص ٢١٧ .

(٥) البلاذرى ٢٣٥ (آلورد) ؛ الجاحظ : محاسن (١٣٢٤ هـ) ص ٦ ؛ قدامة : نقد
النثر ص ١٢٣ ؛ البيهقي : محاسن ص ٤٥٤ ؛ البرد : كامل ص ١٩٠ ، وانظر القلائد ص
ج ١ ص ١٦٨ .

(٦) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٤ ؛ الميعنى : ذيل الأمالي ص ٦٦ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ؛ وفي المغيرة انظر : ابن سعد ج ٧ ص ١٥٥ ؛ أغاني ج ١٥ .

ص ٤٨ ؛ وفي نافع انظر : ابن حجر : تهذيب ج ١٠ ص ٤٠٥ .

(٨) الحفاجي : طراز المجالس (١٢٨٤ هـ) ص ٦٧ .

(حكم ٩٩ — ١٠١ هـ) دقيق الإحساس في شئون اللغة بوجه خاص ؛ وكان لا يطبق أن يسمع في محيطه خطأ لغوياً أيّاً كان ؛ وكان يصلح ما يعترضه من الأخطاء^(١) ؛ وكان يحب الواضح السهل من العربية حتى في الشعر .

وكان بعض معاصري الأمويين — كذلك — يقدّسون آراء مثل آرائهم . فقد كان الحجاج والى المشرق لا ينطق عربية ناصعة فحسب^(٢) ، بل كان يقيم أيضاً وزناً لأن يعبر محيطه تعبيراً صحيحاً . ويزعم بعضهم أن كثير بن أبي كثير البصري ، الذي أراد الحجاج إكراهه على عمل يتولاه ، تخلص منه بأن أساء إلى أذن الحجاج بلحن فظيع في القواعد^(٣) . حقاً لقد حمل الكره خصومه السياسيين أن يقولوا عنه إنه ارتكب أخطاء حتى في القرآن ؛ ولكن هذا حصل في آية قرأها وهو ساء ، حيث قرأ لفظ : أحب ، في آية ٢٤ من سورة التوبة بالرفع بدل النصب : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا » . وقد أوقعه في السهو محبى^(٤) . خبر كان بعدها باثنتي عشرة كلمة . وقرأ مرة أخرى في الآية ١١ من سورة العاديات بدل : إِنَّ ، بكسر الهمزة في : « إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ » ، أن

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٥ ؛ الجاحظ : ج ٢ ص ٢ ، و ص ١٢٠ ؛ الجاحظ : محاسن (١٣٢٤ هـ) ص ٦ .

(٢) انظر الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ، ج ٢ ص ٤ ؛ الزجاجي : أمالي ص ١٤ ، وقد قرن الزجاجي في الموضع المذكور ، بالحجاج الخطيب المشهور : ابن القريّة . (انظر هذا في المعارف لابن قتيبة وابن خلكان ج ١ ص ١٤٥) على أن كلاماً من عوانة (أغاني ج ٢ ص ٩ — طبع دار الكتب —) ، والأصمعي (أغاني ج ٢ ص ٢ — الطبعة نفسها —) قد أنكرا وجوده التاريخي .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٥ .

(٤) الجحى : طبقات ص ٦ ؛ ابن الأنباري : نزهة ص ١٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٩٦ ؛

ابن خلكان ج ٣ ص ١٩٢ . Nöldeke, Geschichte des Qurans, 111, 124

بالفتح ، متخلصاً من الغلط بحذف^(١) ، لام القسم من الخبر . وكذلك كان سهواً منه حين قرأ^(٢) في آية ٢٢ من سورة السَّجدة : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُنْتَقِمُونَ » بدلاً من : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ » . ولم يقل عن الحجاج في تعظيم العربية أيضاً عمر بن هبيرة ، الذي كان والياً على العراق (سنة ١٠١ — ١٠٥) ؛ وكان يرى أن من يحسن العربية أعلى من غيره مقاماً في الجنة^(٣) .

ومثل ذلك التعظيم للعربية الخالصة ، نجده لذلك الوقت في الشعر أيضاً ، فهاهوذا رؤبة (المتوفى سنة ١٤٥ هـ) يرى من الضروري أن يُبرزَ في أرجوزته التي مدح بها بلال بن أبي بردة قاضي البصرة ، أن المدوح يصحح الإعراب ولا يقع في الخطأ :

* فَرَّتْ بِقِدْحِي مُعَرِّبٌ لَمْ يَلْحَنُ^(٤) *

ورؤية نفسه كان يحب أن يتمدح بمقدرته اللغوية ؛ فويرز (XXVI ٣٥) ذكر العناية الدقيقة (التنطس) التي يبذلها في نظم كلامه . وهو يشعر بتفوقه على خصمه ، أيّاً كان ، في الدراية وتعاطى الوحشي الغريب من مادة اللغة (عَقَمِي) ؛ وهو يفخر (XXXVI ٤٥) بأنه ترك بعض من عارضه من الشعراء وراءه مثل الأثلغ الذي ينطق لكنة أعجمية ، ولا يعرف فرق الصحيح من الزائف في العربية :

* أعجم لا يعرف زين الزُّيْنِ * وفي أرجوزته التي امتدح بها القاسم ابن محمد بن القاسم ، ابن فاتح السند ، أكَّده (XXII ١٣٧) أن نحوياً ضليعاً في العلم يفهم مداخل الكلام (داهي العلم والتعبير) ، ليس له بعد نظره في اللغة ، مهما أشاح بوجهه غضباً من ذلك :

كيف تراني أنتحى في دفتري على قضيب الذاهيات الشبر

(١) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٦٠ ، ابن خالويه : مختصر ص ١٧٨ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٣) باقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٢ .

(٤) رقم ٥٧ ، بيت ١٥٤ (آلورد) .

لا ينظر النحوى فيها نظرى . وإن لوى لحييه بالتحقر
وهو دهى العلم والتعب^(١)

وفى مدحه لآخر وال أموى على خراسان : نصر بن سيار ، يقول رؤبة
(XIX ١٩) إنه اختار لمديح نصر ألفاظا متنحلة ، يتعب النحوى فى فهم غرضه منها :
وأنا فى تخيرى وجدى إذا تنخلت جساد الهند
يلتمس النحوى فيها قصدى تجددت نصراً وهو أهل المجد
وعلى النقيض من ذلك يحقر يحيى بن نوفل الحميرى خالد بن عبد الله القسرى ،
والى العراق ، (١٠٥ — ١٢٠ هـ) فى البيت :

والحن الناس كل الناس قاطبةً وكان يولع بالتشديق فى الخطب^(٢)
وهذا يرجع إلى أن خالداً الضعيف القلب ، فزع فزعاً شديداً ، وطلب جرعة
ماء وهو متلجلج ، حينما تلقى سنة ١١٩ هـ ، وهو يخطب ، نبأ قيام الشيعة المغيرة^(٣)
ابن سعيد بشورة فى الكوفة . وقد غالى خصومه فى انتهاز هذا الحدث . ويرى
المدائنى^(٤) أن خالداً كان حقيقةً لحنّةً بوجه عام ، وأنه كان يستعين فى خطبه

(١) يحتاج تأريخ هذه القصيدة إلى شيء من الاستقصاء . فهي — كما يؤخذ من البيت
١٤٩ — موجهة إلى القاسم ، والمقصود به كما ذكر فى العنوان : القاسم بن محمد بن القاسم .
ويرى فيه كل من آلورد من ١١ وكرنكو El III 1159 القاسم بن محمد الثقفى الذى فتح
الهند فى سنة ٩٤ هـ كما جاء فى الطبرى ج ٢ ص ١٢٥٦ ، وابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٣ وعلى ما جاء
فى الشعر وعنوانه تكون صيغة تسمية فاتح الهند : محمد بن القاسم الثقفى ، وهذا ما ذكره مثلاً
إلياس برشينايا فى تاريخه على أنه فاتح الهند فى السنة المذكورة (F.Baethgen, Fragmente
syr.u. arab, Historiker S, 42) ، وقد كان سن هذا عند شروعه فى غزو الهند ١٧
سنة بشهادة أبى اليفطان (المتوفى ١٩٠ هـ) كما ذكره ابن قتيبة : عيون ج ١ ص ٢٢٩ ،
(وكما فى الآيات التى استشهد بها فى البلاذرى ص ١٤١ ، وفى ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٤ ،
وهى من قول حمزة بن يونس) . ولما كان فاتح السند المذكور قد قتل سنة ٩٥ هـ فلا بد أن يكون
ميلاد ابنه المدوح حوالى سنة ٩٠ (إذ كان عمر أبيه عند فتح الهند ١٧ سنة كما ذكرنا)
فلا يمتثل أن يمدحه رؤبة إلا حوالى ١١٠ هـ على الأقل .

(٢) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٥٢ ، ج ٢ ص ٤ ؛ وذكره المرد (كامل ص ٢٠) لشاعر آخر
(٣) انظر الطبرى ج ٢ ص ١٦١٩ ؛ الأشعرى : مقالات : فهرست ؛ النوبختى : فرق
الشيعة : فهرست ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٩١ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ج ٦
ص ٧٥ — ، Wellhausen, das arab. Reich' 204 .

(٤) أغاني ج ١٩ ص ٦٢ .

رجل يلقنه Soufleur ، كما يرميه بالتصنع ، إذ قال ذات يوم : إن كنتم رجبون (كذا في البيان والتبيين) ، فإننا رمضانيون ^(١) ، ويعده الجاحظ من اللحنين البلاء ^(٢) . ولكن خالداً كان في حقيقة الأمر خطيباً ممتازاً ؛ وكان إذا انقطع عليه خيط الكلام يعرف كيف يحسن ^(٣) الخروج من المأزق . وبيت ابن نوفل إنما يدل على أنه منذ بداية القرن الثاني الهجري لم تمد سلامة التعبير من اللحن أمراً طبيعياً ، حتى عند ذوى المناصب الرفيعة .

ومما كان ذا مقام حاسم في مستقبل العربية ، أن المجتمع العربي في عهد الأمويين لم يكن هو وحده الذي يعترف بالعربية على أنها القدوة الرفيعة ، والمثل الأعلى ؛ بل كذلك الدوائر الإسلامية غير العربية ، (من طبقة الموالى) ، المملحة في التسامي والتعالي ، كانت ، في سبيل طموحها إلى محاكاة الطبقة السائدة فيما تفعل ، تجارى هذه أيضاً في الناحية اللغوية ، وتحتضن حركة تنقية اللغة العربية ، بما في ذلك من إعلاء شأن اللغة البدوية الخالصة . وكلما أخذت سلامة اللغة تصير أمراً من أمور التربية والتعليم ، قويت آمال غير العرب أن يستبدلوا — بالصبر والاجتهاد — عربية فصحي من عربية اللهجة الدارجة في محيطهم . وقد نبأ ما تملك الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هـ) ، وهو ابن لأحد أسارى الحرب من مدينة ميسان ، أزمة العربية ، بحيث كان رجال ضليعون ، كأبي عمرو بن العلاء ورؤبة ، لا يجدون غضاضة في أن يضعوه ^(٤) إلى جانب الحجاج . وكان تلاميذه المجتهدون يكتبون عبارات أستاذهم ، لا لما تحتويه من علم فحسب ^(٥) ، بل لصياغتها اللغوية كذلك . وكثيرة هي الأخبار ^(٦) والروايات التي تطنب في وصف دقة إحساسه تجاه الأخطاء اللغوية .

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٢) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .

(٣) القالي : أمالي (الطبعة الثانية) ج ١ ص ١١١ ؛ ابن قتيبة عيون ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٤) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٦٨ ، ج ٢ ص ٤ .

(٥) نجد مثالا لذلك في أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٨٠ ؛ وانظر أيضاً السكامل

المبرد ص ١٢٠ .

(٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، القالي :

أمالي ج ٣ ص ١٤١ ، والبكري عليه ص ٦٦ .

حقاً لا تعرب قراءته للقرآن عن ذلك الصقل والانسجام الذي تتطلبه حركة « تنقية اللغة العربية » عند نحاة العصر العباسي الأول ؛ فقد كان يقرأ مثلاً : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » بكسر الدال بدلاً من ضمها ، وبشهادة النحوي المصري : النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) ، كانت صيغة المجدلة على هذا النحو خاصة بلهجة تميم^(١) ؛ وقد اجتهد الكوفيون في تأييد هذه القراءة وأختها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » « بضم لامُ اللَّهِ » ، بسوق أمثلة أخرى لتناسب الحركات والإتباع ؛ وعلى النقيض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة — التي هي فضلاً عن ذلك قراءة زيد بن علي المتوفى ١٢٢ هـ ، ورؤية — بحجة أنها سقطت من الاستعمال تماماً ، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمة بالإعراب^(٢) .

ويصف الجاحظ قراءتين للحسن بأنهما خطأ صراح ، إحداهما : « وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ » بدل « الشَّيَاطِينُ » في آية ٢١٠ من سورة الشعراء (ألا يقال ذلك أيضاً في آية ٢٢١ من نفس السورة ، وفي آية ١٠٢ من سورة البقرة ، وفي آية ٧١ من سورة الأنعام) ، والأخرى : صَادِي ، بدل : صَادُ^(٣) (آية ١ من سورة ص) .

وفي الأولى نرى صيغة جديدة : شياطون ، وقد نشأت من توهم أن نون جمع التكسير هي نون جمع التصحيح (المذكر السالم) . أما أن هذه الصيغة الجديدة وردت حقيقة في الاستعمال اللغوي للقرن الأول ، فهذا ما تؤكد شهادة ثقات قدماء آخرين ، مثل سعيد بن جبير (المتوفى ٩٥ هـ) وطاووس (المتوفى ١٠٦ هـ) ؛ بل كذلك الأعمش نفسه (المتوفى ١٤٨ هـ) . بيد أن شياطون ، ككثير من الصيغ المخالفة للقواعد ، التي وردت في القراءات الشاذة ، لم تلق قبولا عند النحاة ، بل عييت^(٤) من غالبيتهم وعدوها خطأ صريحاً . وليس كذلك أمر القراءة الثانية :

(١) ابن الأنباري : تزهة ص ٣٦٤ .

(٢) انظر الأنباري : الإنصاف ص ٥٧ س ٧ ، ص ٣١٠ س ١٠ ، ص ٣١١ س ١٦ ، ص ٣١٥ س ٩ ؛ وانظر المحتسب لابن جني في سورة الفاتحة ؛ وانظر المختصر لابن خالويه ، (Bibl. Jsl. VII) .

(٣) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ .

(٤) ابن جني : المحتسب في سورة الشعراء ، ابن خالويه : المختصر ص ١٠٨ ، الكشف :

ص ١٠١١ ، تاج العروس ج ٥ ص ١٧٢ .

صادى ، التى تدين فى نشأتها إلى نظر تفسيرى محض ، حيث فهمت على أنها أمر من مصدر المادة الثلاثية : ص دى ، ومن هنا لا تتعارض فى صيغتها مع قواعد^(١) النحو . وقد كان يمكن الوقوع أن يحيط غير عربى بمعرفة العربية معرفة راسخة ، بيد أن خصائصه فى التعبير تمّ على أنه أجنبي . وهكذا نمت لهجة الفقيه السورى الكبير : مكحول (المتوفى ١١٧ هـ) ، على أن نسبه يمتّ إلى أحد الأسرى من « كابل » ؛ فقد كان يستعيز^(٢) من الحاء بالهاء ، ومن القاف بالكاف ، كما أعرب المحدث الثقة الكبير : نافع (المتوفى ١١٧ هـ) ، أستاذ « مالك » — يضع البخارى سلسلة : مالك عن نافع عن ابن عمر فوق كل إسناد — عن أصله الديلمى^(٣) ، بسبب تعبيره .

بل حتى فى أكثر النواحى اختصاصاً أصيلاً بالعرب ، وهو فنّ الشعر ، كان على العرب أيضاً أن يرضوا بمنافسة الأجانب . وقديماً ، فى النصف الثانى من القرن الأول ، نال رجل غير عربى : زياد الأعجم (المتوفى ١٠٠ هـ) من حيث هو شاعر فى سدة المهلب بن أبى صفرة (المتوفى ٨٢ هـ) فى خراسان ، مجداً وعلواً كبيراً . لقد كان فارسى الأصل ؛ ويرجع لقبه : « الأعجم » إلى لكنته الفارسية ، وضعفه فى مخارج الحروف . وبصفه أحد خصومه ، وهو المغيرة بن حبناء ، بأنه « عالج أعجم » ، وأنه أعجمى اللسان وأنه « ابن زروان »^(٤) ، والأقوال التى رويت على لسانه^(٥) تدل على أنه كان يستعيز من العين بالهمز ، ومن الحاء بالهاء ، ومن حروف الإطباق بحروف أخف منها ، مقارنة لها . وهذه الظواهر فى نطق العربية من السمات الخاصة بالألسنة الفارسية ، مما يحملنا على الركون إلى هذه الروايات الواردة

(١) ابن جنى : المحتسب فى سورة ص ؛ ابن خالويه : مختصر ص ١٢٩ .

(٢) ابن قتيبة : معارف ص ٢٣٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ٥٨٥ ؛ الذهبى :

تذكرة ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) الذهبى : تذكرة ج ١ ص ٩٤ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١٠ ص ٤١٤ .

(٤) أغانى ج ١١ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) أغانى ج ١٤ ص ١٠٣ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ٣٢ ؛ المبرد : كامل ص ٣٦٦ .

في هذه النقطة على الأقل وإن كانت أهم هذه الروايات ^(١) قد حكيت ^(٢) أيضاً عن زياد ، أخى حسان بن أبى حسان النبطي ^(٣) الذى اشتهر بأعمال السقى والرى في العراق على عهد الوليد وهشام . ولكيلا يتأثر حسن الجرس في أبيات زياد الأعجم بسوء تعبيره ، أهدى إليه المهلب غلاما يجيد ^(٤) الإلقاء . وما كان ليفعل ذلك لو لم تكن أبيات الشاعر سليمة من حيث النحو والقواعد . وفي الحق إن تركة ^(٥) زياد الشعرية لتدل على أنه كان متمكنا من العربية تمكنا كاملا ؛ ومرثيته للمغيرة ابن المهلب (المتوفى ٨٢ هـ ^(٦)) من أشهر المراثي في الشعر العربي ^(٧) . نعم لقد أخطأ في قوله (في مكان آخر) :

إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا رائج
إذ كان يجب أن يقول : كمن ليس غاديا ولا رائجا . بيد أنه من قبيل التعميم ، الذى لا وجه له من الحق ، أن يقول فيه ابن قتيبة ^(٨) بسبب ذلك : إنه كان كثير اللحن . بل ربما كان أبو الفرج الأصبهاني مصيبا حين يصف ^(٩) عبارته اللغوية بالسلامة من الخطأ : « فصيح الألفاظ » .

وقد وجد مثال زياد الأعجم تكرارا ، بعده بنصف قرن ، في شخص أبى عطاء السندی ، الذى يأخذ مجرى حياته مهيمًا مطابقًا لمجرى حياة الشاعر القديم بصورة لافتة الأنظار . لقد كان أبو أبى عطاء ^(١٠) عبدا من السند ، لا يكاد ينطق العربية .

(١) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢ ، وانظر عبد القادر : خزانة الأدب ج ٤ ص ١٩٣

(٢) الجاحظ بيان ج ٢ ص ٣ ؛ المحاسن والأضداد (القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ٧

(٣) انظر في هذا Wellhausen, das arab. Reich' s:157

(٤) الأغاني ج ١٤ ص ١٠٢

(٥) حفظ الأغاني كثيراً من شعره ، كما توجد طائفة من أشعاره في كتب التراجم والتاريخ والأدب .

(٦) القالي ج ٣ ص ٨ — ١١ ؛ وشرح البكري في الموضع نفسه ؛ ويضاف إلى المصادر

المذكورة فيه ، ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ٢٢٢

(٧) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢

(٨) الشعر والشعراء ص ٢٥٩ Syntax s. 97, Reckendorf وقد أخذ سهواً بحكم

ابن قتيبة دون تعميم .

(٩) أغاني ج ١٤ ص ١٠٢ .

(١٠) أغاني ج ١٦ ص ٨١ — ٨٧

بوعنه أخذ ابنه ، الذى نشأ بالكوفة ، تعبيره السقيم ، كما يفعله كثير من الهنود إلى هذا اليوم . كان يبدل الحاء هاء ، والجيم زاياء ، والشين سيناً^(١) ؛ لكنه كان ذا ملكة فى الشعر لا يستهان بها ؛ حيث حصل وشيكاً بمدائحهم ، إعجاب معاصريه . وكان أشهر من احتضنه وشده من أزره والى خراسان لبنى أمية : نصر بن سيار (حكم ١٢٠ - ١٣١ هـ) ، الذى كان هو أيضاً على عرق فى الشعر ، وكان يقيم للشعر وزناً ومقاماً . ولما كانت لهجة « السندى » لا تسمح له أن يلقى الشعر ، فقد استوهب أحد ممدوحيه ، وهو سليمان بن سليم بن كيسان الكلبي^(٢) ، عبدا حبشيا للإلقاء . وقد بقى لنا الشعر^(٣) الذى استوهب سليمان به هذا العبد :

أعوزتنى الرواة يا بن سليم	وأبى أن يقيم شعري لسانى
وغلى بالذى أجمع صدرى	وشكاني لمجمتى شيطاني ^(٤)
وازدرتني العيون إذ كان لوني	حالكاً مجتوى من الألوان ^(٥)
فصربت الأمور ظهراً لبطن	كيف أحتال حيلة للسانى
وتمنيت أنى كنت بالشعر	رفصيحاً ، وبان بعض بنانى ^(٦)
ثم أصبحت قد أنخت ركابى	عند رحب الفناء والأعطان
فأكفى ما يضيق عنه رواتى	بفصيح من صالحى الغلمان
يُفهم الناس ما أقول من الشعر	سر فإن البيان قد أعيانى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٨٢ ؛ الأغاني ج ١٦ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ؛ التبريزى شرح الحماسة ص ٢٦ ؛ عبد القادر : خزائن ج ٤ ص ١٧٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ٥٨٥ .
(٢) كان على رأس القوات السورية فى العراق التى رابطت فى الحيرة تحت ولاية يوسف بن عمر (١٢٠ - ١٢٦ هـ) واشتركت فى قتال زيد بن علي (انظر الطبرى ج ٢ ص ١٧٠٨) .
(٣) أغاني ج ١٦ ص ٨٢ .

(٤) ويروى : وجفاني لمجمتى سلطانى . والظاهر أنه تحريف : انظر : Gold ziher
Abhandl. Z. arab. Philologie 1, 13.

(٥) روى : وعدتني العيون .
(٦) يؤثر المؤلف : وبان بعض يانى ، ولا داعى إليه . وربما كان فى البيت قبله : كيف أحتال حيلة ليانى ، تفادياً للإطراء مع البيت الأول .

فاعتمدني بالشكر يا بن سليم في بلادى وسائر البلدان .
ستوافيهم قصائد غزّ فيك سبّاقة بكل لسان
فقدماً جعلت شكرى جزاء كل^(١) ذى نعمة بما أولانى
لم تزل تشتري المحامد قدما بالرييح الفالى من الأمان
على أن الأمر لم يكن مقتصرًا على الفرس والهند فحسب ، بل لقد كان ، حتى
بين المحقرين من الزنوج — حوالى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى —
رجال تمكنوا من ناصية العربية تمكنًا تامًا ، بحيث سجلوا لأنفسهم ذكرا ومكانة
في الشعر . فحينما حفر جرير^(٢) — عرضا من شأن الزنج ، في قصيدة ، تهكم فيها
بالأخطل ، انبرى زنجى للرد عليه بقصيدة تغنى فيها بمدح بنى جلدته ، وعدّ أبطالهم
وشعرائهم . وقد أثارت قصيدته إذ ذاك دهشة عظيمة ، وإن طُرحت بعد ذلك
في زوايا النسيان ، فلم يصلنا منها إلا بضعة أبيات^(٣) . وحتى اسم صاحبها لم يرد
في صورة ثابتة ؛ فعلى قول المبرد^(٤) ، يسمى : رياح بن سُنَيْح ، ويقول آخرون .
إن اسمه — على عكس ذلك — : سُنَيْح بن رياح ، (أو صُبَيْح بن رِبَاح^(٥)) ؛
ويذكر المبرد أنه : فصيح ؛ كما أن أبياته الباقية تدل على أنه كان يفهم كيف يتعاطى
فن الشعر العربى ولغته ، ويحسن أساليبه . ولكي يحقر جريرا ، مدح في قصيدته
خصمه بكلمات المدح التالية :

إن الفرزدق صخرة عادية طالت ، فليس تنالها الأوعالا^(٦)

- (١) انتصب لفظ : كل ، على أنه مفعول للمصدر وهو : جزاء .
(٢) نقائض جرير والأخطل ؛ نشرها الصلحاني : بيروت ١٩٢٢
(٣) ذكر الجاحظ ١٤ بيتاً منها في رسالة تفضيل السودان على البيضان (ثلاث رسائل للجاحظ .
طبع فان فلوتن) . وانظر أمالى ابن الشجرى ج ١ ص ١٩٤ طبع كرنسكو ، ونقائض جرير .
والأخطل السالف الذكر .
(٤) كامل ص ٤١٥ ، ويوجد في بعض النسخ كما في بعض النسخ الخطية رباح بن صبيح .
(٥) كذا في الجاحظ في الموضع السالف الذكر . وقرأه فان فلوتن : شيخ بن رباح ، وهى .
قراءة رديئة . وقرأه الصلحاني في النقائض : سنيح بن رياح ، وذكر في التعليق بعض الاختلافات .
وقرأه كرنسكو — غلطاً — سفيح بن رباح .
(٦) مرقضى : أمالى ج ٤ ص ١٣٠ ؛ شتمرى على سيبويه ج ٢ ص ٣٥٦ ؛ ابن رشيق :
عمدة ج ١ ص ١٧٤ ؛ تاج العروس ج ٧ ص ٤٢٣

وهذا هو البيت الفرد الذى يكثر سوقه من أبيات القصيدة ، وإن كان دون
تسمية قائله . وهو يشتمل على تأليف للكلام لافت للنظر ، بل معيب عند بعض
النقاد . وكان التأليف الطبيعى يقتضى : طالت الأوزاع فلئیس تنالها . بيد أن من
شعراء البادية من سمح لنفسه بحرية أجراً من هذه ، فلا يجوز لأحد أن يرجع هذه
الظاهرة إلى أصل الشاعر غير العربى . وقد اشتهر برداءة التأليف مثلاً — بيت
الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل ، خال الخليفة
هشام بن عبد الملك لأمه :

وما مثله فى الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه^(١)
كذلك يبدو فساد التأليف فى بيت الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها
الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(٢)
وقصائد الفرزدق بوجه خاص ، تقدم سلسلة من الأبيات كثيراً ما سببت^(٣)
تسارحها عناء كثيراً ، لما يرد فيها من التداخل عن صنعة واختيار .
بل لقد ظهر كذلك فى أواخر القرن الأول فتور فى الإحساس اللغوى القديم
عند الشعراء من أصل عربى . حقاً لقد كان الطراز الرفيع من الشعر يجرى على السنن
المرسوم ، والنظام المتبع ، ليس فقط من حيث الموضوع واختيار المقام والمقال ، بل
كذلك فى ظواهره من حيث القوالب والصيغ ، ومادة الألفاظ ، ومناهج الأساليب .
بيد أنه على الرغم من ذلك ، كان فى الأول ، يصدر عن طبع صادق ، ونبع أصيل ،
أما فى ذلك العهد فقد انتشرت الصنعة والتقليد عند المولدين أيما انتشار .

وها هو ذا ديوان الشاعر : « الطرِّمَّاح » ، حافل بالعبارات المتقاة ، والألفاظ
المبهمه . لقد نشأ فى سواد الكوفة ، ويقال عنه : إنه كان يكتب ألقاظ النبط ،

(١) سقط البيت فى الديوان . وقد أضافه الصاوى فى ص ١٠٨ نقلاً عن الأخبار والروايات
(٢) عبنى ج ١ ص ٥٥٥ الخ ؛ وفى الديوان ٣١٢ وردت الرواية : أبوها وهى أخف تعقيداً
(٣) يحتوى الأغاني ج ١٩ ص ١٥ فما بعدها على أمثلة كثيرة من ذلك .

فيربها ، ويدخلها في شعره^(١) . ويعتد الأصمعي — وحكمه راجح الوزن — الطرمّاح والكميت من الشعراء المولدين الذين لا يحتاج باستعمالهم اللغوى ؛ ويزعم أنهما استعمالاً عبارات أغارا عليها من أقوال غيرها ، دون أن يفهماها فهماً صحيحاً^(٢) . وهو يقصد « من أقوال غيرها » رؤية الراجز ، الذى حكى أنه ، وهو فى فارس عند ممدوحه أبان . ابن الوليد البجلي^(٣) ، سأله الطرمّاح والكميت عن شيء من الغريب ؛ فلما كان بعدُ رآه فى شعرها^(٤) . ولقد كان رؤية فى مثل هذه البيانات — بطبيعة الحال — أبا عذرتها ، الذى يسمو فى فهم أسرار اللغة ودقائقها على المستفسرين بكثير ؛ وحتى لو كانت أقواله مغالى فيها ، أو كاذبة كما شك^(٥) فيها بعضهم على غير أساس ؛ فإن حكم الأصمعي جدّ صحيح ، ويؤيده ديوان الشاعر كل التأيد ، كما ستبينه الأمثلة التالية التى يمكن زيادتها بسهولة : فإذا وصف الطرمّاح (ص ٩٠ س ٣) ثوراً وحشياً فى ليلة ممطرة ، تلقه سحابة مثقلة بالماء (سارية وطفاء) ، وهَيْفٌ مُبَرِّدٌ ، فإنه لا يكاد

(١) المرزبانى موشح ص ٢٠٨

(٢) الموضع السالف ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) كان أبان عاملاً لحالد بن عبد الله القسرى بين ١٠٥ و ١٢٠ هـ (أغاني ج ١٩ ص ٢٠) . وانظر فى سعيه لتخليص خالد من الحبس (طبرى ج ٢ ص ١٦٥١ — ١٦٥٤) ووقوعه هو فى الحبس (أغاني ج ١٥ ص ١٢٩) ، وكان مقصوداً من الشعراء يجرى لهم العطاء (انظر فهرست الأغاني) . وقد قال فيه رؤية القصائد رقم ١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ فى ديوانه ، (انظر مقدمة آلورد فى الديوان المذكور) Sammlungen alter arabischer Dichter III S. XLVII ولا يلتبس بأبان بن الوليد المشهور بانتصاره على البيزنطيين سنة ٧٥ هـ ، فهذا ابن الوليد بن عقبة الذى ولى الكوفة (٢٦ — ٣٠ هـ) انظر : ١١٥ — ١١٧ wellhawsen Skizzeu VI S. (٤) المرزبانى : موشح ص ٢٩٢ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٧٢ ؛ الأغاني ج ١٠

ص ١٥٦

(٥) انظر : (krenkow the poems of tufail and Trimmah (GMSXXV))

S. XXVj EI, IV 860

وقد حدد كرنكو ميلاد رؤية فى دائرة المعارف الإسلامية بسنة ٦٥ هـ . على ذلك فلا يمكن أن يكون فى عهد انحلال الدولة العربية شاباً فتياً a very young man ، بل أصغر قليلاً من الكميت (المولود سنة ٦٠ هـ) الذى لم يكن يتجاوز بعد قلة إنتاجه الأدبى . كذلك لم يتم بين رؤية والطرمّاح قارق بعيد من جهة السن . ولا علاقة بين مرتبة رؤية فى الشعر وعلو مكانته فى شئون اللغة ، فهو هنا من حيث هو بدوى أصيل نسيج وحده .

يفهم من اللفظين الأخيرين إلاريح باردة . ولكن لفظ هَيْفٌ ، معناه ريح الجنوب^(١) اللاحقة الحرارة . ورواية : هَيْفٌ ، المذكورة عند المرزوقي^(٢) وحده . وهو يعلق على ذلك بأن الشاعر قد خالف طريقة استعمال غالب البدو . وفي الديوان : هَيْفٌ مُبْرِدٌ . وربما جازلنا أن نرى في هذه الرواية تغييراً مقصوداً للفظ الأصلي ؛ على أنها كذلك لا تدل على معنى مقنع ؛ إذ أن لفظ : هَيْفٌ ، ومعناه فارغ ، يدل على : سحابة خالية من المطر ، وهذا المعنى لا يتناسب أيضاً — مثل ريح الجنوب — مع سياق الكلام . وإذا كان التعاليق يفسره (لفظ : هَيْفٌ) بالريح الباردة ، فهو — فيما يظهر — مصيب .

ونسوق — مثالا ثانياً — البيت التالى (ص ١٩٠ بيت ١٢) من قصيدة يمدح بها يزيد بن المهلب (المتوفى ١٠٢ هـ) :

لَأَمْ تَحْنُ بِهْ مَزَا مِيرَ الْأَجَانِبِ وَالْأَشَامِلِ

وهنا صاغ الشاعر لفظ : شَمْلٌ ، وهى صيغة ثانية إلى جانب شَمَالٌ ، أو صاغ — بعبارة أخرى — لجمع شَمْلٌ ، وهو : أَشْمَلٌ ، جمعاً جديداً على أَشَامِلٍ ، وجعله مجارياً للفظ : أَجَانِبٌ ، بحيث نشأ من ذلك ازدواج لفظى غريب . وقد عمد إلى ما هو أعنف من ذلك فى بيت آخر (ص ١٠٠ بيت ٢١) اختصر فيه لفظ : تلاميذ إلى : تلام ، بسبب القافية . نعم قد ترد مثل هذه التغيرات اللفظية المتعمدة عند شعراء آخرين أيضاً ، بيد أنها تعدّ — بحق — عند النقاد الفنين العرب من قبيل الخطأ^(٣) . ولمثل هذه الظواهر كان من المرغوب عنه تماماً اعتماد أشعر الطرماح فى قاموس اللغة العربية ، على الأخص بالنظر إلى المفردات التى ينفرد باستعمالها . ولفظ كِرَاضٍ الوارد فى القصيدة رقم ٢ (ص ٨٠ بيت ١٠) — أيد المبرد^(٤) مطابقتها لمعنى تعبير

(١) انظر ديوان ذى الرمة ج ١ ص ٤٤ ؛ (والفواميس العربية : اللسان ؛ التاج ؛ الأساس ؛ Dozys supplément ; J.J. hess , Islamica 2, 587

(٢) كتاب الأزمنة والأمكنة (حيدر آباد ١٣٢٢ هـ) ج ٢ ص ٧٨

(٣) انظر مثلاً قدامة : نقد الشعر ص ٨٦ فما بعدها .

(٤) كامل ص ٩٥

يوناني — فسر^(١) بعضهم ، مراعاة للسياق ، بالرحم ، أو ما يلفظ الرحم من ماء ، أو ماء الفحل . فأى هذه المعاني ينطبق هنا ؟ وهل هو لفظ في لهجة بعينها ، أو لفظ قديم بطل استعماله ، أو وضع جديد ، أو ناشئ عن سوء فهم ؟ هذا ما يعسر بياناه بالتحديد .

ويضع الأصمعي مع الطرماع — كما ذكرنا — الكميت بن زيد الشاعر (حوالي ٦٠ — ١٢٦ هـ) في مرتبة واحدة^(٢) . ولد الكميت بالكوفة ، وينسب إلى بني أسد . حقاً لا تدل شجرة نسبه الفاخرة^(٣) على خلوص نسبه العربية . ولما كانت دعوى^(٤) الأصمعي ، أنه جَرَمَقَانِيّ من الموصل ، لا تكاد تكون هواء أو مبنية على غير أساس ، فلا بد من فسح المجال لاحتمال أن أبا أمه كان من السكان الذين نزلوا بمنطقة الموصل وأقاموا فيها . وأياً ما كان ، فقد بقي بعيداً عن البداوة ، وضار من أهل المدن . نعم لا تزال تجرى أشعاره على السنن القديم تماماً ، كما أنها تحمل طابع التقليد المصطنع على جبينها . وهذا ينطبق — قبل كل شيء — على أوصافه التي لا لون لها ، والتي لا تقول شيئاً ، والتي قال فيها ذو الرّمة : ما يقدر إنسان أن يقول إنها صواب أو خطأ . وإذا كان الكميت لم يعارض هذه الحقيقة الثابتة ؛ بل لاحظ عليها موضحاً — مبيناً للفرق بينه وبين ناقده — أنه يصف شيئاً لم يره بعينه ، فإن محاولته الدفاع عن نفسه على هذا النحو تدل على أنه رفع^(٥) التقليد لذاته إلى مرتبة الحدق الفني . ومع هذا ، فإنه لم يتقيد بمثله ونماذجه تقيد العبودية ؛ فقد حُبّب إليه مثلاً أن يعطى النسيب تحولا سلبياً ، حينما يبرز في صورة التأكيد

(١) انظر : تاج العروس ج ٥ ص ٨٢

(٢) المرزباني : موشع ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) أغاني ج ١٥ ص ١١٣ ، وعلى ما ذكره هناك كانت جدناه من البدو .

(٤) الفالي : أمالي ج ١ ص ٩٦ ؛ انظر ابن دريد : الاشتقاق ص ٢٦٥ (طبع فستنلند) ،

وفي الجرامقة ، انظر الهمداني (BGAV) ص ٣٥ ؛ تاج العروس ج ٦ ص ٢٠٥ El,1,588 تحت لفظ : Badjarma .

(٥) أغاني ج ١٥ ص ١٢٥ ؛ مرزباني : موشع ص ١٩٥ .

أن قلبه ليس ملكاً للغواني ، ولا يطمح إلى حب النساء ، وأن طربه لا يرجع^(١) إلى شوق أو غرام . وهذا يتيح له الفرصة ، حتى في قصائد الرثاء التي يجب بالبداية أن تكون بمعزل عن التشبيب والغزل ، أن يتفنن في صوغ التعبيرات التقليدية المألوفة في النسيب ؛ وهذا خروج على الأساليب عابه^(٢) عليه — بحق — نقاد الفن من العرب . وفي مرة أخرى اختار الكميت للنسيب ، في قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن عنبسة ، قالب الاستفهام التوبيخى :

أبكاك بالعرف المنزل وما أنت والطلل المخول^(٣)
وما أنت ويك ورسم الديا ر وسنك قد قاربت تكل

كذلك كان لا يبالى أن يقتبس من القرآن — إلى جانب الأشعار القديمة — لأغراضه ، بحيث استطاع العالم الكوفي : ابن كناسة (١٢٣ — ٩ / ٢٠٧ هـ) ، الذى اشتغل كثيراً بأشعار الكميت ، أن يضع كتاباً^(٤) كاملاً فى مأخذه (سرقات الكميت من القرآن وغيره) . ولكنه هناك ، حيث لا يعتمد على مأخذ ، يبدو تعبيره فقيراً رثاً ، عارياً من كل جمال شعري . وكثير من شعره يبدو فى صورة نثر منظوم ، تبرز بين أثناء فقره وإفقاره ، التعبيرات الرفيعة من لغة الشعراء ، المقننة هنا وهناك ، كأنها رقاع جديدة فى ثوب بال ، تشده الأبصار ، وتدهش الأنظار . ويتسق مع هذا اتساقاً تاماً أن الكميت كان يعدّ أمية بن أبى الصلت أشعر الشعراء (أغاني ج ٤ ص ١٢٢) . فهذا التنقل بين السطحية المقفرة ، والصيغة المتخلة ، قد أسهم كثيراً فى طبع أسلوب الكميت القلق المضطرب بطابع عام غير مصرص .

(١) انظر — قبل كل شيء — الهاشميات .

(٢) ابن رشتيق : العدة (١٣٤٤ هـ) ج ٢ ص ١٢٢

(٣) انظر : Wüstenfeld, gen. Tabellen U24 .

(٤) أغاني ج ١٨ ص ١٩٣ ؛ خزانة الأدب ج ١ ص ٥٥٨ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٦٤٧ . وهذا مذهب آخر غير مذهب تحقير الأطلال ورسوم الديار الذى ظهر فى شعر المحدثين

(Goldziher, muh. studien I 32 Anm. 1)

(٥) انظر التهرست ص ١٠٥

وترجح في هذا الأسلوب كفة العنصر النثري بصورة حاسمة ، وحتى الحرية التي يتخذها الكميّ — عرضاً — في الأمور اللغوية ، هي أيضاً ذات ميسم نثري ؛ فهو يستعمل مثلاً للفظ : « ذو » الذي يقتصر وروده عادة على التركيب الإضافي ، جمع مذكر سالماً : « الذوين » بمعنى أشرف اليمن^(١) ؛ وهو يصوغ لفظ « عُشَّار » بمعنى لكلّ عشرة ، على الرغم من أن صيغة « فُعَال » تستعمل^(٢) عادة في ألقاظ التقسيم من واحد إلى أربعة فقط (أحاد ، ثناء ، ثلث ، رباع) ؛ وهو يستعمل اسم الموصول : « الذي » ، دون صلة ، بمعنى اسم الإشارة :

فَإِنْ أَدَعَ اللَّوَاتِي مِنْ أَنْاسٍ أَضَاعُوهُنَّ ، لَا أَدَعَ الدِّينَا^(٣)

ولم يأخذ الناقدون عليه استعماله للألفاظ المهجورة تماماً ، كما هو الحال عند الطرماح ، وإنما انصبّ النقد على تسامحه في تعاطي اللغة الدارجة . فمثلاً يُخَطِّئُهُ الأصمعي في البيت الذي قاله في هجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري :

أَبْرَقَ وَأَرْعَدَ يَا يَزِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرِ

لاستعماله صيغة الرباعي المهموز من : برق ورعد ، مع أن الاستعمال الفصيح لا يعرف إلا صيغة الثلاثي^(٤) : مجازاً في التهديد والوعيد . وأخيراً ، أساء الكميّ

(١) سيبويه ج ٢ ص ٣٩ (Derenbourg) ؛ خزنة الأدب ج ١ ص ٦٧ ؛ ٨٦ وغير ذلك

(٢) انظر الأغاني ج ١٣ ص ١٤٥ ؛ ابن قتيبة : أدب الكاتب (نشر Grünert) ص ٥٩١ وشرح البطليوسي عليه ص ٤٦٧ والجواب البقي ص ٢٩٣ ؛ الحريري : درة النواص ص ١٤٨ (نشر Thorbecke) .

(٣) خزنة الأدب ج ٢ ص ٥٦٠ ومثل هذا الاستعمال يوجد في العبارة المشهورة : بعد اللثيا والتي . انظر : الميداني (١٣٤٢ هـ) ج ١ ص ٨٢ .

(٤) شواهد الفعل الثلاثي في المعنى المجازي مستفيضة ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٤٠٠ ؛ ديوان المتنبي (Vollers VI 15) أما الفعل الرباعي بهذا المعنى فقد جاء في بيت للمهلهل عده الأصمعي مزوراً (أغاني ج ٤ ص ١٤٩ ؛ المبرد : كامل ص ٦٢٥ ، الرزباني : موشح ص ١٩٦) وكما في البيت المنسوب إلى عبد الله بن الحارث السهمي (ابن هشام ص ٢١٦ X ٢١٦) والذي روى أنه سمى : المبرق بسبه ؛ وفي بيت لازبيان (انظر ديوانه : آلورد VIII 4) ، ولعمديل ابن الفرخ العجلي معاصر الحجاج (الحجاسة ص ٢٤٨) . ونظراً لهذه الشواهد المختلفة يعد كل من أبي عبيدة وأبي عمرو (انظر : اصلاح المنطق ج ٢ ص ٥٨) وأبي زيد (انظر القالي : أمالي ج ١ ص ٩٦) صيغة الرباعي ، كصيغة الثلاثي فصيحة .

فهم بعض التعبيرات في لغة البدويين — عرضاً — لقلّة بضره بثونهم ؛ فهو مثلاً يقول : نار أبي حُباحب^(١) ، فأخطأ في فهم العبارة المشهورة : « نار الحُباحب^(٢) » ، وظن أن لفظ حُباحب ، الذي معناه : اللهب أو دويبة حمراء تشبه اللهب ، اسم رجل عري بخيل ؛ كما أخطأ في ذلك أيضاً من تابعه من اللغويين^(٣) .

على أنه ، حتى عند آخر من يحتج بشعره من الشعراء البدويين : ذى الرمة ، المتوفى ١١٧ هـ توجد هنا وهناك صيغة مولدة . حقاً لقد كانت علاقته بالشعر القديم ، إذ كان بدوياً ، تختلف اختلافاً تاماً عن علاقة الكميّ ؛ كما صانته خبرته ودرايته العميقة باللغة والطبيعة العربية من الوقوع في أخطاء صريحة . بيد أنه — على الرغم من ذلك — قد ظهر أثر العصر الجديد في لغته أيضاً ؛ فهو مثلاً يستعمل^(٤) في القصيدة ٨٧ بيت ٢٩ ، لفظ : زوجة ، بدلاً من اللفظ القديم : زوج ؛ وهي صيغة جديدة وردت عند الفرزدق من قبل ، ص ٦٠٥ س ٥ ؛ ولكنها مرفوضة من الأصمعي^(٥) ، رعاية لاستعمال القرآن اللغوي فيما يظهر . ويخطئ الأصمعي أيضاً استعمال ذى الرمة قصيدة رقم ١٧ بيت ١٠ ، ٢٢ بيت ١٣ ، لفظ : أدمانة ، بمعنى بيضاء اللون (ظبية) ، بحجة أن لفظ الجمع وهو : أدمان (جمع آدم) لا يصح أن يأخذ علامة تأنيث ، ولا يصح غير : أدماء^(٦) . وإذا كان علماء آخرون يشيرون إلى أن الوصف

(١) العيني : شرح الشواهد الكبرى ج ٤ ص ٣٦١ ؛ تاج المروس ج ١ ص ٢٠٠ ؛ خزائن الأدب ج ٣ ص ٢١٣ (نار أبي الحباحب)

(٢) النابغة : قصيدة ١ بيت ٢١ ؛ حاجز : أغاني ج ١٢ ص ٥٢ ؛ القطامي قصيدة ١٥ بيت ٤٠ ؛ أبوحية (رواه الجاحظ في الحيوان ج ٤ ص ١٥٥ ؛ الميداني : ج ١ ص ٢٣٢ ؛ الدميري (٣١٤٧ هـ) ج ١ ص ٣٣٤ ؛ ابن الجعفي : أمالي ج ٢ ص ٥٨ ؛ وانظر أيضاً : A. Fischer Der koran des abu l'Ala' al-ma'arri, Leipzig 1942 s. 58-63

(٣) انظر : Nöldeke Beiträge zur semitischen sprachwissenschaft 118,10

(٤) أخذت الشواهد المتفقة بنى الرمة من : The Diwan of Ghailan b. : uqbah known as Dhu'r-Rummah ed. by C.H.H. Macartny, Cambridge 1919.

(٥) المرزباني : موشح ص ١٨٠ ؛ تاج المروس ج ٢ ص ٥٤ .

(٦) ابن دريد : الاشتقاق ص ٤٤ (وأدمانة غلط) ؛ تاج المروس ج ٨ ص ١٨١

على فُعلان بالمعنى الإفرادى يصح أن يأخذ علامة التانيث (مثل : مُخصان^(١))
بمُخصانة بمعنى : أهيف وهيفاء) ، فلا ينطبق ذلك على ما نحن فيه ؛ لأن أدمان
— كما ذكر — ليس بمفرد . وحقيقة يبدو أن لفظ : أدمانة لم يرد في الشعر
بالقديم ؛ وهذا البيت الذي يساق كثيراً^(٢) :

إنسانة الحى أم أدمانة السمر بالتهى رقصها لحن من الوتر

والذي يسم^(٣) فيه أيضاً لفظ : إنسانة ، مؤنث إنسان ، على أنه متأخر ،
إنما قيل في القرن الخامس . وقائله رجل من زعماء بدو المنتفق اسمه : كامل ، كان
في خدمة الوزير السلجوقي : كندرى ، سنة ٤٥٠ هـ بالبصرة . وقد سمع منه القصيدة
التي يقول في مطلعها^(٤) هذا البيت ، الباخري ، حاجب كندرى . وكذلك ،
في دائرة التركيب النحوى ، تظهر في لغة ذى الرمة ، بين حين وآخر ، سمات من غير
الفصحى ، مثل حشوه : « إلا » الزائدة في البيت ١٧ من القصيدة ٢٤ :

حراجيج ما تنفك إلا مُناخنة على الخسف أو نرمى بها بلداً قفرا

ويظهر أنه قصد من ذلك إلى إبراز معنى الحصر في وضوح^(٥) . كما أن وضعه
لفظ : « لا » جواباً على ترديد السؤال ، بدلاً من « بل » في البيت ٣٠ من القصيدة ٨٧ ،
من الاستعمال المولّد^(٦) . وأياً ما كان الأمر فإن هذه الظواهر عنده من الندرة

(١) ورد هذا اللفظ في شعر ذى الرمة ، قصيدة ١ بيت ١٣ ؛ وأبى وجزة في تاج العروس

ج ١٠ ص ٢٦٩

(٢) انظر تخرّيج هذا البيت في فهارس الشواهد : Fischer u . Bräunlich
schawahid - Indices 102 p11

(٣) ورد لفظ : إنسانة لأول مرة في شعر المتنبي ؛ انظر تاج العروس ج ٤ ص ٩٩

(٤) انظر الباخري : دمية القصر (١٣٤٩ هـ) ص ٢٧ — ٢٩

(٥) المرزبانى : موشح ص ١٨٢ ؛ ١٨٤ وانظر في تخرّيج ذلك على مختلف الوجوه ، ابن

الأنبارى : الانصاف ص ٧١ فإبعدها ؛ خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٩ فإبعدها ؛ على أن عبارة :

ما ينفك إلا ، قد وردت عند بعض المدققين مثل الحريرى (انظر ياقوت : ١ إرشاد ج ٦ ص ١٧٢)

(٦) هكذا يقرر المؤلف عيلاً على المبرد : كامل ص ٢٦٠ ، بيد أن الأخلق أن يجعل اللحن

في السؤال بلفظ : أم ، التي يطلب بها تعيين أحد الأمرين مع الإيقان بحصول أحدهما . وظاهر

الكلام في البيت المشار إليه أن السؤال عن التصديق بأحد الأمرين أى أن السائلة تجهل حصول =

بحيث لا يمكن أن تفض من مكانة ذى الرمة ، من حيث إنه من الشعراء المحتج بهم .
وها هو ذا الأصمعي الذي عني^(١) كثيراً بهذا الشاعر ملقياً^(٢) نظره بصورة
خاصة على الظواهر المولدة ، ينتهي إلى تقرير أن ذا الرمة حجة في شئون اللغة ،
لأنه بدوى ؛ على الرغم من أن شعره ، ما عدا الدالية XVII ، لا يشبه شعر العرب^(٣) .
وهذه السمات المولدة ناشئة من إقامة ذى الرمة في أرض « السواد » الخصبية ،
أو كما يقول الأصمعي في عرض تصويري^(٤) : « إن ذا الرمة قد أكل البقل والملوح
في حوانيت البقالين حتى بَشِمَ » .

وبينما كان شعر « البلاط » والأحزاب السياسية في الدولة العربية يتصرف
في الحدود المتعارفة لأشعار البدويين ، ويجعل قدوته ومثاله فصحاء الجاهلية الأولين ،
يُبدى شعر الغزل ، الذي ازدهر بالحجاز في أوائل العصر الأموي ، صورة بعيدة عن
البداوة من الوجهة اللغوية أيضاً . ومثلوا هذا الشعر الغزلي كانوا في الأعم الأغلب من بيت
الملك ، أو من رجال آخرين من ذوى النسب الرفيع ، من الشبيبة الذهبية في الدولة :
jeunesse dorée ، التي لم تكن مشبعة بمطمح سياسي أيّاً كان ، بل تفضل أن
تقضى عيشها ، في وطن الأسرة القديم ، مستغرقة في جميع صنوف الملاذ ، التي كان
المجتمع الحجازي المرح الخالي من الهموم يبالغ^(٥) في عرضها وتقديمها . وأشعارهم السهلة
السائفة انبعثت عن تجارب الحب الخاصة ، والمغامرات التي تحدوها الرقة والظرف .

= واحد منهما ، فكان المقام للفظ : أو ، بدلا من : أم . وعلى هذا فالجواب بلفظ : لاصحح نظراً
إلى قصد السائل لا إلى لفظ السؤال ، لأن لا : مثل : بل ، يجاب بها في التصديق لا في التمين .
انظر رغبة الأمل ج ٤ ص ١٨٣

(١) كثيراً ما اعتمد صاحب الخزانة (انظر ج ١ ص ٢٨٤ الخ) على شرحه لديوان ذى الرمة .
(٢) ما يدخل في المولد استعماله لفظ : إيه ، فالأصمعي يرى وجوب تنوينه (انظر ياقوت :
إرشاد ج ٣ ص ١٤ ؛ خزانة ج ٤ ص ٢٣٨) ؛ كما اعترض الأصمعي على لفظ دوم بالمعنى المراد
في البيت ٩٥ من قصيدة ١ ، إذ أن دوم معناه الدوران في الهواء . انظر الديوان .
(٣) انظر الأصمعي : مغولة الشعراء (نشر C. Torry في مجلة الجمعية الشرقية :
ZDMG 65,503,17) ؛ المرزباني : موشح ص ١٧٠

(٤) المرزباني : موشح ص ١٨٠ ، انظر أيضاً السهيلي : الروض الأتف ج ١ ص ٢١٠

(٥) انظر Wellhausen Das arab, Reich, 101

وأعظمهم خطراً عمر^(١) بن أبي ربيعة (٦٤٤/٢٣ - ٧١٢/٩٣) الذي يمتاز تعبيره المصقول الطبيعي ، المتأثر تأثراً خفيفاً بلغة الحوار في أرقى المجتمعات العربية ، امتيازاً واضحاً - من حيث مادته اللغوية قبل كل شيء - عن عريية البداوة ، الشديدة الأسر ، المنعممة بالقوة .

ويبدو أن نفس دوائر المجتمع الحجازي هذه ، هي التي ظهر فيها لون فني آخر من شعر الغرام في أوائل العصر الإسلامي . تلك القصص الغرامية العاطفية التي لعبت دورها بين البدو في السهول والهضاب ، مثل قصة ليلى والمجنون وغيرها من أزواج القصص والروايات . ولم يكن مجهولاً لدى بعض^(٢) علماء اللغة من العرب أن هذا « المجنون » شخصية غير تاريخية . ونحن مدينون لابن الكلبي بهذا الخبر ، من أن شاباً أموياً وقع في عشق ابنة عم له ، فاختر قصة ليلى والمجنون لتكون إطاراً لشعره في التشبيب ؛ ولكيلا يشيع اسم حبيبته بين الناس . وكذلك تلك القصص المؤثرة ، عن بني عذرة^(٣) ، الذين يموتون إذا أحبوا^(٤) ، تعتبر من مبالغات شعر العاطفة عند البدو (Beduinenromantik) التي لعبت في المجتمع الإسلامي دوراً كبيراً .

هذا ، فتشدد الطبقة العليا من العرب في المحافظة على العربية ، التي كانت معرضة دائماً ، من حيث هي لغة البداوة ، لخطر الفساد والانحلال في المدن بما تحتوي عليه من سكان أخلاط ؛ وظهر « حركة التنقية اللغوية » ، التي كانت تلح باطراد في تطهير اللغة وتخليصها ؛ وطموح المسلمين الجدد البعيدى الهمة إلى امتلاك ناصية العربية بجميع دقائقها وأسرارها ، كل ذلك قد أوجد الدافع - في نهاية القرن الأول - إلى دراسة القواعد ، التي كانت تجعل نصب عينها في أغلب الظن

(١) انظر Kratschkowsky, El III 1057 f

(٢) أغاني ج ٢ ص ٢ (طبع دار الكتب) .

(٣) انظر Levi Della Vida, El IV 1071 f

(٤) المجنى ص ٦ (نشر : Hell) .

— كما هي الغاية العملية — تحديد الاستعمال اللغوي الصحيح بصورة أساسية ، والتي لم تستطع الاعتماد — بسبب طابعها القياسي — من الأثر الشخصي ، والاشتغال بالتوافه ، كالمحاكات اللفظية وماشابهها . وقد يما روى عن ابن أبي إسحاق الحضرمي القاري (حوالي ٢٩ — ١١٧ هـ) أنه وجه^(١) إلى الفرزدق نقدا واهيا . وقد حملته حراسته للقرآن على الاشتغال بأمور اللغة . ويقال إنه توسع توسعا كبيرا في استعمال القياس اللغوي ، كما أنه كان يلاحظ اللهجات الخاصة^(٢) ، وكان — فوق ذلك — مولعا ، لكونه من الموالي ، بالعثور على شيء في لغة البدويين يتناوله بالنقد والتصحيح . ولما وقع الفرزدق في « الإقواء » الذي لم تسلم منه أحيانا لغة الجاهليين أنفسهم^(٣) ، حيث ضم القافية بدلا من كسرها في البيت :

على عمائنا تلقى وأرحلنا على زواحف تزجي عُجَّارِيرُ

أي ذائب ، تعامى ابن أبي إسحاق — عمداً — عن هذا الإقواء ، ورواه كما لو أن الفرزدق قال : رِيرٍ بالكسر ، وأنه خالف بذلك قواعد العربية . ولهذا غير الفرزدق قافية البيت إلى : على زواحف تزجيها محاسير^(٤) . وقد روى البيت على هذه الصورة السليمة من العيب ؛ في الديوان^(٥) . وقد ثار الفرزدق لنفسه من ناقدته بالبيت المشهور :

فلو كان عبد الله مولى هجوتة ولكن عبد الله مولى مواليا

(١) الجحى : طبقات ص ٦

(٢) تجد أمثلة لذلك في الجحى : طبقات ص ٦ ؛ فهرست ص ٦٢ ؛ ابن جني : المحاسب في

سورة البقرة آية ٣٥

(٣) انظر ديوان الذابفة ، قصيدة ٧ ؛ وانظر الأغاني ج ٩ ص ١٦٤ ، وديوان امرئ القيس (طبع السندوبى) ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ص ١٤٦ ص ٧ وديوان الفرزدق (طبع الصاوى) ص ١٧٢ ص ٧ ؛ ص ١٨٢ ص ٧ ، ٤ ص ١٨٤ ص ٣ ص ١٩٣ ص ٦ الخ .

(٤) الجحى : طبقات ص ٧ ؛ وفي الرواية المساوقة عند المرزبانى : الموشح ص ١٠٠ وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٥ أن ابن أبي إسحاق أخذ على الفرزدق الإقواء غيب ، وفي رواية أخرى أن الذي غاب الإقواء على الفرزدق هو عنبسة بن مدان ، انظر المرزبانى في الموضع المذكور .

(٥) طبع الصاوى (القاهرة ١٣٥٤ هـ) ص ٢٦٣

يبد أنه سرعان ما أرشد^(١) الفرزدق إلى أن الصواب يتعين أن يكون مولى موال . وكذلك لم تقف شهوة التمهيص عند ابن أبي اسحاق أمام الشعراء أو الأولين .
فقد رأى في بيت النابغة (آلورد xvii ، ١١) :

فبت كآنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السمّ نافع
أنه يجب أن يكون فى غير الضرورة^(٢) : ناقماً . وعلى عكس ذلك بلغت
سخرية خصومه منه أن أخذوا عليه أنه ، مع كل نقده لتحقيق الصواب ، لم تكن
لغته على ما ينبغى^(٣) .

وقد أخذت مثل هذه الاعتراضات تفقد ، فى أثناء ذلك باطراد ، طابع النظرية
الاختيارية ، والرأى العارض ، كلما تقدمت العناية باللغة ، فصارت طريقة خاصة
للنظر فى القواعد . وقد فسح القارىء اللغوى ، المشهور أيضاً ، أبو عمرو بن العلاء
(حوالى ٧٠ — ١٥٤ هـ) ، مجالاً فى نقده للنظر فى القواعد ، ولم يتورع حتى عن
تصحیح متن القرآن ؛ فقد غيّر فى^(٤) آية ٦٣ من سورة طه : **إِنْ (أَوْ إِنْ)** .
هذان ، إلى : **إِنْ هَذَيْنِ**^(٥) ورتب ترتيباً نحوياً سليماً^(٦) فى تغييره آية ١٠ من سورة
المنافقين : **وَأَكُنْ** ، بالجزم ، إلى : **وَأَكُونُ** بالفتح ، بل حتى الظاهرة الصوتية
المحضة ، كالانتقال من الواو المضمومة إلى الهمزة المضمومة ، لم يرد أن يعتدّها ،
فقرأ : **وُقُتَّتْ** ، بدلاً من : **أُقُتَّتْ**^(٧) . وإذا كان يجترئ على مثل هذا التغيير

(١) الجحى : طبقات ص ٧ ؛ سيبويه ج ٢ ص ٥٣ ، ويوجد مثل ذلك فى شعر عنتره ص ٢٦
(نشر آلورد) وفى بيت ٣٧ من مرثية مالك بن الرّيب (القالى : ذيل الآلى ص ١٣٧) وغير ذلك .
(٢) انظر سيبويه ج ٢ ص ٢٢٣ والمواضع التى ذكرها فبصر فى فهارس الكواهد ص ١٤٠
(٣) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٧١ ؛ ابن الجزرى : غاية النهاية ج ١ ص ٤١٠ .
(٤) لم يغير أبو عمرو ، وإنما هى قراءة رواها عن الثقات وكذلك فيما نسب إليه بعد ؛ وإذا
كان قد روى عن بعض القراء تخطئته ، فلتعارض الروايات وترجيح بعض القراء لبعضها دون
الآخر . وانظر كتب القراءات والتفسير فى ذلك .

(٥) عالج ابن يعيش هذا الموضوع بتفصيل فى شرح المفصل ص ٤٤٧

(٦) انظر : Fleischer, Beiträge Zur arab. sprachkunde VII 82

(٧) الدانى : المقنع ص ١٢٢ ، وفيه أيضاً بعض ما اختص به أبو عمرو من القراءات ، على أنه
لم يسلم من الاعتراض ، وقد لحن المبرد قراءتين له (نزهة الألباء ص ٣٦٤) ، إحداها : عاد الولى .

في صلب الكتاب الكريم ، فهو أجدر ألا يتراجع نقده بالضرورة ، إزاء نصوص الشعر ؛ فقد أخذ على الشاعر : ابن قيس الرقيات (حوالى ٨٥ هـ) أنه ألحق بضمير المفرد المتكلم الهاء فصار : يه ، بدلا من : ي (في قصيدته رقم ٤٠ Rohd.) للقافية على الرغم من ورود ذلك في القرآن^(١) أيضا . كما أن تلميذا لأبي عمرو ، هو يونس بن حبيب الفارسي (حوالى ٩٠ — ١٨٢ هـ) ، اعترض على هذا الشاعر أيضا بأنه استعمل لفظ : يالْفَانِ ، وهو لهجة خاصة في : يَوْلَانِ ، مع أن الجائز هو الثانى فقط^(٢) . وقد أدى هذا الاعتراض إلى تغيير النص إلى : يَوْلَانِ وَيَوْلَانِ ، على المعلوم والمجهول ، وأبعد بذلك كل اعتراض . ورواية المجهول للتخفيف غلبت على الرواية الأصلية في نسخ الديوان المتناقلة ، وسادت هذه الرواية في القرن الثالث حتى إن ثعلباً (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) ساق البيت على هذا التغيير ، شاهداً على : يَوْلَغ مبنياً للمجهول بمعنى : أولغه صاحبه ، أى حمله على أن يبلغ^(٣) ، وإن لم يسم الشاعر . وهذا المثال يبين مدى ذلك الدور الذى كان يعبه تصحيح النحاة في تاريخ رواية الأشعار العربية القديمة ، وإن كان في أحوال أخرى — وهى أغلب الأحوال — لم يكتب للنقد شيء من الانتصار . كما أخذ على « كثير » أنه استعمل^(٤) في بيت^(٥) : بدلا من : ترام بالهمز ، وهى الصيغة الفصيحة : تَرَم ، بالتسهيل ، وهى لهجة الحجاز ؛ بيد أن الصيغة المنتقدة هى التى غلبت ، لتحصنها بالقافية .

==بالادغام بدلا من : عادا الأولى ؛ والأخرى : يؤده (آية ٧٥ من سورة آل عمران) بنسكين الهاء (انظر الداني : تيسير في الآية المذكورة) . ولا وجه للبرد في التخطئة ، لما ذكرنا من صحة الرواية عند أبي عمرو ، والبرد إنما يحكم قواعد النحو التى صحت عنده . ولا شك أن العربية أوسع من نحو البرد .

(١) انظر : Rhodokanakis في مقدمته للديوان ، ص ٦١ ؛ المرزبانى : موشح ص ١٨٧ ؛

نولده : تاريخ القرآن ج ٣ ص ١٩٩

(٢) الأغاني ج ٥ ص ٨٧

(٣) نصيب ثعلب ص ٣ وملاحظات Barth عليه .

(٤) المرزبانى : موشح ص ١٤٦

(٥) انظر الديوان (نصر : Pérès)

عربية الدولة ، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

٧٨٦/١٧٠ - ٧٥٠/١٣٢

لم تهو العربية في هوة السقوط الذي حاق بالدولة العربية ، على الرغم من أن جزيرة العرب وسورية بالذات ، أى الإقليمين الوحيدين اللذين لم يكن اللسان العربي فيهما قلة تجاه السنة أصيلة الديار ، هما اللتان أصابهما هذا الانقلاب السياسى بشدة وطأته في الصميم . ولماذا لم تنزل عن المسرح ، مع طبقة السادة العرب الذين كانوا ، حتى ذلك الوقت ، لا يزالون ممسكين بزمام القيادة والتوجيه ، اغتتهم كذلك ؟ ربما كان سبب ذلك هو أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم ، أياً كانت لغته الأصلية ، جزءاً لا ينفصل من حقيقة الإسلام ، حتى إن الفرس الذين باشروا الحكم إذ ذاك ، لم يكونوا يستطيعون التفكير في رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة . بل حتى في فارس ، كان يجب أن يمضى قرن بعد لتحتفل اللغة الحديثة للأدب الفارسي ببعث حياتها . وقد انضم إلى هذا أن الأسرة الجديدة أخذت تبرز الطابع الدينى لسلطانها بوجه خاص ، وصارت تعلن أنها ورثة السلطان الإلهى الذى أسسه محمد [صلى الله عليه وسلم] . بيد أنه كان من العوامل الحاسمة أن الطبقات المتميزة في المجتمع الإسلامى الأوسط ، إنما أحرزت رقيها الاجتماعى منذ أجيال بمجاراتها للطبقة السائدة العليا من الوجهة اللغوية ، إذ أخذت عنها مثلها الأعلى في الثقافة العربية لا لغاية قصيرة الأمد ، بل تمسكت بها أيضاً ، بعد أن حقق لها سقوط الدولة الأموية المساواة الكاملة للعنصر العربى . بل حتى الشعوبيون الذين ادعوا تفوق الشعوب غير العربية ، لم يستطيعوا أن ينقصوا شيئاً من مكانة العربية وقيامها مثلاً أعلى . وهكذا شهد العصر العباسى الأول ، في مدارس النخبة بالبصرة والكوفة ، الباكورة الأولى للعلم العربى ، كما رأى في نحو الفارمى « سيبويه » (المتوفى حوالى ١٨٠ / ٧٩٦) أول وضع شامل لقواعد العربية ، لم تغير الأجيال المتأخرة شيئاً من أسسه

وقواعده ، وإن وسعته توسيعاً مختلف النواحي ، أو غيرت من صورته وقوابله .
وكتاب سيبويه يرينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند
عرب البادية دون استثناء . فهو يرجع دائماً في شئون الاستعمال اللغوي إلى « العرب »
ولا يحيد في ذلك عن ترجيح كفة اللسان الحجازي^(١) ، بأنه « الأول والأقدم » ،
وغالباً يكتفي في ذلك بعبارات عامة ، مثل : « العرب الذين ترضى عربيتهم »^(٢)
أو : « العرب الموثوق بعربيتهم »^(٣) أو : « عربي أثق بعربيته »^(٤) وهي عبارة
حملها بعض المتأخرين غلطاً على أبي زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥ هـ)^(٥) ،
أو ببساطة : « العرب الموثوق بهم »^(٦) ؛ أو أخيراً : « فصحاء العرب »^(٧) . كذلك
لا يسوق في شواهد شاعراً محدثاً قط ، على الرغم من أنه لم يكن يقيس — بحال —
لغة الشعراء بمقياس أصحاب « حركة التنقية » المترددين المتخوفين ؛ فهو يستشهد
بعدي بن زيد وأبي داود ، اللذين لم يرو عرب البادية أشعارها ، بشهادة الأصمعي ،
لأنحراف لهجتها عن لغة نجد^(٨) . وهو يستشهد — على النقيض من أكثر علماء
اللغة^(٩) — بأمية بن أبي الصلت وغيره من بني حنيفة ، وهو يعتمد — خلافاً
للأصمعي^(١٠) — الكميت والطرماح في الاحتجاج بشعرهما . وهو يستشهد بزياد

(١) سيبويه (١٣١٦ هـ) ج ٢ ص ٤١ ، وانظر ج ٢ ص ٤٢٤ .

(٢) سيبويه ج ٢ ص ٤٢٣ ، وانظر ج ١ ص ٩٣ .

(٣) سيبويه ج ١ ص ١٥٢ ، وانظر ج ١ ص ٤٥١ ، ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) مثل ج ٢ ص ٥٩ س ١٢ .

(٥) ابن قتيبة : معارف (فستفد) ص ٢٧٠ .

(٦) ج ١ ص ١٩٨ س ٥ ؛ ص ١١٠ س ١١ ؛ ص ٢٢٢ س ١ ؛ ص ٢٨١ س ١٥ —

ج ٢ ص ٢٩٠ س ٤ ؛ وانظر : ج ١ ص ٢٢١ س ١٣ ؛ ج ٢ ص ١١٠ س ١٠ ؛ ص ١٦٧
س ١٢ الخ .

(٧) ج ١ ص ٤٧٧ س ٧ ؛ ج ٢ ص ٢٠ س ٢٠ ؛ ص ١٤٧ س ٤ ؛ ١٨ ؛ وانظر ج ٢
ص ٥٢ س ٤ .

(٨) الرزباني : الموشح ص ٧٣ س ١٩ .

(٩) انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٧٩ س ١٠ .

(١٠) الرزباني : الموشح ص ١٩١ .

الأعجم وأبي عطاء السندی ، كما يترك مجال القول أحياناً لمعاصرين قدماء ، مثل :
 روبة وأبي نخيلة ؛ لكن لا لشاعر يحدث البتة . ذلك أنه إذا كان قد استشهد
 مرة^(١) بيت زوره — فيما يقال — أبو يحيى اللاحق (يظهر أنه : أبان بن عبد الحميد)
 أو ابن المقفع ، بقصد التعمية على النحوى العظيم^(٢) ، فلا يعدو الأمر — مهما يكن
 نصيب هذه الرواية من الصحة ، أن يكون من قبيل السهو . وفي بيت آخر ، يوجد
 حقاً في متن الكتاب بأيدينا : « لرجل من بني سلول مولد^(٣) » . ولكن هذه
 الجملة من وضع مُخرج الكتاب ؛ فقد ثبت لدينا بصورة أكيدة أن سيبويه ساق
 جميع شواهد دون تسمية الشعراء^(٤) ، وذلك الرأى يجد تأييداً له فيما أضيف إلى
 الجملة السابقة وهو : « ويقال : وضعه النحويون^(٥) » ، فصریح أن هذه الزيادة
 لا يمكن أن تكون من قول المؤلف . وأخيراً تريد إحدى الروايات أن تعرف أن
 سيبويه اعتبر شعر بشار حجة خوفاً من سلاطة لسانه . ولكن الكتاب نفسه
 يدحض هذه الرواية ، حيث نبحث عبثاً عن اسم بشار فلا نجد له ذكراً ؛ وفوق هذا
 فإن رواية أخرى — مساوقة لهذه — تضع اسم « الأخفش » النحوى بدلا من
 « سيبويه^(٦) » .

كان البدويّون حجة لايعتورها الشك في جميع مسائل اللغة . وكم خلاف
 بين علماء اللغة حول التفسير الصائب لبيت من الشعر ، أو حول صحة تعبير من
 التعبيرات ، رفعه حكم بدوي حاضر عرضا . وحسبنا أن نذكر الحوار الخلافى ، الذى
 دار بين سيبويه والكسائى ، فى مجلس الوزير « يحيى بن خالد البرمكى » فى مسألة :
 « كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور » هل يقال بعد ذلك : « فإذا هو هى »

(١) ج ١ ص ٥٨ .

(٢) عبد القادر : خزانة الأدب ج ٣ ص ٤٥٦ .

(٣) ج ١ ص ٤١٦ س ٦ .

(٤) خزانة الأدب ج ١ ص ١٧٨ س ٢٦ .

(٥) ج ١ ص ٤٣٤ .

(٦) أغاني ج ٣ ص ٢١٠ .

أو: « فإذا هو إياها^(١) ». وفي ذلك الوقت كان البدو يجدون مدخلا إلى بيوت السادة ، من حيث هم حجج اللغة . ولا تزال بأيدينا أسماء « فصحاء الأعراب » الذين دفعتهم الضرورة — تحت إهمال العباسيين — من أوطانهم اللاهثة المتوجعة ، ليقدّموا معارفهم اللغوية إلى السادة الجدد^(٢) . وقد كان أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد المثقفين ، أنه ينطق كما ينطق البدوي ، وتلك الطريقة الكلامية الخالية من كل تفكير ، والتي يتحرر فيها المتكلم من علامات الإعراب ، وتصاريف القواعد ، جريا على السليقة ، بحيث يستطيع السامع أن يفهم غرضه دون لبس ، لم تكن بعد — في القرن الثاني — أمراً طبيعياً (على النقيض من التعبير الرفيع المكتسب بالدراسة والتلق) ؛ بل كانت تعد تهاونا وإهمالا^(٣) . وقد كانت مثل هذه السلامة اللغوية تؤثر مثلاً عن أبي سعيد المعلم (المتوفى سنة ١٦٩ هـ) الذي جعله^(٤) المنصور مؤدباً للخليفة اللاحق « المهدي » ، والذي جعله^(٥) المهدي بعد ذلك معلماً لابنه وخلفه « الهادي » ، وكانت تؤثر^(٦) أيضاً عن اللغوي المشهور « أبي زيد الأنصاري » (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) . كذلك الراويان البصريان : خالد بن الحارث (١٢٠ — ١٨٦ هـ)^(٧) ، وبشر ابن الفضل (المتوفى ٧ — ١٨٦ هـ)^(٨) ، روى أنهما كانا ينطقان لهجة سليمة لاشية

-
- (١) انظر : A. Fischer في الكتاب التذكاري لشكرم E. G. Browne (A Volume of oriental Studies) ص ١٥٠ — ١٥٦ : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠٥ .
 (٢) فهرست ص ٤٣ ص ٢٧ .
 (٣) انظر تفسير كلمة السليقة عن الليث معجم Lane ص ١٤١١ ؛ وانظر الجمحي : طبقات ص ٥ ص ١٦ .
 (٤) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥٣ ؛ ابن قتيبة : معارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٨٥ وما بعدها .
 (٥) ابن سعد ج ٧ ص ٢ .
 (٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ ص ١٤ ؛ وانظر أيضاً ج ١ ص ٦٨ ص ٢٩ . وهو ينقل في المكان الثاني عن « أبي العباس ... ويريد به — فيما يظهر — ابن عبد الوهاب الثقفي المتوفى ١٩٤ هـ ، الذي اشتهر بكتابة رسالة في البخل (الجاحظ : بيان : طبع Van Vloten ص ١٦٢ — ١٨٢) . وللاوقوف على أخبار أسرته ، انظر الأغاني ج ١٧ ص ١٢ . هذا وقد كان للملاحظات النظرية مقام لا يستهان به في لغة أبي زيد ، فقد كان يراعى « القياس » والإجماع وما أشبه ذلك . انظر : نوادر أبي زيد ص ٦٧ فما بعدها .
 (٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٤ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٣ ص ٨٢ .
 (٨) ابن حجر : تهذيب ج ١ ص ٤٥٨ فما بعدها .

فيها^(١) ، كما يروى عن جرير بن حزم (٨٥ — ١٧٠ هـ) في مبالغة بليغة ، أنه كان ينطق عربية أفصح من عربية « معد »^(٢) . أما أن هؤلاء الرجال ، باستثناء أبي سعيد المعلم وحده ، كانوا يعيشون بالبصرة ، فلم يأت ذلك مصادقة ولا اعتباطاً ، فإن البصريين الذين كانوا يفاخرون^(٣) بمدرستهم النحوية ، وينافرون بكتاب « ميبويه » ومعجم « الخليل » ، كانوا يبرزون بحق — في عصبيتهم المحلية طبعاً — وهم مفعمون بالفخر ، أسماء أمثال أصحابهم هؤلاء الذين امتازوا بفصاحة خاصة في اللغة . وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدأت أيضاً مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية مع خلافة العباسيين ببغداد سنة ١٣٢ — ٧٥٠ . لقد كانت الأسرة القديمة جذاً قريبة إلى أهل البادية ، بحيث كانت تجد مدخلاً مباشراً إلى عالم تفكيرهم ؛ وكانت تنطق بلسانهم ، وتحسن فهم أشعارهم . حقا لقد كان العباسيون أيضاً يتمدحون بأصلهم العربي ، ويرفعون نسب سلالتهم إلى العباس ، عم الرسول ، بيد أنهم بعدوا عن حياة البدو بعداً كبيراً ، كما لم يفعل أموى أيّاً كان . وكانت الدوائر الإسلامية الجديدة ، غير العربية الأصل ، التي وصلت إلى الحكم في ذلك العهد ، تشعر أقل من ذلك بالصلة النفسية الداخلية بحياة العرب وطبيعتهم ، فهم لم يُنشئوا في الخيام ، ولم يذوقوا طعماً لتلك الخشونة والحاجة التي تعرفها حياة البداوة وطبيعة الارتياح والانتجاع ، كما لم ينفذوا إلى عالم البدو الثرى الغنى بكنوزه وقيمته الخلقية والعادية والفنية ، على الرغم من كل ضيق في وجهة النظر ، ومرمى الفكر . بل لقد عمرت الدوائر الإسلامية الجديدة تلك المدن العظيمة السريعة الازدهار ، في دولة عالمية ؛ وأسهموا في إقامة صرح حضارة ، نشأت تحت شعار الإسلام في أرض الشرق الأوسط المحررة من السلطان الروحي للقساوسة ، ومن النظام الإقطاعي الذي كان سائداً بها من قبل ، فهم لم يكونوا يستطيعون — حتى ولو

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ س ١٣ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ج ٢ ص ٧٠ س ١٦ .

(٣) انظر مثلاً : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٧٧ س ٥٥ .

استخدموا العربية — أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون ؛ بل صبّوا أفكاراً حديثة في قوالب اللغة القديمة ، وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة . وما كان اعتباراً أن يأتي في طليعة الأدب العربي لذلك العهد ، عصر المحدثين في أول الدولة العباسية اثنان من الفرس : ابن المقفع ، وبشار بن برد . وعلى الرغم من قوة نزوعهما إلى الشعوية ، لم يفكر واحد منهما في استخدام لغته الأصلية ، وإقامة وزن لها من الوجهة الأدبية ، بل اعتمدا على اللغة العربية .

وقد أخذ ابن المقفع « الفصاحة » في البصرة عن أبي الجاموس^(١) ، بدوى كان في خدمة والى البصرة فيما بعد (١٣٣ — ١٣٧) سليمان بن علي أحد أعمام الخليفة . ولقد استحوذ ابن المقفع على لودعية وأستاذية في تعاطى العربية ، بحيث استطاع أن يترجم كتباً عدة من الأدب البهلوي ترجمة مثالية . وتراجمه لأخبار الملوك : « خُذَايَ نامه »^(٢) وكتاب أنظمة الملك : « آيين نامه »^(٣) وقصة مزدك^(٤) ، وحياة بُرْزُويه^(٥) ورسالة تَنْسَر^(٦) ، قربت للمثقفين في جميع الأقطار الإسلامية أشخاص أساطير البطولة الإيرانية وتاريخ الساسانيين ، كما جعلتهم على بصيرة بروح فارس وطبيعة حياتها قبل الإسلام . وكذلك الترجمة التي عملها بعنوان : « كليله ودمنه » لخرافات الحيوان التي ألفها بَيْدَبَا (بَيْدَبَا Bidbai) ، جعلت هذه التحفة الأدبية العالمية التي يرجع أصلها إلى « مرآة لأمرء الهند » سهلة سائغة في عالم الناطقين بالضاد ، كما بلغت مرتبة حاسمة ، نظراً لانتشارها في المشرق والمغرب بوساطة ترجمتها وتهذيبها وتناولها كل متناول باطراد ، في العربية ، والفارسية ، والسريانية ، والعبرية واليونانية . وأخيراً عمد ابن المقفع ، الذي اعتنق الإسلام لأسباب خارجية فحسب ،

(١) فهرست ص ٦٧ .

(٢) A. Christensen, L' Iran sous les Sasanides (1936) p. 54

(٣) الموضع السالف ص : 56 .

(٤) الموضع السالف ص : 63 .

(٥) الموضع السالف ص 418 ، 424 ، 434 .

(٦) الموضع السالف ص : 58 ، 325 .

إلى أن نقل في سلسلة من مقالاته التثقيفية ، حكمة الشرق العملية الخلقية المستخلصة من تجارب الحياة التي لا تعترف بمبادئ مرسومة للعادات والتقاليد ، ولا يخدعها الوهم والخيال عن حقائق الناس ، والتي تعلم في برود وواقعية جافة — دون اكتراث لما جاء في الأديان السماوية من مبادئ وفروض خلقية وأدبية — كيف يصنع المرء وكيف يصوغ نفسه ، إذا أراد أن يعيش في العالم بعيداً عن المضار ، محظياً بالسعادة . وكذلك بلغت تلك المقالات نجاحاً عظيماً ، سواء من حيث موضوعاتها التي تملقت دوائر الثقافة الرفيعة في المدن بسبب تساهلها الديني ، أم من حيث أسلوبها الشائق البديع . نعم لم يعد المؤلف ، حتى بعد وفاته المبكرة (سنة ١٤٢ هـ) خصوماً كانوا — كالخليفة المهدي — يعدونه رأس الزندقة كلها ^(١) . على أنه بعد إبعاد ضرر المانية (الزندقة) خربت ألنة المعارضة تدريجاً ، ولم يكن فقط رجل مثل البرمكي يحيى بن خالد (حوالى ١٠٢ — ١٩٠ هـ) الذي قدره حق قدره ^(٢) ، بل حتى الأصمعي المحافظ (المتوفى ٢١٣ هـ) يروى أنه كان يعجب ببيئته ^(٣) . وفي أيام الجاحظ (المتوفى ٢٥٦ هـ) كان يدرس كل كاتب ناشئ كتبه ^(٤) . ومنذ ذلك العهد ، سمى مجد ابن المقفع غير مزعزع ، وعد من البلغاء اللامعين في العالم العربي . بيد أن اللغة التي كتب بها ابن المقفع ليست هي العربية القديمة ؛ فبموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المقفع سوية ، شفافة مبسطة حسب أغراضها ؛ وبدلاً من الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة ، التي تجمع التنوع المتعدد الألوان لعالم الظواهر ، مع حشد من السمات الخاصة ، التي تصور مثلاً فروق الحيوان ، والأعمار ، والأجناس ، والألوان ، والصفات ، والخصال البارزة ، بكلمات خاصة ؛ كما تحتوى على قائمة من المفردات لأصوات الحيوانات ؛ تكفي لغة ابن المقفع — إلى حد بعيد — بالتعبيرات

(١) أمالي المرتضى (القاهرة ١٩٠٧) ج ١ ص ٩٣ فابعدا الخ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٢٦٨ ص ١١ .

(٣) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ٢٦٧ ص ١٢ .

(٤) ذم أخلاق الكتاب (ثلاث رسائل للجاحظ ، نشر فنكل) ص ٤٢ ص ١٥ .

العامة ، وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة . كما يعرب أيضاً استعماله اللغوي في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها ، عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموافق للغرض ، فكثير من صيغ الأسماء في العربية القديمة يقل عنده أو ينعدم تماماً ؛ وأخيراً نجد تركيبه النحوي أيضاً واضحاً شفافاً ، وهو يتجنب كذلك الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة ، وصيغ التعجب والاستغانة ، ويتفادى تصفيف الكلام ، والتداخل العسير الفهم ، وما شا كل ذلك مما يستفيض في لغة البدويين . وربما بلغنا إقناعاً بما نقول إذا وازنا بين لغة ابن المقفع والنثر الأصلي البدوي القديم ، كما ورد في أيام العرب ، أو كما جاء في الحكم والأمثال .

والتغيرات التي تبدو في نثر ابن المقفع ، بالنسبة للعربية القديمة ، وجدت نظيرها تماماً — في نطاق دائرة الشعر — في لغة معاصره « بشار بن برد » (حوالى ٩٥ — ١٦٧ هـ) ، على الرغم من أن قوة الرواية ، وتقليد القدماء في هذه الدائرة بالذات ، كانا يقفان عقبة في طريق كل تطور في الأسلوب . وكان المقفع أيضاً كان بشار فارسي الأصل ؛ وكان يمدّ مانيّاً مقنّعا . نشأ في البصرة ، وكان بصيراً باللغة القديمة بصراً مؤسسا ، بحيث أدرك لتوّه عدم أصالة بيت مدسوس على الأعشى (رقم ١٣ ، بيت ٢)^(١) . ولما علم أن الأمير سلم بن قتيبة الباهلي — كان والياً على البصرة ومات ١٤٩ هـ^(٢) — محب للشعر على طريقة القدماء ، وأنه كان يعد نفسه بصيراً بالغريب ، تغنى بشار بمدحه في أرجوزة ، ملأها بالنادر المتنخل من الألفاظ^(٣) . وحينما أنكر عليه عقبة بن ربيعة حق الحكم في الرجز ، والفصل في تفضيل بعضه على بعض ، برهن هو على أنه يعرف أيضاً مرمى بصره في طراز الرجز^(٤) . كما حقر أحد البدو في هجاء أصيل الأسلوب ، لأن هذا لم يطمئن إلى أنه

(١) أغاني ج ٣ ص ١٤٣ فما بعدهما .

(٢) Zambaur, Manuel 40, ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ١٣٤ .

(٣) أغاني ج ٣ ص ١٩٠ . وقد قيل في سلم أيضاً القصيدة المذكورة في ص ١٠٠ من كتاب : المختار من شعر بشار « طبع بدر الدين » كما ذكره الأشتانداري : « معاني الشعر » ص ٤٠ .

(٤) أغاني ج ٣ ص ١٧٤ — ١٧٧ ؛ وانظر المختار ص ٢٧٥ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ٢٣ =

ذو ملكة في الشعر^(١) لأنه مولى . وإذا قال بشار الشعر على طراز الأقدمين عن قصد ، وجدنا أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعلم على جبينها ؛ على أنه لم يكن يبالي إلا نادرا بالقصد إلى المحاكاة والتقليد ؛ فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه يعرض تلك الأناقة الواضحة ، والبيان الناصع الشفاف ، الذي نجده في نثر ابن المقفع . سمات أساسية تبدو جلية في تعبيره ، سواء في اختيار الألفاظ ، أم في تركيب الجمل ، أم في تفضيل العروض القصير الخفيف . وفي شعر الارتجال يمعن بشار في التحرر من الشعر القديم ، حتى يستعمل أحيانا عبارات شعبية^(٢) ، ورطانة نبطية^(٣) ؛ وكان بشار يستعمل المزدوج والخمس^(٤) في الهزل ، وفي تحقير الشعر القديم ؛ فهو يقحم مثلا في أحد أبياته — لتحقير نبطي قلد أسلوبه في النطق على ما يظهر — الكلمات التالية :

لا دهل من جمل

أى لا خوف من الجمل^(٥) .

وهذا التطور في الأسلوب ، الذي نستطيع أن نشاهده عند ابن المقفع وبشار ، آذن بشروق عهد جديد في تاريخ اللغة العربية ، دعا إليه الانتقال من حياة البداوة

== ابن رشيق : العمدة ح ١ ص ١٣٦ . ولفظ : طراز (أغاني ٣ ص ١٧٦) يمكن أن يضاف إلى الألفاظ التي جمعها جولدزيهر في : Abhandlungen I, 29 ff. ، والتي تدل على تشبيه الشعر بالنسيج .

(١) أغاني ٣ ص ١٦٦ س ٩ .

(٢) مثل استعمال لفظ : « قارورة » أى زجاجة بمعنى : « المرأة » في بيت له (أغاني ٣ ص ١٩٠) ، وقد ساق ابن حجر هذا البيت في فتح الباري ج ١٠ ص ٤٥١ شاهداً على حديث البخاري : أدب ؛ مسلم ؛ فضائل ؛ الطيالسي ؛ مسند ؛ حيث ورد هذا الاستعمال المجازي .

(٣) انظر الجواليقي : المغرب ص ٦٧ س ٤ ؛ تاج العروس ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٤) ابن رشيق : العمدة ح ١ ص ١٢٠ ؛ الملاحظ : بيان ١ ص ٢٣ ، بسميه صاحب

مثنور ومزدوج .

(٥) الجواليقي في الموضع السالف ص ٦٧ س ٥ ؛ على أنه نسب البيت نفسه في ص ١٢٤ إلى سرافقة الباهلي الذي اشتهر بين سنة ٦٠ - ٧٠ . وفعل دهل أو دخل بالفتح بمعنى خاف ، ورد في إحدى الروايات (تاج العروس ج ٧ ص ٣١٩ ؛ وفي رواية أخرى : كنز العمال ج ٢ ص ٢٩٨ ، ورد بدلا من ذلك : « خاف » .

إلى حضارة المدن ، وتغلغل غير العرب ، في مناطق الأدب . وذلك الطابع الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب ، تراجع في ذلك العهد أمام أسلوب منوّق مهذب ، لا يسبب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بال للأفهام . وهذه اللغة السهلة ، المنسكبة ، الواضحة ، سرعان ما احتذيت واستعملت في الأدب من قبل المثقفين جميعا في العالم الإسلامي ، دون تمييز بين أصل وجنس ، ولا بين لغة أصلية ولهجة وطنية خاصة . وبما أن الشعوب والأقوام في المدن العظمى للدولة كانت أخلاطاً متعددة الألوان يمجج بعضها في بعض ، لم تستطع الدوائر العربية أن تتخلص من تأثيرها بصفة دائمة ؛ بيد أن كل هذا الانسجام والاستواء في القوالب والأساليب ، وذلك الاطراد السطحي في موافقة القواعد ، لم يكن ليستطيع أن يخدعنا عن أن القالب الداخلي ، والأسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة ، كان يحمل سمات مولدة . وإلى أي مدى كانت الطبيعة العربية لا تزال مرهفة الإحساس إزاء كل أعجمية ؟ هذا ما يشير إليه ذلك الخبر المستفيض الرواية عن محاورة جدلية بين أبي عمرو بن العلاء (حوالي ٧٠ — ١٥٤ هـ) وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال (٨٠ — ١٤٤ هـ) حول نظام الجزاء الإلهي : فحينما قال هذا (عمرو بن عبيد) : إن الله منجز وعده ووعيده ، قال له أبو عمر لأنما : إنك أعجمي ولا أعني لسانك (أي أنه لا يخالف قواعد النحو واللغة) ولكن فهمك . وعلمه ، مشيراً إلى بيت عامر بن الطفيل (قطعة ٧١ بيت ٢) :

وإني إن أوعدته أو وعدته لخلف إيمادي ومنجز موعدي

أن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذمّاً وتعمده مدحاً ، على عكس الوعد^(١) . ومع هذا فقد كان عمرو بن عبيد خطيباً ممتازاً لا يزال كثير من أقواله باقياً^(٢) .

(١) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٤٢ س ٩ ؛ الثعالبي : يقيمة ج ١ ص ٤٦٤ س ١١ ؛ الذهبي : ميزان ج ٢ ص ٢٩٦ س ١٩ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٨ ص ٧١ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ج ٥ ص ٣٧٩ ؛ الأشعري : مقالات ص ١٤٨ هامش .
(٢) انظر مثلاً في عيون الأخبار لابن قتيبة .

ومثال آخر من ذلك النقد ، حصل مع من ليس أقل من ابن المقفع ، الذي عد عليه الأصمعي من الخطأ الفاحش تعريفه لفظي : بعض وكل^(١) حيث قال : « العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل » ، لأن إبهام معنى بعض الذي لا يرتفع أيضا بإضافته إلى المعرفة — بعض العرب معناه جماعة من العرب أيا كانوا — يمنع من تعيينه بأداة التعريف ؛ وكذلك لفظ « كل » ، الذي كثيراً ما يستعمل مقسماً ، لم يرد معرفاً في العربية القديمة بحال^(٢) . وهذا — في الحق — لم يمنع الإدراك الفكري المحض أن يتدع فيما بعد لفظي البعض ، بمعنى الجزء أو الجزئي ، والكل بمعنى الجميع أو المجموع . وهذا التعبير العديم الحياة ، حاول^(٣) النحوي « ابن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ) في : « الرد على ابن خالويه في الكل والبعض » أن يصححه وأخيراً استشهد بعضهم لتصحيحه بأبيات صريحة التصحيح^(٤) .

بعد هذه الأمثلة لا نكاد نعدل عن شاكلة الصواب ، إذا نحن أولنا بنفس المعنى تلك الرواية ، من أن أحد البدويين عد على الخليفة المنصور (حكم ١٣٦ — ١٥٨ هـ) في جلسة واحدة ، ثلاثة أخطاء لغوية ، حتى وإن لم ينقل إلينا نص هذه الأخطاء^(٥) . ذلك أن المنصور ، كأكثر العباسيين ، لم يكن خالص العروبة من جهة الدم — كانت أمه من البربر — ؛ كما يجوز لنا أن نظن أنه كان يتكلم الفارسية^(٦) . ولكنه كان رجلاً واسع الثقافة ، وكان خطيباً لامعاً ؛ وقد جمعت أقواله في كتاب خاص كان جده مشهور عند النساخين في أيام الجاحظ^(٧) .

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٨ و ج ٨ ص ١٠٠ ؛ كذلك في الزهر ج ٢ ص ١٠٥ عن كتاب ليس لابن خالويه .

(٢) الصواب تغيير لفظ « كل » في بيت امرئ القيس إلى كل بفتح الكاف ، كما قرره : Reckendorf في : Arab. Syntax, p 154 .

(٣) فهرست ٩٤ ، وفي تاج العروس ج ٥ ص ٨ أبيات قبلت في السخرية منه لذلك . كما أن رأى ابن خالويه ذكر في الزهر في المكان السالف (ج ٢ ص ١٠٥) .

(٤) الحفاجي : شرح درة القواص (استانبول ١٢٩٩) ص ٧٠ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٣ س ٦ .

(٦) ابن قتيبة : عيون ج ١ ص ٢٠٨ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ١٥٤ س ٢٩ .

فليكن وقع في خطأ مرة أثناء تلاوة القرآن^(١)، فإنه لا يظن بحال أنه كان يقع في أغلاط فاحشة من جهة القواعد، بل ربما كان يستعمل فقط عبارات تخرج الإحساس اللغوي الطبيعي لرجل من البدو.

وككل علم قياسي لم يسلم النحوي العربي دائماً من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية، وإكراهها في وضع قواعده. وعلماء اللغة لم يتفقوا أبداً باطراد في وجهة نظرهم نحو الاستعمال اللغوي الصحيح؛ وقد انضم إلى ذلك أيضاً الخلاف المدرسي بين البصريين والكوفيين، ولم يكن من السهل بالكوفة ملاقات العرب الرحل من وسط الجزيرة وشرقها، وسؤالهم، كما كان ذلك متيسراً لأهل البصرة. ولذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على أنصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة، الذين لم يرد علماء اللغة بالبصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج^(٢). وكانت لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوي تختلف عن مذاهب الكوفيين، كما سلك كل من القبيلين في تفسير الظواهر اللغوية طريقاً خاصاً. لهذا نجد أبا محمد الزيدى (١٣٨٠ - ٢٠٢ هـ) مؤدب المأمون الذي كان شديد العصبية لمدرسة البصرة يسخر في قصيدة^(٣) هجاً فيها الكسائي الكوفي مؤدب الأمين، من علماء أفسدوا النحو وأزروا به، وهم بين أغتم لا يحسن الكلام، ووضع ذي مرأ وذى لكمة، خيس الأصل والنسب؛ أحدثوا في النحو قياساً فاسداً لا يغني شيئاً. وسيظلون في مبادئ النحو، لا يتجاوزون أبجديته ولو عمروا أعمار عاد. أما الكسائي فهو من النحاة الذين لا يرجي عندهم غناء، ومن أتاه دون علم به يبغي عنده العلم فهو كالعطشان قصد إلى سراب في البقاء :

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٣ س ١٠ .

(٢) سيراقي : أخبار النحويين ص ٩٠ (طبع كرنكو) ؛ فهرست ص ٨٦ س ١٥ ؛

ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٦٣ .

(٣) سيراقي : أخبار النحويين ص ١٠ فا بعدها (طبع كرنكو) .

وقل لمن يطلب علماً ألا ناد بأعلى شرف ناد
يا ضيعة النحو، به مغرب عنقاء أودت ذات إصعاد
أفسده قوم وأزروا به من بين أغتام وأوغاد
ذوى مرء وذوى لكمة لثام آباء وأجداد
لهم قياس أحدثوه هم قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو، ولو عُمرُوا أعمار عاد، في أبي جاد
أما الكسائي فذاك امرؤ في النحو حار غير مراد^(١)
وهو لمن يأتيه جهلا به مثل سراب اليد للصادي
كما يث شكواه وغضبه على أئمة الكوفيين في شعر آخر^(٢) :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتي
إن الكسائي وأشياعه يرقون في النحو إلى أسفل

ومن هذا يتبين أنه منذ بدء العصر العباسي أخذ العيب باللحن ينتشر — بحق أو دون حق — لوسم خصم بأنه غير مثقف ، وللحط من شأنه في أعين معاصريه .
ومما يذكر في هذا الصدد على سبيل المثال ، حكم يونس بن حبيب (حوالي ٩٥ — ١٨٣ هـ^(٣)) ، الذي ينقل سيبويه كثيراً عنه ، على حماد الراوية (حوالي ٩٥ — ١٥٥ هـ^(٤)) ، جامع المعلقات الذي كثر الطعن فيه ، وصيغة ذلك الحكم كما يلي :
« كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر^(٥) » ، (أى لا يقيم وزن العروض . وكذلك

(١) كذا في أخبار النحويين وهو ظاهر التحريف .

(٢) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١٠٨ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٩٠ ؛ سبوطي :

بغية ص ٣٣٦ .

(٣) فهرست ص ٦٣ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ١٣٧ .

(٥) الجعي : طبقات ١٥ (طبعة Hell) .

يروى أن معاصر حماد : مروان بن أبي حفصة (١٠٥ — ١٨١ هـ ^(١)) ، وصفه بأنه
لُحْنَةٌ لِحَانَةٌ ، مما حمل حماداً على أن يبين له عذره في ذلك حيث قال (أى حماد) :
« يا أخى إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ^(٢) » . وفي رواية أخرى أن
الكهيت الشاعر رفض أن يملأ أشعاره على حماد لأنه خشى لحنه ^(٣) . ويقول
صاحب الفهرست أيضاً إن حماداً كان كثيراً ما يلحن ^(٤) . وعلى النقيض من
ذلك لا يفكر خصم حماد اللدود ، المفضل الضبي (المتوفى ١٦٨ هـ) أن حماداً كان
ذا دراية ممتازة باللغة ، ولكنه أساء استعمالها ، حيث وضع — في حذق ومهارة —
أبياتاً على نسق القدماء ، ففسدت بدسه رواية الشعر القديم في كل زمان ^(٥) . فإذا
أضفنا إلى هذا جميل رأى أبي عمرو بن العلاء في حماد — كما روى ذلك عنه ^(٦) —
فلن نشك في أن الروايات التي تزعم أنه كان لحناً إنما نشأت من التأثير بالخصومة
واللدد ، وأن كلمات يونس تعبر عن قصد السوء من قبل البصريين في خصومهم
الكوفيين ^(٧) .

وإلى جانب حماد يوضع كوفي آخر ، هو جناد بن واصل ، في مرتبة واحدة .
وكان يونس لا يمدّ كليهما شيئاً ^(٨) . ويحتملها بصرى آخر ، وهو التوزي (المتوفى

(١) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٤٥ ص ٢١ .

(٢) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٧١ .

(٣) المرزبانى : موشع ص ١١٥ .

(٤) فهرست ص ١٣٤ وعبارته : وكان حماد ربما لحن في الفىء الخ .

(٥) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٨٩ ؛ وعبارته : ولكنه (حماداً) رجل عالم
بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومما يميزهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل
ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق الخ . وفي صدر هذه الرواية يقول المفضل الضبي :
قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفقده فلا يصلح أبداً الخ . ووردت الرواية أيضاً في

ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ١٧١ .

(٦) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٦ ص ٧٢ .

(٧) على أن الكوفيين كانوا بطعنون من جانبهم أيضاً في البصريين بتهمة اللحن . فقد صنع
بعضهم مثلاً على يونس بن حبيب البصرى هذه الجملة العامية : هاتى ذيك الماء من ذلك الجرة .

(ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٥١ ؛ سيوطى : مظهر ج ١ ص ١٢٢) .

(٨) أغاني (طبع دار الكتب) ج ٨ ص ٢٨٣ .

٢٣٨ هـ^(١)) تبعة تصحيف الروايات الكوفية^(٢) . وإذا نسب إلى جناد اللحن^(٣) فقد يجوز أن يكون هذا الطعن لا وجه له ، تماماً كما هو الرأي في حماد . أما أن علماء الكوفة أيضاً كانوا يعنون — على النقيض من ذلك — بمسائل سلامة اللغة وصحتها ، فهذا ما يبدو للعيان من شعر الهجاء الذي قيل في حفص بن أبي ودّعة ، الذي كان يعد من أصحاب حماد الراوية ، ونسبت إليه معه تهمة الزندقة لسوء سلوكه ، وحرية رأيه^(٤) . وكان حفص طعن في شعر المرقش^(٥) ورماه باللحن ، فسخر به من أجل ذلك شاعر كوفي — تختلف الروايات فيه ، هل هو شريكه في التحال والزندقة : حماد بن جرد (المتوفى ١٦١ هـ) ، أو مساور الوراق ، أو البرذخت^(٦) —
بالأبيات :

[لقد كان في عينيك يا حفص شاغل وأنف كئيل العود عما تتبّع]
تتبع لحناً في كلام مرقش وخلقتك مبنى على اللحن أجمع
فعينك إقواء وأنفك مكناً ووجهك إبطاء فأنت المرقع

وقد شبه الشاعر عيوب مهجوه الخلقية بالعبارات المصطاح عليها في العروض العربي : الإقواء (وهو الخلط في حركة القافية) ، والإبطاء (وهو تكرار لفظ القافية في الشعر الواحد) كما قابل بين المرقش ، أي المحسن ، فوصفه بالمرقع ، أي المشوه

(١) فهرست ص ٨٥ (والثوري تحريف عن : النوزي) ؛ السيرافي : أخبار النحويين ص ٨٥ ؛ نزعة الألباء ص ٢٣٢ ؛ ياقوت : معجم ج ١ ص ٨٩٤ .
(٢) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٤٢٦ (وقد صحف أيضاً إلى : الثوري) .
(٣) فهرست ص ١٣٥ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٤٢٥ .
(٤) ذكر في قائمة الزندقة عن الجاحظ ، وقد ساقها الرضوي في : الأمالي ج ١ ص ٩٠ ؛ والأغاني (طبع بولاق) ج ١٦ ص ١٤٨ (مع تحريف ودة إلى وردة) ؛ وابن حجر : لسان الميزان ج ٢ ص ٢٢١ (مع تحريف ودة إلى : بردة) .
(٥) المراد — فيما يظهر — المرقش الأصفر ، الذي يعبه ابن أبي إسحق الحضرمي أشعر شعراء الجاهلية (طبقات الجحى ص ١٦) ، لا عمه المتفق معه في اللقب . وفي المفضليات طائفة من أشعارها رقم ٤٥ — ٥٩ .
(٦) انظر : الرزباني : موشح ص ٢٦ ؛ أغاني ج ١٣ ص ٨٧ ، ١٦ ، ١٦٨ ؛ الجاحظ :

بيان ج ٢ ص ٣ ؛ ابن قتيبة : الشعر ص ٤٤٨ .

بالرقع . وقوله : فعيناك إقواء ، أى فيها حول ؛ وأنفك مكفأ ، أى معوج ؛ ووجهك إبطاء ، أى موطأ مفرطح ؛ وأنت المرقع ، أى المدنس المشوه .

أما أن الطعن باللحن كان يوجه أيضا إلى دوائر علماء الفقه ، فهذا ما يدل عليه مثال كوفي ثالث ، هو أبو حنيفة (٨٠ — ١٥٠ هـ) ، فقد حكى عنه الجاحظ^(١) تعبيراً جاء فيه خطأ شنيع ، حيث قال : [ولو ضرب رأسه] بأبا قبيس ، بدلا من : بأبي قبيس . وكيف جازت دعوى أن هذا الإمام العظيم لم ينطق صحيحاً ؟ هذا ما تكشفه الرواية المساوقة^(٢) ، التى اقترن فيها ذلك التعبير نفسه بالخبر التالى : كان أبو حنيفة طلب النحو فى أول أمره ، فذهب يقيس فلما أخذ يصوغ جمعا لكلب على كلوب (بدلا من كلاب) ، قياساً على : قلب وقلوب ، تبين له أنه ان يصل فى ذلك إلى شيء ، فعدل عن النحو ولم يكن له علم به . ومما يلمس باليد أن هذا الخبر الذى يرجع إلى الحنبلى الكبير : إبراهيم الحربى (١٩٨ — ٢٨٥ هـ)^(٣) قد اخترع بدافع العصبية من قبل الخصوم المحافظين الذين أرادوا الفرض من شأن مبدأ القياس فى دائرة اللغة أيضاً : ومما يذكر بهذه المناسبة أن النحوى الكوفى : ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ)^(٤) رأى أنه يمكن التماس تصويب لأبي حنيفة ، دون طعن فى صحة الخبر المذكور ، بأن تكون صيغة : بأبا قبيس ، جارية على لهجة خاصة تقصر أبا (على أن أصله : أبو^(٥)) . وقد تلقى معسكر الحنفيين هذا الإيضاح بشغف ، وافتتح به أحد الأشياع المتعصبين لهذه المدرسة^(٦) : الملك المعظم شرف الدين الأيوبى (٥٧٦ — ٦٨٤ هـ)^(٧) ، رسالته : « السهم المصيب ، فى الرد على الخطيب » ، التى اجتهد بها

(١) بيان : ج ٢ ص ٢ س ١٧ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٢ .

(٣) فهرست ٣٢٣ ؛ تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٧ ؛ ابن أبى عمير : طبقات الحنابلة ص ٥٠ .

(٤) (El Enzyklop ädie des Islam II, 400) .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٠٢ ؛ وذكر دون عزوفى : ابن الأنبارى : الإنصاف

ص ٧ ؛ والدميرى : حياة الحيوان (طبع ١٢٤٧ هـ) ج ١ ص ٢٠٦ ؛ والعينى ج ١ ص ١٣٨ . الخ

(٦) ابن خلكان (طبع ١٢٩٩ هـ) ج ٢ ص ١٢٣ .

(٧) El III 646 .

في دفع جميع المغامز التي أثارها الخطيب في تاريخ بغداد حول صورة أبي حنيفة^(١) .
وقد عقب الخطيب^(٢) على خبر إبراهيم الحربي المشار إليه آنفاً ، فذكر أن أبا حنيفة
لحن القراءة المشهورة : « تُرْزَقَانِه » في آية ٣٧ من سورة يوسف ، مصوباً ضم
الهاء^(٣) بدلا من كسرها ؛ هذا وقد أثبت سيوييه^(٤) صيغاً مثل : بهُ ، وبِدَارِهُ الخ ،
على أنها لهجة حجازية حتى في قراءة القرآن . ومن المحتمل جداً أن أبا حنيفة كان
يرجحها ، قياساً على : لهُ ومنهُ الخ . أما أن يستنبط من هذا أنه يلحن الصيغ الجارية :
بهُ وما شا كلها ، فهذا ما دعا إلى وضعه عليه — بلاريب — لدد خصومه . على
أن الملك المعظم لم ينكر أيضاً في رسالته صحة نسبة التعبير المذكور إلى إمامه ، بل
اكتفى بحمله على محمل حسن^(٥) .

وأجدر بالتصديق دعوى أن قاضي واسط : أبا شيبه إبراهيم بن عثمان^(٦) (المتوفى
١٦٩ هـ) — وهو إيراني الأصل^(٧) ، ولا يلتبس بأبي شيبه الواسطي^(٨) الذي كان
عربياً صمياً — كان لحناً معروفاً ؛ فإن خلطه بين صيغ الفعل ، وقوله مثلاً :
أَنْ نَقُمُ ؛ بدلا من : أَنْ نقوم^(٩) ، كان خروجاً على العربية أشد من الخلط في الإعراب
عَدَّه رقة بن مصقلة : (المتوفى ١٢٩ هـ) المشهور ببلاغته ، من كبار الذنوب^(١٠) .

(١) حاجي خليفة (طبع ١٣١٠ هـ) ج ٢ ص ٣٨ ؛ وقد نشرت الرسالة المذكورة في
القاهرة سنة ١٣٥١/١٩٣٢ على صورة ملحق ثان لتاريخ بغداد ، بعد أن تركت الترجمة المذكورة
في التاريخ ج ١٣ ص ٣٢٣ — ٤٥٤ لأبي حنيفة أثراً سيئاً في نفوس معتقي مذهبه .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٢ .

(٣) ضمت نون : ترزقانه ، أيضاً على سبيل التحريف في طبعة التاريخ بالقاهرة .

(٤) ج ٢ ص ٢٩٤ ؛ انظر أيضاً : Nöldeke : Gesch. d. Qurans III 138 ff .

(٥) انظر الرسالة السالفة .

(٦) ابن سعد ج ٦ ص ٢٦٧ ؛ تاريخ بغداد ج ٦ ص ١١١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١

ص ١٤٤ ؛ الذهبي : ميزان ج ١ ص ٢٣ .

(٧) اسم جده خواستي .

(٨) انظر في ترجمة هذا : ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ١٢٦ ؛ الذهبي : ميزان ج ٢ ص ٩٨ .

(٩) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .

(١٠) الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ وفي رقة ، انظر ابن قتيبة : معارف ص ٢٠٥ ؛

ابن حجر : تهذيب ج ٣ ص ٢٨٦ ؛ تاج العروس ج ١ ص ٢٧٥ .

وهل وقع أيضاً معاصره : شبيب بن شيبه^(١) (المتوفى ١٦٤ هـ) ، بحضرة بلال ابن أبي بردة ، في لحن شنيع مثله^(٢) ؟ هذا ما يشك فيه ، لأنه كان عربياً ، وأحد خطباء قبيلة المفوّهين^(٣) . كذلك غير ظاهر ادّعاء أن خالد بن صفوان^(٤) — وهو من رهط شبيب المذكور — الذي اشتهر بمنادمة السفاح ، وملكته في الخطابة ، وحضور بديهته في المزاح ، قد أرشد إلى الصواب من قبل بلال بن أبي بردة ، بسبب اللحن ، حتى وإن أضيف إلى ذلك أن هذا كان باعثاً له أن يتعلم الإعراب في المسجد^(٥) ؛ إذ لا يمكننا أن نخفى تشككنا في أن الغرض من ذلك هو وسم الخطيب المشهور بميسم التلمذة في مدرسة البصرة . وأقرب من هذا إلى الصحة أن لحن شبيب ينحصر في أنه كان يضع التعبير أحياناً في غير موضعه ؛ كما روى أنه استعمل مرة عبارة : ما بين لابتيتها ، التي تقال في المدينة فحسب ، مريداً به البصرة — وإن يكن هذا التجوّز القريب ، بتعميم التعبير المذكور المأثور عن الرسول [صلى الله عليه وسلم]^(٦) ، المشهور لدى كل مسلم ، قد اعترف به من قبل البلغاء المتأخرين^(٧) — ويقال أيضاً إنه استعمل لفظ : محبطني ، الذي معناه المنتفخ البطن ، في معنى من تورّمت أنفه غضباً^(٨) .

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٢٧٤ ؛ الذهبي : ميزان ج ١ ص ٤٤١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ٣٠٧ .

(٢) ابن قتيبة : عيون ج ٢ ص ١٥٩ .

(٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٣٤ ؛ ويوجد كثير من أقواله في عيون الأخبار لابن قتيبة وأمالى القالي وغيرهما . ومن آبائه عمرو بن الأهتم خطيب تميم عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ويؤخذ من هجاء قاله فيه قيس بن عاصم (أغاني ج ١٢ ص ١٥٧) أن أم الأهتم أبيه كانت أمة غير عربية من الحيرة .

(٤) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٣٠ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٢٠٦ .

(٥) المبرد : كامل ٢٥٣ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٤٣٥ .

(٦) البخاري : فضائل المدينة ؛ كنز العمال ج ٧ ص ١٥٣ .

(٧) انظر الزمخشري : أساس ؛ الطبرسي : المعرب الخ .

(٨) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٧٢ ، وعنه : المزهري ج ٢ ص ٢٢٢ وعن المزهري تاج العروس

ج ١ ص ٤٧٤ ؛ وانظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٥ .

وفي غير العراق ، كان الاشتغال بالعربية حقاً جدّ ضئيل . فبينما كانت في البصرة والكوفة مدرستان خاصتان بالنحو ، حذت حذوها بعد ذلك بغداد بمدرستها التي نزعّت إلى الجمع والتوفيق بين المدرستين ، لم تقم بالمدينة — مثلاً — علوم اللغة على أساس وطيّد^(١) . وهاهو ذا الأصمعي الذي نزل في أواسط القرن الثاني ضيفاً على الهاشمي جعفر بن سليمان^(٢) بالمدينة ، يقول إنه لم يسمع هناك قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة . وقد أنشد الأخباري المدني : عيسى بن يزيد بن داب (المتوفى ١٧٠ هـ)^(٣) بيتاً على أنه لأعشى همدان (Fragm. VI) :

من دعا لي غزيلي أربح الله تجارته

فزعم أن شاعراً فصيحاً — مثل الأعشى المذكور — يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ، ويسكن الهاء^(٤) ، ويرفع : تجارته ، وهو منصوب ؛ وقد جر على نفسه بذلك لوم الأصمعي — بحق — وتقريعه^(٥) ؛ وطعن فيه الأصمعي أيضاً بأنه يضع الشعر — توجد دابة مثل هذه في أشعار الهذليين رقم ١٧١^(٦) — وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسبه إلى العرب . وفي الحق تدل نماذج محادثات ابن داب مع الخليفة موسى الهادي الذي كان عيسى جليسه في آخر سني حياته ، على أنه لم

(١) لا يعرف كثير من نحوي كان بالمدينة ، يحمل الاسم الفارسي : بشكست ، وقتل في حرب الخارجي : طالب الحق سنة ١٣٠ هـ انظر الأغاني ج ١ ص ١٤٤ ؛ ج ٢٠ ص ١٠٨ .
(٢) كان والياً على المدينة ؛ انظر ابن قتيبة : معارف ص ١٩٠ . Wutenfeld zeneal. Tbellen W 25

(٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٢٤ ؛ ابن قتيبة : معارف ص ١٨٢ تاريخ بغداد ج ١١

ص ١٤٨ .

(٤) رأى قطرب في هذه الصيغة الناشئة من حذف الألف ، صيغة إضافية سائغة في التعبير (أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ١٦) والبيت الذي استشهد به طعن فيه أبو حاتم بأنه من صنعة قطري ابن الفجاءة ، أو من صنعة هو أي قطرب (انظر المبرد : كامل ص ٣٣ ؛ خزنة الأدب ج ٤ ص ٣٤٣) ؛ كما يوجد شاهد ثالث على ذلك في خزنة الأدب ج ٤ ص ٣٢٥ ؛ وقد عولج الموضوع بتفصيل في الخزنة أيضاً ج ٤ ص ٣٤١ — ٣٤٣ ؛ وقد أباح لنفسه البخارزي (دمية القصر ص ١٧٥) هذا الاستعمال أيضاً في الفاقية .

(٥) يكمل كل من الأغاني ج ٦ ص ٥٦ والمرزباني : موشح ص ١٩١ رواية ياقوت في الارشاد ؛ وانظر قوله الشعراء للأصمعي C. Torrey ZDMG 65 491 .

(٦) انظر : 130 ' Wellhausen ' skizzen nnd vorarbeiten .

يكن يلقى بالآ لا للصدق التاريخي في الموضوع ، ولا للدقة الدبلوماسية في اللفظ بل لجرد أخبار السمر^(١) . ويقول خلف الأحمر (المتوفى ١٨٠ هـ)^(٢) أستاذ الأصمعي : إن كلا من ابن داب وابن شوكر السندی^(٣) آفة^(٤) الرواية في المشرق والمغرب . وفي الوصف التصويري^(٥) الذي قاله خلف عن يروي لابن داب وابن شوكر ، دون اهتمام بالإسناد ، توجد ملاحظة تلقي ضوءاً كبيراً على ما نحن بصددده ؛ إذ أن هؤلاء الرواة كانوا يستعملون صيغة : قالت ستي ، مما يسفر عن الطابع المولّد في أسلوبهم اللغوي .

ويجوز لنا بما تقدم أن نفترض أن اللغة العربية في المدينة لم تحظ بعناية خاصة ، وأن الدوائر المثقفة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها . وقد وجد الأصمعي^(٦) من الغرابة بمكان أن يصدر لحن من مالك بن أنس (حوالي ٩٠ — ١٧٩ هـ) الذي كان هو يوقره توقيراً كبيراً ؛ إذ قال : أيُّ مطراً ، بدلا من : أي مطر . ولكن عبثاً أراد أن يحبب إليه أن يُصلح من لغته ؛ فإن مالكا لم يقتصر على الاستشهاد بأن أستاذه ربيعة بن أبي^(٧) عبد الرحمن — هو الفقيه للذني (المتوفى ١٣٦ هـ) المعروف باسم : ربيعة الرأي^(٨) — كان يخلط في الإعراب ، إذ كان يقول : بخيراً بدل : بخير ؛

(١) السعدي : مروج الذهب (طبع ١٣٤٦ هـ) ج ٢ ص ٢٥٨ ؛ ياقوت إرشاد ج ٦ ص ١٠٦ ؛ الجهشيارى (BAHO) ص ٢٠٥ ؛ وكتاب التاج (نشر أحمد زكي) ص ١١٦ .
(٢) ياقوت : إرشاد ج ٤ ص ١٧٩ .

(٣) سماه ياقوت (إرشاد ج ٦ ص ١٠٩) الشوكري من الكوفة ؛ وسماه خلف في شعره : الشوكري ، وعقب عليه ياقوت برواية عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار ، ومن هنا سماه شوكر — غلطاً — كل من الذهبي : ميزان ج ١ ص ٤٥٢ ؛ ابن حجر : لسان ج ٣ ص ١٥٨ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٥٢ ؛ ابن حجر : لسان ج ٤ ص ٩ ؛ تهذيب ج ٩ ص ١٥٣ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١٠٩ : « إنما يروي لهؤلاء من يقول قالت ستي ويدعونه ويسبح بالحمى ويحلف بحيت المصنف ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول أكلنا وشربنا » .

(٦) الصولي : أدب السكتاب ص ١٣٣ .

(٧) سقط لفظ : أبي في الموضع المشار إليه .

(٨) أطلق هذه التسمية عليه — بادي ذي بدء — خصومه المرافيون تصغيراً من شأنه =

ولكنه علل رفضه أيضاً بسبب أبعد مدى ، حيث تمثل بحكمة لزاهد لم يسمه^(١) :
أعربنا في كلامنا فما نلحن ، ولحنّا في أعمالنا^(٢) فما نعرب . هذا التحقير من شأن
الثقافة الظاهرية ، الذي يتفق مع عزوف مالك عن العلوم الدنيوية^(٣) ، أسهم
بقسط غير ضئيل في أن النحو وعلم اللغة لم يجدا بالمدينة تربة خصيبة ، وحتى في قراءات
القرآن المدنية يلاحظ نوع من التساهل في الشئون النحوية . فهذا نافع (المتوفى سنة
١٦٩ هـ^(٤)) يقرأ في آية ١٠ من سورة الأعراف : معاش ، بالهمز بدل : معاش ،
فعامل لفظ المفرد : معيشة ، كما لو كان على وزن فعيلة . وكون الصيغ المشتقة غامضة
بحيث يتلاشى الإحساس بأصلها ، أمر يتكرر دون انقطاع في تاريخ اللغة العربية^(٥) .
على أن النحاة قد رفضوا دائماً الاعتراف بمثل هذه الصيغ الجديدة ؛ هذا سيبيويه
يحكم على : مصائب ، بدلا من مصاوب (جمع مصيبة) بأنه خطأ . ورجال تنقية اللغة
المتزمتون تمسكوا دائماً بذلك المبدأ ، فأبقوا الواو والياء في صيغة الجمع على حالهما
(الأجوف) . على أنه في الاستعمال اللغوي قد ظهرت بكثرة مستفيضة صيغ

= (تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٢٣ . كما أن وصفه بالي في أغلب تراجمه (ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٩ ؛
الفهرست ص ٢٨٥ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٢٢٥ إلخ) ترجع إلى حكاية مخترعة ، أساسها تصرفه
في القول كل متصرف مع الإسهاب والإطناب . والباعث إلى ذلك ملل المستمعين كما تجد ذلك
منسوبا إلى الفضل الرقاشي (أغاني ج ١٥ ص ٢٥ ؛ تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٤٥ ؛ المرزباني :
موشح ص ٢٩٨) .

(١) نسب الجاحظ (بيان ج ١ ص ١٠٣) هذه الحكمة لابراهيم ابن آدم (المتوفى ١٦١ هـ) ،
وكررها دون تسمية قائلها ج ٢ ص ٥ ورويت في تعبير مختلف عند ابن قتيبة : عبون ج ٢ ص ١٥٩ ؛
وانظر أيضاً : Goldziher ZDMG 26.776 Anm. 4 .

(٢) في أدب الكتاب للصولي : في كلامنا في الجملة الثانية أيضاً ، والصواب ما ذكر .

(٣) يظهر أن هذه المرحلة في حياة مالك كانت عابرة ، وأنه في وقت متأخر عن ذلك كان
يبحث على تعلم الإعراب ودراسة القواعد ، وقد روى القلقشندي عنه حكما وأقوالا في مدح الإعراب :
صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ .

(٤) الذهبي : ميزان ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٥) انظر في توليد أصول جديدة في العربية A. Meg في بحثه المنشور في كتاب تكريم
المستشرق : نولدكه ، ص ٢٤٩ ؛ وقد صيغ في اللهجة الدارجة من لفظ معيشة ، فعل تمعش ، أي
اكتسب معاشه ، انظر : Dozy ج ٢ ص ٦٠٢ .

جديدة مهموزة^(١) بحيث رأى بعض البعيدى النظر ، من علماء اللغة ، ضرورة الاعتراف^(٢) على الأقل بمصائب ومناثر ، بعدّها شاذين قياساً ، وإن كانا مطردين في الاستعمال جميعين لمصيبة ومناثرة . ولم يعد القارئ المدنى أصواتاً أخذت عليه عدم نصره بالقواعد^(٣) بسبب صيغة : معائش ؛ وكانت نتيجة ذلك النقد^(٤) أن اعتمدت الصيغة الفصيحة : معاش ، في قراءتى قالون وورش عن نافع المدرجتين في القراءات السبع المعتمدة ، بحيث لا يوجد ، إلا في إشارات متفرقة في كتب النحو واللغة ، ما يذكر بقراءة نافع^(٥) .

هذا التساهل الذى ظهر عند مالك ونافع تجاه القواعد ، لم يكن من النادر ظهوره أيضاً خارج المدينة في صفوف المحافظين . ففي كل مكان ، ولا سيما بين الحديثين ، وجد رجال كان الاشتغال بالقواعد في نظرهم عبثاً ، إن لم يكن مضية للوقت جدّ مفسدة . وقد كان معوّلم في الاشتغال بالحديث على الموضوع ؛ أما الصيغة والقالب فقد كانا في المحل الثانى - حقاً يزعم الجاحظ^(٦) أن الكوفى أبا معمر (عبد الله بن سخبرة^(٧)) ، الذى عاش في أواسط القرن الأول ، كان يميز كل رواية على الصورة التى سمعها عليها ، بكل ما فيها من خطأ ؛ بيد أن هذا الخبر ، الذى يرجع مسائل لم تحدث إلا في عصر متأخر إلى أوائل عصر الرواية ، لا يستحق الوثوق به ؛ فإن مثل هذه الدقائق لا ينتظر حصولها في أواخر القرن الأول ؛

(١) انظر تصرّخ ثعلب في تاج العروس ج ٣ ص ٥٨٧ .

(٢) انظر المعاجم اللغوية في مادتي : ص وب ؛ ن و ر .

(٣) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ٩ ؛ ابن يعيش ص ١٤٣٤ ؛ تاج العروس ج ٤

ص ٣٢٨ .

(٤) لم يكن ذلك نتيجة النقد المشار إليه ، بل كل من قراءتى معائش بالمعز ومعائش دون همز ،

راجع إلى روايات عن نافع .

(٥) المازنى : التصريف اللوكى (ذكره ابن الأثير في المثل السائر ص ٩) ؛ ابن خالويه

(bibl . Isl . VIII) ص ٤٢ حيث ذكر أنها قراءة خارجة بن مصعب بن نافع والأعرج ؛

تاج العروس ج ٤ ص ٣٢٨ ؛ ويشير إلى عدم عناية قراءة مكة بالقواعد تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٥٣

(٦) بيان ح ٢ ص ٢ .

(٧) ابن حجر : تهذيب ج ٥ ص ٢٣٠ .

وإن نسبت^(١) مثل هذه الدقة في رواية الحديث إلى البصري ابن سيرين (حوالي ٣٣ - ١١٠ هـ)؛ كذلك ليس جديراً بالتصديق الخبر الذي ينسب إلى الشعبي (حوالي ١٩ - ١١٠ هـ) أنه أجاز فيما روى من الحديث دون إعراب أن يحلّ بالإعراب^(٢)، أي أن يحول الحديث الذي روى باللغة الدارجة إلى أسلوب عربي فصيح. وأجدر من ذلك بالقبول أن الشعبي كان أحب إليه أن يقرأ فيسقط من أن يقرأ فيلحن^(٣)، بل إنه كذلك لم يكن يلحن حتى في المزاج^(٤)، وأنه كان يستصوب اشتغال الموالي بالنحو والقواعد، لأن فساد اللغة، بدأ صدوره منهم^(٥). كذلك البصري أيوب السختياني (٦٨ - ١٣١ هـ) روى أنه كان إذا لحن في حرف قال أستغفر الله كأنما عد اللحن ذنباً اقترفه^(٦). كما روى أنه أوصى بتعلم النحو فإن تعلمه يرفع الوضع وإهماله يضع الشريف^(٧). ومثل هذه الآراء تتفق تماماً مع ترجمة سيد الفتيان^(٨) الذي تجلّى نبيل مذهبه في لفته المختارة المتنخلة كذلك. ولكن بعد أن توطدت أسس المدارس النحوية في العصر العباسي الأول، على نظام دقيق، ونمت حركة التعليم والتعلم نمواً مطرداً، أمكن تكوين رأى حول مسألة: هل يجب مراعاة مقتضيات سلامة اللغة في رواية الحديث، وإلى أي حد يتعين ذلك؟ وهكذا نسمع أن المحدث الكبير: الأعمش (٦٠ - ١٤٧ هـ) الكوفي لم يكن يبالي في تجنب اللحن فحسب^(٩)، بل كان كذلك يصحح كل رواية ملحونة بحجة أن الرسول

(١) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٦ .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٦ .

(٤) الزجاجي : أمالي ص ١٤ (طبع ١٣٢٤ هـ) .

(٥) المبرد : كامل ص ٢٦٤ ؛ الجاحظ : بيان ج ١ ص ١٧٦ .

(٦) الصولي : أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .

(٧) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥٠ .

(٨) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٤ .

(٩) المعجل (المتوفى ٢٦١ هـ) مؤلف كتاب الجرح والتعديل ، انظر الذهبي : تذكرة الحفاظ

ج ٢ ص ١٢٧) كما نقله عنه ابن حجر : تهذيب ج ٤ ص ٢٢٣ .

[صلى الله عليه وسلم] لم يكن يمكن أن يلحن^(١). وكذلك أوصى الدمشقي سعيد بن عبد العزيز التنوخي (٩٠ — ١٦٧ هـ)^(٢) بمحو كل لحن من الحديث^(٣). كما أن البصري حماد بن سلمة (المتوفى ١٦٧ هـ)^(٤)، الذي كان يعدّ أفصح من عبد الوارث بن سعيد (١٠٢ — ١٨٠ هـ)^(٥) وقد كان هذا الأخير مضرب المثل في الفصاحة، كان يتشدد مع تلاميذه في التحرز من اللحن في الحديث، حيث كان يغالى بقوله: من لحن في حديثي فقد كذب على^(٦). ويروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالجار عليه مخلاته ولا شعير فيها^(٧). ويُعدّ من تلاميذه «سيبويه». وتذكر الرواية^(٨) أن السبب الذي حمل هذا الأخير على دراسة النحو هو أنه كان يستملى على حماد فقال حماد يوماً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء^(٩)، فقرأ غلطاً ليس أبو الدرداء^(١٠).

-
- (١) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٠ .
 (٢) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٧١؛ الذهبي: تذكرة ج ١ ص ٢٠٣؛ ميزان ج ١ ص ٣٨٦؛ ابن حجر: تهذيب ج ٤ ص ٥٩؛ الجزري: غاية النهاية ج ١ ص ٣٠٧ .
 (٣) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٥ .
 (٤) ابن قتيبة: المعارف ص ٢٥٢ .
 (٥) الذهبي: تذكرة ج ١ ص ٢٣٧؛ ميزان ج ٢ ص ١٦٠؛ ابن حجر: تهذيب ج ٦ ص ٤٤١ .
 (٦) السيرافي: أخبار النحويين البصريين ص ٤٣؛ ابن الأنباري: نزهة ص ٥٠؛ ياقوت: إرشاد ج ٤ ص ١٣٥ .
 (٧) ياقوت: إرشاد ج ١ ص ٢٦ .
 (٨) السيرافي: أخبار النحويين ص ٤٣؛ ابن الأنباري: نزهة ص ٧٢؛ ياقوت: إرشاد ج ٤ ص ١٣٥؛ محيط المحيط ص ١٩٣٦؛ انظر أيضاً ابن قتيبة: معارف ص ٢٥٢ .
 (٩) كذا في أخبار النحويين؛ وفي النزهة ليس أحد؛ وفي ياقوت: ما من أحد من أصحابي إلا ولو شئت لأخذت عليه . انظر ابن حجر: الإصابة ج ٢ ص ٢٥٣؛ كنز العمال ج ٦ ص ١٨١ .
 (١٠) انظر في ليس بمعنى أداة الاستئناء سيبويه ج ١ ص ٢٢٨ (Dere nbourg)؛ Fleicher. Kleine Schriften I, 147 . وجاءت ليس مع رفع المستثنى في رواية واحدة في كنز العمال، وما عدا ذلك بلفظ: غير وإلا .

وفي الجيل التالي لهذا أقام — مثلاً — الكوفي عبد الله بن إدريس الأودي^(١) (حوالي ١١٥ — ١٩٢ هـ) وزناً لسلامة اللغة ؛ لقد كان يفضّ درسه إذا لحن واحد من تلاميذه^(٢) . ويروى أن معاصره وهب بن جرير (المتوفى ٢٠٦ هـ)^(٣) كان يحثّ على تعلم النحو^(٤) ؛ كما أن آخرين كانوا يطلبون — على الأقل عرضاً — معرفة ما يعرض لهم من غريب الحديث عند علماء اللغة . ولما حضر الشاعر ابن منذر ، الذي سنلتقي به مرة أخرى فيما يلي ، مجالس سفيان بن عيينة^(٥) (١٠٧ — ١٩٨ هـ) في مكة بين ١٨٧ و ١٩٨ هـ ، كان ذلك الحدث الرفيع المكانة يسأل مستمعه عن معاني حديث النبي [صلى الله عليه وسلم] فيخبره بها^(٦) . على أن سفيان لم يكن ذا دراية مؤسّسة باللغة القديمة — كان هو نفسه يشكو انحطاط مستوى الأدب في دوائر أضرابه في الفن^(٧) — وإلا لما عدّ^(٨) لفظ : ملصق ، الذي معناه : ملحق ، وهو لفظ كثيراً ما يستعمل في تحقير أدياء النسب ، رديفاً لحليف ، أي معاهد على الحلف .

وعلى النقيض من ذلك لم تهتم غالبية المحدثين أصلاً بالنحو لذاته ، بل لم يكن يخلو بينهم من كان يلحن في الكلام . فقد روى أن هشيم بن بشير^(٩) ، الذي كان

(١) انظر : تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٥ — ٤٢٣ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٤١٩ .

(٣) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٥١ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٢ .

(٥) ابن سعد ج ٥ ص ٣٦٤ ؛ تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ .

(٦) الأغانى ج ١٧ ص ٩ ، عن المبرد .

(٧) الأغاني ج ٣ ص ٢٢٥ (طبع دار الكتب) والعبارة المروية عنه في هذا الموضع : عهدى بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم فصرنا كما قال الشاعر :

وما أنا إلا كالزمام إذا صحا صحوت وإن ماق الزمان أموق

والتبادر من هذا أنه يشكو من فساد الناس لا من فساد اللغة والأدب بالمعنى الخاص .

(٨) مسلم : فضائل الصحابة (القسطلاني : إرشاد الساري ج ٩ ص ٣٨٩ على الهامش) .

وفي لفظ ملصق انظر معاجم اللغة .

(٩) ابن قتيبة : معارف ص ٢٥٣ ؛ فهرست ص ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٨٥ .

في رأى مالك ، المحدث الوحيد الذى يعتد به في العراق ، كان لحناً ، وقد ذكر شاهداً على ذلك^(١) أنه قرأ على الخليفة المأمون الحديث^(٢) : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجعلها كان فيه سِدادٌ من عوز ففتح سين « سداد » غلطاً . على أن هذا ليس لحناً فظيماً بوجه خاص ، لأنه وإن كان سداد بكسر السين قد ثبت أنه على وزن فعال المستعمل في أسماء الآلات بحسب الأصل ، فإن لفظ : سداد بالفتح — الذى هو في الأصل مصدر من سد بمعنى أصاب الصواب — قد اعتمد صحته أيضاً^(٣) بعض الكوفيين ، كابن الأعرابي ، الذى انضم إليه ابن قتيبة^(٤) ، وابن السكيت^(٥) . وعلى النقيض من ذلك كان من الاستعمال الدارج قول هشيم : يُوْنِس ، بفتح الياء وكسر النون^(٦) بدلا من ضمها^(٧) . ولما كان لفظ يونس قريناً في صيغته للفظ يوسف ، فمن المظنون أن هشيماً كان يقول أيضاً : يُوْسِف بفتح الياء وكسر السين ، وأنه كان يرى فيه مقياساً للفظ : يُوْنِس ، كما هو الحال في اللغة الآرامية . ومثل هشيم أيضاً كان وكيع بن الجراح^(٨) معاصره ، يلحن في الكلام . فبشهادة تلميذه ابن المدينى (الذى كان يلحق وزناً لسلامة اللغة كما سنراه) كان وكيع يقول مثلاً : عَيْشَة ، بدلا من : عائشة^(٩) ، وهي صيغة منتشرة اليوم في العربية الدارجة^(١٠) . وقد ثبتت هذه اللهجة في القرن الثالث — التاسع بالنسب إليها في

(١) الأغاني ج ١٥ ص ٢٠ ، ٢٣ (وعنه باختصار ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢١٧) ؛ ابن الأنبارى نزهة : ص ١١١ ؛ الحريرى : درة القواس ص ١٠٥ ؛ وذكره ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ج ٣ ص ٧٠ والزهرى ج ٢ ص ١٨٧ والمسكرى : ديوان ج ١ ص ٩ .

(٢) انظر كنز العمال ج ٨ ص ٢٤١ .

(٣) انظر الحفاجى ، شرح درة القواس (١٢٩٩ هـ) ص ١٥٠ .

(٤) أدب الكاتب ص ٥٧٠ (نشر Grünert) .

(٥) إصلاح المنطق ج ١ ص ١٨٢ .

(٦) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .

(٧) انظر الزمخشري في الكشاف : سورة يوسف آية ٤ وهو لا يتعرف إلا بالضم .

(٨) ابن قتيبة : معارف ص ٢٥٤ ؛ فهرست ٣١٧ ؛ تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٩٦ — ٥١٢ .

(٩) الذهبي : تذكرة ج ١ ص ٢٨٣ ؛ ميزان ج ٣ ص ٢٧٠ ويصحح .

(١٠) انظر مثلاً : B. Spitta. Gramm. S. 228 .

حبيفة : العيشي^(١) ، وهي نسبة اشتهر بها أعقاب « عائشة بنت طلحة^(٢) » ، مثل البصري عبيد الله بن محمد^(٣) (المتوفى ٢٢٨ هـ) وابنه عبد الرحمن^(٤) (المتوفى ٢٢٧ هـ) وقد عرف أيضاً بفساد أسلوبه في التعبير الكوفي اسماعيل بن أبي خالد (المتوفى ١٤٦ هـ) فقد روى مثلاً أنه قال : عن أبوه ؛ حقاً لقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يعمل طحاناً ، وإلى ذلك كان أبوه فارسياً يدعى : هُرْمُز^(٥) . ومن بين الإخوة الخمسة من أسرة الحديث الكوفية ، أسرة أبي أيوب الطنافسي ، كان واحد فقط ينطق دون لحن^(٦) . ويضيف الجاحظ^(٧) . إلى هذه الأمثلة من مخالفة القواعد في دوائر المحدثين ، اثنين آخرين : عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي^(٨) البصري (المتوفى ١٨٩ هـ) وتلميذ غير معروف — فيما عدا ذلك — للبصري هشام بن حسان^(٩) (المتوفى ١٤٧/٨ هـ) ، يدعى : مهدي بن مهلهل ، وكان هذا يرى سلامته في الوقوف على الكلمات لعدم بصره بالإعراب .

ربما جاز لنا أن نلاحظ هنا ، مقدماً ، أن حالة المحدثين في الوقت التالي بقيت أيضاً غير متحدة . فقد ظل بعد ، كما كان قبل ، مبدأ الأداء الحرفي لمادة الحديث المروية عن المحدث ، في نزاع مع مقتضيات سلامة اللغة . فكان الناقد العظيم : علي بن المديني^(١٠) (المتوفى ٢٣٤ هـ) يصحح فقط ما يعرض لألفاظ الرسول

(١) انظر السمعاني ص 404 a 379b .

(٢) El I.229 ؛ البيت الذي روى في العرب للجوابلي ص ٤٥ ، والذي تسمى بمقتضاه :

عيشة ، مصنوع .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣١٤ .

(٤) في الموضع المذكور .

(٥) ابن حجر : تهذيب ج ١ ص ٢٩١ ، ج ١٢ ص ٨٢ .

(٦) الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٩٩ ؛ ابن حجر في الموضع السالف ج ٩ ص ٣٢٨ .

(٧) بيان ج ٢ ص ٥ .

(٨) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٥ ؛ ابن حجر ج ٦ ص ٩٦ .

(٩) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٢٢ ؛ ابن حجر ج ١١ ص ٣٤ .

(١٠) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٥٨ .

من اللحن ، بحجة أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] لم يكن ليتمكن أن يلحن^(١) .
 وكان ابن الطبري في مصر (١٧٥ — ٢٤٨ هـ) يصحح كل خطأ في الحديث^(٢) .
 وكان النسائي ، أحد الجماع الستة (المتوفى ٣٠٣ هـ) يترك كل تعبير يجد وجهاً من
 التصحيح على أنه لهجة خاصة ، ولا يصحح إلا اللحن الصراح^(٣) . وكانوا يعتمدون
 في تصحيحهم على الاستشهاد بأحاديث مصنوعة ، يظهر فيها الرسول تارة ، أو أحد
 صحابته تارة أخرى ، أو أحد كبار الصالحين من الأوائل في بعض الأحيان ، على أنه
 داع مدافع عن سلامة اللغة^(٤) . وفي إحدى هذه الروايات — مثلاً — روى أن
 النبي [صلى الله عليه وسلم] سمع رجلاً يلحن في القرآن فقال : أرشدوا أخاكم^(٥) .
 وقد أذاع هذه الرواية الفقيه المدني : أبو الزناد (٦٦ — ١٣٠ هـ) — يثني ابن سعد^(٦)
 على سلامة تعبيره ، وبصره بالعربية — ؛ وهي وإن كانت ترجع أولاً إلى قراءة
 القرآن فحسب ، فإنه يفهم بذلك من قريب الاحتجاج بها على شرعية تصحيح
 الخطأ اللغوي بوجه عام . وقد انضم إلى هذا عدد من الأقوال المصنوعة على الرسول
 [صلى الله عليه وسلم] . من ذلك رواية أن محمداً افتخر بفصاحته ، مثل : أنا أفصح
 العرب^(٧) ، أو : أنا أفصح من نطق بالضاد^(٨) ، أو : أنا من قريش ونشأت في
 بني سعد فأنتي لي اللحن^(٩) . كذلك قيلت على لسان عمر^(١٠) أقوال تمث على تعلم

(١) السيوطي : مظهر ج ٢ ص ٢٤٦ عن ابن الطيب : مراتب التحسين .

(٢) ابن حجر : تهذيب ج ١ ص ٤٠ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٧٧٧ .

(٤) جمع أبو على المالكي (المتوفى ٤٣٨) طائفة من هذه الأخبار في كتابه : التمهيد .

وقد كشف Kahle هذا الكتاب في مجموعة . Chester Beatty وساق كاله أهم هذه الأخبار
 في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق : جولد زيهير ، وناقشها في مقاله بالكتاب المذكور
 كما سبق في التعليق على مقدمة هذا الكتاب .

(٥) كنز العمال ج ١ ص ١٥١ ؛ مظهر ج ٢ ص ٢٤٦ ، ويزيد : فقد ضل .

(٦) ذكره ابن حجر في التهذيب ج ٥ ص ٢٠٥ .

(٧) مظهر : ج ١ ص ١٢٦ .

(٨) مظهر في الوضع السالف ؛ انظر فيشر ZDMG 59. 837 .

(٩) مظهر ج ٢ ص ٢٤٦ ، وبتوسع في كنز العمال ج ٦ ص ١٠١ ؛ السيوطي : الخصائص .

الكبرى (مطبع حيدر آباد) ج ١ ص ٦٣ .

(١٠) توجد مجموعة من ذلك في كنز العمال ج ٥ ص ٢٢٨ .

العربية^(١) واللحن والقرائض^(٢) ، أو تعلم السنن والقرائض واللحن ، أو أخيراً النحو والسنن والقرائض^(٣) . كما زعم بعضهم أنه قال لارماة الذين لم يحسنوا الرمي فأرادوا الدفاع عن أنفسهم قائلين : نحن متعلمين : إن لحنكم أقطع من خطئكم في الرمي^(٤) . وروى عنه أيضاً أنه أخذ على رجل وضعه الضاد موضع الظاء^(٥) ، وأنه نصح أبا موسى الأشعري أن يقنع^(٦) كاتبه سوطاً حيث لحن فكتب : من أبو موسى . وبسبب الالتباس بعمر الثاني ، نسب بعضهم إلى عمر الأكبر أنه أدب أولاده بسبب اللحن^(٧) . كما يريد آخرون أن يعلموا أن عمر حرّم على عبد الله بن مسعود الذي قرأ : آية ٣٥ من سورة يوسف « عَتَّى حِينَ » بدلا من : « حَتَّى حِينَ » ، أن يدخل^(٨) في متن القرآن مثل هذه الخصائص من لسانه الهذلي . وعلى النقيض من ذلك جعل بعضهم أيضاً ابن مسعود بالذات ، لكونه مشهور الدراية بالقرآن ، يروي أقوالا عن الرسول ، مثل : أعربوا القرآن^(٩) ، أو : جودوا القرآن^(١٠) . كما زعموا أنه كان يسترشد^(١١) برأى القارئ الكوفي : زر بن حبيش (قتل في

-
- (١) كنز في الموضع السالف ؛ صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ ، وروى مثل ذلك في أمالي الزباجي ص ١١٩ منسوبا إلى شعبة .
 (٢) كنز في الموضع السالف .
 (٣) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٥ .
 (٤) كنز في الموضع السالف .
 (٥) القالي : ذيل الأمالي ص ١٤٢ .
 (٦) البلاذري ص ٣٤٦ ؛ الصولي : أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ السيوطي : مزهر ج ٢ ص ٢٤٦ ؛ الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٤ ، ذكر حسين بن الحر بدلا من أبي موسى .
 (٧) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٠ .
 (٨) كنز العمال ج ١ ص ٢٨٤ ؛ ابن جني كما ذكره : Bergsträsser, Nicht Kanonische Lesearten, S. 42 ؛ كشف في الآية المذكورة ، وانظر تولدكه في تاريخ القرآن ج ٣ ص ٦٨ .
 (٩) كنز ج ١ ص ١٥١ .
 (١٠) السيوطي : إتقان ص ٢٣٥ .
 (١١) ابن سعد ج ٦ ص ٧١ ؛ ابن الجزري : غاية النهاية ج ١ ص ٢٩٤ .

معركة دير الجماجم سنة ٨٢ هـ) في أمور اللغة . بيد أن هذا الاتجاه نحو « تنقية اللغة » لم يستطع أيضاً في ذلك العهد أن يثبت ويسود ؛ فقد كانت هذه المسألة عند جل المحدثين غير ذات بال ؛ كما أن مبدأ الاعتماد في الحديث أولاً وبالذات على الموضوع ، أدى بسهولة إلى نتيجة جد سيئة بالنظر إلى الحكم على الخطأ النحوي . وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقي^(١) (١٨٤ — ٢٨٠ هـ) في تعبير شعري فكرة أن خشية الله أفضل من الإعراب وقد أراد تلميذ للشاعر هو الفقيه الحنبلي : النجّاد^(٢) (٢٥٣ — ٣٤٨ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء الأثر الذي تركه في نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية^(٣) . وعلى هذا يتضح أنه ، حتى عند بعض كبار المحدثين ، كان إهمال اللغة ظاهراً ، دون أن يؤثر ذلك في شهرتهم ؛ فإن صدق الناقد العظيم : ابن عدي^(٤) ، كان ثابتاً لا يتزعزع عند معاصريه ، على الرغم من 'لحنه'^(٥) . كذلك بعض الإشارات المذكورة — عرضاً — في مصادرنا تنم على أن اللغة السليمة من الخطأ في دوائر المحدثين لم تكن بحال أمراً مفهوماً بالضرورة . فقد ذكر مثلاً أن حفص بن عمر الحوضي (المتوفى ٢٢٥ هـ) من رجال البخاري كان أعرابياً فصيحاً^(٦) ؛ كما يذكر أن الوضّاع المشهور : غلام خليل (المتوفى ٢٧٥ هـ) كان يتحرى الإعراب^(٧) ؛ وكما رأى الحاكم الأصغر (المتوفى ٤٠٥ هـ)

(١) الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٢٦١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١١ ص ٨٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٨٠٤ ؛ إرشاد ج ٧ ص ٢٥٥ ، وقد ذكر الذهبي نماذج من رواياته المرفوضة في الميزان ج ٢ ص ٢١٤ في ترجمة أبيه : العلاء بن هلال .

(٢) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٨٩ ؛ ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ص ٢٩٣ .

(٣) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩١ ، وقد ساق رواية ذكر فيها شعر أستاذه هلال المذكور؛

وانظر جولد زهر : ZDMG 26. 780 .

(٤) انظر : كتاب محمد بن إسحاق ص ٢١ لمؤلف الكتاب .

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٤٣

(٦) ابن حجر : تهذيب ج ٢ ص ٦٠٦

(٧) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٠ .

جديراً بالذكر أن أستاذه : ابن الأخرم (٢٥٠ — ٢٤٤ هـ) كان يتشدد في التحرز من اللحن في كلامه^(١) .

على أن اللحن لم ينشأ على ألسنة غير المثقفين فحسب ، بل كذلك أيضاً أولئك الذين كانوا يجتهدون أن ينطقوا نطقاً صحيحاً ، دون أن يتمكنوا من النحو في واقع الأمر ، لم يكن من النادر أن يصطدموا بقواعد النحو في صيغهم التي يبالغون في تصحيحها وتنقيحها ، بناء على أقيسة خاطئة . ولما كانت صيغ المقصور والمدود قد اختلطت في اللغة الدارجة ، فقد اجتهد النحاة في استيعاب القوائم ، حسب الإمكان ، لمجموعتي النوعين جميعاً ؛ كما يوجد ثبت من المراجع في هذا الموضوع^(٢) . ورغبة في صحة النطق ، استعمل أنصاف المثقفين كثيراً صيغة المدود أيضاً في كلمات مقصورة . فعلى شهادة الجاحظ^(٣) ، روى أن يوسف بن خالد التيمي^(٤) ، المعاصر لعمر بن عبيد (المتوفى ١٤٤ هـ) كان يقول : قفاء ، بدل : قفا ، صيغة خبطها خبط عشواء ، ولكنها وجدت بعد ذلك أيضاً اعترافاً وتصويباً^(٥) . واللعنان الآخرون ، اللذان نسبهما الجاحظ إلى يوسف المذكور ، من طبيعة أخرى ؛ فأحدهما ، وهو أنه استعمل المضارع : يشج ، بكسر الشين بدل الضم ، يعدّ من الأحوال غير القليلة التي تضطرب فيها حركة المضارع^(٦) ؛ على حين أن الآخر ، وهو صوغ أفعال التفضيل : أحمر ، أي أشد حمرة ؛ أو بعبارة أخرى ، صوغ أفعال التفضيل من أسماء الألوان ، يستحق النظر قليلاً . فأسماء الألوان ، والعيوب الجسمية — في ذاتها — لا تقبل التفضيل ؛ ولهذا منع البصريون — بحق — استعمال أفعال التفضيل وصيغ

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، تحت عنوان كتاب المقصور والمدود .

(٣) بيان ج ٢ ص ٣٠ .

(٤) هكذا ذكر في الطبعة القاهرية المحرقة (١٣ — ١٣١١) . والظاهر أنه : السطحي الفقيه المشهور الذي عاش بالبصرة ١٢٠ — ١٨٩ وأدخل المذهب الحنفي في البصرة . انظر ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٧ ؛ الذهبي : ميزان ج ٣ ص ٢٤٩ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ١١ ص ٤١١ — ٤١٣ ؛ ابن أبي الوفاء : الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٥) ابن جني : تاج العروس ج ١٠ ص ٢٩٩ .

(٦) عد أصحاب المعاجم — في وقت متأخر — يشج بالكسر فصيحاً مثل الضم .

التعجب فيها ، مع الحكم على ما جاء من ذلك بالشذوذ^(١) ؛ على حين أن الكوفيين لم يكن عندهم مانع من الاعتراف^(٢) بصحة الاستعمال اللغوي المتأخر ومساواته للأصل في الصحة . على أن الشواهد التي ماقها كلا الطرفين مصنوعة . فواحد منها يروى على ثلاثة أوجه ؛ وهو بيت تهكم فيه قائله بشريف أبي أن ينحر للفقراء في الشتاء :
فأنت أبيضهم سيربال طبّاخ

أما أنه نسب — بغير حق — إلى طرفة^(٣) ، فقد قرره^(٤) ابن الكلبي .
كذلك نسب — بغير حق — إلى رؤبة ، الشاهد الآخر :
أبيض من أخت بني إباح

وهو لا يوجد في ديوانه^(٥) . ولا يصح أيضاً أن نجري مع « تولدكه »^(٦) في الاستشهاد بآية^(٧) ٧٢ من سورة الإسراء : « وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا » ؛ إذ أنه لا تفضيل فيه ، بل معناه : أن الأعمى في الدنيا هو في الآخرة أعمى أيضاً ، بل أضل عن الطريق . نعم يروى أن أبا عمرو ابن العلاء كان يرى أن معناه هو أكثر عمي ، كما يروى أنه كان يفرق في لفظ أعمى بين صيغتي الوصفية والتفضيل بأن الأول يقرأ بالإمالة ، والثاني دون إمالة^(٨) . ولكن معنى العمى لا يتأتى فيه التفضيل إلا في حالة استعماله مجازاً في الضلال ونحوه . أما استعمال : أضل سبيلاً على صورة التفضيل ، فلا يقتضي ذلك أيضاً في مساوقه .

(١) انظر الفصل في الموضوع المذكور .

(٢) انظر ابن الأنباري : الإنصاف ص ٦٨ — ٧٠ ؛ ابن عيش ص ١٠٤٦ ؛ عبد القادر خزانة ج ٣ ص ٤٨١ ؛ وعلى النقيض من ذلك لا يوجد شاهد في البيت : أبيض من آل أبي عتيق ، فهو وصف لا تفضيل فيه . وهو من قول الزبير بن العوام (ابن قتيبة : عيون ج ٣ ص ٩٥) .

(٣) نشر Seligsohn Suppl. VII .

(٤) خزانة الأدب ج ٣ ص ٤٨٤ .

(٥) انظر خزانة الأدب ج ٣ ص ٤٨٢ .

(٦) Zur Grammatik des Klassischen Arabisch Wien 1896. S.16 .

(٧) عالج هذه الآية الشريفة المرتضى في أسأله ج ١ ص ٥٩ .

(٨) الشريف المرتضى : أسأله ج ١ ص ٦ ؛ الكشف في الآية المذكورة .

ثم يدور الكلام بعد ذلك حول بعض أبيات ظُن فيها — بغير حق — استعمال اسم التفضيل في الألوان . فمثلاً قال الأحدب السعدي ، أحد اللصوص في مختم القرن الأول :

لما دعاني السهرى أجبتُ بأبيض من ماء الحديد صقيل^(١)

ولا تفضيل هنا كذلك . ويشبه هذا أيضاً بيت للعديل بن الفرخ العجلي ، معاصر الحجاج^(٢) ، كما يشبهه بيت في حماسة أبي تمام^(٣) ، ينسب إلى الشاعر :
أبي الأبيض العبسي الذي قيل إنه توفي في عهد هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥ — ١٢٠ هـ) كذلك لا تفضيل في نصف البيت الذي قاله عبد الله بن الزبير سنة ٧٥ هـ :

[هما خطتا خسف نجاؤك منهما] ركوبك حوليا من الثلج أشهباً^(٤)

وأقدم ما يوثق به من استعمال صيغة التفضيل في الألوان ، هو ما نجده في الحديث^(٥) عن نهر الكوثر في الفردوس : « ماؤه أبيض من اللبن » .

مثل الأخطاء اللغوية التي ذكرناها في هذا الباب ، هي الأخبار الوحيدة عن اللغة الدارجة بين المثقفين في العصر العباسي الأول . وعلى النقيض من ذلك لانكاد نعلم شيئاً عن لغة الطبقات الوسطى والدنيا في المدن والأقاليم . بيد أننا لانكاد نخطئ شاكلة الصواب إذا افترضنا أن اللهجات الوطنية القديمة ، كانت سائدة في الوديان

(١) أغاني ج ٢١ ص ٧٧ عن أخبار اللصوص للسكري ؛ ونسبه البحري ، وهو غير دقيق في نسبة الشعر ، إلى زيد الخيل الطائي ، المتوفى ١٠ هـ ، في حماسة رقم ٢٠٧ (مع تغيير طفيف : ولما دعاني الخيري .

(٢) انظر الأغاني ج ٢٠ ص ١٢ .

(٣) Freitag ٢٢١ .

(٤) أغاني ج ١٣ ص ٤٢ ؛ المبرد : كامل ص ٢١٧ ، ص ٦٦٦ ؛ ابن قتيبة ص ٢٠٤ ؛ خزاعة الأدب ج ٣ ص ١٧٥ ، وضبطه هنا بضم التاء جمع أثلج أي نشط وهو غير ظاهر ، بل المراد — فيما يظهر — الثلج المعروف ، بقرينة الأبيات في السياق ، إذ المراد أنه إذا هرب إلى خراسان فسقيم هناك في الثلج والبرد القارس الحولي .

(٥) البخاري : الرفائق ؛ وذكر الترمذي في تفسير الحديث المذكور الثلج ، بدلا من اللبن ، وأغلب النصوص تذكر الثلج أيضاً ؛ انظر المراجع في : Wensinck l. 241 b ؛ كنز العمال ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٧٤ .

والسهول في كل مكان : اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا ؛ ولهجات البربر في شمال أفريقية ، والقبطية في مصر ، واللهجات الآرامية في سورية وما بين النهرين . على أنه ، حتى في المدن ، لم تكن الكلمة العليا للعربية : إذ ذاك في مكان ما بعد . ففي مدن العراق كانت الفارسية سائدة بين الطبقات الدنيا إلى مدى بعيد ، بحيث كان الأصمعي يُعدّ أمانة على ضعة الشخص أن يتكلم بالفارسية^(١) في مصر عربي . والأصمعي نفسه ، الذي كان يحسن^(٢) الفارسية ، أمكن أن يعتمد على فهم السامعين حينما فسر^(٣) لفظ : « قصب » في معلقة عنتره (XXI ٣٧) بكلمة : ناي ، أي مرمار ؛ أو إذا سمى كثيراً صاحب كُرْجَج^(٤) ، أي صاحب دكان . ومعرفة الفارسية ، التي كانت تظهر هنا أو هناك فقط عند العرب في العصر الأول^(٥) ، صارت غير نادرة في صفوفهم لذلك العهد . وهكذا ، يؤخذ من تقرير^(٦) عن الطيب « سرجويه » Sargoë الذي لم يكن ينطق عربية سليمة ، وكان لهذا يخاطب أحد الأشراف : محمد بن عبد الوهاب الثقفي ومن اجتمع لديه من الأعيان بالفارسية ، أن دواثر أشراف العرب بالبصرة ، على عهد المهدي وهارون الرشيد — كان محمد بن عبد الوهاب المذكور (١١٠ — ١٩٤ هـ)^(٧) من أعقاب الحكم بن أبي العاص الذي قام مقاماً عظيماً في فتح فارس^(٨) — كانت تفهم الفارسية . ومن الشواهد أيضاً على أن إجابة

(١) المبرد : كامل ص ٢٣٩ .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٣٠ .

(٣) المبرد : كامل ص ٥٠٢ ؛ وقد استعمل بشار كلمة : ناي . انظر المختار من شعر بشار

ص ١١٤ ، وعرف الأعشى لفظ : نايوم انظر الديوان لنشر : Geyer رقم ١٥٥ ص ٧ .

(٤) لغوة الشعراء (نشر Ch. Torrey ZDMG 65) وانظر الموشح ص ١٤٦ (وجاء

لفظ كرجج في البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٣ ، وفي المغرب للجوالقي ص ١٢٧ ؛ كما ذكر سيويه

لفظ : قريق أو كريق . انظر تاج العروس ج ٧ ص ٥٦ وفيه بيت منسوب إلى أبي قحطان .

(٥) مثل المغيرة بن شعبه ، انظر : Wellhausen, das arab. Reich 73 .

(٦) انظر الأغاني ج ١٧ ص ١٩ .

(٧) انظر الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٦١ ؛ ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ٤٤٩ ؛

الأغاني ج ١٨ ص ٢ .

(٨) انظر : Wellhausen' Skizzen . vorarbeiten VI, S. 111 .

اللغتين كانت أمراً شائعاً ، ما نجد من ألقاب فارسية لمن يسمون — فيما عدا ذلك — بأسماء عربية محضة . وهكذا كان الشاعر المعاصر لجرير : علي بن خليل من قبيلة ضبة ، يلقب بالبرذخت^(١) ، أي الفارغ من العمل . وبه سميت صحراء البرذخت^(٢) ، وهي سهل فسيح عند الكوفة . كذلك المحدث البصري : يزيد ابن أبي يزيد^(٣) (المتوفى ١٣٠ هـ) يدين لغيرته بـلقب : الرُّشك^(٤) : من رشك ، بكسر الراء وفتحها في الفارسية . ولما كان هذا مساحاً للحقول وحاسباً أريباً صار^(٥) لفظ : الرُّشك — فيما يروى — وصفاً في لهجة البصرة بمعنى : قسّام . وبعد ذلك بنصف قرن ، تنذر البصريون فأطلقوا اللفظ الفارسي : « خَشِينْشَار »^(٦) الذي معناه : طير الماء ؛ على أحد المحدثين . على حين كان العالم اللغوي الضليع : أبو عبيدة (المتوفى ٢١٠ هـ) يلقب استهزاء بـلقب : سُيُخْت^(٧) . ولما اعتنق الإسلام ، سنة ١٩٠ هـ ، وزير المأمون فيما بعد : الفضل بن سهل ذو الرياستين ، ولزم الفراش وهو مريض بالحمى ، زاره الطبيب : جبريل بن بُخْتِشُوع ، فوجد في يده القرآن . وقد رأى الراوى ، الذى سجّل هذا المنظر^(٨) ، من الطبيعي أن الزائر سأل مريضه باللغة الفارسية : تَشُونِ بِنِي نامِهَ إيزاد : كيف تجد كتاب الله ؟ وأنه تلقى الجواب بنفس اللغة : خُشَن قَتَشُونِ كليله فِدَمَنَه : حسنٌ مثل كليله ودمنه .

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٤٧ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٣) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٣ .

(٤) انظر ابن حبان في التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٣٧٢ ؛ السمعاني ص 253 .

(٥) انظر الترمذى في كتاب الصوم ؛ السمعاني ص 452 .

(٦) أغاني ج ١٧ ص ١٧ .

(٧) ذكر هذا اللفظ في بيت لابن منذر ؛ انظر الجاحظ : بيان ج ٢ ص ٣ ؛ وذكر في تاج

العروس ج ١ ص ٥٥٠ ؛ وفي تعليق على هامش تاج العروس أنه مأخوذ من اللفظ الفارسي :

سبوخت أى منوّد ، يد أن وزن الشعر يرفض ذلك لصراحة تضييف الباء فيه .

(٨) انظر ابن الفطحي نشر : Lirrert .

اللغة العربية في عصر هارون

بعد أن استقرت في الظاهر أسس دولة الخلافة ببغداد على أيدي مؤسس حكم الأسرة : السفاح (حكم ١٣٢ / ٧٥٠ - ١٣٦ / ٧٥٤) وأخيه وتابعه بوجه خاص المنصور (حكم ١٣٦ / ٧٥٤ - ١٥٨ / ٧٧٥) ، بحيث استطاع الخليفة الثالث : للمهدي (حكم ١٥٨ / ١٧٥ - ١٦٩ / ٧٨٥) أن يباشر ضغطه دون هوادة على عقيدة الثنية (الزندقة) المهددة لوحدة الدولة ، متمماً بذلك عمل سالفه من وجهة السياسة الداخلية ، بلغت الدولة ذروة سلطانها ، بعد خلافة الهادي القصيرة الأمد ، في ظل هارون الرشيد (١٧٠ / ٧٨٦ - ١٩٣ / ٨٠٩) . لقد قدم لها تراوها العريض الذي كان يعتمد على غلات أخصب مناطق الشرق كافة ، وسائل ازدهار الثقافة والحضارة . ولقد كان الخليفة ظلاً ظليلاً ، وسيداً جواداً على الشعراء والعلماء والموسيقيين . ولقد أخذت علوم العربية في عهده نهضة جديدة اقترنت بأسماء الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد والفراء والكسائي . وعند هؤلاء الرجال جميعاً كانت لغة البدويين هي القدوة المثلى ، والنموذج الرفيع ؛ وبذلك كانوا دائماً في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض . وأبو زيد بالذات ، الذي كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، بعث في وقت مبكر إلى نكات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوابه المتنخل المصنّ ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه^(١) وعلى النقيض من ذلك ، كان من قبيل تعصب البصريين على الكوفيين في ظاهر الأمر إذا أخذ على الفراء العظيم (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) أنه لحن بمحضر هارون ، وأنه اعتذر

(١) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٨

(٢) ابن خلكان ج ٣ ص ١٩٤ .

من ذلك بأن اللحن عند سكان المدن لازم لهم كالإعراب عند أهل البادية . وأقل من ذلك جدارة بالتصديق الخبر القائل : إن أبا عبيدة تاقى نصيحة من أبيه ، إذا كتب كتاباً أن يجعل فيه لحناً لتزول عنه حرقه الصواب ^(١) . بل لقد كان محبباً إلى الخليفة أن يجالس النحاة ، وكان يقدر سلامة اللغة حق قدرها . وقديماً روى أنه خاطب زبيدة زوجه فقال لها : يا أم نهر ^(٢) ، بدلا من أم جعفر ، كنيتهما الصحيحة . وكانت زبيدة ، حفيدة المنصور ، امرأة عاقلة مثقفة ^(٣) ، وكانت على قدم من البلاغة بحيث بقى خطابها للأمن ، عند دخوله بغداد ، عالماً بذاكرة الأجيال التالية عهداً طويلاً ^(٤) . بيد أنه لم يكن معروفاً لديها أن اسم العلم : جعفر ، منقول ، وأنه مرادف للنهر . على أن هارون نفسه لم يرض من الأصمعي أن يستعمل في خطابه إياه تعبيراً مهجوراً غريباً : ما لا قننى بعدك أرض ، أى لم تمسكنى ^(٥) وقد تعرض أبو يوسف (١١٣ — ١٨٢ هـ) أول قضاة الدولة — كان أول من حمل لقب قاضى القضاة —

لتخطئة الأصمعي في تفسير المعنى الغامض في تلك القاعدة الفقهية التي صاغها الشعبي : لا تعقل العاقلة عبداً ، بمعنى أن العاقلة ، أى الأسرة ، ليست مسئولة عن دية عبد يُقتل ؛ حيث أراد أبو يوسف أن يفسره بأنه لا دية على العاقلة إذا ارتكب عبد لها جناية قتل . فرد عليه الأصمعي بأنه كان يجب حيثذ أن يقال : لا تعقل عاقلة عن عبد ^(٦) . ففي مثل هذا الجو ازدهرت إلى جانب المعارف الحقيقية ، شدة الذكاء وسعة الحيلة ، ولطف المدخل ، وشهوة القلب . وإذا كان هارون كما في إحدى

(١) الصولى : أدب الكتاب ص ١٢١ والظاهر أن صواب العبارة : حرقه الصواب ، أى حرقه

(٢) الفلشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) السيرافى : أخبار التحوين ص ٦٤ .

(٤) انظر رأى الجاحظ في الموشح للرزباني ص ٣٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٣٣ .

(٦) السيرافى ص ٦٣ ؛ ابن الأنباري : تركة ١٦٣ ، والروايات المساوقة في الصولى : أدب

الكتاب ص ٩٩ ؛ تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٩ ؛ ابن خلكان ج ١ ص ٥١٧ ؛ تاج العروس

ج ٧ ص ٦٥ تجعل بدلا من لاقت ، ألفت الرباعي .

(٧) ابن قتيبة : أدب الكاتب والجواب بقى عليه (طبع القدسي ١٣٥٠ هـ) ص ٨٠ .

الروايات — كان يفرق بين : أنا قاتلُ غلامك على سبيل الإضافة ، بمعنى لقد قتلت غلامك ؛ وأنا قاتلُ غلامك بالتنوين ، على معنى سأقتل غلامك ؛ فهذا يعتمد على نوع من الدقة كان الاستعمال اللغوي الواقعي كثيراً ما يطرحه وراءه ظهرياً^(١) . كذلك التمييز الذي ينم على حدة ذكاء ، والذي روى على لسان الكسائي الذائع الشهرة ، سواء لأنه نحوي ضليع ، أم لأنه قارئ من القراء المعتد بهم ، حيث فرق بين : أنت طالق ، طالق ، طالق ، وبين أنت طالق و طالق و طالق^(٢) ، أو ما شا كل ذلك ؛ فمثل هذا ليس مأخوذاً من اللغة الواقعية الحية . وأحياناً كانت مثل هذه اللوذعية في علوم اللغة لا تصحح خطأ الرواية ، وإنما تصحح القائل نفسه ، بمعنى أنها تقول على لسانه ما لم يقله . فمثلاً حينما مدح الفرزدق حسين بن الأصرم قاتل الجون الكندي لأنه حرم على نفسه تناول اللحم والخمر حتى يقتله ، فقال :

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطات السدائف والخمر

بنصب طعنة ورفع عبيطات ؛ لم يعجب الكسائي هذا القلب والتغير بين الفاعل والمفعول ، فغير البيت :

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطات السدائف والخمر

وعلى هذه الصورة المغيرة يوجد البيت اليوم في الديوان الذي بأيدينا^(٣) . وينقل الرواة الكوفيون أن الذي حمل الكسائي أيضاً على تعلم النحو هو تعييره باللعن ، إذ قال : قد عييت ، بمعنى تعبت ، وكان ينبغي أن يقول : قد أعييت ، لأن عي الثلاثي من : عى بالأمس^(٤) لم يقدر على إتمامه . ومع هذا فلم يخل الأمر من خصومات بين العلماء ؛ إذ كان من الطبيعي أن أحداً من علماء اللغة هؤلاء لم يحصل على دراية

(١) ياقوت ج ٥ ص ١٨٧ وانظر سيبويه ج ١ ص ٧١ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٦ .

(٣) ديوان الفرزدق ص ٣١٧ ، وانظر المبرد : كامل ص ٢٠٩ .

(٤) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٤ ؛ نزهة الألباء ص ٨٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٨٤ .

كاملة بالعربية ، حتى ولا بمعنى أنه كان محيطاً بكل الكنز اللفظي الحى ، الذى كان مستعملاً إذ ذاك فى عالم البادية .

ولما زار العلامة الكبير : أبو عبيدة ، أم الهيثم^(١) ، التى عرفت بأنها أعرابية فصيحة بليغة الكلام ، وصفت له مرضها بكلمات لم تكن معروفة عنده ، حتى سألها فى دهشة عما إذا كان للناس لغتان ينطقونهما^(٢) . وبمحكم هذه الأحوال لم يقم النزاع حول مسائل الاستعمال اللغوى الصحيح فحسب ، بل كذلك حول من يرجع إليه فى ذلك . وهكذا حدث فى الجيل التالى لهذا أن ابن الأعرابى الكوفى (حوالى ١٥٠ — ٢٣١ هـ) لم يشأ أن يعتمد لا بالأصمعى ولا بأبى عبيدة ؛ وهما من هما فى مرتبة العلم التى تسمو على مرتبته بكثير . ولكنه استطاع مثلاً أن يعتمد على أن الرجال الذين يأخذ عنهم من البدو كثيراً ما أعطوه بياناً يتعارض مع آراء الأصمعى^(٣) ؛ أو على أن أبا عبيدة روى : شلت الحجر (من مادة : ش ي ل) أى رفعته ، وشلت يده^(٤) ؛ أى أصيبنا بالشلل ؛ على حين أن الصواب يجب أن يكون : شلت بالحجر (من مادة : ش و ل) و : شلت يده بفتح الشين . بيد أن علم ابن الأعرابى نفسه لم يكن راسخاً بحال . فقد أكدى بصورة مزرية حينما طلب إليه أن يشرح كلمات غريبة فى شعر الطرمّاح^(٥) ؛ كما قرأ : قتلى كذا ، بالذال المعجمة ، بدلاً من قتلى كداء ، فى بيت للمغنى المشهور : ابن أبى سنة ، الذى غير ابن الأعرابى اسمه أيضاً إلى : ابن أبى شبة ؛ وحاول أن ينقذ نفسه^(٦) بتفسير : قتلى كذا ، بأن معناه عدد كبير من القتلى . كذلك لم يفهم مرمى الشاعر فى الكلمات :

[ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام] وأنا لا نخط على النمل

(١) فهرست ص ٧٠ .

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٥ .

(٤) هكذا روى أبو عبيدة فى بيت لورقاء بن زهير ؛ انظر النفاض ص ٣٨٤ .

(٥) أغانى ج ١٠ ص ١٥٦ .

(٦) أغانى ج ٤ ص ٩٢ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٨ .

أى أننا لا نخط على النمل ، بمعنى القروح (والمراد أننا لسنا مجوساً تزوج أخواتنا) . وفى ذلك رمز إلى عادة فارسية ، هى أن يطلب إلى غلام ناتج من زواج الإخوة أن يخط على القروح على سبيل التعويذ والسحر . وقد تخلص ابن الأعرابي ببيان حائر ففسره بأن الشاعر يقول : نحن لا نخط (من خط ، لا نخط من خط) على جماعات النمل لنسلبها زادها ^(١) . كذلك لم تكن معارفه عن الأنساب على ما ينبغي ^(٢) كما أن آراءه اللغوية تتكشف تماماً فى نظريته الجديرة بالنظر ، من أن الذال والظاء يتبادلان مواقعهما فى حالة الاختيار ^(٣) .

وقد بقى لنا مصنف فى لحن العامة يحمل اسم الكسائى ، وهو وإن لم تكن نسبته صحيحة ، فإنه يعتبر أقدم الآثار الأدبية لحركة « تنقية اللغة العربية » . ويذكر هذا المصنف فى مقدمته أنه من عمل الكسائى لهارون الرشيد ^(٤) . ويحتوى فى ١٠٢ فقرة على ملاحظات متفرقة جمع بعضها إلى بعض حول الاستعمال اللغوى الصحيح . وتبدأ كلها بكلمة : تقول (أى الصواب . . .) ، وقد تبدأ فى بعض الأحيان : لا تقول ، مع ذكر الصيغة المستعملة عند العامة . وكثيراً ما يستشهد بذكر مواضع من القرآن أو آيات الشعر . على أن نسبة هذا المصنف لم تسم عن شك أيا كان . أما أنه لا يوجد منه غير مخطوطين اثنين حديثى الكتابة ، متقاربين تقارباً كبيراً ^(٥) ، فقد يكون ذلك من قبيل المصادفة والاتفاق ، كما هو الحال بالنظر إلى أن صاحب الفهرست لا يعرف هو ولا غيره من كتب التراجم التى بأيدينا مثل هذا

(١) نزهة الألباء ص ٢١١ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٧ . وانظر فى معنى البيت ابن قتيبة ص ٢٢ ، والبطلبوسى عليه ص ٢٩٠ ، والجوالقى عليه ص ١٢٠ ، وتاج العروس ج ٨ ص ١٤٦ .

(٢) أغاني ج ١١ ص ١٠٠ .

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤) نشر أولاً عن نسخة خطية حديثة رديئة كثيرة الأغلاط (برلين ؛ آلورد ٧١٠٣) ، وناشره ، بروكلمان : المجلة الأشورية عدد ١٣ ص ٢٩ — ٤٦ ؛ ثم نشرها عبد العزيز الميمنى فى : ثلاث رسائل ، بالقااهرة ١٣٤٤ هـ ؛ ص ١٩ — ٦٨ على أساس نسخة خطية حديثة أيضاً فى بومباي ، ولكنها أحسن من الأولى كثيراً . ويرجع إليها فى الاستشهاد .

(٥) مطلعهما : هذا كتاب ما تلحن فيه العامة مما وضعه على بن حزة الكسائى للرشيد .

المصنف للكسائي . ولكن أحق من ذلك بأن يلفت النظر ، هو أن السند الوحيد الذي يروي عنه مع ذكر اسمه ، هو البصري المعروف : أبو زيد الأنصاري (حوالى ١٢٥ - ٢١٥ هـ) الرجل الذي عاش بعد الكسائي المتوفى فى سن الثمانين أو التسعين . ومع هذا فإن أهم من ذلك تلك الأحوال ، التى لا يتفق ما ينقل فيها من الآراء فى هذا المصنف ، مع ما هو معروف فى معاجم اللغة الأصلية على أنه رأى الكسائي . فمثلاً يخطئ المصنف المذكور : بقم بكسر القاف ، (رقم ٣) ؛ ولكنه يرجح : وددت (رقم ١٩) ؛ كما يفرق (رقم ٨٧) بين : قبسته النار ، أى أعطيته ناراً ، وأقبسته العلم ، أى علمته ؛ وكذلك (رقم ١٠٢) بين : عما ، الواوى بمعنى زاد ، ونمى اليأى بمعنى احمر (الخضاب) واسود . وعند الجوهري وغيره من أصحاب المعاجم — على النقيض من هذا — أن الكسائي ارتضى بقم بكسر القاف ، ووددت بفتح الدال معاً ؛ وأنه فسر الرباعى : أقبس ، بالمعنيين جميعاً : أعطى النار ، وعلم ، على الحقيقة . والحجاز ؛ وقال عن : نما الواوى ، إنها صيغة مفردة سمعها من اثنين فقط من بنى سليم . نعم قد يكون هذا التضارب ناشئاً أيضاً من أخطاء فى مقابلة النقل ، أو مبنياً على تصحيح كتاب أساسى ؛ بيد أنه إذا لم يكن هناك دليل قاطع على صحة النسبة ، فقد بقى من المشكوك فيه ما إذا كان هذا المصنف يحمل اسم الكسائي بحق .

ومهما يكن من أمر فى صحة نسبة المصنف المذكور فى ألحان العامة للكسائي ، فما لاشك فيه أن حركة « تنقية اللغة العربية » على عهد هارون الرشيد قد نضجت نضجاً تاماً . وهنا كان الأصمعى قبل كل شيء هو الذى لم يكتف بجمع كنز المادة اللغوية عند البدويين وترتيبه فحسب ، بل شرع كذلك فى تنظيم الاستعمال اللغوى الدقيق بوساطة تحديدات معنوية غاية فى الدقة . ولا ريب أنه كان فى ذلك كثيراً ما يخالف المعانى والاستعمالات التى ترد فى كلام البدويين ؛ ودعوى ابن الأعرابى أنه وجد فى ألف حالة ، سمع فيها من ثقاته البدويين ، تلك الصيغ التى ذكر الأصمعى أنها خطأ ، ليست غير ذات أساس ؛ على الرغم مما يبدو من أن ابن الأعرابى كان يريد

أن يتخذ موقفه ، إذ أنه حينما كان لا يزال مؤدباً في بيت سعيد بن سلم بن قتيبة^(١) (المتوفى ٢١٧ هـ) ، أثبت عليه الأصمعي في حضرة تلميذه خطأً في تفسير بيت^(٢) . ولكن آخرين من علماء اللغة ، غير ابن الأعرابي ، خالفوا الأصمعي أيضاً في أقواله . وقد أنحى البطليوسي بشدة اللائمة على ابن قتيبة ، لأنه احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في « تنقية اللغة » ، دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة ولو على سبيل العرض فحسب .

وهذه المقتضيات التي يتطلبها مبدأ « تنقية اللغة » ، قد احتذاها الشعر الرفيع في جميع العصور كما هو الأعم الأغلب ، فمثلاً أشعار أبي نواس (١٣٠ - ١٩٩ هـ) أنبه الشعراء ذكراً في عصر هارون ، خالصة من اللحن اللغوي خلوصاً عجيباً . وماعدّه نقاده المشبعون بروح التشكك خطأ ، هو في الغالب نوع من الحرية الشعرية ، أو ضرورة الوزن ، كما نجد عند أسلافه من الشعراء .

وهكذا ، تدين مثلاً الصيغ المختلفة التصريف : سنون وبنون ، التي استعملها بالتنوين ، بدلاً من الإعراب بالحروف^(٣) ، إلى الرغبة في إغارة هذه الأسماء الثنائية (المبني) تمكناً من الأصالة ، كما أنها وردت — بعيدة عن القافية — في أشعار العصر الأموي^(٤) . وزيادة على ذلك ليس من الشاذ العادم النظير أن يستعمل الشاعر في ضرورة القافية ، جمع المذكر السالم بكسر النون بدل فتحها^(٥) . وإذا كان أبو نواس في قوله في مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون^(٦)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) المرهبي : أمالي ج ٢ ص ١٤٨ .

(٣) الخريبات رقم ٦٢ (آلورد) ؛ انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥٢٠ .

(٤) انظر المصادر في : (Nöldeke, NBSS 126 (Nue Beitrage zur semitschen Sprachwissenschaft

(٥) ساق المبرد : كامل ص ٢٩٢ ثلاثة أمثلة لذلك من شعر الفرزدق وسعيم (أصمعيات

رقم ٧٦ بيت ٦ ، ويوجد هذا البيت أيضاً في شعر جرير ، ديوان ٥٧٧) وذى الأصبع

(الفضليات ٣١) وانظر ابن يعيش ص ٦١٣ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٤١١ .

(٦) انظر ابن الأثير : المثل السائر (١٢٨٢ هـ) ص ١١ .

قد خالف قواعد العربية ، من وجوب نصب المستثنى من كلام تام موجب ، فإن هناك شواهد قديمة أيضا^(١) على مثل هذه الحرية الشعرية . كذلك في البيت :

فليت ما أنت واط من الثرى لى رمسا^(٢)

نصب معمولى : ليت ، وهو استعمال قَبلى خاص ، ورد فى رجز العجاج^(٣) (المتوفى ٩٧ هـ) وفى شعر الهذلى عبد الله بن مسهم^(٤) (فى أوائل القرن الثانى) ؛ وترك الهمز فى واط ، بدلا من واطى أمر معتاد .

وأكثر من ذلك لفتاً للأنظار ، ترك الإعراب ، واستعمال صيغ دارجة فى مثل : محدّته بدلا من محدّثة^(٥) ؛ ويأتك ، على الوقف بسكون الكاف ، بدلا من فتحها فى الخطاب^(٦) . وأخيرا من المستغرب البيت^(٧) :

كان صغرى وكبرى من فقايعها حصباء در على أرض من الذهب

لأنه كما فى قواعد النحو البدائية ، لا يجوز تعريف فعل مؤنث أفعّل التفضيل إلا فى حالة ما إذا صار اسما مثل : دنيا ، أو أخذ معنى خاصا ، مثل : أخرى . كذلك من اللحن قوله :

ونشوة سقّطت منها فى يدي

لأن سقّط فى يده ، بمعنى حار أو ندم ، ملازم للمجهول ، وهو فعل غير شخصى لأن سقّط غير متعد^(٨) . فلا يسند إلى الضمير .

(١) انظر تولدكه : Zur Grammatik S. 43 .

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٩٥ .

(٣) انظر المرزبانى : موشع ص ٢١٧ .

(٤) ديوان هذيل رقم ٢٤٧ ؛ وفى الشاعر انظر ابن حجر : تهذيب ج ٦ ص ٢٨ .

(٥) الشعر والشعراء ص ١٩٥ ، وقد صحح فى الديوان ص ٨٩ .

(٦) القالى : ذيل الأمالى ص ٤٧ .

(٧) الديوان ص ٢٤٣ ؛ المحرّيات رقم ٧ (آلورد) ؛ وانظر الحريرى : درة ص ٤٦ ؛

ابن الأثير : النثر السائر ص ١٠ ؛ الميدانى (١٣٤٢) ج ١ ص ٧١ ؛ العامل : الكشكول (١٢٨٨) ص ٢٦٣ .

(٨) ميدانى (١٣٤٢) ج ١ ص ٣٠٢ .

ومع هذا فقد ترد عند شعراء الطبقة الثانية أخطاء صريحة في قواعد النحو .
وهاهو ذا الشاعر الشيعي : السيد الحميري (المتوفى ١٠٥ — ١٧٣ هـ) ، يقول شاهد
على ما نقول^(١) :

أحوك ولا أقوى ولست بلاحن وكم قائل للشعر يقوى ويلحن
وتؤيده في ذلك الروايات التي بأيدينا ؛ فهاهو ذا أحد شعراء سُدَّة الرشيد :
العماني — يدين بهذا اللقب لزيارة له إلى عمان ، أو لسبب غير ذلك ، لكنه على كل
حال ليس من هذا الإقليم المشهور بفساد عريته^(٢) — ينشد بيتي الرجز التاليين
في وصف حصان :

كأن أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلما محرفا
وهو خطأ سرعان ما صححه الخليفة ، حيث اقترح^(٣) عليه وضع : تخال ، مكان :
كأن . وفي القصيدة التي أنشدها إبراهيم الموصلي (١٢٥ — ١٨٥ هـ) متغنياً بجلوس
هارون على عرش الخلافة ، تجد هذا البيت :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما ولي هارون أشرق نورها
فقال : ولي ، بالإشباع ، بدل : ولي بفتح الياء .

وشاعر آخر نابه الذكر في هذا العصر : مسلم بن الوليد (المتوفى ٢٠٨ هـ) ،
يفتخر بأنه ابتدع للفظ : يزيد ، جمع تكسير : أيازيد ، فجعله ذلك هدفاً لنقد
أبي نواس^(٤) . وأخيراً : في شعر ابن ستيابة (المتوفى ٢١٣ هـ) ، الذي وإن كان

(١) الرزباني : موشح ص ١٤ ، وانظر في هذا جولدزهر : Abhandl. Z. arab. Philologie I. 132

(٢) توجد تفسيرات مختلفة عند ابن قتيبة : الشعر ص ٤٧٥ ؛ الأغاني ج ١٧ ص ٧٨ ، ٨١ ؛
تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٣) المبرد : كامل ص ٥١٣ ؛ الصولي : أدب الكتاب ص ٨٦ ؛ ويريد بعض الكوفيين
أن يستشهد بهذا على جواز نصب معمولي كأن ، انظر خزانة الأدب ج ٤ ص ٢٩٢ — ٢٩٤ ،
وتوجد شواهد أخرى في فهارس الشواهد ، فيشر ص ١٥٧ .

(٤) الرزباني : موشح ص ٢٩٠ ، ولا يوجد البيت المشار إليه : رأى المهب أو بأس الأيازيد ،
في الديوان (نشر دي غويه) .

لا يقاس بالشعراء السالفي الذكر ، فقد سارت أشعاره كل مسير ، بتلحين إبراهيم الموصلي إياها ، وتغنيه بها ، نجده يقول : أبو شحاق ، بحذف همزة إسحاق^(١) ، وهي خطوة أولى نحو التسمية المتأخرة .

واللحن في أشعار القصور ، أقل منه في أشعار القرص والمناسبات ، كما نراه في أشعار البصرة لمختتم القرن الثاني . فهذا أبان اللاحق يتهم بالمحاولات الشعرية لأبي النضير الذي كان يخرج المغنيات من الجوارى بالبصرة ، وكان يمدّ أظرف الناس بها :

يكسّر الشعر وإن عاتبته في مجالٍ ، قال هذا في اللغة^(٢)
أى أنه كان متأثراً بخصائص لهجات خاصة ، وأبو النضير يستعمل مثلاً الصيغة الغريبة : فَيَاكَ بأن يعلم^(٣) ، يحزم المضارع على خلاف القاعدة . ولو بقي لنا كثير من أشعاره ، التي تحتسب في الطبقة الوسطى ، لأمكن العثور فيها على لحن أكثر وأوسع .

ومن دوائر أدباء البصرة التي التقينا فيها بمثل ابن مناذر ، يمدّ أيضاً محمد بن يسير^(٤) ؛ رجل وضع النسب ، فتحت له قريحته في الشعر مدخلا إلى قصور المجتمع الرفيع . وقد حمله عدم التسامى في الطموح على الزهادة في أن يضع قنّه في خدمة الخليفة أو كبار رجال الدولة مكتفياً بحياة طفيلية^(٥) في شعار الخمر على نفقة بعض الأثرياء الذين خصهم بالمديح . وقد كانت أشعاره الخفيفة المترقصة ، التي تغنى فيها ، وهو مضطرب المزاج ، بصفائر الأحداث من خواطر أيامه الرتيبة ، محببة إلى الناس

(١) أغاني ص ٩ .

(٢) أغاني ج ٢٠ ص ٧٤ .

(٣) أغاني ج ١٠ ص ١٠١ س ١٣ ، والبيت الذي قال فيه ذلك : فَيَاكَ بأن يعلم وإياك وإياك ، كما في الأغاني ، والظاهر أن الواو موضوعة غلطاً من الناسخ ، ولعل الصواب :
فَيَاكَ بأن يمدِّم إياك وإياك

وإذا فلا لحن في كلامه .

(٤) انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٢٩ — ١٤١ ، حيث سمي الشاعر غلطاً : محمد بن بشير ، انظر تلخيص ص ٦٢٧ س ٩ ، وانظر مراجع أخرى في : فهارس الشواهد لفبصر .

(٥) يتحدث هو نفسه عن تطفله في الأغاني ج ١٢ ص ١٤١ .

دهراً طويلاً . بيد أنها قد عرضت من الوجهة اللغوية سلسلة من السمات المولدة الطابع
مثل حذف الهمزة المحققة ، لا في الصيغ الدارجة فحسب مثل : حرأمة ، بدلا من :
حرأمة^(١) ، بل كذلك في مثل : قِراءة ، بدلا من قراءة^(٢) ، كما أدخل نوعا من
الاختصار الذي اشتهر في اللهجات المتأخرة^(٣) ، بجمعه لفظ : « شاهين » بمعنى صقر ،
على : شواهن^(٤) بدلا من شواهين^(٥) . وفي البيت :

ولو قنيت أتانى الرزق فى دعةٍ إن القنوع الغنى لا كثرة المال

خلط بين : قنع ، بفتح النون ، من مصدر القنوع بمعنى السؤال والتذلل ؛ وقنع
بكسر النون من مصدر القناعة ، بمعنى الرضا^(٦) . وخطأ شنيع استعماله فى الدعاء
المضارع الخبرى الواقعى : يرحنا^(٧) ، بدلا من ماضى الدعاء : رحنا (أى عسى أن
يرحنا) . فإذا أضفنا إلى هذا كله ذلك العدد الجم من الدخيل الفارسى ، حصلنا على
صورة من التعبير الشعرى ابتعدت كثيرا من الشعر الفصيح فى الصدر الأول .
وإذا جاز لنا أن نتق بالروايات التى بأيدينا ، كان عصر هارون هو العصر الذى
وجدت فيه لغة الشعر المرة الأولى مساعفاً فى التعبير الأدبى ، فكما فى قصة جدّ
معروفة ، يروى أن هارون بعد أن قضى على البرامكة ، منع الناس أن يبكوا القتلى
فى مراثٍ تشيد بذكورهم ، ولكن جارية لجعفر بن يحيى بن خالد بكّت سيدها القاتل
فى قصيدة نظمها باللسان الشعبى ، تحتم أبياتها بقولها : يامواليه^(٨) . !

(١) الجاحظ : بيان ج ٢ ص ١٢٣ وقد ذكر نولده شواهد قديمة على ذلك فى : Zur

Grammatik S. 9

(٢) أغانى ج ١٢ ص ١٣٣ .

(٣) انظر : EI I 476

(٤) أغانى ج ١٢ ص ١٣٥

(٥) أوشياهمين ، انظر الفرزدق ص ٤٠٥

(٦) المرزبانى : موشع ص ٢٩٩ ؛ البطليوسى ص ١٨٠ ؛ على أن بعض اللغويين ذكر أن

الأول من الأضداد . انظر القاموس فى المادة .

(٧) المبرد : كامل ص ٢٣٣ ؛ أغانى ج ١٢ ص ١٣٧ ؛ البيهقى : محاسن ص ٣٨١ ؛ الجاحظ

بيان ج ٢ ص ١٠٢

(٨) انظر سفينة الملك لشمس الدين ص ٣٨٠ ؛ محمد بن شنب فى : EI III 484 .

بيد أن حظ هذه الأسطورة من الصحة ضئيل ، مثل التأويل الذي حاكه بعضهم ، في أن أول من نظم أغاني المواليا ، هم عبيد من واسط كانوا يتغنون بها في أثناء العمل . حقاً لقد وجدت في سائر العالم العربي بحور غنائية شعبية ، ولكنه ليس ممكناً بعدُ تحديد مبدأ الفنون السبعة المولدة بحسب الزمان والمكان . فجميع هذه الأغاني يناسبها شعر الأدوار الذي تتحد قافية كل دور فيه ، وإن اختلفت قوافي الأدوار بعضها مع بعض ؛ على حين أن الشعر العربي لا يعرف — من مهبه — إلا القافية الواحدة في القصيدة كلها . بيد أنه قد نظمت في العصر العباسي أغان من شعر الأدوار (المزدوجات) بلغة الكتابة الفصحى أيضاً . وعصر هارون — بالذات — هو العصر الذي لدينا منه شواهد أكيدة على نقل هذه القوالب الشعبية إلى الشعر الفنى . — وأبسط هذه القوالب هو ما يسمى « المزدوجة » ، وهو قالب شعري ، يؤلف فيه بيتان قصيران — في الغالب من الرجز — متحدان القافية ، وحدة خاصة أو دوراً مستقلاً . وقد نظم أبو العتاهية (حوالى ١٣٠ — ٢١٠ هـ) في هذا القالب أرجوزته : « ذات الأمثال » ، وهى قصيدة تهذيبية . روى أنها تشتمل على أربعة آلاف حكمة ومثل ؛ ولم يصلنا منها إلا جزء صغير^(١) . واختار أبان بن عبد الحميد اللاحق ، معاصر أبي العتاهية ، نفس القالب (المطابق للمثنوى الفارسي تمام المطابقة) عند ما صاغ للبرامكة أدب المسامرة ، الفارسي ، الهندي ، في شعر عربي ، مثل : كلية ودمنة بالأبيات^(٢) :

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كليله دمنه

فيه احتمالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

وشاعر ثالث من ذلك العهد ، هو بشر بن المعتز المعتزلي (المتوفى ٢١٠ هـ) الذي زجَّ به هارون في الحبس بعض الوقت لتعاطيه التشيع . فهذا وإن نظم على

(١) ديوان : بيروت ١٩١٤ ص ٣٤٦ — ٣٤٨

(٢) أغاني ج ٢٠ ص ٧٣

النمط المألوف من وحدة القافية^(١) قصيدتيه اللتين قالهما في الفلسفة الطبيعية ، وأشاد
فيهما بحكمة الله المتجلية في الطبيعة ، قد استخدم أيضا إلى جانب ذلك — كما تشير
إليه نصوص متفرقة — قالب المزدوج^(٢) . وأقدم من ذلك — بحق — النظم الفلكي
التعليمي الذي أنشأه محمد بن إبراهيم الفزاري ، مخرج كتاب : « السند هند » الذي
اشتهر إذ ذاك ببغداد سنة ١٥٤ هـ . وهو ابن إبراهيم بن حبيب الذي يروى أنه أول
من صنع الأسطرلاب في الإسلام^(٣) . ونظمه التعليمي الذي لم ينقل منه إلا أربعة
أبيات^(٤) ، من قبيل المزدوج الذي تتألف أدواره من ثلاثة أبيات متحدة القافية
من الرجز . وأسوأ حالا مما ذكرنا ، إثبات أقدم الأمثلة لشعر الموشحات ؛ فإن
« الخمسة » المنسوبة إلى أبي نواس — اثنا عشر دوراً كل منها خمسة مصاريع ،
الأربعة الأولى منها متحدة القافية ؛ أما الخامس فهو على قافية أخرى تدور في المصراع
الخامس من كل دور ، على مثال : أأأأأ ، ب ب ب ب أ الخ — لا تكاد تثبت
صحتها^(٥) . بيد أن هناك ميمية^(٦) ترجح صحة نسبتها إلى حماد الراوية (٩٥ — ١٥٥ هـ)
وهي تشمل على قافية مصرّعة في داخل البيت ، ثم قافية متحدة في جميع الأبيات^(٧) .

خلاف الحلول بتلك الطلول وسحب الذبول بذاك المقام

وكذلك في البيتين التاليين . وتقدم مثالا قديماً آخر لهذه « المقطعة » قصيدة

لسلم الخاسر ، قالها في مدح الخليفة الهادي (حكم ١٦٩ — ١٧٠ هـ) وهي تبدأ :

موسى المطر [غيث بكر ثم انهر]

(١) الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ٩٢ — ٩٧

(٢) الجياط : الانتصار ص ١٣٤ ؛ الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ١٥٥ ؛ التعالي : ثمار القلوب

ج ١ ص ٥١٣

(٣) انظر الفهرست ص ١١٨

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٣٦

(٥) توجد الخمسة المذكورة في حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ١٢٤ (طبع ١٣٤٧) ،

ويظهر أنها من نفس الخمسة التي نسبت إلى أبي نواس في El' Suppl. 194a .

(٦) أغاني ج ٥ ص ٢٨

(٧) تشمل المقامة الثانية عشرة للحريزي على قصيدة يمثل ذلك التصريح .

وتتألف من سبعة عشر بيتاً كلها من قافية الراء على هذا النمط^(١). وسلم المذكور كان تلميذاً لبشار بن برد ، مقتفياً لأثره^(٢). وليس ثمة داع إلى الشك في الخبر القائل إن بشاراً أيضاً حاول نظم المزدوجة والموشح .

وربما رجع إلى القرن الثاني أيضاً تاريخ الدوييت أو الرباعي ، الذي تتحد مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث . فهذا القلب الذي لعب — في وقت متأخر — دوراً عظيماً في الشعر الفارسي ، يقرن أيضاً ببشار بن برد ؛ إذ روى أنه قال في بائعة طيور كان يشتري منها الخل ، هذا الرباعي^(٣) الخالي — فيما يظهر — من الإعراب في أواخره :

رباب ربة البيت نصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

وإن كان يجوز لنا أن نشك في صحة نسبة ذلك إلى بشار . ومثل هذا يقال أيضاً في أغنية باللسان الشعبي ، يقال إن إبراهيم الموصلي (١٢٥ — ١٨٨ هـ) تغنى بها في سكره :

أنا جئت من طرق موصل أحمل قلل خمريا

من شارب الملوك فلا بد من سكر يا^(٤)

وقد ساق ابن خرداذبه هذه الأغنية ليفسر بها نسبة إبراهيم إلى الموصل ، بيد أن أبا الفرج الذي ندين له بالخبر المذكور يعارض بشدة في صحة هذا التفسير^(٥). هذا ، ونحن في حقيقة الأمر لا نكاد نعرف شيئاً عن العربية التي كان يتكلمها الناس في أواخر القرن الثاني . ويصادف فقط أن نعرف من إحدى القصص المروية عن محمد بن منذر (المتوفى ١٩٨ هـ) أنه كان يقال في مكة للإناء بُرمة ، وللغرفة

(١) ابن رشيق : العمدة ج ١ ص ١٢٣ .

(٢) أغاني ج ٢١ ص ١١٠ .

(٣) المرزباني : موشح ص ٢٤٩ ، ودون تسمية القائل في ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١٦٥ .

(٤) رواها الأغاني باختلاف يسير : ج ٥ ص ١٥٧ .

(٥) الأغاني في الموضع السالف

العالية : عُلِّيَّة ، إذ كان يقال لها بالبصرة : قِدر ، وغرفة . وهذا الشاعر^(١) الذي أصله من عدن^(٢) ، والذي يعد من شعراء عصر هارون ، جمع علما كثيرا بشئون اللغة في البصرة ؛ وكان في بادئ أمره متألها متنسكا زاهدا على طريقة الأوائل من المعتزلة . ولكنه وضع نفسه في موضع غير مقبول ، لدى الدوائر التي كان يختلط بها ، بقصة غرامه بأحد أبناء الأسرة الثقفية الرفيعة ؛ وصار من رجال المجتمع المعروف بحرية الفكر (الزنادقة) الذين ليست لهم مبادئ يقدسونها . ويروى أنه صب الخبر ليلا في أما كن العباداة ، حتى تطلخت جباه المصلين به عند حضورهم لصلاة الفجر ؛ واضطر أخيرا إلى مغادرة البصرة مهاجرا إلى مكة ، حيث مات بها سنة ١٩٨ هـ . وقد ذكرنا أن سفيان بن عيينة نفسه ، وغيره من المحدثين ، كانوا يرجعون إليه في أمور اللغة . ويقال إنه ذكر ملاحظته في تسمية الإناء والغرفة عند البصريين والمكيين ، دفاعا عن رجحان كفة البصرة على مكة في اللغة بذكر مثالين يطابق فيهما استعمال البصريين لغة القرآن^(٣) . أما أن أهل مكة كانوا يستعملون بدل اللفظ العربي الأصيل : غرفة : اللفظ الآرامي الأصل : عُلِّيَّة ، فقد أثبتته أيضاً ابن دريد^(٤) . كذلك يؤيد استعمال المكيين لفظ : برمة ، بدلا من : قدر ، ورود ذلك اللفظ بكثرة في أقوال المحدثين ، وإن كان يقال في هذا ، أولا ، إن لفظ : برمة ، يستعمل أيضاً في معنى أخص مما ذكر ، وهو المادة التي تعمل منها القدر^(٥) ، وثانيا ، لفظ قدر معروف بالحجاز كذلك^(٦) .

(١) انظر فيما يأتي الأغاني ج ١٧ ص ٩ — ٣٠ .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥٣ .

(٣) انظر الجاحظ : بيان ج ١ ص ٩ .

(٤) انظر الشواهد في Wensinck, Concordance et Indices 1,176

(٥) أغاني ج ٤ ص ١٥٢ ، وهناك موضع ذكره الهمداني ص ١٢١ يسمى : معدن البرام .

(٦) ابن هشام ص ٦٨٣ ؛ الأزرق ص ٤٤٩ .

العربية المولدة

كان من أثر المقام المسيطر الذي أخذه مبدأ « تنقية العربية » في التربية اللغوية للمجتمع العربي ، أن صارت عربية البدو تعد القدوة المثلى ، والمثل الأعلى من جميع الوجوه ؛ وأن احتذاها المثقفون في الكلام الشفوي ، والتحرير الكتابي جميعاً .

حقاً لقد أثر اختلاف الأحوال ، ولا سيما الانتقال إلى حضارة المدن ، أثراً غير يسير في اللغة أيضاً ، كما يبدو في اختلاف لغة الأدب في شعر المحدثين في أوائل العصر العباسي ، كشعر بشار وأبي العتاهية وابن الأحنف ، اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والمادة اللغوية ، وطرق التعبير ، عن لغة شعراء البادية .

ولكن عربية الدولة هذه احتفظت بالتصرف الإعرابي ، وبقواعد الإعراب والتصريف احتفاظاً تاماً ، ولم تزل من حيث بناؤها الحقيقي ، على الرغم من بعض السمات المولدة ، تسد من اللغة الفصحى . وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن ، منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى ، تعد عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوي . وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية التي أحدثتها سقوط الدولة العربية ، وإن بقي المجتمع الراقى بعيداً عن التأثير بها تأثراً يؤبه له حتى القرن الثالث (التاسع الميلادي) ؛ كما أن الأوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثير بها كذلك . أما اليهود والنصارى بالشرق ، الذين كانوا يعيشون في جو من التراث الأدبي ، يختلف تماماً عن محيط العالم الإسلامي من حولهم ؛ فقد ظلوا طويلاً دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية . ولذلك لم يستخدموا ، لأول عهدهم بالكتابة العربية ، تلك العربية الفصحى ، بل اللغة الدارجة في عصرهم .

ومن هنا كانت الآثار المسيحية — العربية الأولى ، التي ترجع إلى القرن الثاني — الثامن ، ذات قيمة ممتازة أيضا بالنظر إلى تاريخ اللغة العربية ؛ إذ فيها نجد النصوص الأولى للعربية المولدة في صورة متماسكة .

لم يكن للنصارى واليهود ، الخاضعين لسلطان الإسلام بالشرق ، حظ من المثل الثقافي الأعلى للعربية . وقد ألقوا ، من حيث إنهم ذوو أديان نصّ القرآن على حقها من التسامح والحماية ، جماعات دينية في الدولة الإسلامية ذات استقلال ثقافي ، وإدارات خاصة بشؤونهم ، وقوانين مقصورة عليهم ، كما كانوا يحيون حياة اجتماعية واقتصادية خاصة بهم . وعلى عكس ذلك كانوا يشاركون جيرانهم المسلمين في لغتهم الدارجة . وتلك الخصائص القليلة في مادتهم اللغوية وطرائق تعبيرهم ، إنما نشأت من طبيعة الموضوعات التي يعالجونها ، بحيث لا تقوى على تكوين لهجة يهودية ، أو مسيحية — عربية خاصة . نعم كان يهود المدينة على عهد محمد [صلى الله عليه] ينطقون لهجة تختلف كثيراً عن لغة السكان الآخرين بالمدينة ؛ بحيث لم تكن مفهومة لهم . فقد روى عن عبد الله بن عتيق أنه كان يرطن باليهودية ^(١) . بيد أن هذه اللهجة ، التي كانت مقصورة على التفاهم الخاص — كان يهود المدينة يستخدمون في شعرهم دائماً لغة الشعر البدوي — قد اختفت تماماً بطردهم من شبه الجزيرة . وعلى النقيض من ذلك نصارى البدو من العرب ، فهؤلاء يبدو أنهم لم يتميزوا أصلاً في لهجتهم عن الشعراء الوثنيين من أقاربهم في النسب ؛ وإلا لما لقي الأخطل النصراني اعترافاً بأنه شاعر فصيح معتد به . وزيادة على هذا فقد سارعوا بالدخول في الإسلام ، بحيث لم يبق أثر مما زجما كان للهجتهم من خصائص لغوية .

وهذه العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى ، إنما نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية ، الذين لا صلة لهم بالبادية وعريبتها ، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة ،

التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب التي أخضعوها ، فصارت لغة
التخاطب والتفاهم ، والتي تتميز — رغم اختلافها فيما بينها بسبب الاختلاف المحلي
والاجتماعي — تميزاً واضحاً عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص
المشتركة بينها في المادة الصوتية ، وصوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والقواعد النحوية
والمادة اللغوية ، وطرائق التعبير . فمادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير
والتسهيل ، ويتعلق بهذا حذف الهمز^(١) الذي استفاض في العصر العربي الجاهلي
في لهجة الحجازيين^(٢) ، وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح
في صوغ القوالب . كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد ؛ وهذا الصوت الذي هو
في أصله الحرف المطبق القسم للدال ، خاص بالعربية ، بحيث يسمى العرب^(٣)
في أحد الأحاديث المشهورة : الناطقين بالضاد ؛ ويكثر إبداله بغيره من الأصوات على
السنة غير العرب ؛ فيكثر بوجه خاص إبداله بالظاء التي هي الحرف المطبق القسم
للطاء ، وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي . وقد روى الجاحظ^(٤)
قصة البصري الذي سمي جاريتة : ظمياء ، بيد أنه كان ينطق : ضمياء ؛ وقرن بذلك
خبراً يفيد أن نصر بن سيار ، آخر ولاة الأمويين في خراسان ، نصح الموالي أن
يسموا خدمهم بأسماء يستطيعون أن يلفظوها . وهذه التغيرات الصوتية ازدادت
على مر القرون . وكما حاول النحاة أن يعالجوها ، ويساعدوا على التحرز منها ؛
فهاهنا الحريري يحشد في المقامة السادسة والأربعين مجموعة من الألفاظ الظائية ؛
وفي القرن السابع يؤلف ابن مالك قصيدة تعليمية كتب هو شرحها ، مبيناً فيها
فرق ما بين الضادي والظائي من الكلمات . وعلى هاتين السابقتين يعتمد السيوطي
فيما كتبه في هذا الموضوع^(٥) . وكما ذكر على القاري^(٦) ينطق أكثر السوريين

(١) كتب في هذا الموضوع أطروحته للدكتوراه G. Weil سنة ١٩٠٥ .

(٢) انظر تولدكه في تاريخ القرآن ج ٣ ص ٤٢ — ٥١ .

(٣) انظر فيشر في : ZDMG 59, 837 .

(٤) بيان ج ٢ ص ٢ .

(٥) المزهج ج ٢ ص ١٨٠ — ١٨٤ .

(٦) المنح العسكرية — القاهرة ١٣٠٨ — ص ٣١ ، ٣٤ .

وبعض المغاربة الضاد مثل الظاء . وقد ساق — زيادة على ذلك — إلى جانب نطقها الأصلي كالدال المفخمة ، كثيرا من صور الإبدال المختلفة ، فمن الناس من ينطقها كالدال ، وغيرهم كالطاء ، وآخرون يوشنون إليها بالظاء ؛ ثم يذكر بعد هذا أن بعض الناس ينطقها دالا مفخمة ، وبعضهم ينطقها دالا عادية . وأخيرا ينطقها بعضهم لاماً مفخمة ؛ ومن بين جميع هذه الصور ، يكثر نطقها اليوم دالا مفخمة ، وعلى هذا الأساس صورت كتابتها بالحروف اللاتينية . ويبدو أن إبدالها بالدال كان من خصائص النبطية . فقد روى أن زامر هارون الرشيد : برصومه Barsauma — يدل اسمه على أصله الآرامي — المنتمى إلى الطبقات الدنيا من سكان سواد الكوفة^(١) ، كان يقول : أييد ، بدل : أبيض^(٢) . ويكثر في النصوص اليهودية والنصرانية إبدال الضاد ظاء^(٣) .

وتغيير صوتي آخر يعترضنا في العربية المولدة ، وهو يتعلق بالسين والصاد ؛ ففي العربية القديمة نجد — فعلا — صيفا مضاعفة ، مثل : صراط ، وسراط ، وصديق وسديق الخ . وفي لهجة بلعبر ، أحد أفخاذ تميم ، يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربعة التالية : ث ، ق ، غ ، خ^(٤) . وقد ذهب متأخرو النحاة إلى تعميم جواز ذلك التغيير الصوتي بالشرط المذكور^(٥) . وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظت بعض النصوص الشعبية في مثل هذه الأحوال بنطق أصلي واحد ؛ مثل استعمال موسى بن ميمون وغيره من المؤلفين اليهود باطراد : س ق ل ،

(١) الأغاني ج ٥ ص ٢٢٧ .

(٢) أغاني ج ٦ ص ١٦٤ .

(٣) انظر شرح سفر السكوكين لـ ب. سكوس B. Skoss ، نشره G. Graf ؛ ص ٧٩ ؛ Der Sprachgebrauch der ältesten chrstlich - arabischen Literatur S. 6

(٤) فطرب كما ذكره الصحاح وتاج العروس في مادة : س دغ ، وفي ابن خلكان ج ٣ ص ٧٣ وانتظر الفهرست ص ٦٣ حيث ذكر الصويق بدلا من السويق في لغة عمرو بن تميم ، وورد لفظ الصوق بدلا من السوق في بيت لرغيب بن قيس الغنبري رواه الرزباني في الوشح ص ٢٣ وغير ذلك .

(٥) انظر الفصل للزغشري وابن يعنبر عليه .

بدلاً من صقل ، المستعملة في الفصحى^(١) ؛ كما استعملوا الصاد بدلاً من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة ، مثل : صُرم : بدلاً من سُرم^(٢) ؛ ضم بدلاً من سنام^(٣) . واللفظ الشعبي : مصالح : القوات المراقبة على الحدود ، أو بعبارة أخرى مفردة وهو : مصلحي : الجندي المراقبة على الحدود ، نشأ من ربط شعبي لغوي بين لفظ : مسلحة ، ولفظ : مصلحة^(٤) أي مطلب أو منفعة . وعلى عكس ذلك سميت ضاحية بغداد : صَمَالُو — وسميت كذلك باسم أسرى الحرب من مدينة صمالي من أعمال كليسيا ، وقد أنزلهم هارون الرشيد سنة ١٦٣ هـ بهذه الضاحية — وهي في لسان العامة : صَمَالُو^(٥) وقد عارض النضر بن شميل (حوالي ١٢٣ — ٢٠٣ هـ) الرأي القائل بأن السين تقع أحياناً موقع الصاد^(٦) ؛ على حين روى عن الزجاج النحوي (المتوفى ٣٢١ هـ) المعروف بحرية رأيه في الاشتقاق^(٧) ، أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر^(٨) .

والطبيعة الحقيقية للعربية المولدة ، والفرق الخاص الذي يميزها تجاه العربية الفصحى ، إنما يقوم على تغير في تكوينها يعد ترك التصرف الإعرابي من أماراته الظاهرة . وهذا نهجت العربية المولدة منها اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى

(١) Friedlaender Der Sprachgebrauch der Maimonides 1,57

وانظر : اللهجة العربية في عمان وزنجبار تأليف Reinhardt و: Vollers. ZDMG 49,493

(٢) ابن الأثير : المثل السائر ص ١٠٧ .

(٣) جامع الألفاظ للفاسي ص ٤٧٣ ، وهناك أمثلة أخرى في الكتاب السابق ذكره

تأليف : O. Graf

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٩ ، وذكره المقدسي ص ٣١ بمعنى رجال المكس

على الحدود ، وعبارته : صاحب ربع مصلحة ومسلحة .

(٥) البلاذري ص ١٧٠ (اقرأ صمالي بدل صمالي) ، كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ج ٢

ص ٦٧٠ ج ٢ ص ٤١٦ ، وانظر أيضاً : Sachau, Vom Klosterbuch G

(٦) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١١٥ ؛ الحريري : درة ص ١٥ ؛ ابن خلكان

ج ٣ ص ٧٢ .

(٧) انظر في هذا : حجة الأصبهاني : الموازنة ، كما ذكره ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٥٥ ؛

السيوطي : مزهر ج ١ ص ٢٠٦ .

(٨) الخفاجي على الحريري شرح الدرر ص ٢٣ .

قبل ذلك بكثير . وهذا لا يدل على أن ذلك التطور يرجع إلى أسباب عربية داخلية بحجة ؛ فإن الحقيقة الثابتة من أن التصرف الإعرابي عاش قرونا طويلة في لغة البادية ، ولا يزال ماثلا في بعض بقاياها إلى هذا اليوم ، تنطق بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال . بل أقرب من هذا أن نلتمس سبب هذه الظاهرة في أن لهجات تلك الشعوب ، التي اتخذت لغة السادة العرب لسانا لها — نتيجة للفتوحات العربية — كانت من النوع التحليلي الذي تنازل عن ظواهر تصرفه ، وضوابط استعماله الكلية كثيرا أو قليلا . ومهما يكن من أمر ، فإننا نرى في مصادرنا ، في ذلك الصدد ، إلى جانب التعبير الخاطئ ، في الأصوات العربية ، إهمال حالات الإعراب ، وتصريف الأفعال ، أمانة بارزة للغة العربية على لسان غير العرب من سكان الدولة جميعا . وهذا لا يمنع أن العربية قد أخذت في الأقاليم المختلفة صوراً مختلفة ، وأنها كانت في المناطق الآرامية ذات جرس يختلف عنها في فارس ، وفي مصر ، وغيرها من شمال أفريقيا . ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها بوساطة سلسلة من قوالب التعبير الجديدة ، التي أخذت ، في عربية الدولة ، وبعد ذلك في العربية المولدة ، الصفة النحوية التي كان يأخذها الإعراب في العربية الفصحى . ومن قوالب التعبير المذكورة — مثلا — التجديد في علاقات مواقع الكلمات ؛ إذ أن ترك الإعراب في أواخر الكلم يجعل من المتعذر تمييز الفاعل (إلا إذا كان في صورة ضمير يتميز بصيغته) في آخر الجملة ، أو بعد المفعول فبدلاً من ذلك يجد المفعول المباشر في الجملة الفعلية مكانه الطبيعي بعد الفعل مباشرة ، على حين يتقدم الفاعل إلى مطلع الجملة قبل الفعل ، بينما يتميز الجرور — كما في اللغة الفصحى — بتقدم الاسم المضاف أو بحرف الجر . ويجوز وضع الفعل اللازم في صدر الجملة ، كما يجوز أن يتبعه مفعول غير مباشر ، وتتم الجملة بالفاعل . وحتى في الأفعال المتعدية لا يوجد في الترتيب القديم سبب للالتباس إذا كان المفعول ضميراً متصلاً (أكلوني البراغيث) . وعلى الرغم من ذلك كثيراً ما يؤدي تقديم الفاعل إلى اضطراب في الجملة القديمة ، بحيث لم يكن من

النادر أن نجد منذ القرن الثالث خروجاً على الترتيب القديم حتى عند خيرة الكتاب .
فابن قتيبة — مثلاً — في جمل مثل : فلان قال ، يضع الفاعل قبل الفعل هنا وهناك دون قصر ولا تأكيد^(١) . أما أن الصفة النحوية ، في الإحساس اللغوي الحديث ، قد صارت موقوفة على علاقات مواضع الكلمات ، لاعلى إعرابها ، مع وجود الإعراب ، فهذا ما نراه من أن الخلط بين علامات الإعراب كان يعد طابعاً مميزاً لطريقة التعبير الشعبي . وها هو ذا الجاحظ يذكر الأمثلة التالية نماذج للكلام الملحون^(٢) : ذهبتُ إلى أبو زيد (بدل : ذهبتُ إلى أبي زيد) ورأيتُ أبو عمرو ، مكره أخاك لا بطل ، إذا عزَّ أخاك فهن . وقد ظهر تبادل علامات الإعراب إلى حد بعيد في النصوص النصرانية — العربية للقرن الثالث^(٣) : لا يستطيع أحداً ، أو : لا يستطيع أحدٌ من الناس مثل هذا ؛ وفي الثني وجمع المذكر السالم يقلب النصب على الرفع تقريباً ، مثل : ويقومون البنين ، يدَيك خلقتاني ويداك (!) ضربتاني ، بدلا من : خلقتني يداك وضربتني يداك .

وقد أثر اختلاف ترتيب الكلمات أيضاً في علاقات المطابقة ؛ ففي اللغة الفصحى يقع الفعل في الجملة الفعلية مفرد الصيغة ، ويطابق الفاعل التالي له ، بشروط معينة ، في التذكير والتأنيث ؛ وفي الحالة النادرة — فقط — وهي تقدم الفاعل على الفعل ، يتطابقان أيضاً في العدد . وعلى النقيض من ذلك في العربية المولدة ، التي تميل إلى بدء الجملة الفعلية بالفعل ، لا يندر تحقق المطابقة الكاملة أيضاً إذا تقدم الفعل^(٤) .

وبأنحلال الإعراب ، اضمحلت أيضاً الفروق التي كانت قائمة في العربية الفصحى

(١) انظر مثلاً : عيون الأخبار ج ١ ص ١ ، ١١ ، ١٥ ص ٢٣ ، ١٤ ص ٢٥ ، ١٥ ص ٢٩ ، ١٦ الخ ، وإن كان الترتيب الطبيعي هو السائد عنده .

(٢) بيان ج ١ ص ٦٨ ، وانظر في المثليين المذكورين الميداني — ١٣٤٢ هـ — ج ٢ ص ٢٤٤ أو ج ١ ص ٢٠ .

(٣) أخذت الأمثلة التالية من مجموعة في كتاب : G.Graf Der Sprachgebrauch der ältesten Christlich - arabischen Literatur S 22 ff.

(٤) توجد أمثلة أخرى في الكتاب المذكور .

بين أحوال الإعراب الثلاثة للاسم ، وبين ما ينصرف وما لا ينصرف . ويتجلى ذلك بوضوح في أن صيغتي المثني وجمع المذكر السالم في حالة التعريف قد غلبت على صيغتهما في حالة الإضافة . وقد وجدت قديماً في النصوص النصرانية — العربية صيغ متفرقة مثل : مدبرين الأرض ، أو : سامعين الناموس (هذا إلى جانب التعبير الصحيح : عاملي الناس^(١)) وهو تعبير سائد في اللهجات الحديثة^(٢) . والتنوين ، من حيث إنه علامة على التكثير ، لا يزال ماثلاً في بعض البقايا فقط ، لاسيما في العبارات الظرفية التي حصل فيها توسع كبير ، مثل : أولاً ؛ أما فيما عدا ذلك فإن الاسم بطبيعته منكر — ما لم يكن علماً ، أو منادى ، أو معيناً بالإضافة إلى اسم ظاهر أو مضمّر — ، على حين يعبر عن التعريف بوساطة الأداة ، بصورة أوسع من العربية القديمة ؛ إذ تدخل أداة التعريف الآن على ألفاظ : كل وبعض وغير^(٣) ، في مثل : الحيوانات الغير ناطقة^(٤) ، وفي التراكيب العددية ، مثل : الثلاثة الأتواب^(٥) ، أو : الاثنى عشر . وكان أيضاً من أثر ترك الإعراب في أواخر الكلمات أن قامت وسائل أخرى مقام الإعراب ، في حالة ما إذا لم يكف الترتيب الوضعي للكلمات في ذلك ، فإدخال لام الجر على المفعول به^(٦) ، بصورة مقصورة على أحوال خاصة في اللغة الفصحى ، قد لجأت إليه أقدم النصوص النصرانية — العربية في سورية وفلسطين ، بوجه خاص ، إذا تقدم المفعول على الفعل ، أو لم يجئ

(١) G. Graf م ٢٥ في الكتاب السابق ، وانظر أيضاً بحث : A. Müller في دراسة النصوص والاستعمال اللغوي لكتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : SMA 1884 S. 892 (Sitzungsberichte d. Bayer. Akademie) d. Wissenschaften, München)

(٢) انظر مثلاً قواعد العامة المصرية تأليف : شبتابك ، م ١٤٩ .

(٣) في كل وبعض انظر م من هذا الكتاب ؛ والغير يتقدمه الحريري في درة القواس م ٤٣ ؛ وقد استعمله الدينوري في المجالسة (كما ذكره ابن حجر في لسان الميزان ج ٦ م ١٣٩) في عبارة : من مالى أو من مال الغير .

(٤) ابن أبي أصيبعة ج ١ م ٦٩ ؛ A. Müller في الموضع السالف .

(٥) غابه الحريري : درة م ٩٤ .

(٦) انظر : A. Fischer: Die Auflösung der Akkusativreaktion des Transitiven Verbes durch li, BVSQ W 62

عقبه مباشرة ، نحو : ولى لم يعرفوا^(١) . وكذلك يميز الجرور — كما في العربية القديمة^(٢) — بحروف الجر ، على الأخص : من .

والانتقال من النوع اللغوي التركيبي ، إلى النوع التحليلي ، يتجلى في الفعل في العربية المولدة ، فصيغ المضارع ، قبل كل شيء ، تتجدد كلها في النصوص النصرانية — العربية القديمة^(٣) . وفعل الدعاء اختفى بالسكوية تقريباً في الجمل الأصلية ، وصار يعبر عنه (كفعل الأمر في بعض الأحيان) بالفعل الخبري الواقعي المشير إلى التأديب في الخطاب في نفس الوقت ، حيث يفهم طابعه الطلبي من سياق الكلام^(٤) . كذلك تلعب صيغ الفعل في الجملة الفرعية دوراً فاقداً الأهمية ؛ إذ زال الفرق بين الجمل الخبرية ، والجمل الإنشائية ، ونشأت — من جانب آخر — عبارات كثيرة جديدة يستعان بها على تصوير الأزمنة المختلفة لمعانى الحدث الفعلي ؛ فالمستقبل — مثلاً — كثيراً ما يعبر عنه بلفظ : عتيد أن ، على حين تؤثر الترجمة العربية للإنجيل التعبير بلفظ : مزعم أن ؛ إذا لم تعبر عن ذلك بلفظ : شأنه أن^(٥) . أما معانى الإرادة والرغبة ، والإمكان ، والاستطاعة ، والتكليف ، والوجوب ، فإنها يعبر عنها بشتى العبارات ، فيعبر [على بن سليمان] الفاسي القاري^(٦) في القرن الرابع — العاشر ، عن معنى الإمكان بالألفاظ : جاز ، احتمل ، استطاع ، ومضارعها . وعن معنى الإرادة بالألفاظ : أراد ، طلب ، اشتهى ، ومضارعها الخ على حين يعبر عن الضرورى بلفظ : وجب ومضارعه . وفي النصوص النصرانية يوجد — إلى جانب أراد ومضارعه — : واقفه ، سرّه ، كلاهما للتعبير عن الرغبة . ولفظ : كان مع مضارعه

(١) G. Graf في الكتاب السالف ص ٤٢ .

(٢) انظر : Reckendorf Arab. Syntax

(٣) G. Graf في الكتاب السالف ص ٣٠ .

(٤) A. Müller في الموضع السابق ؛ وينقد الحريرى هذا النوع من التعبير : درة ص ١١٦

وانظر : 8 Fleischer Beitrage

(٥) كل هذه الأمثلة في المراجع الألمانية المذكورة .

(٦) انظر : شرح سفر التكوين ص ١٤٨ نشر : Skoss

يستعمل في بعض النصوص النصرانية للتعبير عن التكليف والإيجاب ؛ والتعبير :
رجع وفعل ، بمعنى فعل ثانيا ؛ عاد وفعل ، بمعنى كرر الفعل ، على حين أن : عاد ،
في حالة النفي ، تفيد أنه لم يفعل بعد . واحتفظت الجملة الشرطية ، من بين الجمل الفرعية
بصورتها القديمة ، على حين اختفت الجمل الحالية ، التي لم تعد تتميز عن الجمل الأصلية
بعد تقديم الفاعل في مطلع الكلام ، وحل محلها جمل مقيدة للزمن تربطها روابط حرفية
أو اسمية مختلفة . ويستعمل مترجم الإنجيل : من حيث ، بمعنى : في حالة . وفي حياة
القديسين في القرن الثالث ، كثر استعمال : فيما ، بمعنى : بينما ؛ وإلى هذا يضاف
الاستعمال الثالث : عندما ؛ ولإفادة معنى السببية يوجد لفظ : بأن ، وفي معنى : منذ :
من حين ، وبدلاً من حتى : إلى حين ؛ كما أن اسم الموصول تحول إلى الصيغة
الجامدة في جميع الأحوال ، وهي : اللى ؛ وكانت نتيجة ذلك كثرة مخالفة الجملة الإضافية
(صلة الموصول) لقواعد المطابقة المعتمدة في اللغة الفصحى ، في نصوص كتاب
النصارى واليهود^(١) .

ومهما اختلفت الأمثلة التي ذكرناها — حتى الآن — في تفصيلها فإنها تشترك
جميعاً في أنه عوضاً عن نظام التصريف الكامل النمو مع قواعد إعرابه وتصريفه ،
جذت حالة لغوية بسّط فيها التصريف ، وصورت فيها علاقات التركيب بين الألفاظ
المؤلفة لجملة واحدة — في أغلب الأحوال — بوساطة وسائل ظاهرية ، مثل مواقع
الكلمات ، وترتيبها والاستعانة على تغييرات الحدث بالجلل الموضحة ، وتعديل الجمل ،
وكثرة المترادفات ، وترك التصرف الإعرابي .

هذا واختلط بين علامات الإعراب ، وبين صيغ الأفعال ، لم يكن هو السبب
في هذا التطور اللغوي ، وإنما هو من عوارضه وظواهره التي لفتت — من قبل —
أنظار أقدام النظّار من المسلمين بصورة قوية ، بحيث تحمل ملاحظاتهم في هذا السبيل
على اعتقاد أن طريقة التعبير الشعبي إنما ترجع إلى مخالفة الإعراب فحسب . أما أن

(١) كل هذه الأمثلة وغيرها توجد في : G. Graf في الكتاب السابق ذكره .

هذا النوع من الملاحظة الشديدة الصلة بالقواعد النحوية ، وبمبدأ تنقيه اللغة الناشئ عنها ، هو ذو صفحة واحدة فقط ، فهذا ما تدل عليه النصوص النصرانية — العربية ، أو اليهودية — العربية ، التي ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية ، إلى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتى ظهور الأسلوب التحليلي للغة ، في وقت كانت الآداب العربية ، المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين ، لا تزال في أسلوبها اللغوي ، مليئة بالمُثل العليا للعربية الفصحى .

(٦)

العلاقات اللغوية في عصر المأمون

وعقيدة الاعتزال الرسمية

٨٥٠ / ٢٣٥ — ٨١٣ / ١٩٨

ذلك الازدهار العظيم الذي سطع نوره مع حكم هارون ، استمر مطّرداً في ظل الخلفاء الثلاثة الذين نالوا من بعده ؛ بل لقد ظل منشور الأعلام حتى أواسط القرن الثالث — التاسع .

وعلى الرغم من أن اضمحلال السلطان في الجانب الغربي للدولة ، الذي بدأ في عصر هارون ، قد بقي متواصلاً في ظل المأمون (حكم ٨١٣/١٩٨ — ٨٣٣/٢١٨) وامتد إلى فارس العظيمة الأهمية من ناحية الخراج والضرائب ؛ فقد نهضت الحياة الثقافية على عهد المأمون بوجه خاص في مختلف النواحي من الشعر ، وعلوم اللغة ، والدين ، والكلام ، وتعاطى الثقافة الهلنستية الشرقية ، نهضة تسوّغ تسمية هذه المرحلة : العصر الذهبي للأدب العربي .

أما أننا أوسع دراية — إلى حد كبير — بالعلاقات اللغوية لأواخر القرن الثاني — الثامن ، والنصف الأول من القرن الثالث — التاسع ، بالإضافة إلى الأزمنة المتقدمة على ذلك ، فهذا ما نحن مدينون به — قبل كل شيء — لكتب الجاحظ (حوالي ١٦٥ — ٢٥٥ هـ) . هذا الأديب المنتمى إلى البصرة ، والناشئ في مدرسة الاعتزال بهذه المدينة ، وجه ملاحظته القوية ، وماكّة انتباهه الراسخة ، في أسلوبه الخصب الأفكار المتعدد النواحي ، إلى شتى الظواهر في الحياة اللغوية : وأفاض الكلام

عن ذلك في بحوثه وكتبه التي صنفها في مختلف الموضوعات ، ولا سيما كتابه عن الفصاحة والبلاغة : كتاب البيان والتبيين ^(١) .

والجاحظ ينتبه أيضاً إلى لغة الأطفال ، مثل : واؤاو بمعنى « كلب » ^(٢) وماءما بمعنى : شاة أو خروف ^(٣) ؛ وهو يحكى أن النبطى المغلاق الذى نشأ في سواد الكوفة ، وإن تكلم العربية المعروفة ، وكان لفظه متخيراً ومعناه شريفاً ، يعرف السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطى . وكذلك إذا تكلم الخراسانى ، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز ، فإنك تعرفه ، مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه . ويستطيع الحاكى من الناس أن يحكى نطق الأهوازي والخراسانى والزنجى والسندى حتى تجده كأنه أطبع منه ^(٤) . والنبطى القحّ يجعل الزاى سيناً والعين همزة ^(٥) ؛ والصقلبي يجعل الذال المعجمة ذالا ^(٦) ؛ والهندي يجعل الجيم زاياً ^(٧) . وقد كان خلط الأصوات على هذا المنوال معيناً لا ينضب للتسلية والفكاهة . ويحكى الجاحظ متندراً ، كثيراً من القصص عن التغيرات الفكاهية التي كانت تنشأ من ذلك . كما ينتبه الجاحظ أيضاً إلى تعدد اللغات ؛ فالعربية والفارسية تختلفان ، فإذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها ؛ وقد استثنى من ذلك أحد القصاص ، وهو موسى الأسوارى ، الذى يصفه بأنه كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية ، من كتاب الله ويفسرهما للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ،

(١) يعتمد المؤلف على النسخة المطبوعة بالقاهرة في جزأين ١٢١١ هـ .

(٢) بيان ج ١ ص ٢٩ .

(٣) حيوان ج ٥ ص ٨٩ .

(٤) بيان ج ١ ص ٣١ .

(٥) بيان ج ١ ص ٢٢ .

(٦) بيان ص ٣٣ .

(٧) بيان ص ٣٢ ؛ ويؤخذ مما ذكره في ص ٣٣ س ٨ أن الهندي يجعل الجيم ذالا ،

والشبن سيناً أيضاً .

فلا يدري بأى لسان هو أبين^(١) . وذكر الجاحظ أمثلة لاستعمال الكلمات والعبارات الفارسية في الشعر العربي ؛ فهذا شاعر يتحدث عن : الكافر كوبات ، وهى آلة من آلات الحرب أشبه بالمرزبة ، فى أيدي رجال ليست لغتهم لغته^(٢) . ولا يقتصر العُماني الشاعر فى مدحته لهارون الرشيد على استعمال لفظ : كَرْد ، بمعنى عنق ، من اللفظ الفارسي : جَرْدَن^(٣) ، بل يقول زيادة على ذلك :

آلى يذوق الدهرَ آبَ سَرْدِ

أى حلف لا يشرب الماء البارد أبداً^(٤) . ومن الخليط اللغوي — بمعنى الكلمة — قصيدة للأسود بن أبى كريم ، اختلطت فيها الجمل العربية بالفارسية^(٥) ، فإذا قرئنا بهذه الأمثلة ، الجملة الفارسية التى ذكرها الجاحظ فى كتاب البخلاء^(٦) ، تجلى لنا بوضوح أن الجاحظ كان يفهم الفارسية . وعلى الرغم من ذلك لم يُعْنِ الجاحظ باللغات الأجنبية لذاتها — نشأ الاهتمام باللغات الأجنبية لذاتها فى القرن الرابع الهجرى ؛ ففى ذلك القرن ألف ابن الجراح المتوفى ٣٩١ هـ أول كتاب نعرفه فى اللغة الفارسية^(٧) — . وإنما اقتصر الجاحظ على ملاحظة أن كثيراً من أصوات اللغات الأجنبية ، وعلى الأخص لهجة خوزستان ، لا يصوره الخط العربى ، وأن على سواحل البحر من أسياف فارس ناساً كثيراً كلامهم شبيه بالصفير^(٨) . ويكرر فى موضع آخر حكاية

(١) بيان ج ١ ص ١٣٩ ، وانظر : Goldziher, Muh. Studien, 162

(٢) بيان ج ١ ص ٦١ ، وفى معنى : كافر كوبات ، انظر تفسير الطبرى ، فى فهرست الألفاظ اللغوية .

(٣) ورد لفظ : كرد فى كثير من الأشعار ، على الأخص فى بيت لافرزندق مشهور ، ديوان ص ٢١٠ ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٥٢٧ ؛ البطليوسى : اقتضاب ص ٤١٨ ؛ ويستفاد من استعمال هذا اللفظ على هذه الصورة أن من أخذه ظن أن النون فى آخر الكلمة : جردن ، مثل النونين فى العربية .

(٤) بيان ج ١ ص ٦١ س ١٠ .

(٥) بيان ج ١ ص ٦١ س ١٩ — ٢٣ ، ويوجد مثال آخر فى معرب الجوالقى ص ٩ .

(٦) ص ٢٤ س ١٧ مع ملاحظات فان ثلوتن .

(٧) الفهرست ص ٨٦ س ١٤ .

(٨) بيان ج ١ ص ١٦ س ٢٢ .

عن شاهد عيان يصف مجتمعاً من الزنوج قام خطيبهم على ما علا من الأرض وتكلم ؛ وهو يشبه حوارهم بالدمدمة والهمهمة^(١) . ومن ناحية أخرى يوجه الجاحظ عناية فائقة إلى الأخطاء الخاصة في التعبير ، مثل لثغة اللسان ، ولكنته وما شابه ذلك من عجز عن تصحيح مخارج الحروف ؛ ويذكر أبيات أبي رمادة الذي طلق زوجته خشية أن تبيته بولد ألثغ^(٢) . وكثيراً ما تبدل السين ثاء ، والراء غيناً^(٣) ، وبلى ذلك إبدال الراء ظاء ، ثم ذالا ، وأسوأ الوجوه إبدالها ياء^(٤) . وينطق بعض الناس بدلا من اللام ياء ، وآخرون كافا^(٥) . كما أن بعض الناس لا يستطيع نطق القاف فينطق بدها طاء^(٦) . ومثالا لاجتماع لثغتين ذكر الجاحظ شوشى صاحب عبد الله بن خالد الأموى ، إذ كان يجعل كلا من اللام والراء ياء^(٧) . وعقد الجاحظ فصلا طويلا^(٨) خاصاً بمؤسس مذهب الاعتزال : واصل بن عطاء ، الذى كان لا يحسن نطق الراء ، فكان يتجنب فى مهارة وحذق جميع الكلمات التى تشتمل عليها .

(١) فهرست ص ٢٨ .

(٢) بيان ج ١ ص ٢٦ س ١٥ ؛ ابن قتيبة عيون ج ٤ ص ٧ . وذكر : زياد ، بدلا من أبي رمادة ؛ وفي استحسان اللثغة الخفيفة واستصلاحها انظر : بيان ج ١ ص ٦٢ س ٢٦ ؛ الجحى : طبقات ص ١٩ س ١٨ ؛ قدامة : نقد الشعر ص ٦٩ ؛ أبو نواس : أغاني ج ١٨ ص ١٩٢ ؛ وانظر الرمادى فى ابن خلكان ج ٣ ص ٥٣٥ ، وانظر : Meg ص ٣٣٨ .

(٣) بيان ج ٢ ص ٨ س ١٢ ، وكان ينطق الغين بدلا من الراء ، ابن السراج النحوى المتوفى ٣١٦ هـ كما ذكر ذلك ابن خلكان ج ٢ ص ٣١٩ . وفى تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١٩ رواية عن كيفية علاج ابن المنجم من لثغة كانت بلسانه ، ومنها يستفاد أن اللثغة هى تبويض صوت بصوت آخر . فقد كان شعبه مثالا ينطق الطاء بدلا من الثاء ؛ انظر سنن أبي داود ج ٢ ص ١٩٤ (طبع ١٣٤٥ هـ) .

(٤) بيان ج ١ ص ١٧ س ٦ — ١٩ .

(٥) فى الموضع السالف ص ٣ .

(٦) بيان ج ١ ص ١٧ س ١ — ٣ ، وأشهر الأمثلة لذلك يقدمه العلوى إبراهيم بن إسماعيل الذى سمي بسبب هذه اللثغة : طباطبا . انظر ابن خلكان ج ١ ص ٧٠ فى ترجمة حفيده أبي القاسم ابن طباطبا أمير العلويين فى مصر المتوفى ٤٢٥ هـ .

(٧) بيان ج ١ ص ١٧ س ٢٣ ، ويقدم مثالا آخر لاجتماع لثغتين ، ابن أبي البغل الذى كان يجعل الراء غيناً والكاف همزة ، والذى عمل لأجله أبو الحسن بن طباطبا ، المتوفى ٣٢٢ هـ قصيدة لا تحتوى على الراء ولا الكاف . انظر : ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٢٨٥ — ٢٨٩ .

(٨) بيان ج ١ ص ٨ س ١٦ .

ويعالج الجاحظ أسماء عيوب اللسان : فالتمتاع هو الذى يقتنع لسانه فى التاء ؛
والقافاء الذى يقتنع لسانه فى القاء^(١) . والآفة ، ومصدرها اللف ، والوصف : ألف ،
هى أن يدخل الرجل بعض كلامه فى بعض^(٢) . كما يسوق أيضاً شاهداً على اللجلجة^(٣)
ويذكر أن الحبسة هى ثقل الكلام على اللسان^(٤) ؛ وقد استعمل القرآن لفظ :
عقدة ، فى معنى قريب من هذا ، آية ٢٧ من سورة طه ، أى فى الحبسة التى كان
يقاسمها موسى فى نطقه^(٥) . ويحدد الجاحظ : اللكنة ، بأن يدخل الرجل بعض
حروف العجم فى حروف العرب ، وتجذب لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول ،
أى التغير الذى يطرأ على الأصوات العربية فى لسان غير عربى^(٦) ؛ وهى على ذلك
تتحد أحياناً مع اللغة أى إبدال حرف عربى بحرف آخر . والنحنحة والسعلة من
لوازم العجز فى البيان^(٧) ؛ وأخيراً الحكلة ، وهى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة
اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال ؛ أو بعبارة أخرى هى كلام الإنسان فى
خفوت لا يبين ؛ وهى كذلك كلام الحيوانات العجاء دون صوت ، مثل النمل التى
فهم سليمان كلامها ، كما جاء فى القرآن^(٨) . وقد استهل الجاحظ كلامه عن البيان
والبلاغة بتفصيل أحوال العجز عن التعبير : العي^(٩) . وفى مكان آخر يسوق جملاً
عسيرة النطق ليحقق تعويد اللسان على الذراية والمرونة ، مثل البيت :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(١) بيان ج ١ ص ١٨ س ١٢ — ٢٠ ؛ انظر البرد : كامل ص ٣٦٣ س ١ — ٦ ،

٣٦٤ س ٢ ؛ رؤية ص ٥٥ ؛ ياقوت ج ١ ص ٧٧ ؛ أغاني ج ١ ص ٤١٢ ، طبع دار الكتب .

(٢) بيان ١ ص ٢٠ عن أبي عبيدة ، والكامل فى الموضع السابق .

(٣) بيان ١ ص ١٩ ، وذكر ابن دريد فى الاشتقاق ص ٢٣٩ س ١٦ ، لفظ اللجلج ،

المقياً على بعض الناس .

(٤) بيان ١ ص ١٩ س ٥ .

(٥) بيان ١ ص ١٨ س ٢ — ١٢ .

(٦) بيان ١ ص ١٩ ، ٢٣ ، ٦٩ ، ويوجد مثال لذلك فى الأغاني ج ١٣ ص ١٥٨ .

(٧) بيان ١ ص ١٩ .

(٨) بيان ١ ص ١٩ ؛ حيوان ج ٤ ص ٣ ، ٧ .

(٩) بيان ١ ص ٢ — ٤ .

الذى لا يستطيع أحد أن ينشده ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتمتع ولا يتلجلج^(١). وهو يتكلم عن أن بعض أنواع من الربط بين الأصوات لا ترد في العربية^(٢)، وهي ظاهرة يسميها علماء القواعد بالتنافر، ويتخذونها وسيلة للتعرف بها على الألفاظ الغريبة^(٣).

ومن النفاسة بمكان، ما ذكره الجاحظ عن اللهجات، واللغات الخاصة، والسنة الحرف والمهن. فهو يبين أن كل مصر يتكلم على لغة من نزل به من العرب^(٤)، ويذكر أمثلة لفرق ما بين مكة والبصرة في الاستعمال اللغوي. وفي كتابه: البخلاء، يسوق الجاحظ وصفاً حياً للدوائر الأدبية في البصرة، حوالى سنة ٢٠٠ هـ؛ كما يعرض صورة، غاية في الدقة من الوجهة اللغوية، لأسلوب المحادثة بالبصرة في ذلك العهد^(٥). وبعطينا هذا الكتاب نفسه، في الفصل الذي عقده لرئيس طائفة المتسولين بالبصرة: خالد بن يزيد، المعروف بخالويه Hāloë^(٦)، نظرة في رموز المحتالين؛ فكلية: مُحْطِرَانِي، تعبر عن المحتال الذي يوهم أنه مؤذن من خراسان، ويتظاهر بأن بابك أمر بقطع لسانه^(٧). وفي موضع آخر يسوق خطبة^(٨) في أدب المائدة، ويعلق عليها بشرح عدد من الاصطلاحات التي يعبر بها عن مختلف العادات السيئة عند الأكل. وقد يستطرد أيضاً بذكر بعض القصص عن الملاحين، مع ذكر اصطلاحات.

(١) بيان ١ ص ٢٩؛ مسعودي (١٢٤٦ هـ) ج ١ ص ٣٣٠؛ الدميري (١٣٤٨ هـ) ج ٢ ص ٢٥٢؛ وقد اعتمد علماء البلاغة في عصر متأخر على هذا الشعر للاستشهاد به على تنافر الحروف. وهو مشهور.

(٢) بيان ١ ص ٣١ ص ٦.

(٣) السيوطي: مزهر (١٣٢٥ هـ) ج ١ ص ١٦٠؛ واظفر ابن دريد في: A.Siddipqi, The Allahabad University Studies vol VI Arts' Section (1930).

(٤) بيان ١ ص ٩ ص ٢١.

(٥) اظفر: فان فلوتن في مقدمته لهذا الكتاب ص ١١١.

(٦) اظفر ص ٤٧ — ٥٦ فان فلوتن.

(٧) ص ٥٤ من الكتاب المذكور؛ وبعد ذلك بمائتي عام، وضع أولئك المحتالون الروم موضع بابك؛ اظفر البيهقي ج ٣ ص ٧٨ في تفسير كلمة: مخطر، أسفل الصحيفة.

(٨) ص ٧١ مع ملاحظات فان فلوتن.

من لغة مهنتهم^(١)؛ كما يتفكه بالطبيب الذي يعبر عن الأمور المعتادة باصطلاحات
خفية، ويسمى البحث المصحوب بالمخاط، باللفظ اليوناني الدخيل : بلغم^(٢).
وعظيم الفائدة — بوجه خاص — ما ذكره الجاحظ عن : الأعراب . فهو يعدّ
من أجلّ المتع أن يستمع المرء إلى حديث الأعراب الفصحاء العقلاء، أو إلى محاضرة
العلماء البلغاء^(٣). ويبحث على رواية نوادر الأعراب مع إعرابها ومخارج ألفاظها^(٤).
وهذا يدل على أن الإعراب في عصره كان لا يزال حياً على ألسنة البدو الخلق .
وعلى النقيض من ذلك، ينعت بمخالفة الأسلوب، ومسح الصورة حكاية نوادر
العوام، وملح الحشوة والطفام، بالإعراب الكامل، والألفاظ المتخيرة^(٥)؛ إذ أن
هؤلاء الطغام من التجار وسواد الشعب ينطقون عريّة حافلة باللحن؛ وعنهم يأخذ
الأجانب كالأنباط والفرس؛ والأعرابي القح لا يفهم هذه الرطانة؛ ومتى وجد النحاة
أعرابياً يفهمها بهرجوه ولم يسمعوا منه؛ لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي
تفسد اللغة، وتنقص البيان^(٦). ويذكر الجاحظ أن أسوأ اللحن هو لحن الأعراب
النازلين على طرق السابلة، وبقرّب مجامع الأسواق^(٧). ويقول الجاحظ إن أول
لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي، بدلاً من : عصاي؛ على حين أن أول لحن ظهر
بالعراق هو ما قيل في الأذان : حيّ على الفلاح^(٨). ويسوق الجاحظ — في باب
خاص — مجموعة كبيرة من اللحن المختلف الأنواع^(٩). وكون هذه الأنواع خليطاً

(١) بيان ١ ص ٢١٢ س ١٢ — ١٧، وتوجد بعض اصطلاحات الملاحين أيضاً في حكاية
أبي القاسم : Mez 3 104؛ وفي المستطرف (١٣٥٢) ج ٢ ص ٢٤٥ .
(٢) بيان ٢ ص ٤ س ٢٣؛ وتختلف عن ذلك رواية كتاب المحاسن والأضداد ص ٩
(فان فلوتن) الذي نسب — دون حق — إلى الجاحظ .

(٣) بيان ١ ص ٦٢ س ٥ — ٨ .

(٤) بيان ١ ص ٦٢ س ١٤ .

(٥) بيان ١ ص ٦٢ س ١٦ — ١٩؛ حيوان ج ٣ ص ١٢ .

(٦) بيان ١ ص ٦٧ ذابدها .

(٧) بيان ١ ص ٦٢ س ٢١ .

(٨) بيان ٢ ص ٥ س ٤؛ واللحن في كسر الياء والصواب الفتح .

(٩) بيان ٢ ص ٢٠ — ٥٠ .

يشتمل على شتى الألوان والأحوال ، من تعسر مخارج الحروف ، إلى المخالفات الشنيعة لقواعد النحو والتصريف ، إلى التساهل في اختيار الألفاظ ، إلى الخروج على الأساليب ، لا يغير كثيراً مما قلناه ، لأنه ، حتى إذا أمكن ترتيب استطراداته ، التي قصد بها إلى جلب انتباه القارئ ، على أى صورة من الترتيب ، فإن جميع ملاحظاته^(١) — بوجه عام — تدل على أنه قسمها — متأثراً بروح عصره تأثراً سطحياً بحثاً — حسب الفروق التي كانت قائمة بين الأسلوب الصحيح والأسلوب الخاطئ في صورة الكتابة .

وإلى جانب الطبقات المحلية ، والاجتماعية ، وجدت طبقة أخرى أبرز الجاحظ ذكر خصائصها اللغوية في مواضع مختلفة ؛ إنهم أولئك الذين يولعون بالتنوق والمبالغة في مضاهاة كلام البدو باستعمال لغة متصنعة مستكرهة ؛ وهذا الشذوذ يطلق عليه الجاحظ اصطلاحات فنية كثيرة ، يفهم منها أنها راجعة إلى نوع من التعبير الجدير المفعّم الحافل بحروف الخلق . فالتعير^(٢) نوع من التعبير كأنما يستخرج من قعر بئر ؛ والتعيب ، الذي يكاد يكون مرادفاً له ، نوع من التعبير يأخذ فيه الفم صورة القعب^(٣) والتفخيم بصور تأكيد التعبير والتنصيص عليه ؛ وكلتا : التشدق والتشادق ، مأخوذتان من كلمة : شدق ، بمعنى زاوية الفم ، ومعناها التكلم مع اتساع زاوية الفم ، وكانا يستعملان في الأصل تعبيراً متعارفاً ، على سبيل المجاز ، عن البلاغة ، دون معنى آخر من العيوب^(٤) ، ولكنه قل بعد ذلك إلى التصنع في الكلام الذي يحتمل من الأعراب وحدهم^(٥) . وقد نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] تنبؤه بأن الثرثارين المتشدقين المتفهمين أبعد الناس مجالس منه يوم القيامة^(٦) ، كما نسب إليه : إياى .

(١) انظر ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢١ .

Bräunlich, Well 43

(٢) انظر :

(٣) ساق الجاحظ شواهد من الشعر على ذلك ، بيان ج ٢ ص ٤ س ١٤ — ١٦ .

(٤) بيان ١ ص ٥٢ ص ٣ — ١٢ .

(٥) بيان ١ ص ٢١ ص ١٠ ص ١٠٧ ص ٨ ؛ انظر أيضاً Dozy في المادة .

(٦) الترمذى في كتاب البر ، والمواضع المختلفة في : Wensinck, Concordance I, 290

وفي ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١٥ ؛ المبرد : كامل ص ٣ ؛ القالي ج ٢ ص ٢٩٥ ؛ تاريخ بغداد

ج ٤ ص ٦٣ ؛ الرضى : المجازات النبوية ص ١١٨ ؛ كثر المال ج ٢ ص ١٠٤ .

والتشادق . وقد ذكر الجاحظ كلتا الروایتين فيما اختاره من أحاديث الرسول [صلى الله عليه وسلم]^(١) ، وساق مثلاً لهذا (التشادق) الرسالة المشهورة التي كتبها يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب إلى الحجاج — كما روى — ، والتي تشتمل على الكلمة الشعرية العالية : عُرْغرة ، أى ذروة الجبل ، وحضيض ، أى سفح الجبل ، وغير ذلك من غريب ألفاظ البدويين ؛ كما ذكر قولاً عجيباً ليحيى بن يعمر ، إذ حكم بين رجل وامرأته^(٢) . بيد أن النموذج الحق لهذا الأسلوب المتقعر هو شخصية الأسطورة المشهورة عن أبي علقمة^(٣) ، الذى لم يصلنا شيء ثابت عن أطوار حياته . وقد اقترنت باسمه حكايات جمّة ، جمعت — فى وقت متأخر — فى كتاب خاص^(٤) . وفيها يذكر — عادة — كيف أنه كان يعبر بعبارات طنانة عن شئون مبتذلة تافهة ، على حين يكون المخاطب غالباً رجلاً بسيطاً ساذجاً من سواد الشعب ، لا يكاد يفهم مما يقول شيئاً ؛ فإذا كان المخاطب رجلاً ما كرأ ذا ثقافة ، رد عليه بمثل ما أعطاه^(٥) ؛ ومن هذا المحصول الكثير التداول أخذ الجاحظ قصتين فى كتابه : البيان^(٦) . على أنه لم يكن مجرد اختيار كلمات الأعراب الغريبة هو الذى كان يعطى لغة الحضريين مسحة من النفاسة وعلو القيمة فحسب ، بل لقد كان استعمال الإعراب والتصريف الكاملين — فى خارج المحيط العلمى — يعد كذلك تقهقراً وتشدقاً ، على عهد الجاحظ . وهذا يفهم — ضمناً — من تنبيهه — الذى ذكر آنفاً — إلى ضرورة رواية نوارد الأعراب بالإعراب الكامل . بيد أنه يؤخذ نصاً من

(١) بيان ١ ص ١٥٩ فما بعدها .

(٢) بيان ١ ص ١٤٢ س ٩ — ٢٢ ، وانظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١٤ ؛ المبرد : كامل ص ٤٤ ؛ ابن الأنبارى : تزهة ص ٢١ ؛ تاج العروس ج ٣ ص ٦٢٤ .

(٣) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٧٢ — ٧٧ ؛ سيوطى ؛ بغية ص ٣٢٥ .

(٤) نوارد أبي علقمة : فهرست ص ٤٣٥ .

(٥) انظر — زيادة على ياقوت فى الموضع السابق — ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٢ ؛

١٦٣ ؛ المحاسن والأضداد المنسوبة للجاحظ ص ١٤ ؛ ابن عبد ربه : العقد ج ١ ص ٢١١ (١٣١٦ هـ) .

(٦) بيان ١ ص ٢٤٢ فما بعدها .

الكلمات التي يسوِّغ بها الطابع الذي طبع به كتاب : البخلاء ^(١) ؛ حيث يبين أنه تصنع للحن ، وكوّن جملاً مخالفة للنحو ، واستعمل صيغاً للكلمات على خلاف القواعد ، وتنازل عن الإعراب ، كل ذلك مناسبة للموضوع ، إلا إذا حكى كلاماً لبهل بن هارون البخيل المتشدد المتعمر ، أو أمثاله . وهو يصور مثلاً البخيل : محمد ابن أبي مؤمل ، بأنه رجل صاحب تقير وتفخيم وتشديق وهمز وجزم ^(٢) .

وكما ندرت اللغة الفصيحة — إذ ذاك — بين الطبقات المثقفة ، ازداد الاستياء من كل خروج لغوى على لسان أولئك الذين لم يعودوا متمكنين في الحقيقة من العربية ، بل يتصنعونها فحسب ^(٣) . وكثيراً ما سخر الناس من اللحن الذي حكاه الجاحظ ^(٤) عن المتكلم : بشر بن غياث المريسي (المتوفى ٢١٨/٩ هـ) أحد تلاميذ أبي يوسف ، حينما قال : [قضى الله لكم الحوايج] على أحسن الوجوه وأهنؤها ، بدلاً من : وأهنئها ، حيث أخطأ في حركة الإعراب ، وإن نطق الهمزة التي حذفت فعلاً في لغة الشعب . وقد حمل ذلك اللحن الشاعر الظريف : القاسم التمار ، على إبداء للملاحظة الخبيثة من أنه قال هكذا وفاقاً لقول الشاعر :

إِنَّ سُلَيْمِيَّ وَاللَّهُ يَكْلُوها ضَنْتُ بِشْيءٍ مَا كَانَ يَرْزُوها

والأشعار على قافية الهمزة — مالم تكن همزة الممدود — جد نادرة . والأمثلة القليلة من ذلك النوع ، تبدو فيها الصنعة كثيراً أو قليلاً . وفي الفهرست ص ٢٤٢ س ١٢ (طبع الرحمانية) ، حيث عقد فصلاً خاصاً للقصائد المهموزات ، ذكر مع قصيدة ابن هرمة ^(٥) (التي منها البيت الآنف) ، قصيدة همزية أخرى فقط

(١) ص ٤٢ س ٦ — ١٠ ؛ فان فلو تن .

(٢) ص ١٠٢ س ١٢ .

(٣) بيان ج ١ ص ٦٢ س ٢٠ .

(٤) بيان ج ٢ ص ٣ ؛ ابن قتيبة ج ٢ ص ١٥٧ ؛ المحاسن المنسوبة للجاحظ ص ٨ ؛

تاريخ بغداد ج ٧ ص ٥٧ .

(٥) وتم على ميله للفتن قصيدته : المعطلة ، أي التي لا تشتمل على حرف معجم ؛ انظر الأغاني

ج ٤ ص ١٠٦ .

لحفص الأموي^(١) ، أو على رواية أخرى لأبي صعصعة العامري ، على روى : تلاً .
ويوجد من هذه القافية أيضاً قصيدتان لأبي حزام العُكلى الذى لم نجمعه حوالى
سنة ١٦٠ هـ ، قال إحداها فى مدح وزير المهدي : معاوية بن عبيد الله الأشعري ،
على روى : تَحْجُوتُ ، وهى حافلة بالألفاظ القديمة المبهجورة ، حتى بعدها النقاد المتأخرون
مثلاً مخيفاً للوحشى المتنافر من الأساليب^(٢) ؛ والثانية قصيدة لغوية تعليمية على
روى : أوّه^(٣) ؛ وعدتها ٢٢ بيتاً ، تحتوى على ٨٠ كلمة مهموزة .

ومثال آخر يرينا كيف يلتقى رجال ، تهذب إحساسهم اللغوى ، وزناً للدقائق
أيضاً فى المسامرة والمحاورة . هاهو ذا على بن الجهم ، المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، أحد رجال
حاشية المتوكل ، يعتذر من تبكيه فى الانصراف عن جماعة كان يجالسها بالكلمات :
إنه بلغنى شئ . وأظننى مأزوراً فى قعودى . وبهذا خف وزنه فى نظر المبرد
(٢١٠ — ٢٨٥ هـ) الذى كان حاضراً إذ ذاك ؛ لأن مأزوراً ، بدل : موزوراً ، أى
آثماً ، إنما يجوز استعماله على سبيل المجازاة للفظ : مأجور ، فحسب^(٤) ؛ كما روى
فما نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال للنساء اللاتى جلسن فى انتظار
الجنائز : « ارجعن مأزورات غير مأجورات »^(٥) . فإذا استعمل وحده قيل :
موزور ، فقط^(٦) .

والصورة التى يرسمها الجاحظ للعلاقات اللغوية فى عصره ، يمكن إكمال بعض
خطوطها المتفرقة ، بوساطة روايات أخرى وصلت إلينا . فكون لغة الأعراب لم تزل
بعد — كما كانت من قبل — تعدّ النموذج الذى لا يُدرك لكمال الفصاحة ،

(١) انظر باقوت : إرشاد ج ٤ ص ١١٥ .

(٢) قدامة : نقد الشعر ص ٦٥ ، وذكره المرزبانى : موشع ص ٣٥٤ .

(٣) انظر : W. Ahlwardt, Sammlungen alter arabischer Dichter I

(٤) انظر فى مثل هذه المجازاة : Brockelmann 7. Sem. 5.6 ff

(٥) ابن ماجه : باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز .

(٦) المرزبانى : موشع ص ٣٤٥ ؛ انظر أيضاً الحريرى درة ص ٥٢ ؛ الشهاب الحفاجى

على الدرة ص ٨٢ ، وانظر : Rescher, ZA 23, 45 f. ؛ ويوجد أيضاً لفظ موزور

مقروناً إلى : مأجور ، عند المبرد ص ٧٠٣ س ١٢ .

يقربه إلينا — بأوضح تصوير — مثال اللغوى : لُقْدَةُ الأصبهاني ، المعاصر .
 لأبي حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ . فهو يدين بمعارفه اللغوية ، التي لفت بها
 الأنظار في بغداد ، لمخالطته للأعراب الذين نزلوا بأصبهان في خدمة محمد بن يحيى .
 ابن أبان ، ونصبوا خيامهم في رحابه . فقد ألح في سؤا لهم عن جميع ما غمض عليه .
 في كتابات أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي — التي حفظها عن ظهر قلب في صباه — ،
 واكتسب بذلك علماً غزيراً ، لم يضارعه فيه أحد بالعراق ^(١) .

يبد أن لغة الأعراب ، أيضاً ، يبدو أنها ، في سبيل تطورها وانتشارها الطبيعي ،
 قد ظهرت عليها تجديدات مختلفة في القرن الثالث — التاسع ، كان أصحاب « تنقية
 اللغة » يحسون بعدم جوازها . وها هو ذا العالم اللغوى البصرى : أبو الفضل الرياشي ،
 الذي مات عن ثمانين عاماً تقريباً ، عند امتيلاء الثوار من الزنج على البصرة
 سنة ٢٥٧ هـ ، يرى أن ينسب تقدم مدرسته البصرية على منافستها الكوفية إلى أن
 البصريين أخذوا اللغة عن البدو الخالص حرّشة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، على
 حين استمد الكوفيون لغتهم من أنصاف الأعراب من أهل السواد وأصحاب
 الكواميخ ، وأكلة الشواير ^(٢) أي أصحاب المشهيات كالخل ونحوه ، واللبن الرائب .
 ويقدم لنا مثالا من هذا النوع رجل من حفدة جرير ، هو عمارة بن عقيل .
 لقد عاش في سهول البصرة ، وكان يعد عند علماء هذه المدينة حجة ثبّتا في أمور اللغة .
 وقرأ عليه المبرد أشعار جرير ^(٣) . ولا يندر أن يظهر شاهداً في نقائض جرير والفرزدق .
 وعلى الرغم من ذلك فقد كان يجمع لفظ : ريج (من : رِوْج) على أرياح .
 واضطر بهذا أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٤٨ / ٩ هـ) أن يعلمه أن الصواب :

(١) ياقوت : إرشاد ج ٣ ص ٨٢ .

(٢) السيرافي : أخبار النحويين البصريين ص ٩٠ ؛ فهرست ص ٨٦ ؛ ابن الأثيري :

نزعة ص ٢٦٣ .

(٣) انظر مثلاً : الكامل ص ٢٢ .

أرواح^(١). كذلك كان يستعمل بدلا من اسم الجمع : خيل ، صيغة الجمع : خيول^(٢) . ويستعمل لفظ : ابن ، كما لو كانت همزته همزة قطع ثابتة ؛ على حين كان يحذف همزة المد في لفظ : الدهناء^(٣) ؛ وقرأ في آية ٤٠ من سورة يس : سابقُ النهار^(٤) ، يحذف التنوين ونصب النهار (القراءة الصحيحة : ولا الليلُ سابقُ النهار ، بالإضافة) . كما قرأ في آية ٨١ من سورة النمل وفي آية ٥٣ من سورة الروم : بهادٍ المعى^(٥) بالنصب . (القراءة بالإضافة) . فهذه ثلاثة أحوال تدل على تراخ في التمكن اللغوي . — من حيث استعمال التنوين وإهماله — داع إلى التفكير .

وأكثر ما كان يطابق المثل الأعلى ، في نظر النحاة العرب إبان القرن الثالث هي لغة الشعر الرفيع . وشعر أبي تمام (حوالي ١٩٠ — ٢٣١ هـ) ، قبل كل شيء ، يمتاز باستواء وانسجام فاقد النظير ؛ وفي الحشد من المطاعن الكبيرة العدد ، التي تعرض لها الشاعر ، في حياته وبعد وفاته المبكرة ، لا نكاد نجد مأخذاً عليه من ناحية اللحن . وقد لفتَ نظره مرة ، مع الاحتجاج بالنحوى الكوفى : ابن السكيت (المتوفى حوالي ٢٤٥ هـ) ، إلى أنه ينبغي أن يقول : شيج ، بدلا من : شجى ؛ ولكنه سرعان ما تخلص محتجاً — في سر — بيت لأبي الأسود^(٦) . وكان أبو تمام يعاني حُبسة تعوق حرية تعبيره ، بيد أن هذا لم يؤثر في أسلوبه . ولما بلغ خصم له من عدم اللياقة مبلغاً سمح له بأن يسخر منه ، مشيراً إلى هذه العاهة الخلقية ، لم يره أبو تمام أهلاً للرد .

(١) أغاني ج ٢٠ ص ١٨٥ س ٢٤ ؛ ص ١٨٧ س ٢٢ ؛ وقد اعترض الحريري أيضاً على أرياح في الدرة ص ٤٠ ، ودافع الشهاب الخفاجي جرياً على عادته عنها ص ٦٦ ، مع نقله رواية تنسب هذه الصيغة إلى لهجة بني أسد .

(٢) المبرد : كامل ص ٩٤ .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ س ٢٣ ؛ وفي نفس الشعر المذكور ، يستعمل لفظ : عامة بالتخفيف للضرورة .

(٤) المبرد : كامل ص ١٤٣ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٧ ؛ نزهة الألباء ص ٢٩٦ ؛ بن جني : المحنس في الآية ؛ ابن خالويه في الآية ؛ خزائن ج ٤ ص ٥٥٥ .

(٥) انظر البديع لابن خالويه ص ٩٢ .

(٦) البطليوسي : اقتضاب ص ١٩٧ ، فإبعدها ، حيث ساق بيتاً آخر مشتملاً على لفظ ::

شجى بالتشديد لأبي دواد الأيادي .

عليه^(١) . والذي يأخذه عليه نقاده هو ميله إلى الأصالة والغوص ، الذي لا يندر أن يسمو عنده إلى مستوى الغريب المهجور ، أو ينحدر إلى مستوى السوق المبتذل ، فيطبع أسلوبه بطابع المتعمل المصنوع . ومن هنا كانت سمات وخصائص راجعة إلى الأسلوب ، تلك التي أتجه إليها النقد الصادر عن تذوق الجمال بوجه خاص^(٢) . فقد أخذت عليه شدة جرأته في الاستعارة ؛ مثل جعله الأعمار المبكرة في الانتهاء ، تنضج قبل نضج التين والعنب^(٣) ؛ ومثل حديثه عن الهموم يكاد يتصدع منها الدهر^(٤) ؛ وعن مشيب الفؤاد^(٥) ؛ وعن ماء الملام^(٦) . وتجديد آخر اصطدم بالرفض ، هو اقتضابه في بعض القصائد^(٧) ؛ فمثلاً تبدأ مراثيه للقائد محمد بن حميد الطوسي — رأى أبو دلف الذي يعدّ حجة في الحكم عليها ، إذ كان قائداً وشاعراً ، أن هذه المراثية تعير من قيلت فيه حياة خالدة^(٨) — بدءاً غير طبيعي بالكلمات :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر .

كذلك كان فرط ولوع الشاعر بالجناس في شتى صورهِ مدعاة إلى مآخذ كثيرة^(٩) . وآخرون من النقاد يعيبون عليه^(١٠) أنه استعمل كثيراً من الكلام البغيض ، والغريب المستكره من البدوي ، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب؛ مثل : الأجفلى ، أى الجميع^(١١) ؛ ونقيضه النَّقْرى ، أى الأفراد . ولما كان يحسب

(١) ابن رشيقي : المدة ١ ص ٧٠ .

(٢) انظر المرزباني : موشح ص ٣٠٣ — ٣٢٩ ، وقد نقل أجزاء كثيرة عن ابن المعتز

(٢٤٧ — ٢٩٦) .

(٣) موشح ص ٣٠٨ .

(٤) موشح ص ٣٢٠ .

(٥) موشح ص ٣٢٦ .

(٦) موشح ص ٣٢٣ .

(٧) موشح ص ٣٠٥ س ٣ — ١٠ .

(٨) عبد القادر : خزانة ج ١ ص ١٧٢ .

(٩) موشح ص ٣١٠ .

(١٠) الموشح ٣٠٨ .

(١١) وهذا هو الاسم الوحيد على وزن : أفعل ؛ انظر سيويه ج ٢ ص ٣٤٥ : (Derenbourg)

نفسه من قبيلة طيء ، لم يكن غريباً أن يجيء في شعره ألفاظ من لهجتها ، مثل :
سديك ، أى حريص مولع بالشئ^(١) ؛ ومثل الاستعمال الخاص بها ، وهو وضع :
ذو ، موضع : الذى^(٢) ؛ وكذلك صيغة : اطأدت ، التى عدّها ابن الأثير^(٣) عليه
خطأً يبدو أنها صيغة إضافية ترجع إلى لهجة خاصة ، بدلا من صيغة : اتطدت ،
المتوقعة ، أى صيغة الافتعال من : وطد .

وعلى حين يحاول الشعر الرفيع ، كما يوجد في قصائد الأعياد والمناسبات العظيمة ،
أن يقترب من المثل العليا للكمال اللغوى ، تبدو أشعار الفرص والمصادفة أقوى تأثيراً
باللغة الدارجة . فمثلاً توجد في أشعار ابن زينب المراكبي الذى اشتهر في عهده
المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ) ، أحوال مثل : بَقِي ،
ياشباع كسرة القاف ، بدلا من فتح الياء ؛ و : هُو ، ياشباع الضمة ، بدلا من فتح
الواو ؛ والمهنا بتخفيف الهمة وإشباع الفتحة ، بدلا من : المهنا ، والاستعمال الشعبي
المحض : حرّها^(٤) . وكذلك الجمتاز البصرى الذى كان يخشى كثيراً لبذاءة لسانه ،
يقول في بيت يهجو به عبد الصمد بن المعتز المتوفى ٢٤٠ هـ ، هُو ، ياشباع الضمة ،
بدلا من فتح الواو^(٥) . وفي شعر آخر يعامل فعل : قرأ ، على أنه يأتى ، ويصوغ منه
صيغاً مثل : تقرى ، تقرّيت ، وقرّاة^(٦) . كما أن مهجوتّه ، وهو أيضاً هجاء كبير ،
استعمل أيضاً في رده عليه : هُو ، بالإشباع أيضاً^(٧) . وفي شعر آخر سمي المدينة التى
ينتمى إليها : البصرة ، بكسر الصاد ، وقد عدّه المبرّد عليه لحناً^(٨) ؛ وهذه الصيغة ،

(١) موشح من ٣١٧ ، وورد لفظ : سديك في شعر الأعرج الطائى ، انظر أمالى القالى من ٢٠٨ .

(٢) انظر الكامل من ٥٦٤ ، ومن الفريب استعماله أيضاً لفظ : الذ ، بدلا من : الذى ،

موشح من ٣١٠ .

(٣) المثل السائر من ١٠ .

(٤) الأغاني ج ٢١ من ٢٤٧ ، ج ١١ من ٩٨ .

(٥) أغاني ج ١٢ من ٦١ ، ج ١٥ من ٦٢ .

(٦) الأمالى للقالى ج ٣ من ٤٧ .

(٧) أغاني ج ١٢ من ٦٢ .

(٨) الموشح للمرزبانى من ٣٤٦ .

التي هي أصل : بأسورا Bassora الغربية ، قد دحضها أيضاً ابن قتيبة^(١) ، وإن أجاز نسبة : البصري ، بكسر الباء . وعلى النقيض من ذلك يعدّ من قبيل الرخصة الشعرية ، إذا جعل عبد الصمد اسم العلم : رُم^(٢) ، ممنوعاً من الصرف . نعم يسمح البصريون ، وفي طليعتهم سيويه والمبرد^(٣) ، بمعاملة الممنوع من الصرف معاملة المنصرف لضرورة الشعر ؛ ولكن العكس أيضاً كثير — منذ وقت بعيد — بحيث لم يقرّ الكوفيون وحدثهم للشعراء بهذه الحرية في ضرورة الشعر ، بل كذلك كثير من البصريين^(٤) . واستعمل الحسن بن وهب الكاتب ، الذي لعب دوراً هاماً في وزارة ابن الزيات (٢٢٥ — ٢٣٣ هـ) ، الفعل المضارع مرفوعاً بعد : أن ، مرتين في قصيدة من أشعار القرص^(٥) ؛ وعلى النقيض من ذلك كانت رسائله معنياً فيها بتجويد الأسلوب ، بحيث جمعت وأخرجت في صورة كتاب .

مثل هذه الأخطاء التي ذكرناها آنفاً ، ظهرت في شعر القرص والمناسبات لمختتم القرن الثاني — الثامن . وعلى النقيض من ذلك صارت اللغة الدارجة على ألسنة المثقفين في القرن الثالث — التاسع تباعد بصورة مطردة من النموذج الفصيح . والملاحظات التي يذكرها الجاحظ تدل على أن المحادثة السليمة الخالية من اللحن كانت تنتظر فقط من الأعراب الذين ينطقون عربية خالصة ، أو من بلغاء العلماء .

(١) أدب الكاتب ص ٤٥٧ (نشر : Grunert) .

(٢) موشح ص ٣٤٦ .

(٣) انظر الفصل للزنجشري وابن يعيش عليه ص ٨١ .

(٤) انظر ابن الأنباري : إنصاف ص ٢٠٥ فما بعدها ؛ عبد القادر : خزانة الأدب ج ١ ص ٧١ فما بعدها .

(٥) ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٣٢ بيت ٧ ، ٨ ؛ وقوله : أن يجني بالإشباع ورد أيضاً في شعر شبيب ابن البرصاء من عصر عبد الملك . انظر الأغاني ج ١١ ص ٩٥ (وإن كان يصح روايته بالجهول) ، كما ورد أيضاً في شعر الجاهلي : عوف بن الأحوس من شعراء الفضليات . (قصيدة رقم ٣٦ بيت ٩) وساق قدامة بيتين دون تسمية قائلهما ، ولا يعلم العصر الذي قيل فيه (ص ٤٥ س ٢) نقد الشعر : بأن أمسي ؛ وفي ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ٧٤٨ (أن يدري ، و : بأن يفديك) وانظر أيضاً : Nöldeke Z. Grammatik .

(٦) الفهرست ص ١٧٧ .

وبطبيعة الحال كانت ثمة فروق أيضاً في لغة المحادثة ، وفقاً لثقافة المتكلم .
وقديماً ، في عهد المأمون (حكم ١٩٨ — ٢١٨ هـ) ، يبدو أنه لم يكن من النادر أن
يستعمل رجال في مناصب رئيسة جملاً وتراكيب مخالفة للنحو تماماً في صلاتهم
الشفوية والكتابية . فقد روى أن ميمون بن إبراهيم ، كاتب إسحاق بن إبراهيم
المصعبى ، ارتكب في رسالة إلى المأمون هذا الخطأ الشنيع : وهذا المال مالا يجب
على فلان . فخط المأمون على : « مالا » ووقع بخطه في حاشية الكتاب : أتكتابنى
بلحن يا إسحاق ! . فاشتد ذلك عليه وأنب كاتبه . نعم صحح النحوى ابن قادم (المتوفى
٢١٥ هـ) الذى كان حاضراً هذا التعبير ، جاءلاً « مالا » منصوباً على التمييز ،
ولكن ميمونا رأى من الخير له تعلم النحو^(١) . وكذلك روى عن إسحاق بن إبراهيم
المصعبى المذكور ، الذى كان يشغل منصباً هاماً ، إذ كان حاكماً لمدينة بغداد من
سنة ٢١٤ حتى مات سنة ٢٣٥ هـ^(٢) ، أنه اضطر بسبب لحن وقع منه في حضرة
المأمون أن يتعلم^(٣) القواعد على النحوى هشام بن معاوية (المتوفى ٢٠٩ هـ) . كما روى
أيضاً^(٤) أن أحمد بن أبي خالد^(٥) (المتوفى ٢١٠ هـ) أول وزراء المأمون ، الذى كان
يشاد بذكره^(٦) لحسن خطه ، قرأ كثيراً من الكلمات في رسالة قراءة محرفة لا يفهم
لها معنى . وقصة أخرى^(٧) تخبر عن كاتب — قيل إنه الفضل بن مروان الذى تولى
وزارة المعتصم من ٢١٨ — ٢٢١ هـ ، أو خلفه ابن شاذى^(٨) — قرأ رسالة على الخليفة ،
ولم يستطع تفسير الجملة : ومُطرنا مطراً كثر منه الكلاً ؛ لأن لفظ الكلاً كان

-
- (١) الصولى : أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ١٥ ؛ سبوتى : بغية
ص ٥٨ ؛ قلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٠ .
(٢) Zambaur, Manuel 129 f. وانظر في حسن تنظيمه للبريد ومعرفة الأخبار
كتاب التاج المنسوب للجاءظ ص ١٧٠ ، وكتاب المحاسن للبيهقى ص ١٥٤ .
(٣) ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٢٥٤ .
(٤) الجوابقى : شرح أدب الكاتب ص ٥١ .
(٥) EI I 199
(٦) الفهرست ص ١١ ؛ الصولى : أدب الكتاب ص ٤٥ .
(٧) ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٧ .
(٨) الجوابقى : شرح أدب الكتاب ص ٤٩ ؛ خزائن الأدب ج ١ ص ٢١٥ فابعداها .

غير معروف له . وفي الحق لقد كان الفضل بن مروان من رجال الإدارة الممتازين ، بيد أنه لم يكن ذا ثقافة عميقة^(١) . وكون الخليفة المعتصم ، على النقيض من أخيه المأمون ، لم يكن مثقفاً ، أمر مشهور ؛ فقد كان يشعر بكره شديد في صباه للتعليم ، ولم يصل إلى حدق يؤبه له في القراءة والكتابة^(٢) . وترسم القصة التالية^(٣) الصورة التي كان يصوره بها الخلف من بعده ؛ فقد أمر يوماً اشناس التركي القيم على السلاح أن يحضر له كلباً للصيد ، ولكنه رده عليه ، لأنه كان به عرج ، فكتب إليه اشناس الأبيات المضطربة التالية :

الكلب أخذت جيد مكسور رجل جيت
رد جيد كما كلب كنت أخذت
فأجابه الخليفة أيضاً بالأبيات المتهافة :

الكلب كان يعرج يوم الذي به بعثت
لو كان جاء مجبر أجبر رجل كلب أنت

وقد حصل الأتراك منذ عهد المعتصم — بكونهم من كبار رجال الجيش ، وحرس الخليفة الخاص — على نفوذ مطرد النمو في سياسة دولة الخلافة ، ولم يكن هؤلاء الرجال متحلين بثقافة علمية ، كما لم يكن لديهم اهتمام أصلاً بالطموح إلى الأدب . ولم يسجل شذوذاً عن هذا العموم إلا الفتح بن خاقان^(٤) أحد أبناء الأتراك . لقد نشأ حتى الفكر ، حاد الذهن ، عاقلاً أريباً ، فاسترعى انتباه المعتصم إليه وهو غلام ، وانتظم بعد ذلك في خدمة القصر ، وتمتع بنفوذ عظيم في شئون الدولة ؛ إذ كان مؤمناً ومستشاراً للمتوكل الذي قتل معه سنة ٢٤٧ هـ . وكان واسع الثقافة ، وأمر على بن يحيى المنجم فأنشأ له مكتبة عظيمة ، وكان يكثر من دعوة

(١) الفهرست ص ١٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) البيهقي : محاسن ص ٤٥٥ .

(٤) انظر الفهرست ص ١٦٩ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١١٦ — ١٢٤ .

الأعراب والنحاة إليه ، كما حاول هو أيضاً تعاطي الشعر . وكان يرسم للعلماء دراسات في الأدب فيصدرونها باسمه . وجمع له محمد بن حبيب (المتوفى ٢٤٥ هـ) كتابه عن قبائل العرب ^(١) . كما وجه إليه الجاحظ رسالته عن الأتراك ^(٢) . وكذلك وصفه للآداب المتبعة في قصور العباسيين (أخلاق الملوك) ألف بتكليف منه ، وإن لم يكن مؤلفه الجاحظ الذي نُشر الكتاب باسمه ، بل محمد بن الحارث الثعلبي ؛ على الأقل نعرف عالماً بهذا الاسم ، كان من حاشية الفتح ، وألف له مصنفًا يسمي : أخلاق الملوك ^(٣) . وفيما عدا ذلك كان قواد الأتراك الأجراء لا يمتنون في الأعم الأغلب بصلة إلى الثقافة أصلاً ؛ كما أسهموا في خفض المستوى اللغوي في دوائر القصور . ويملوهم مناصب السلطان يبدأ في تاريخ العربية عصر الانحلال .

(١) الفهرست ص ١٥٥ .

(٢) نشرها فان فلوتن في : *Triae Opusculae* S . 1 56 1930

(٣) الفهرست ص ٢١٢ (الثعلبي) ، ويذكر الفهرست ص ١٧٠ في الكتب المنسوبة إلى الفتح بن خاقان ، كتاب اختلاف الملوك . والظاهر أنه تحريف عن كتاب أخلاق الملوك ، الذي عمله ابن الحارث المذكور ، وذكر Flügel لقب محمد بن الحارث : الثعلبي ، بدلا من الثعلبي .

العربية تصير لغة الأذب الفصحى

في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري — التاسع الميلادي

وهذا عهد لم يكد يبلغ قرناً من الزمان ، امتد من وقت رجوع الخليفة المتوكل إلى مذهب أهل السنة المحافظين سنة ٢٣٥ / ٨٤٩ ، إلى مبدأ قيام الحكم العسكري على يد أمير الأسراء : الرائق ، (سنة ٣٢٤ / ٩٣٦) ؛ ذلك الحكم الذي انتزع من يد الخليفة البقية الباقية من الاستقلال ، وطبع دولته بطابع الانحلال إلى دويلات تزيد على العشر . ولقد رأى ذلك العهد الانحلال المطرد الحلقات ، المتصل الخطوات في دولة الخلافة التي ازدهرت أعظم ازدهار في ظل المأمون والمعتصم . لقد أعلن انفصاله واستقلاله إقليم تلو إقليم ، فلم يعد يؤدي الأموال إلى بغداد . ولقد نالت هذه الخسارة من الخلفاء نيلاً أشد وقعاً ، وأسوأ أثراً ، حينما اضطرتهم محاولتهم إعلان سلطتهم إلى بذل الجهود الحربية التي لم يكونوا لها أ كفاء على طول الأمد من الناحية المالية . وقد اشترى المعتصم — فعلاً — كثيراً من عبيد السلاح ، وألف منهم قواته المحاربة . وأكثرت القواد الأتراك الذين كانوا لا يقتصرون على رئاسة هؤلاء الأجراء الأجانب ، بل يحملون أيضاً أعباء أجورهم وتديرها ، سرعان ما اكتسبوا نفوذاً عظيماً في السياسة ، حتى أدى ذلك أخيراً إلى إنشاء الحكم العسكري . وبالانحلال السياسي والاقتصادي ، انحط مستوى الثقافة العامة . والبزعة السنية المحافظة التي حددت اتجاه السياسة الثقافية لذلك العصر الانقلابي ، تبين أنها أضعف من إيقاف ذلك الانحلال . وكانت نتيجة ذلك أن خسرت العربية في هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها ؛ على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولدة ، متغلغلة في أرقى الأوساط .

والعمدة في الشهادة على انحطاط المستوى العام للثقافة في القرن الثالث — التاسع

هو أبرز الأدباء الممثلين للتجديد السنّي : ابن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) الذي يشكو كثيراً في كتبه من هذه الظاهرة ، والذي تُعنى كتبه بأن تهيب للكتاب ، أي القائمين على الخدمة في الدواوين والشئون المدنية ، في قالب واضح سهل المتناول ، تلك العدة من المعارف الإيجابية التي لا غنى لهم عنها في القيام بأعمالهم . وفي مقدمات تلك الكتب التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق ، وصف ، في تصوير قريب ، الضرورات الملحة في هذا السبيل : ليس لدى الملوك مال للمطامح الثقافية ، ولا يجد العلماء (المحافظون) عوناً من قبلهم ؛ وفي أوساط المجتمع الراقى ذهبت حركة الاعتزال بكل إجلال للنزعة السنية المحافظة — أما أن المعتزلة قد أحيوا العلوم القديمة ، أعنى ذلك التراث العقلي للعصر القديم (الأنتيك) ، فهذا لا يمدّ شيئاً في نظر ابن قتيبة — وعند ابن قتيبة لا يعد من علائم الثقافة المتنقلة الخاصة أن يتعاطى المرء شيئاً من المنطق أو جانباً من علم الفلك . نعم هو لا ينكر إنكاراً تاماً جهود المعتزلة في ناحية القواعد النحوية ، وشرح الأشعار ، وتفسير القرآن ، ولكن بقدر رفقته بهم في هذه الناحية اشتدت شكواه من أن المعتزلة جعلوا دراسة القرآن والحديث وأحكام الشريعة في المرتبة الثانية . وقد وصف الجهل المنشور لواؤه ، حتى في أرقى الأوساط ، بالتاريخ والأنساب . فالقرشيون لا يعرفون كيفية قرابتهم إلى الرسول ، والأشراف يجهلون شجرة أنسابهم . والأمراء من الفرس لا يعرفون تاريخ أسلافهم . وعلى النقيض من ذلك يستطيع حديثو العهد بالنعمة والمناصب الرفيعة أن يدعوا انتسابهم إلى رجال انقرضت أسرهم منذ زمان طويل . وليس الحال بأحسن من ذلك في المعارف الخاصة ؛ فعلى أحسن الفروض نجد الرجل مغلباً في فنه الذي اختص به . كما أنه ليست له ثقافة عامة . ومن يستطيع أن ينشد أبياتاً من الشعر يعدّ عالماً ؛ ولا يعرف الكاتب مطمحاً أسى من أن يكتب خطأ جميلاً .

وينضم إلى ذلك انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية الذي امتد إلى كتاب

الدولة ووزرائها، والذي ألف ابن قتيبة كتابه : أدب الكاتب^(١). لعلاجه وكفاحه . وهو كتاب يعلمنا كيف ينبغي للمسلم المثقف في القرن الثالث أن يعبر عن أفكاره بالنطق والكتابة ، ويبيّن لنا — بوجه خاص — الأخطاء التي يجب عليه أن يتجنبها . وفي هذا يباشر ابن قتيبة بحوثه — على خلاف الجاحظ — بدقة تحفل بالصغائر . ولئن فقدت توضيحاته وبحوثه المفصلة ذلك الظرف المتوثب الخفيف الروح ، الذي يجعل استطرادات الجاحظ أخاذاً ساحرة ، إنه ليفيدنا بفضل أسلوبه المتعمق الجزل كثيراً من التفاصيل عن الاستعمال اللغوي في عصره ، على الرغم من أنه ليس من عادته — بوجه عام — أن يسمى الأسلوب أو القالب الذي يتنقّصه تسمية واضحة . وهو في ذلك ، كما أثبتته شارحه البطليوسي ، ينصب نفسه محامياً عن مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف . والأصحى — بوجه خاص — عمدة من يحتج بهم من الرجال ؛ وهو لا يحيد عن آرائه إلا في أحوال نادرة كما أنه قل — في موضع من الكتاب — كتاب الديباجة لأبي عبيدة برمته^(٢) . والأبواب من ص ٥٨٤ مأخوذة من كتاب المعاني لابن السكيت^(٣) مما جرّ عليه لوم البطليوسي ونقده^(٤) . ولا تنقص الكتاب أيضاً صور من الجمع والخلط — لا يعتمد عليها — بين أنظار المدرستين : البصرية والكوفية^(٥) كما لا ينقصه كثير من السهو^(٦) والتضارب^(٧) . بيد أن هذه المعايير

(١) نشره : Gruenert Leiden .

(٢) انظر البطليوسي : الاقتضاب ص ١٤٠ — ١٤٢ .

(٣) انظر الاقتضاب ص ٢٤٣ س ١٥ ؛ ص ٢٥٧ س ١ ؛ ص ٢٦٥ س ١٥ .

(٤) اقتضاب ١٧٤ ، وانظر ص ٢٥٥ ؛ ٢٥٧ .

(٥) اقتضاب ص ١٧١ س ٥ ؛ ص ١٧٣ س ٢ .

(٦) اقتضاب ص ١٠٧ س ٣ ؛ ١٣٩ س ١٣ ؛ ١٤١ أسفل ؛ ١٤٨ س ١ ؛ ١٥٢ س ١

١٦٢ س ٩ ؛ ١٧٨ س ٦ ؛ ١٨٢ أسفل ؛ ١٨٣ أسفل ؛ ١٩٩ س ٨ ؛ ٢٣٠ س ٩ ؛ ١٥ ؛ ١٠

٢٣٠ ؛ ٢٣٥ س ١٠ ؛ ٢٧٠ س ٢ ؛ ١١ ؛ ص ٢٧٢ س ٢ ؛ ٢٧٩ س ١٤ .

(٧) اقتضاب ص ١٢٣ س ١٢ ؛ ١٢٧ أسفل ؛ ١٣٣ س ٦ ؛ ١٥٠ س ٨ ؛ ١٥٤ س ٣ ؛

١٧٥ أسفل ؛ ١٧٦ س ٢ ؛ ١٨٠ ، ١٨١ ؛ ١٧٧ س ١١ ؛ ١٦ ؛ ١٧٨ س ٢ ؛ ١٨١ س ١٦ ،

١٩ ؛ ١٨٢ س ٣ ؛ ١٨٣ س ١٠ ؛ ١٣ ؛ ١٨٤ س ٣ ؛ ١٩ ؛ ١٨٧ س ٣ ؛ ١٠ ، ٢٠ ؛

١٨٨ س ١٠ ؛ ١٨٩ س ٨ ، ١٢ ، ١٥ ؛ ١٩٠ س ٣ ، ٩ ؛ ١٩٢ س ١٢ ، ٢١ ؛ ١٩١ =

لا تغض كثيراً من قيمة كتابه ؛ فهو باق أحد الكتب الأساسية الأولى لمبدأ التنفية اللغوية ، ولا يزال يدرس حتى اليوم بعناية واجتهاد ، لغزارة مادته ، في العالم العربي . وهكذا يحتوي القسم الأول من كتابه ، وهو « كتاب المعرفة »^(١) في الستة والخمسين باباً التي يشتمل عليها ، على مادة غنية لمعرفة الكنز اللغوي ، وفي ذلك نفث على اختلافات المعاني التي احتملتها بعض الألفاظ إلى القرن الثالث ؛ فمثلاً ، يستعمل الناس لفظ : ماتم ، بمعنى المصيبة أو الاجتماع على المصيبة ؛ وليس هذا معناه الأصلي ، وإنما هو النساء يجتمعن في الخير والشر^(٢) ؛ ومثل لفظ : النىء معناه الظل مطلقاً ، لا ظل ما بعد الظهر كما هو الأصل^(٣) ؛ ومثل لفظ : الملة ، يستعمل في الخبز ، وكان معناه الرماد الحار الذي يخبز فيه^(٤) ؛ ومثل : تنزه ، يستعمل بمعنى ذهب إلى البساتين ، وكان معناه ابتعد عن الماء والزراعة^(٥) . ولم يعد يفرق أحد تقريباً بين الآل والسراب^(٦) ، ولا بين الفقير والمسكين^(٧) ، ولا بين الأعرابي ، أى البدوي (وإن عاش في الحضر) والعربي ، أى واحد العرب وإن كان غير بدوي^(٨) . ويلقى بعض الضوء أيضاً على الاستعمال اللغوي في القرن الثالث ، تلك التعبيرات التي يشرح بها ابن قتيبة بعض الألفاظ الفصيحة ؛ فكثيراً ما يستعمل في تفسير أسماء النباتات العربية القديمة (ص ١٠١ — ١٠٥) ألفاظاً فارسية بمعناها . كذلك يبين

== س ١٠٤ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩٥ س ٣ ، ١٩٦ س ١٨ ، ٢٠١ س ١٥ ، ٢٠٤ س ٨ ، ٢٠٥ س ١٠ ، ٢٠٦ س ٤ ، ٢٠٧ س ١٧ ، ٢١٠ س ٤ ، ٧ ، ٢١١ س ١ ، ١٠ ، ٢١٢ س ٢ ، ٢١٤ س ١ ، ٨ ، ٢٢٣ أسفل ، ٢٢٦ س ٣ ، ٢٢٧ س ٨ ، ٢٢٩ س ١٣ ؛ ٢٣٠ س ٩ ، ٢٣١ س ٦ ، ٢٦٦ أسفل ، ٢٦٦ أسفل ، ٢٦٧ س ٤ ، ١٢ ، ١٥ .

(١) ص ٢١ — ٢٣٣ ...

(٢) ص ٢٤ م

(٣) ص ٢٧ س ١ .

(٤) ص ٣٨ س ٦ .

(٥) ص ٣٩ س ١١ .

(٦) ص ٢٨ س ٨ .

(٧) ص ٣٥ س ١ .

(٨) ص ٤٠ س ٦ .

الباب الذى عقده للكلمات الأعجمية فى كلام العرب (ص ٥٢٦ — ٥٣٣) إلى أى حد حفلت اللغة الدارجة بالعناصر الفارسية . وأكثر إفادة (فى هذا المضمار) القسم الثالث الأساسى ، وهو كتاب تقويم اللسان (ص ٣٣٣ — ٤٦٠) بما اشتمل عليه من طوائف من الكلمات التى يعدها المترجمون اللغويون من قبيل اللحن أو الردىء . وفى هذا يرتب ابن قتيبة — ترتيباً سطحياً بحثاً — الأحوال المختلفة الظروف الناشئة من صورة الكتابة بين الصحيح والخطأ ، بحيث إن الأحوال التى ترجع إلى مجموعات مختلفة من جهة التكوين الصوتي ، والصيغ والقوالب ، والعمل النحوي ، تضم بعضها إلى بعض دون فرق بينها . فهو يرى من ناحية الصوت أن إسقاط الهمزة ، أو تحويل ما فاؤه همزة من الأفعال إلى ما فاؤه واو ، أو ما لامه همزة إلى ما لامه واو أو ياء ؛ كل هذا يؤدي إلى نشوء صيغ وقوالب جديدة معينة عند المعنيين بتنقية اللغة . ومن ناحية القوالب والصيغ يذكر ما تشدده العوام وما تحقفه أو العكس ، مثل الياء فى آخر الكلمة ، وإبدال فعاليل بفعالل فى جمع الرباعى ، والصيغ المخترعة مثل : أخير وأشر ، بدلا من : خير وشر ، وأطراح الفرق المعنوي بين اسم المرة : فعلة ، واسم الهيئة : فعلة ؛ وما يضم والعامة تكسره ، أو يكسر والعامة تفتح أو تضمه ، إلى غير ذلك . ويعرض كتاب الأبنية (ص ٤٦٠ — ٥٥١) نظرة عامة فى صيغ الأسماء والأفعال ، إذ يعقد فيه بعد تحديد كل نوع سلسلة من الأبواب ، يبحث فيها هذه الصيغ ، مرتبة فى طبقاتها المعنوية ، ويعقد فى ذلك باباً خاصاً بالحروف ، يعرض فيه ما يتعدى بحرفين ، والأحوال التى يستعمل فيها حرف مكان آخر ، وتعاور الأفعال اللازمة والمتعدية (ص ٥٣٤ — ٥٥١ الخ) .

ولا يعرج ابن قتيبة فى كتبه الأخرى على مسائل اللغة والتربية اللغوية إلا عرضاً . ففى كتابه : عيون الأخبار ، يعقد لمسألة التعبير الصحيح والخطأ ؛ باباً خاصاً (باب الإعراب واللحن ج ٢ ص ١٥٥ — ١٦٠) يحتوى — فى سياق مختلف الألوان — على حكم وأشعار فى الإشادة باللغة الصحيحة الفصيحة ، والحث على

دراسة القواعد والنحو ، كما يشتمل على قصص وأمثلة للحن المختلف الأنواع ، ومخالفة الصواب في قراءة القرآن ، وبعض المفارقات الناشئة من سوء الفهم لاصطلاحات النحو ، وعقب ذلك تباعاً يذكر ابن قتيبة نماذج من الأسلوب الدقيق (التشادق) ، واستعمال المهجور الغريب من مادة اللغة . وفي كتابه : الشعراء^(١) ، يتتبع بالتفصيل ما أخذ على أبي نواس من اللحن .

هذا على أن المطالب التي فرضها ابن قتيبة لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤدها معاصروه على وجه الدقة ، بل هو نفسه قد اصطدم هنا وهناك مع قواعده ، وحتى الشعر الرفيع في عصره لم يف بمطالب مبدأ « تنقية اللغة » ؛ فإن لغة البحري (حوالى ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ) ، لم تعد من حيث فصاحتها مساوية للغة معاصره السابق عليه بقليل ، وابن قتيبه أيضاً : أبي تمام . حقاً إنها لمبالغة حاكمة ، إذا وسمه ابن أبي طاهر^(٢) (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) ، في شعر يهجو به ، بأنه : لاحن جاهل^(٣) ؛ لا سيما وقد قيل عن هذا الخصم إنه كان عامياً كثير التصحيف ، وإنه أنشد شعراً واحداً فلحن في بضعة عشر موضعاً منه^(٤) . وأرجح من هذا وزناً ، أن أحد المعجبين بالشاعر ، وهو الوزير أبو الفضل بن العميد ، يسلّم أنه تعرض له أخطاء ، وأن في شعره الكسر والإحالة واللحن^(٥) ؛ وقد استعمل مثلاً : نسيه^(٦) ، ياشباع الياء بدلا من فتحها ، بسبب القافية ، ووضع صيغة المرفوع : مثن ، بدلا من صيغة المنصوب : مثنياً ، في البيت :

يا ماحد الفتح ويا آمله لست امراً خاب ولا مثن كذب^(٧)

(١) Liber poesis 516, 7 - 530, 9

(٢) هو مؤلف كتاب : أخبار بغداد ويعرف بابن طيفور (فهرست ص ٢٠٩) . وقد أخرج

جزءاً منه مع ترجمته إلى الألمانية : H. Keller

(٣) المرزباني : موشح ص ٣٣٣ .

(٤) الفهرست ص ٢٠٩ .

(٥) الصاحب بن عباد : الكشف عن مساوي المتنبي (القاهرة ١٣٤٩) ص ٨ .

(٦) في الموضع السالف ص ٩ س ١ .

(٧) الموشح : ص ٣٣٣ س ١٤ .

كما قال : مساعيك ، بالإشباع ، بدلا من نصب الياء .

ولو أنصف الحساد يوماً تأملوا . مساعيك هل كانت بغيرك أليقا^(١)

واستعماله لفظ : طلحات^(٢) ، بسكون اللام بدلا من فتحها ، في جمع طلحة ، يمكن الاعتذار منه — على أسوأ الاحتمالات — برخصة الشعر . وقد حملت المباحكات وضيق العطن خصومه على أن عدّوا عليه بعض تعبيرات أخرى من اللحن ، مثل التهافت في مطلع إحدى القصائد :

محل على القاطول أخلق دائره^(٣)

فإذا كان دائراً فكيف يخلق ؟ على أنه لاجرم كان يعنى نفسه في سبيل صحة اللغة وسلامتها ، كما كان يلقي أشعاره في تصنع وإعجاب بنفسه^(٤) .

وشاعر آخر لم يكن أقل شهرة في هذا العصر ، وهو ابن الرومي (٢٢١ - حوالى ٢٨٣ هـ) يعتذر في قصيدة له من أخطاء لغوية زلقت من قلمه في رسالة كتبها إلى صديق^(٥) . كما أن أحمد بن المدبر ، الذى كان يتقلد إدارة الأموال في دمشق حوالى سنة ٢٤٠ هـ ، ثم نقل إلى مثل هذا العمل بمصر سنة ٢٤٧ هـ^(٦) ، ذكر في قصيدة واحدة لفظ : رضى ، بإشباع الكسرة بدلا من : رضى بفتح الياء ، ورفع المضارع ثلاث مرات بعد أداة النصب^(٧) .

(١) الموشح ص ٣٣٢ س ١٦ .

(٢) عبد القادر : خزانة الأدب ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٣) الموشح ص ٣٣٧ س ١٨ .

(٤) انظر عرض أبي الفرج وتصويره في الأغاني ج ١٨ ص ١٧٣ ؛ وذكره ياقوت : إرشاد

ج ٦ ص ٤٠٤ .

(٥) الصولى : أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٦) انظر في منصب إدارة الأموال بمصر C. H. Becker, Beitrage Zur

Geschichte Aegyptens II 142 - 148, 154 - 161

(٧) الموشح ص ٣٤٩ ؛ أما أن ابن المدبر أرسل بهذه القصيدة إلى ديك الجن الشاعر ، المتوفى (كما في ابن خلكان ج ١ ص ٥٢٥) سنة ٢٣٥/٦ هـ ، على حين كان ابن المدبر المذكور والياً لابن طولون على دمشق ، فهذا لا يتأتى ، لأن ابن طولون لم يستول على سورية إلا سنة ٢٦٤ هـ

وكثير الإقادة — بوجه خاص — مثل علي بن محمد الحِمَّاني العلوي^(١) . لقد كان حفيدا لجعفر الصادق ، وابنا لمحمد الديباجة ، الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة سنة ٢٠٠ هـ ؛ بيد أنه غلب على أمره ، ومُحِل إلى بغداد ، ثم مات بعد ذلك بقليل في منفاه بخراسان . وعلي بن محمد نشأ بالكوفة في حيّ بني حِمْيَر — ومن هنا نسبته —^(٢) ، ونُصِّب في وقت متأخر نقيباً للأشراف العلويين . ولقد كان من الشعر على عرق ؛ وكثيراً ما تخطر له خواطر جيدة ؛ وكان يبكي قتلى بيته في أبيات مؤثرة ، حتى عدّه بعض الشيعة المتحمسين أشعر شعراء قرنه ؛ بيد أنه لم يَتَّي دراسة منتظمة في النحو ؛ وكان يستحي ، وهو كبير السن ، أن يسأل غيره ؛ ولهذا وجدت في شعره أخطاء شنيعة ، كما يقول في محيا جميل :

[في وجه ذاك أخاطيط مسوَّدة] وفي مضاحكِ هذا الدرّ منشور
فالوجه أن يكون : منشوراً^(٣) . وله شعر آخر^(٤) ، ادّعاء عبّيد الله بن عبد الله ابن طاهر لنفسه ، يقول فيه :

* أَرَقْتُ وما ليل المضام بناثم * فيستعمل صيغة مفعول الرباعي ، المستعملة في اللغة الدارجة ، بدلا من مفعول الثلاثي : مَضَم .
وكان حال اللغة الدارجة أسوأ من ذلك كثيراً . وقد كان لابد أن ينحط مستواها إذ كان غوامّ الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر . فقد وصل الأمر أخيراً إلى أن صار الوزير نفسه يتكلم اللغة الدارجة : روى أن إسماعيل بن بلبل ، الذي ولى الوزارة في حكم المعتضد ، من سنة ٢٦٥ — ٢٧٧ هـ قال في أحد المجالس : قد كان أننى ، بضم الهمزة ، بدلا من : قد كان تُنى . وقد أضاف خصمه ابن ثوابة

(١) المعوody ج ٧ ص ٣٣٦ — ٣٤٢ .

(٢) كذلك في البصرة نسب من سكن في حيّ بني حِمْيَر وإن لم يكن منهم ، إليهم ؛ انظر

بأقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) الموشح ص ٣٤٦ وهو يجوز أن يكون خبراً تعلق به الجار والمجرور ، والدر مبتدأ

(٤) الموشح ص ٣٥٦ .

إلى كلامه : في الخراء ، بصوت غير مسموع ، كما لو كان قد قال : قد كان أنقى في الخراء^(١) ؛ وجلب على نفسه بذلك ازدياد كره الوزير إياه . واستعمال صيغة الرباعي بدلا من صيغة الثلاثي ظاهرة مألوفة في اللغة الدارجة ، بحيث لم يزل البصريون والكوفيون ، منذ عهد الأصمعي وقطرب ، يعالجون دائما موضوع فعلت وأفعلت^(٢) . وبطبيعة الحال كانت هنا أيضا فروق عظيمة في طريقة التعبير اللغوي ترجع إلى التربية ، والنسب ، والمركز الاجتماعي . فرجال ، كالمطاهرين ، كانوا لا يزالون يلقون باطراد وزناً للغة الفصيحة . وقد كان جدهم طاهر بن الحسين (١٥٩ — ٢٠٧ هـ) خراسانياً ، ولغته الأصلية الفارسية ؛ ويروى أن آخر ما قاله هو : دَرَمَرَج نيز مَرَدِي قَايَدُ^(٣) (حتى في الموت يجب أن يكون الإنسان رجلاً) . وروى إسحاق ابن إبراهيم الموصلی ، الذي عُمر طويلاً (١٥٠ — ٢٣٥ هـ) ، على لسان إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، من رهن طاهر المذكور ، أنه قال بالفارسية في قصيدة له من أخريات قصائده : * يامَرْدُ مَي خَر^(٤) * (يارجل اشرب خمرًا) . وإلى جانب هذا تمكن طاهر من العربية تمكناً تاماً باللسان والقلم . وقد اشتهرت بصورة خاصة مسالته يهنئ المأمون عند دخوله إلى بغداد^(٥) ، وكتاب مطول له حافل بالنصائح الغالية لابنه عبد الله عند ما نُصَّب هذا والياً على ديار بكر^(٦) . ويروى أنه استاء أشد الاستياء عند ما خاطبه أحد الكتّاب بعبارة سقيمة ملحونة^(٧) . والآن ، بعد جيلين من ذلك العهد ، كان حفيده محمد بن عبد الله (٢٠٩ — ٢٥٣ هـ) يحتسب في عداد أعلم الرجال وأوسعهم ثقافة في الدولة . ولما دعاه المتوكل إليه سنة ٢٣٧ هـ

(١) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٩ .

(٢) انظر الفهرست في أخبار النحويين والافويين وأسماء كتبهم في الفنون الثلاثة من المقالة الثانية

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٠٦٣ .

(٤) الأغاني ج ٥ ص ٨٥ .

(٥) الفهرست ص ١٧٠ .

(٦) ذكره الطبري : تاريخ ج ٣ ص ١٠٤٦ — ١٠٦٢ ؛ ابن أبي طاهر : كتاب بغداد

ص ٣٦ ؛ ابن الأثير ج ٦ ص ٢٥٨ .

(٧) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢٤ .

من خراسان إلى العراق ، ولأه ولاية مضاعفة ، إذ جعله والياً على الشرطة ببغداد ،
وقيماً على الجزية والخراج ؛ ولما كان تزيهاً في علاقاته ، واثقاً من نفسه ، لبقاً
في مواقفه ، وإلى ذلك مسامراً حلو الحديث ، فسرعان ما انتهت إليه الكلمة
في مجتمع القصر . ولقد كان يقيم وزنًا للغة المتخيرة ؛ وأخذ مرة حاجبه محمد بن أبي عون
ممازحاً له ، على كثرة استعماله لفظ : قد ، في البيتين التاليين اللذين بعث بهما إليه
مع أنوار من بستانه وريحان :

قد بعثنا بطيب الريحان خير ما قد جنى من البستان
قد تخيرته لخير أمير زانه الله بالتقى والبيان
[حيث وقع على ظهر رقمته :

عون ياعون قد ضلت عن القص د وعميت عن دقيق المعاني
حشويتيك « قد وقد » فإلى كم؟ قدك الله بالحسام البماني ^(١)

ومع هذا فقد كان محمد بن عبد الله نفسه متوتر العلاقة مع قواعد النحو ، مثير
في قواعد أسماء العدد ، فهو لم يكن يكتب : ألف درهم واحدة ، فحسب ، بل كان
يغير الصيغة على هذا الوجه أيضاً كلما وقعت عينه على التعبير الصحيح : ألف
درهم واحد ، في كتاب ، بل وكان كتابه إذا أنكروا ذلك عليه يُغلاظ عليهم ويهابونه
فلا يبتدئونه فيه بشيء ، ولم يستطع إلا ثعلب (٢٠٠ — ٢٩١ هـ) أن يرشده
— عرضاً — إلى الصواب ، حينما علم بذلك ؛ فقد أخبره الأمير يوماً أن القراء ألف
كتابه : البهي ، لعبد الله أبيه ، بأمر من طاهر جده ، فذكره ثعلب بكتاب :
المذكر والمؤنث ، الذي ألّفه القراء أيضاً لآل طاهر ؛ ولما سأله محمد — دون شعور —
عن موضوع هذا الكتاب ، تعلم ، بهذه المناسبة ، من ثعلب ، أنه ينبغي أن يقال :
ألف درهم واحد ^(٢) . وأسوأ من هذا أن أخاه سليمان بن عبد الله — صاحب الشرطة

(١) الموضح من ٣٤٩ فما بعدها .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٢ من ١٣٧ .

بيغداد ٢٥٥ — ٢٦٥ هـ — صاغ مثنى لاسم العدد : عشرون ، في شعر له :

* وقد مضت لي عشرونان ثنتان^(١) *

كما أن آخر النابيين من الطاهريين ، وهو الرفيع الثقافة : عبيد الله بن عبد الله (٢٣٣ — ٣٠٠ هـ) — كان نابيه الذكر في تلحين الأغاني بوجه خاص^(٢) — جلب لنفسه المؤاخذه على شتى أنواع التساهل في أشعاره ، مثل استعمال : رضى ، بالإشباع بدلا من فتح الياء^(٣) .

هذا ، فالتربية النحوية ، والإلمام الراسخ باللغة الفصحى ، لم يكونا بعد إذ ذاك حتى في الأوساط الراقية للمجتمع الإسلامى ، أمراً مفهوماً بالبداهة ؛ فقد صار الكلام على طريقة البدو ، أى بالمحافظة على جميع ظواهر الإعراب — الأمر الذى كان يمد فى القرن الثانى منتهى التقريظ لتعبير أحد البلغاء — يعتد نسباً على الطراز القديم الذى لا يساير روح العصر . ولما زار الخليفة المعتضد مدينة البصرة سنة ٢٨٣ هـ مع وزيره القاسم بن عبد الله ، استقبله أعيان المدينة وجم غفير من الشعب على القوارب والسفن . وقد تقدم إذ ذاك أبو خليفة الجمحى الطاعن فى السن (حوالى ٢٠٥ — ٣٠٥ هـ) ابن أخى العلامة اللغوى : ابن سلام الجمحى ، وتلميذه ، فألقى شكاته بحضرة الخليفة من البلاء الشديد الذى قاسته المدينة من ثورة الزنج ، فى لغة من ذلك الطراز القديم البالى — إذ اعتاد الإعراب منذ صباه ، حتى صار فطرة ثانية له — بحيث دُهِش جميع الحاضرين^(٤) . كما أثبت أبو خليفة أيضاً أنه لغوى متزمت ، باعتراضه على استعمال الكلمة الفارسية : هَم ، بمعنى أيضاً^(٥) . ومع هذا ، فليس أوضح دلالة على تلك الهوة السحيقة ، التى قامت فى حياة الفكر على ممر القرن الثالث — التاسع ،

(١) موشح ص ٣٥٧ .

(٢) أغاني ج ٨ ص ٤٤ — ٥٥ .

(٣) الموشح ص ٣٥٧ .

(٤) السعوى (١٣٤٦ هـ) ص ٣٥٧ .

(٥) تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩٤ .

بين العربية القديمة الفصحى ، والعربية المولدة الآخذة في الانتشار ، من أن النحويين أنفسهم في ختام القرن المذكور ، لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى في مسامراتهم ومحاوراتهم .

فها هو ذا ثعلب (حوالى ٢٠٠ — ٢٩١ هـ) لم يجر في محاضراته على قواعد الإعراب ، إذ كان يدخل المجلس ، فيقوم له تلاميذه ، فيقول لهم : أقعدوا ، بفتح الهمزة ^(١) ، كما في اللهجة الدارجة إذ ذاك ؛ بيد أن العالم المحدث الكبير : إبراهيم الحربي (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) لم يجد في ذلك شيئاً ^(٢) . ولم يراع ثعلب النحو حتى في رسائله ؛ فقد كان إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان لا يخرج عن طبع العامة ^(٣) . وعلى الرغم من ذلك ، كان ثعلب أبرز ممثلى مدرسة الكوفيين في عصره . وكتابه : الفصيح ^(٤) ، الذى يحتوى في ترتيب واضح ، وأسلوب مختصر ، على طائفة كبيرة من قوالب اللغة الفصحى التى كانت تهددها إذ ذاك قوالب أقل منها فصاحة ، أو قوالب من لغة العامة ، هو من أكثر الكتب الأساسية في مبدأ « تنقية اللغة العربية » تداولاً بين القراء . وكان له تأثير باقى الأثر بعيد الخطر ، بعد قرون طويلة ؛ على الرغم من سوء حكم ابن الأثير عليه ^(٥) . وروى عن نحوى آخر في هذا العصر ، هو الكوفى محمد بن الحسن الأحول أنه كان لحاناً يستعمل صيغاً من لغة العامة ؛ وقد سمعه نبطويه (٢٤٠ — ٣٢٣ هـ) يقول مثلاً : لم يزلوا بدلاً من : لم يزلوا ^(٦) .

وهذا هو الأخفش الأصغر (حوالى ٢٣٥ — ٣١٥ هـ) الذى اشتهر قبل كل شيء بإخراج كتاب الكامل لأستاذه المبرد ، وكتاب النوادر لأبى زيد ، يستعمل الاسم

(١) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٦ .

(٣) ياقوت إرشاد ج ٢ ص ١٤٢ .

(٤) نشره : J. Barth ، في Leipzig 1876 .

(٥) المثل السائر ص ١٧٥ .

(٦) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٣١٦ .

المنسوب ، في شعر نظمه ارتحالا ، كما لو كان غير متمكن من الإعراب^(١) ! وقد فعل
مثلا ذلك أيضاً — على غير أهبة واستعداد — معاصره المفجع ، (المتوفى ٣٢٧ هـ) ؛
على حين أنه راعى التنوين في إحدى قصائده الفاخرة مراعاة دقيقة^(٢) .
وبهذا توطن الحد الفاصل ، أيضاً في الأوساط المثقفة — بصورة حاسمة —
بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب ، والعربية المولدة
الدارجة ، حوالى نهاية القرن الثالث .

(١) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٢١ .
(٢) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٣١٩ .

عربية الأدب في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

أخذ النمو والانتشار اللغوي ، في مجرى القرن الثالث - التاسع ، يطارد العربية الفصحى التي نظم النحاة قواعدها ، والتي قامت على أساس لغة الأعراب ، ويمس في عزلها باطراد من جميع مناطق اللغة الدارجة . بيد أنها ظلت في الأدب الملكية المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من ادعى إلى الثقافة بسبب أو نسب . لقد منحت كل أثر أدبي ثوبه اللائق به ، وإن كانت فروق الأسلوب بين الشعر الرفيع ، وأبيات الفرص والمناسبات ؛ وبين النثر الفني المنمق ، وأدب المسامرة والمحاوره ؛ وبين كتابة العلماء ، وكتب الأدب الاختصاصي ؛ قد صبغت التغير اللغوي بشتى الأصباغ والألوان . بيد أنها مع ذلك كله لم يعد يسمع رنينها في الخطاب الحى . وإن لهجات الأعراب أنفسهم لتعدّ ، إلى جانب خلوصها المضاهى للقديم ، خشنة غير مهذبة . وعلى الرغم من ذلك فقد تَركت - لأنها وحدها كانت ذات قواعد ثابتة ، ومعايير مقدرة - أثراً خفياً في اللفظ المنطوق ، وإن كان مختلف الصور بحسب درجة المتكلم من الثقافة ، وباختلاف الوسط الذى يتردد فيه اللفظ .

والنتائج ، التي ترتبت على النمو اللغوي المذكور بالنسبة للأسلوب ، أبرزها قدامة بن جعفر في الحد الزمني الفاصل بين القرنين الثالث والرابع ، في كتابه : نقد النثر . إنه يتحدث ، لا عن رأى نظرى فحسب ، بل لقد استفاد من التجارب العملية لكاتب لم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام ، ويترقى إلى أن صار كاتب الدولة في إحدى وزارات بغداد ، وعرف ما يُنتظر من كاتب جيد الأسلوب ، وهو يفرق في الأسلوب بين السخيف الملحون ، والجزل الفصيح (ص ١٢٠) ؛ فهذا من سمات الطبقات الحصيفة المثقفة من العلماء والحكماء ، وذلك من كلام

الرّعاع والعوام ، إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره ظلاً لإفهامه ؛ وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يستعمل فيه غيره ، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ؛ فإنه متى حكاها الإنسان على غير ما قاله خرجت عن معنى ما أريد بها ، وبردت عند مستعملها ، وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها ، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها (ص ١٢٠ س ٤-٨) .
أما في الصّلات بين الخاصة والعلماء ، والعرب الفصحاء ، والكتاب الأدباء ، فالمقام للأسلوب الجزل ، وهو يتعلّم بمجالسة الأدباء ، ومعاشرة الخطباء ، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، واختار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم . وللمران على ذلك ينبغي التذكير بتعليم الأولاد كتابة الرسائل ، ورواية أشعار القدماء ، وحفظ القرآن (ص ١٢٠ أسفل الصفحة) .

كذلك يتخذ قدامة موقفاً خاصاً تجاه خلوص اللغة ، واللحن فيها : فهو يرى أن الفصاحة الكاملة ، وصحة الإعراب ، لا تتم إلا لأعرابي بدوي نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والإصابة ، فيتكلم حسب عادته وسجيّته . نعم قد فقد بعض هؤلاء قوة السيطرة على لغتهم ، فوقعوا في اللحن لقربهم من الحاضرة ، ونزولهم على طريق السابلة ، فسقطت عند أهل اللغة منزلتهم ، ودُفعت ورُفضت لغتهم . أما الأعراب الخُلص فإنهم متى خوطبوا باللحن لم يفهموا . وفيما عدا هؤلاء لا توجد اللغة الفصيحة إلا عند المولدين الذين تأدّبوا ونظروا في النحو واللغة ، وأخذوا بهما أنفسهم ، ومرروا عليهما لسانهم حتى صار ذلك عادة لهم . أما غير هذين النوعين فليس يصح إعراب ، ولهذا كثّر الخطأ في النحو ، وانتشر اللحن ، بحيث أصبح مغتفراً بوجه عام .

نعم يرى قدامة أنه يجب أن يُستعمل اللحن ويُتعمّد له عند الرؤساء والملوك الذين يلحنون ولا يعربون ؛ فإن الرئيس والمالك لا يجب أن يرى أحداً من تَباعه فوقه ؛ ومتى رأى أن أحداً منهم قد فضله في حال من الأحوال نافسه وعاداه

وأحب أن يضع منه ؛ كما صوّب قدامة رأى رجل تكلم في مجلس بعض الخلقاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن ، فعوتب على ذلك ، فقال : لو كان الإعراب فضلاً لكان أمير المؤمنين إليه أسبق (ص ١٢٤) ؛ كما يذكر أن اللحن قد يستملح من الجوارى والإماء ، وذوات الحداثة من النساء ، لأنه يجري مجرى الغرارة منهن وقلة التجربة . وفيما عدا ذلك يطلب ، إذ كان من المتزمطين من رجال اللغة ، أن يتحرى الكاتب تجنب اللحن ، على الأقل في اللفظ المكتوب ، الذي لا يفتقر فيه اللحن ؛ لأن الطرف يتكرر فيه ، والروية تجول في إصلاحه ؛ وليس كمثل الكلام الملفوظ الذي يجري أكثره على غير روية ولا فكرة (ص ١٢٤ س ٤) .

وقد أضاف قدامة إلى مطالبه النظرية في « نقد النثر » الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل في كتابه « جواهر الألفاظ »^(١) . ففي المقدمة (ص ٨٠٢) يبين في لفظ قليل دال ، المطالب التي ينبغي أن تتحقق في الأسلوب الجزل ، ويوضح أقواله بأمثلة أحسن اختيارها .

ولما كان يعيش في عصر شهد النثر المسجوع فيه باكورة ازدهاره ببغداد^(٢) فقد رأى من الطبيعي أن يستخدم الكاتب النثر السجع من حيث هو أداة من أدوات الأسلوب ، وألقى وزناً راجحاً لكمال الأسلوب من حيث الغالب : ففي الترصيع ينبغي أن تكون الألفاظ متساوية البناء ، متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه ، وشين التعسف والاستكراه ، يتوخى في كل جزأين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان : يوافقانها في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع ، من غير استكراه ولا تعسف ، كقول بعضهم : « حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وصار تمريضك تصحيحاً » .

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م .

(٢) انظر : Mez die Renaissance des Islames 231 .

وينبغي أن يتسق البناء والسجع ، اتساقاً فنياً دقيقاً ، كما في الحديث المنسوب إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه قاله لجري بن عبد الله البجلي ^(١) :
« خير الماء الشِّيم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراكُ والسَّلم ، إذا سقط كان لَجِيناً ، وإذا يَبِسَ كان دَرِيناً ، وإذا أُكِلَ كان لَبِيناً » .

كما ينبغي اعتدال الأوزان ، كما في قولك : « اصبر على حرِّ اللقاء ، وممضِ النزال ، وشدة المِصاع ، ودوام المِراس » . على حين أنه لو قال : على حر الحرب ، وممض المنازلة ، وشدة الطعن ، ومداومة المراس ، يفقد ذلك التوازن .

ولكن قدامة لا يكتفى قط بهذه المطالب المتعلقة بالأسلوب السطحي ، بل يعنى أيضاً عناية فائقة بالموضوع . فمثله الأعلى هو الانسجام بين القالب والمادة ، وهذا الانسجام يظهر أولاً في صحة التقسيم بحيث يتعانق التعبير اللغوي تماماً مع مجرى التفكير دون نقص ولا زيادة .

وفوق هذا يفترض هذا الانسجام أن يكون كل مقطع جزءاً من المعنى ، ويستقل في ذاته (توفير تمام الأقسام) ، كما أن الجمل المترادفة تتقابل أيضاً في التفكير (تصحيح المقابلة) ؛ كما في المثال : « أهل الرأي والنصح ، لا يساويهم ذوو الأفن والنش ؛ بوليس من جمع إلى الكفاية الأمانة ، كمن جمع إلى العجز الخيانة » .

وكذلك في وسائل التعبير ينصح قدامة ، إلى جانب ما يتصل بالقوالب ، كمرعاة الاشتقاق في الجناس مثلاً ، استخدام ما يتعلق بالمعنى أيضاً ، فيبرز الفكرة إبرازاً جميلاً كالاستعارة ، والمبالغة ، والتمثيل ، وما سماه : إرداف اللواحق ، وهو نوع من الكناية فسرّه بأن تراد من اللفظ دلالة على معنى ، فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على ذلك المعنى بنفسه ، بل بلفظ هو ردفه وتابع له ضرورة ، ليكون ذلك التابع دلالة على المتبوع .

حقاً يحمل النثر الفني في طياته دائماً مظنة تغلب الأسلوب اللفظي على تسلسل

(١) كنز العمال ج ٨ ص ٤٤ ؛ السيوطي : الجامع الصغير ، وهو ينقله عن : غريب الحديث لابن قتيبة .

الأفكار واتصالها . وقدامة نفسه لم يحتط لذلك ، بل ساعد عليه — من حيث لا يشعر — على الرغم من شدة حرصه على الانسجام الحقيقي بين الصورة والمادة ، إذ جعل مكاناً في وسائل الأسلوب لكل من : « العكس » في نظم البناء ، أى صوغ الألفاظ ، و « تكافؤ » المعانى فى المقابلة والتوازي من جهة اللفظ أيضاً ؛ ففى كلتا الحالتين يخضع المعنى للفظ ، ويكون موقوفاً عليه ، صادراً عنه ؛ فمثل : اشكر من أنعم عليك ، يقتضى فى العكس : وأنعم على من شكرك ؛ ويبقى بعد هذا النظر فيما إذا كان ذلك التعبير ذا معنى مقبول . وقد تتولد أفكار عميقة على هذا النحو ، كما تدل عليه الجملة التى ذكرها قدامة عن عمرو بن عبيد : اللهم أغنى بالفقر إليك ، ولا تفقرنى بالاستغناء عنك .

والأمر كذلك فى حالة « التكافؤ » ، إذ يعين عنصر المقابلة فى الألفاظ مادة التفكير ، كما فى قوله : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ؛ فإن التركيب الأول بكلا شقيه ؛ يتطلب التركيب الثانى بكلا شقيه أيضاً . وهذه الجملة تفيد — على سبيل الاتفاق — معنى مقبولا ، ولكن الأمثلة الأخرى التى ساقها قدامة تدل على مبلغ المسخ غير الطبيعى للأفكار ، الذى تؤدى إليه هذه الوسائل اللفظية ، إذا رفعت إلى مرتبة المبدأ والمذهب فى الأساليب .

فمثلا تستدعى صورة المدوح الذى يحصد بسيفه من يكفر نعمه ، عكس هذه الصورة ، أى أن يزرع بنعمه من يشكره : إنما هو مالك وسيفك ، فازرع بهذا من شكرك ، واحصد بهذا من كفرك .

وهنا تظهر الخطوات الأولى لذلك التطور الذى جعل النثر العربى المسجوع يتحول إلى تلاعب لا طائل تحته بالألفاظ الجوفاء ، ينمى تورمه وانتفاخه كل فكرة طبيعية نمواً غير طبيعى ، ويهوى بها أخيراً إلى الفناء .

وعلى أثر هذه المقدمة يسوق قدامة فنونا وألوانا من المترادفات العربية ، على أنها مادة الكتاب الأساسية ، تجمع فى ترتيب عملى تلك الألفاظ التى يجوز لصاحب الأسلوب الجيد أن يستخدمها .

على أن وضع الكنز اللغوي في ترتيب عملي لم يكن فكرة مبتكرة ، ولا سنة جديدة ؛ فمذ القرن الثاني — الثامن ، وضع كثير من العلماء شتى الموضوعات لعلم المفردات ، وجمعوا الكنوز اللغوية الخاصة في مجموعات متفرقة . ولكن موازنة بين كتاب قدامة ، وبين المترادفات الناصجة تمام النضج إبان القرن الثالث ، في « كتاب الألفاظ »^(١) لابن السكيت الكوفي ، تدل ، مع التوافق التام المتجلى في تشابه المادة وتوافق الغرض ، على فروق عميقة الصدى على الرغم من ذلك .

فإن السكيت يجمع في طائفة من الموضوعات — يبدو أنه لم يمل عليه اختيارها نظره إلى الحاجة العملية لاستعمالها — ذلك الكنز اللغوي الخاص من لغة الأعراب البدويين ، ويذكر في ذلك كثيرا من العبارات الغريبة ، النادرة ، الخارجة عن دائرة الاستعمال ، مع كثرة استشاده على ذلك ، إلى جانب الشعر القديم ، بأدب الأراجيز . على حين أن قدامة الذي يعرف الضرورات العملية حق معرفتها ، يقتصر على الكنز اللغوي العام بالمستوى الذي يحتاج إليه الكاتب الإداري في القسم الأعظم من رسائله الرسمية ، ويختار الموضوعات التي تتفق عناوينها المختلفة مع ذلك الغرض طبقاً لذلك . يضاف إلى هذا انتقاؤه في كل موضوع ألفاظاً وعبارات مطابقة للمقاييس الشديدة المتزمته في مذهبه اللغوي المتطرف .

وبينما يعرض ابن السكيت مجموعة زاخرة بماء الحياة ، ومادة دسمة قوية من لهجات الأعراب الحية ، حتى في باب الفحش والسباب ، ويستمد من نبع لغوي معين ، أجرت سلساله فرص الخواطر وانفعال مختلف المؤثرات ؛ إذا بنا لا نجد عند قدامة لفظاً بعيداً ، ولا استعمالاً غريباً ؛ بل كلمة نائية غير شريفة ، أو عبارة مستهجنة غير متخيرة ، ولا متنحلة . بل عملياً واقعياً ينظم قدامة في سلك كل عنوان ما يصح ويحسن في نظره من الألفاظ والعبارات ، واضحة مستنيرة بعضها إلى جانب بعض ، مع الاختصار في سياق الشواهد والمصادر . وكثيراً ما يعرض في ذلك أسجاعات مزدوجة

(١) أخرج في سورة كتاب : « تهذيب الألفاظ » للبرزى ، بيروت ١٨٩٦ - ١٨٩٨ .

الكيل لا يقتصر المراجع على استخدام اللفظ الذي يحتاج إليه ، بل ليجد كذلك لفظاً
آخر ينتظم معه في قرْن .

ولم يكن قدامة — أيضاً — أول من كتب مترادفات عربية لسد حاجات
الكاتب العملية ؛ فهو ينقد في عبارة مختصرة من المقدمة ، كتاباً على هذا الطراز
يبدو أنه ظهر قبل ذلك بقليل . ويستطيع القارئ بسهولة — وإن لم يصرح
بما يعنى — أن يعرف في ذلك «كتاب الألفاظ الكتابية»^(١) لعبد الرحمن بن عيسى
الهمداني . ففي الباب الأول من ذلك الكتاب توجد جميع الأمثلة التي نقدها قدامة
في مقدمة كتابه . وفوق هذا يظهر في كلا الكتابين ، وفي الترتيب الاختياري
الذي سلكاه ، توافق بعيد المدى ، بحيث إنه لا بد أن يكون أحدهما متوقفاً
على الآخر ، إذا لم نركن إلى افتراض أنهما جميعاً يتبعان نظاماً واحداً لكتاب مشترك
بينهما ، على الرغم من أنهما لا يتساويان في الحجم ، وأنهما أيضاً في الموضوعات المتشابهة
التي يعرضان لها^(٢) قد اختارا عناوين تختلف تماماً في مدلول ألفاظها . . .

ويظهر أن الهمداني كان معاصراً لقدامة أكبر سناً منه ؛ إذ كان كاتباً^(٣)
لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف^(٤) الذي مات في طبرستان ٢٨٥ هـ . وكانت وفاته
في سنة ٣٢٧ هـ^(٥) . وكتاب الألفاظ الكتابية لم يبق على صورته الأصلية ، بل تبدو
فيه زيادات ترجع إلى النحوي ابن خالويه^(٦) (المتوفى ٣٧٠ هـ) ، ولكن لا على
أنها تجديد أو تميم للكتاب ، بل مجرد تعقيبات^(٧) وتصحيحات^(٨) .

(١) بيروت ١٨٨٥ .

(٢) عارض قدامة : جواهر الألفاظ ص ٢٧ — ٤٥ بالألفاظ للهمداني ص ٥ — ٢٢ ؛ وقدامة
ص ٥٢ — ٨٣ بالهمداني ص ٢٨ — ٤٦ وقدامة ٣٦٢ — ٣٦٨ بالهمداني ٢٤٥ — ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٨٥ .

(٤) الفهرست ص ١٩٧ .

(٥) هكذا في ترجمته التي كتبت في نسخة بيروت مع ملاحظة أنه قيل أيضاً غير ذلك .

(٦) مثل ص ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ من الألفاظ الكتابية .

(٧) انظر الألفاظ ص ٢٠٣ س ١ — ٤ ؛ ص ٢٠٦ س ٦ — ١٤ ؛ ٢٦٧ س ٨ — ١٤ .

(٨) انظر الألفاظ ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٧٥ .

ويؤخذ من المقدمة أن الباعث للمؤلف إلى تأليف كتابه هو أنه وجد من المتأخرين في الكتابة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام ، فهم متعلقون في مخاطباتهم وكتبهم باللفظة الغريبة ، والحرف الشاذ ، ليميزوا بذلك من العامة ، ويرتفعوا عند الأغنياء عن طبقة الحشو ؛ ووجد آخرون قد توجهوا بعض التوجه ، وعلوا عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل ، بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة ، استعانة بها ، وضرورة إليها ، لخفة بضاعتهم . ولمساعدة كلتا الطائفتين جمع طائفة من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التعكير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، الجارية على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة ، دون مذاهب المتشدقين والمتفاسحين ، من المتأدبين والمؤدبين المتكلفين .

وهو يريد بهذا أن يرسم نماذج من كتب الرسائل وأفواه الرجال ، وعرصات الدواوين ، ومحافل الرؤساء ؛ أي صوراً تحتذى لا في كتابة الرسائل الخاصة فحسب ، كالتهنيت والتعازي والبشارة ، والوعد والوعيد ، والاحتجاج والاختصار ، والتذكيرة ، والإنذار ، والاعتذار ؛ بل كذلك في كتابة الرسائل الرسمية والوثائق ؛ ما لم يكن موضوعها ذا طابع فني خاص .

وكتاب « قدامة » يحتوي أيضاً كتاب الهمداني ، في أبوابه الستة والستين . والثلاثمائة ، على عبارات الأدب الجزل بصورة تجمع في كل باب ما يتصل بناحية معنوية معينة من المترادفات ، وصيغ الاستعارة ، والأمثال . ونُثرت الشواهد في الكتاب باقتصاد . وأحياناً تساق حكمة مثالية أعظم ، أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول [صلى الله عليه وسلم] . والنصوص النحوية جد نادرة . وقد يحذر من عبارة مستكرهة بقوله : لا يقال ^(١) ؛ أو قوله مثلاً ^(٢) : كاد يفعل .

(١) مثل من : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١٦٤ .

(٢) من ٢٢٣ .

ذلك ، وكاد أن يفعل لغة ضعيفة ؛ أوقوله مثلاً^(١) : « أغلقة السيف » غير مستعمل ؛
وينبغي أن يميز المرء بين الإفراط والتفريط^(٢) .

أما أن كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني قد جمع أصنى لآلىء الإنشاء
في صفحات قليلة ، فقد صرح بذلك صاحب بن عباد ، الذى كان هو نفسه أحد
كبار الكتاب فى القرن الرابع ؛ ولكن أدعى إلى الدهشة ذلك اللوم الذى عقب به
على ذلك المدح : لقد جمع شذور العربية الجزلة فى أوراق يسيرة ، فأضاعها فى أفوام
صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدروس ، والحفظ الكثير ، والمطالعة
الكثيرة الدائمة^(٣) .

وهذا الحكم ، على لسان خير ، بين كيف أنه سرعان ما تحول النثر الفنى
إلى بريق لفظى أجوف فى القرن الرابع — العاشر . فليكن كتاب الهمداني قد قدم
للكتاب ، السطحين الساذجين التفكير ، المادة اللازمة لتعبيرهم ؛ فإن سبب الانحطاط
لم يكن راجعاً إليه ، بل إلى اتجاه الذوق الأدبى فى ذلك العصر ، ذلك الاتجاه
الذى أعلى مرتبة القلب على المادة ، لمجرد الإعجاب بروق اللفظ ولمعانه .

على أن هذا التاذن الذوقى باللغة ، من حيث جرس الألفاظ ورنينها ، ووزن لحنها
الموسيقى ، كان دأباً وديناً للعرب منذ عهد سحيق . ففياً قبل الإسلام كان الخطيب
إلى سحاب الشاعر مقام عظيم ، إذ كان صاحب الكلمة العليا فى القبيلة ، ولم يكن
من النادر أن يستخدم النثر المسجوع^(٤) . وقد كان السجع يرفع الفورات الانفعالية
لدى الكهان القدماء فوق مستوى اللغة العادية ؛ كما كان أداة الأسلوب التى ميزت
القرآن من ناحية الصورة ، من حيث هو كلام الله ، عن كلام الناس .
وكانت نتيجة كلتا الحالتين أن منع الاتقياء من استعماله حلية فى كلام الناس .

(١) ص ١٢١ .

(٢) ص ١٤٠ وانظر : دوزى فى المادة ؛ وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٨١ .

(٣) انظر ترجمة الهمداني فى مطلع كتاب الألفاظ الكتابية ؛ بيروت ١٨٨٥ .

(٤) انظر : Pedersen : E1, 2, 995 .

ولكن ، كما يحوط النعمة الرئيسة السائدة في الموسيقى إيقاع دائم متنقل ، بين أنصاف الأصوات وأرباعها ، مع ما في ذلك من تعاقب مختلف الأوزان والألحان ، وتنوع نغمات الختام ، إلى غير ذلك من الترددات والتعقيدات ؛ وكما يملأ الوشى والحلى من النقش الزخرفي ، الصادر عن حرية الرسام وذوقه المقتنّ ، لوحات الرسم في العمارة الهندسية الخاضعة لقوانين دقيقة الخطوط ؛ كذلك وجد مثل الجمال الأعلى في الكلام المنشور أعلى درجات كماله في النثر الفنيّ ، الذي يصور السجع فيه النقاط الثابتة الهادئة مخوفة بالترصيعات وتساوق الألحان ، واللعب بالألفاظ ، وفواصل الكلام وأجزائه المختلفة .

ولهذا علت كلمة النثر المسجوع تدريجاً على الرغم من كل الشبه والمعارضات الدينية ، وانعقد له إكليل النصر في كافة العالم الإسلامي في القرن الرابع — العاشر . ومنذ ذلك العهد لم يتنازل عن السجع كتاب نثرى يريد أن يدعى بحق من الأسلوب الفنيّ .

وبهذا صار التعبير اللاشعوري الذي كان يوحى به التأثير النفسي العميق ، تعبيراً إرادياً محضاً ، تصوغه الصنعة والفن الرفيق . وهنا كان الأدباء الخصبون الذين ملأوا زمام قلمهم ، وحذقوا صنعتهم ، يصقلون ويقومون بثقافة السجع لنثرهم عن تعمد وقصد .

وهذه الكتب المختصرة ، مثل كتاب الهمداني ، كانت تقدم لهم في ذلك أجل الخدمات .

العربية ولهجات البدو

في القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي

أعلن مبدأ « تنقية اللغة العربية » ، منذ أول ظهوره في مختتم القرن الأول — السابع ، لغة الأعراب مثلاً أعلى ، يجدر بالمسلم المثقف أن يتخذة قدوة وإماماً . وكانت لهجات الأعراب ، حتى أواسط القرن الثالث — التاسع ، هي النبع القراح الخالد ، الذي يستقى منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى .

وبنفس المستوى الذي نضحت به طرق التعبير في العربية المولدة بين الطبقات الوسطى والدنيا على لغة المجتمع الرفيع ، تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو من الأعراب . فالاحتذاء التام للغة البدو ، الذي كان حتى مختتم القرن الثاني ، أسمى مطامح الحضريين المثقفين ، صار على عر القرن الثالث نوعاً من التعبير الذي يختلف باختلاف الأحوال ، بين أن يكون مطلوباً ، أو داعياً إلى السخرية ، أو غير لائق .

وهكذا صارت العربية الفصحى ، في بداية القرن الرابع — العاشر ، لغة للكتابة قطعت جميع أشواط نموها وتكوينها ، ولم تعد قابلة لزيادة من النمو الحي . فقد غدت نموذجية مثالية ، وتغلب إشعاع الجمال الفني في قوالبها على الفاقة الخشنة ، والعراء المستكره ، في لهجات الأعراب المعاصرين .

حقاً لقد كانت لغة البدو إذ ذاك أيضاً في مستوى من الخلوص والنصاعة لاتدانيه لغة الزراع والحضريين ، لاسيما إذ كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة . بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلى الإقامة والاستقرار ، وبهذا إلى

الاتصال الذي لاغنى عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا؛ فقدت لغتهم من صفاتها وخلوصها فقداناً كبيراً .

وإلى أي حد كانت الأحوال متشابكة معقدة ؟ هذا ما يكشف عنه بيان الهمداني (المتوفى ٣٣٤ هـ) عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حوالي نهاية القرن الثالث^(١) . فهنا كانت اللغة الحيرية الأصلية لا تزال تمنع في الاختفاء أمام عربية الشمال . ويقول الهمداني^(٢) إن اللغة الحيرية القحة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتّاب (عند يريم الحالية) إلى ذمار . وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحيريين القديمة . أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي : صنعاء ، ففي أهلها بقايا من العربية المحضة ، ونبت من كلام حير (ص ١٣٥ س ٢٥) . ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات ، لكل بقعة منها لغة ؛ لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك أيضاً . وعلى النقيض من ذلك يقع غربي صنعاء مركز ثان للغة الحيرية الخالصة (الحيرية المحضة ص ١٣٦ س ١) يمتد بين شبام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل : تُمُخْلُ .

وكذلك كانت الحيرية كثيرة في منطقة : خَيَّوان ، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلى ناحية صَعْدَة (ص ١٣٥ س ١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال . وفيما عدا هذا اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتى وجوه الاختلاط ، إذا لم تكن قد قضى عليها تماماً من قبل الداخلين .

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأخلاط من اللهجات أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال ، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصلية الخالصة البعيدة عن التغير والتبديل ، والتي تفرعت منها تدريجاً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتعريف .

وعلى هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥)

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(٢) ص ١٣٥ س ٤ وفي كلمة : المتعقدة انظر الفهرس اللغوي الذي عمله : دي غويه للكتاب .

أن صنعاء كانت فيهم بقايا من العربية المحضة ، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤) ، وأن في بعضهم نوكا وحماقة إلا من تأدب منهم . ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات إلا أن الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو ، وبحكم عليها من حيث الفصاحة والفتنة من وجهة نظر واحدة ، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد .

وهو ينظر بعد هذا ، هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها ؟ وهكذا نراه لا يفترض أن للهجتين : المهرية والشحرية ، أساساً من لغة أخرى ، تباعد من عربية الشمال إلى حد يتعذر معه التفاهم ؛ بل يصور سكان الشحر والأسماء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً ، والمهرين على أنهم غُثم يشاكلون العجم . ولا يذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت ، فهو يكتفى بأنهم ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وهدان وبعض الصدف . (ص ١٣٤ س ١٨)

وهو يعدّ فصيحة أيضاً لتلك اللهجات التي يتكلم بها في مَرَز ومذحج ، ومأرب وبيّحان ، وحَريب ؛ ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة ، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي ، كانت اللغة الرديئة أمراً نادراً (ص ١٣٤ س ١٩) .

وكانت فصيحة أيضاً لهجة المنطقة بين مأرب وذمار ، التي يحددها الهمداني على الصورة التالية : جبل إسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار ، وإقليم كومان المتاخم له من الشمال الشرقي أيضاً ، وإقليم الحذاء المجاور له ، وجبل دِقَرَّار الواقع في منطقة مأرب ، وأخيراً منطقة « قائفة » التي تعد من منطقة « مراد » (١٣٥ س ٥) . وسكان كومان حميريون في الأصل ، ولكنهم صاروا على عهد الهمداني من قبيلة مذحج^(١) ؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لا يرجع إلى الدم والنسب...

(١) انظر الهمداني س ٩٢ س ٢٢ (وأصلهم حميري وهم يتمذحجون اليوم) .

ويعد الهمدانى أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة همدان^(١) .
لمتدة إلى الشمال الشرقى من صنعاء ومأرب حتى نجران ، وما جاوز هذه الأقسام
أيضاً ، حيث تسكن قبائل بلحارث في الرحبة ؛ على حين أن صَنَاف بالجوف الأعلى
حدون ذلك في الفصاحة (ص ١٣٥ س ٢٠) .

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أرحب ، وهو شعب من همدان ، على
الرغم من أنهم يتخذون : أم ، بدلاً من : أل ، أداة للتعريف^(٢) . ويستعملون المثني
بالأل في جميع الحالات^(٣) .

وبنو حرب ، فخذ من همدان في بلد : وادعة ، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم ؛
على حين أن بنى عمهم^(٤) بنى سعد أفصح .

على أن المنطقة العظمى التى تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود
اليمين الحقيقية عند وادعة ، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل إلى غربى
شبه الجزيرة .

وقد ذكر الهمدانى في ص ١٣٦ س ٣ من القبائل التى تسكن هذه المنطقة التى
يخترقها طريق القوافل ، بعض أفخاذ من مذحج (جَنْب وزَيْيد) ، وقضاعة
(سِنْحان ونهد) وأزد شَنْوَة (بنى أسامة^(٣) وعنز) ، ثم من خثعم^(٥) ، وهلال
وعامر بن ربيعة ؛ ثم بعد هذا مرة أخرى فصائل من الأزد (الحِجْر^(٦) ودَوْس

(١) يؤخذ من ص ١٣٥ س ١٩ أن هؤلاء هم : عذر ، مطرة ، نهم ، مرهبة ؛ ذبيان ،
وهو مخالف لما ذكره في س ١٢ من نفس الصفحة . وانظر في هذه القبائل : J. Schleifer,
El II 302 B .

(٢) يعد هذا من خصائص لغة اليمن : انظر ابن يعيش على المفصل ص ١٢٢٠ ؛ العيني ج ١
ص ٤٦٥ ؛ ووردت أيضاً في مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤٣ في الحديث : ليس من امبر امصيام
في اسفر ، (وفي البخارى : بأداة التعريف المعتادة أى الألف واللام) ؛ وبسببها آخرون
: لغة حمير ، وهى التسمية المشهورة .

(٣) ذكر ابن جني أن هذه لغة بلحارث ؛ انظر : O. Rescher, ZA 23 S. 23 .

(٤) انظر الهمدانى ص ٩٠ س ١ .

(٥) انظر الهمدانى ص ١٣٤ س ٢١ (ويجرون في كلامهم ويحذفون)

(٦) انظر ص ١١٩ س ٧ .

وغامد ويشكر) ، ثم من فهم فثقيف فبجيلة ، وأخيراً طائفة يسميها بنى على ..
ولكنه ينبه بوجه خاص إلى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من
هذه القبائل (تجاه تهامة) أقل فصاحة ممن يعيشون في أعالي الجبال . وكما أثر جوار
تهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق ، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم
الجوف ، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ س ٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء
إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين .

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظته .
(ص ١٣٥ س ١٠) ، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بنى سعد العشيرة) .
من بطن تهامة لا بأس بلفظهم إلا من سكن منهم القرى^(١) ، وكما يقول في ص ١٣٤
س ٢٥ ، يوجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعريين ، هم بنو واقد ، الذين يعدون
من ثقيف^(٢) ، وبنو مجيد الحيريون في الأصل^(٣) ، وهما فصيحتان أيضاً .
كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بنى خولان الذين
يقيمون في السهل ، على حين أن بنى قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (الغور) غُثم
غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢) .

ويصف الهمداني لهجات أخرى بأنها غير فصيحة ، كاللهجات الجارية بين ذمار
وصنعاء (١٣٥ س ٢٤) ولهجة السكاسك التابعين لكندة .

ويعد وسطاً في الفصاحة ، وإلى الأكنة أقرب ، لهجات بعض بقاع تقع
في المنطقة الجبلية ألهان وأنيس ، (غربي ذمار) ؛ وإلى الأكنة أقرب أيضاً
ما جاور ذلك في جبال حراز ، وإن كان بينها ما هو متوسط بين الفصاحة والأكنة ؛
على أن بينها أيضاً ما هو أدخل في الحيرية المتعقدة ، لا سيما في القبائل الساكنة
بمنطقة جبال الحُضور .

(١) كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن « الأشعر وعك وبعض حكم ... فصحاء » .

(٢) ص ٥٣ س ٢٥ .

(٣) ص ٥٣ س ٢٠ .

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني في ص ١٠٦
س ١٨ إن أصلهم حميري : والجحادب من حمير وقد يتهمدنون .

وأبعد من ذلك نحو الشمال ، في همدان ، كما يقول الهمداني في ص ١٣٥ س ١٢
هناك إلى جانب عُذَر ، وهِنَوْم ، وَحَجُور الفصحاء ، يوجد غُتْم أيضاً مثل بعض
قَدَم ، وبعض الجَبَر . كذلك في النجد من همدان ، تسود عربية مخلوطة بحميرية
في سهلي البَوْن والخَشَب ^(١) .

أما ظاهر همدان ، النجدي ، أي النواحي الواقعة على الأطراف من الهضبة ،
فلغتها فصيحة .

ولهجة جُبْلان ، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي جبال : أَلْهَان ، عسيرة الفهم ،
فيها تعقد ، على حين أن لهجة يَحْصِب ^(٢) ورُعَيْن المتصلتين بجُبْلان من جهة المشرق
أفصح من جُبْلان (ص ١٣٥ س ٢) ، على الرغم من أن الأخيرين ، وهم رُعَيْن ،
حميريون في الأصل ^(٣) .

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة الكَلَّاع في الجنوب (ص ١٣٤
س ٢٦) : ففي نجدتها فصاحة عالية ، مع عُسرة من اللسان الحميري (أي من أثر
البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر) . وفي سراتها أي أعاليها (المناطق الجبلية) تعقد .
وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي الجبلية الوعرة
من سَرَوِ حمير ، لا سيما بين من ينتمون — دون حق — ^(٤) إلى جمعة بن كعب
من هوازن التي هي من عرب الشمال ، ومنساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة
على الطريق من عدن إلى صنعاء . ويقول الهمداني في وصف لهجتهم : ليسوا بفصحاء

(١) انظر في اختلاط سكانه : الهمداني ص ١١١ س ٩ .

(٢) كتبها Müller : ينحصب بالضاد المعجمة ، انظر : ملاحظاته ص ١٠١ س ١ من
كتاب الهمداني .

(٣) همداني ص ١٠١ س ٢٣ (حيث يقول : وجميع غلاف رعين لا يسكنه إلا آل ذي رعين الخ)

(٤) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .

وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون : يابن مَعَم
في : يابن العَم ، و : سَمَع في : اَسْمَع (ص ١٣٤ س ٢١) .
وأبعد من ذلك إلى الجنوب ، توجد لهجة أفصح ، في الحج ، وأَبَيْن^(١) ،
ودثينة ؛ والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم .

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جَنْد ، بأنها متوسطة
(ص ١٣٤ س ٢٦) .

ولهجات جيشان الواقعة جنوبي اليمن ، وما جاورها من بقاع ، حميرية ، مثل
لهجة السَّرو (ص ١٣٥ س ١) .

وأخيراً في المعافر — في منطقة : تعز الحالية — ينطقون في سافلتها لهجة فيها
غُثْمَة ، وفي عليها أفصح من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥ ، وانظر ص ٩٩ س ١٧) .

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن ، فيكتفي الهمداني (ص ١٣٦ س ٨)
بملاحظة عامة : رأما انه وض فيها الفصاحة ما خلا قراها ، وكذلك الحجاز فنجد
السفلى فألى الشام ... مضر وإلى ديار ربيعة ، فيها الفصاحة إلا في قراها .
ثم ختم ذلك بقوله : فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبويض والتقنين
(أى دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصة) .

هذا ، بيد أنه لم تكن مراعاة هذا التنوع للحياة اللغوية المتجلى في اللهجات هي
العامل الوحيد الذى حمل المتقنين ، منذ القرن الرابع — العاشر ، على تغيير نظرم
إلى لغة الأعراب ؛ بل لقد كان أدعى إلى ذلك التطور هذه الحقيقة الثابتة ، من أنه
قد حل في ذلك العهد ، محل النشاط في الجمع والوصف الذى كان يقوم به علماء
اللغة القدامى ، علم للغة منظم تنظيماً فلسفياً زاد الباحثين قوة وثقة من أنفسهم .
فهذه البداهة المطلقة التى كان القرن الثانى — الثامن ، يعتمد بها كل أعرابى
فصيح على أنه قاض لغوى غير منازع ، وكان ينحنى لحكمه ، ويمثل لنطقه ،

(١) انظر ص ٨٨ س ٢٠ .

قد تركت مكاناً للروية والنظر العلمي ، الذي لم يعد — كما كان في القرن الثالث — يكتفى بأن يعترض على صيغ واستعمالات متفرقة من لغة الأعراب ؛ بل أخذ يبحث في نقد وتمحيص عن وجه معقول للتضاد بين لغة الأعراب وقواعد النحو .

وقد كان ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) يخلط كثيراً في سنى شبابه — إذ كان لا يزال يعيش في الموصل — بأعرابي من بنى عقيل ، هو محمد بن العتاف الشجرى الذى نالت سلامة عريته موقماً كبيراً من ابن جنى ، وعمل معه دراسات في اللغة ^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد خصص ابن جنى في كتابه : الخصاص ، باباً مستقلاً لأغلاط الأعراب ^(٢) ؛ ذهب فيه بالاتفاق مع أستاذه أبى على الفارسي (٢٨٨ — ٣٣٧ هـ) إلى أن الأعراب قد يقعون في اللحن لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد .

وها هو ذا مثلاً ينظر إلى الكلمات : حَلَّتْ السويق ، بدلاً من : حَلَيْت ، ورثأت زوجى ، بدلاً من : رثيت ، ولَبَّأت بالحج ، بدلاً من لَبَّيت ، واستلأمت الحجر ، بدلاً من : استلمت ، فلا يقدر أنها لهجات خاصة أو لغات ذات نصيب من الصحة قل أو كثر ، وقصارى أمرها أن يتساءل : هل يجوز للكاتب البليغ استعمالها ؟ ولكنه يعدّها — ببساطة — من الغلط ، لأنها تتصادم مع أصول الصيغ والقوالب .

وبما أن لفظ : مصيبة يرجع أصله إلى : ص وب ، فمن الغلط إذا جمعه على : مصائب ، بدلاً من مصاوب ، وإن انتشرت هذه الصيغة المقيسة على محائف خطأ في استعمال الأعراب اللغوى .

(١) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٥ — ٢٩ ؛ الشهاب الحفاجى : شرح الدرر .

ص ١٤٨ س ٥ — ١٢ .

(٢) ذكره السيوطى في المزهج ج ٢ ص ٢٠٨ — ٣١٠ .

وعلى عكس ذلك يمدّ : أمثلة ، جمعاً قياسياً صحيحاً للفظ : مسيل ، أى مجرى الماء ، لأنه لا يرى أنه مشتق من سال (س ي ل) ، بل من : مسل ، بمعنى : سال أيضاً .

لذلك يرى الميم فى : معين ، أى ماء جار ، أصلية ، لأنه فى نظره ليس من : العين ، بل من قولهم : أمعن له بحقه إذا طاع له به ، فكذلك الماء إذا جرى من العين فقد أمعن بنفسه وأطاع بها .

هذا وكون النزاع فى هذه الأمثلة راجعاً فى الأغلب إلى أصل الكلمة واشتقاقها لم يأت من ابن جنى عرضاً واتفاقاً ؛ فقد كان لابن جنى فى هذا الموضوع بالذات ، من حيث هو مؤسس مبدأ الاشتقاق الكبير ، رأى علمى ثابت . ولم يكن يدور بخلده أن يتنازل عنه ضحية لاستعمالات غير المثقفين من الأعراب .

وعلى النقيض من ذلك ما وصل إلينا فى ذلك التوجع الشعرى الذى قاله عمار الكلبي يشكو من غرور النحاة وجراتهم ^(١) :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بـكراً يكون بها	بيت خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا : لخت وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حُقق	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبعوا
ما كان قولى مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأنّ أَرْضِيَّ أرض لا تُشَبَّ بها	نار الجوس ولا تُبْنَى بها البيع

ويروى أن قائل هذه الأبيات استعمل لفظ : مزعوج ، وجز بذلك على نفسه طعن النحاة الذين لا يميزون إلا : مُزَعَج . وهذا من الأحوال التى استعمل فيها مفعول الثلاثى غلطاً بدلا من مفعول الرباعى ، مثل : مأثور ، بمعنى مختار ، ومتعوب

(١) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٦ .

بمعنى متعَب^(١) ، ومفسود ، بمعنى مفسد ، ومبغوض بمعنى مبغض .
والحالة الآتية الذكر ذات فائدة خاصة من حيث دلالتها على أن التجديدات
التي لا يزال يجري استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك
عند البدويين من الأعراب .

ومثل هذا الموقف المرتاب ، وتلك النظرة الناقدة إزاء عربية البدويين ، ظهرت
عند الأزهرى صاحب المعجم (المتوفى ٥٣٧٠ هـ) . لقد امتحن بالإسار عندما عارض
القرامطة الحج بالهبيير^(٢) ، وكان ذلك عند رجوعه من الحج سنة ٣١٢ هـ ، وكان
العرب الذين وقع أسيراً في أيديهم من قبيلة هوازن وفيهم جماعة من أسد وتميم ، وقد
ظل عندهم دهرًا طويلاً ، وصحبهم في مشاتهم ومصيفهم . وفي مقدمة معجمه
« التهذيب » اعترف بأن مخالطته لهم عادت على كتابه بفائدة عظيمة ، ولكنه قرن
إلى ذلك أنهم كانوا يتكلمون بطلائعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد
يكون في منطقهم لحن أو خطأ فاحش^(٣) .

هذا ، فمن كان يقصد إلى البدويين فإنما كان يفعل ذلك قصداً إلى لغتهم ؛
وهكذا عاش صاحب « التهذيب » الأشهر : الأزهرى ، في القرن الرابع — العاشر
الميلادى ، زمناً طويلاً بين قبائل ربيعة ومضر^(٤) . ولا فرق في هذا بين ما تلقاه من
الأعراب إذ ذاك ؛ ماداموا محتفظين بأساليب البداوة ؛ فقد حصل الخارزنجى
(المتوفى ٤٠٨ هـ) على معارفه اللغوية الواسعة التي لفت بها الأنظار إليه في بغداد ،
من الأعراب الذين نصبوا خيامهم بين طوس وبُست^(٥) .

(١) وردت هذه الصيغة أيضاً في النصوص النصرانية — العربية ؛ انظر : Graf Sprachgebrauch 87

(٢) والهبيير زرود في طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبي القرمطى بالحاج سنة ٣١٢ هـ .

(٣) انظر تهذيب اللغة (كتب عنه : Zetterstéeu, M 014,7) وياقوت : إرشاد

ج ٦ ص ٢٩٩ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٣١٦ ؛ وانظر أيضاً كلام الأزهرى عن : السليقة ،
في تاج العروس ج ٦ ص ٣٨٣ ص ٣٠ .

(٤) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٦٥ .

وذاك الحكم الناقد على لهجات الأعراب يرجع — قبل كل شيء — إلى أن الطبقات الوسطى من المجتمع في القرن الرابع — العاشر ، لم تعد تحوط البداوة بذلك الإطار البديع من الكلف والشغف ، والإعجاب العاطفي الشعري ، الذي كان لا يزال ، إبان القرن الثالث ، يرى في أبناء الصحراء الأحرار صوراً مجسّمة للرجولة الحقة وجميع فضائل الإنسانية ، ومُثلاً علياً للوفاء والشرف ، والسخاء وكرم الضيافة . وحروب القرامطة الرهيبة ، التي زعزعت الدولة منذ ٢٧٧ / ٨٩٩ ، وخرّبت أقاليم برمتها ، وأشلت حركة التجارة والمعاملة ، وأعملت السلب والنهب في قوافل الحجيج ، وبلغت أخيراً في سنة ٣١٧ / ٩٣٠ ، باختطافها الحجر الأسود من حرم الكعبة الحرام بمكة ، منتهى قسوتها وفظاظتها التي اقشعر لها كل مسلم ؛ كل ذلك ألقي على البداوة ضوءاً آخر ، فعرضها في صورة قطعان من اللصوص الجشعين الخونة ، الناقضين للعهود ، الغلاظ الأكباد ، غير المثقفين ولا المهذّبين ؛ وسرعان ما غيّر الرأي العام نظرتهم إليهم .

وقد ساق هذا جنباً إلى جنب تغير في حكم الشعور بالجمال ، والذوق الفني . ففي أيام الجاحظ كان يعدّ من أنفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء ؛ أما في أواخر القرن الثالث — التاسع ، فيقرر ابن بتمام (حوالي ٢٣٠ — ٣٠٢ هـ) في أبيات يمتدح بها النحو ، أنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة قبيحة^(١) . ومن الممايب التي يطمئن بها صاحب بن عباد في المتنبي ، أنه يحرص على تعاطي التفاسيح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، أو غُذّي باللبن ، ولم يَطأ الحضر ، ولم يعرف المدر^(٢) .

ومع ذلك فلم يكن من رأى ابن عباد أن شاعراً أيّاً كان يستطيع أن يبرز في الشعر دون إحاطة بغريب اللغة . فقد سجّل أبو حيان التوحيدي في رسالته^(٣) ،

(١) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٣٢٥ ؛ ابن رشيق : العبد ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) ابن عباد : الكشف عن مساوي المتنبي (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٤ .

(٣) ياقوت : إرشاد ج ٢ ص ٣٠١ .

التي كتبها في تحقير ابن عباد وابن العميد ، موقفاً أنكر فيه على أحد الشعراء أن يتجراً على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب ، ثم سرد عليه — سائلاً — طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة من لغة الأعراب ، كان يفخر صاحب المعتقد بنفسه إذ يحيط بمعرفتها ، فسأله عن الهِبْلَع^(١) ، وهو اللَّيْمُ الأَكُول ؛ والقَلْط^(٢) ، وهو اللبن الخائر التخين ؛ والجَلْعَلَم^(٣) ، وهو القنفذ وقيل الجَعَل ؛ والقَهْقَب ، بتخفيف الباء أو تشديدها ، وهو الضخم المسنن ، أو الطويل الرغيب ؛ والباذنجان ؛ والقَهْبَلِس^(٤) ، وهو المرأة الضخمة ؛ والخَزْعِبَلَة ، وهي الباطل ؛ والمُذْعِمَة ، وهي المرأة القصيرة الخسيسة ؛ والقَرْمُوط^(٥) ، وهي ثمرة الغضى ؛ والجِرْقاس ، وهو الرجل الضخم الشديد ؛ واللَّثُوس ، وهو الرجل الذَّوَّاق ؛ والنَّعْثَل ، وهو الشيخ الأحمق ؛ والطَّرْبَال^(٦) ، وهو كل بناء عال .

ثم سأله عن الفرق بين العَرَم وهو الدَّسَم وبقية القدر ؛ والرَّذَم ، وهو السد ؛ والخِذَم ، وهو القطع ؛ والخرم ، وهو نصم الخرزة ونحوها ؛ والقضم ، وهو أكل الشيء اليابس ؛ والخضم ، وهو القطع ؛ والقضخ ، وهو كسر الشيء الأجوف ؛ والرضخ وهو كسر مثل الحصى أو النوى . والقضم وهو الكسر من غير فصل ؛ والقضم ، وهو كسر الشيء مع فصله ؛ والعَبْنَقَس وهو الرجل جذتاه لأبويه أعجميتان ؛ والقَلْنَقَس^(٧) ،

(١) جرير : الفرائض قصيدة رقم ١٠١ بيت ٤٥ .

(٢) أبو زيد : اللبأ والابن من ١٤٤ س ٥ .

(٣) نقل صاحب تاج العروس شرح هذه الكلمة عن ابن عباد .

(٤) انظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت من ٣٧٣ .

(٥) في النسخ المتداولة ، كما في النسخة الخطية : القرموط ، وقد ذكر البستاني في محيط المحيط من ١٤٧١ أنها صيغة شعبية للفظ : قرموط ، وهو اللص القوي والمارد الصلوك ، ولكنه غير ظاهر هنا ، ويرى فيه مرجليوث لفظ القرموس مشيراً إلى كتاب الحيوان للجاحظ ج ٢ من ٤٦ ؛ ولكن هذا فيما يظهر تحريف مطبعي عن : قرموس ، وهو عش للحمام ، وعند ابن الأعرابي : قرموط ، بمعنى الحجر الذي يضع فيه الجمل بيضه .

(٦) في النسخة المطبوعة : الطريال بالياء ، وهو غلط . وطربال ورد في شعر جرير : ديوان من ٤٧٠ س ٣ ، وورد في شعر دكين الراجز ؛ انظر تاج العروس ج ٧ من ٤١٦ ؛ انظر معاجم اللغة وانظر الاصطخري من ١٢٤ س ٧ .

(٧) في النسخة المطبوعة : والعنكس بالعين المهملة ؛ ولكن انظر في التضاد بين المبارتين المذكورتين ابن السكيت : الألفاظ ص ٤٨٠ والمعاجم .

وهو الرجل أبوه مولى وأمه عربية ، والخيتوم^(١) وهو الخداع الخاتل ؛ واليستور^(٢) وهو الباطل .

ثم سأله عن : الشنوف ، وهو قمة الجبل ؛ والخذروف ، وهو لعبة للأطفال (كالنحلة) ؛ والخلزون^(٣) وهو دابة تكون في الرمث ؛ والققندر^(٤) ، وهو القبيح للمنظر ؛ والجميل ، وهو الذى يجمع كل شئ . وعن غير ذلك من الألفاظ البدوية التى طرحت من الاستعمال . ولكن الصاحب لم يمثل فى أسئلته مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف ، الذى لا يقيم وزناً إلا للمادة اللغوية الموجودة فى شعر البدويين من الأعراب ، بل نظر إلى استعمال ألفاظ الأعراب ، على أنه معضلة من معضلات الأسلوب . وربما كان استيعابه للألفاظ اللغوية المستعملة خارج محيط الاستعمال البدوى الخالص ، هو سبب الطعن^(٥) فى معجمه اللغوى ذى السبعة الأجزاء : المحيط — الذى ألفه مع آخرين فيما يظهر — بأنه غزير المادة وإن كان فقير الشواهد . وما يدل على أن مبدأ « تنقية اللغة » كان بعيداً عن دائرة اهتمامه ، تلك الحقيقة الثابتة ، من أنه كان يسامر بلغة اللصوص والدجالين (مناكة بنى ساسان) أبادلف الخزرجى ، الذى كان أيضاً شاعراً أفقاً جلس طريق ، وقدم للوزير قصيدة (القصيدة الساسانية) يصف فيها حياة الأفاكين والدجالين وسعيهم ، مع استعمال اصطلاحاتهم ورموزهم فى استفاضة وتوسع^(٦) .

-
- (١) فى النسخة المطبوعة : الخيتوم ، بالثاء المثناة وهو غلط ، وورد لفظ خيتوم مثلاً فى ديوان هذيل ص ١٢٩ س ١ ؛ وفى الأغاني ج ١٥ ص ٨٥ فى بيت مصنوع على آكل المزار .
- (٢) ورد فى شعر عروة بن الورد ؛ انظر الديوان نشر : Nöldeke قصيدة ١ بيت ١٠ .
- (٣) هذا اللفظ المأخوذ من السريانية ، فسرهُ الديرى بأنه دود فى جوف أنوبة حجرية يوجد فى سواحل البحار وشلوط الأنهار ؛ والظاهر أن هذا المعنى كان غريباً على البدويين .
- (٤) ورد هذا اللفظ فى شعر أبى النجم ؛ انظر تاج العروس ج ٣ ص ٥٠٤ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٤٦ (دون تسمية الفائل) ؛ وفى النسخة الخطية القفندر بالقاف قبل القاف ، وقد رأى يخرج الكتاب أنه عرّف عن قفندر بالدال ، والصواب : قفندر بالراء كما ذكر .
- (٥) حاجى خليفة : كشف القانون (ستانبول) ١٩٠١ ج ١ ، ص ٣٩٦ .
- (٦) نحو مائتى بيت من الشعر ذكرها الثعالبي فى اليقظة ج ٣ ص ١٧٦ ؛ وانظر فى هذا : Goldziher, Muh. Studien 2, 165, Mez, Renaissance des Islames 238

ولكن على حين يرى ابن عباد معرفة غريب اللغة أمراً لا مناص منه ، يرى أبو حيان في تعقيبه على الموقف الذي صورته آنفاً^(١) ، أن أحداً لا يهتم بمثل هذه الألفاظ غير ابن فارس ، أستاذ ابن العميد ، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً . وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ ؟ الشاعر يطلب لفظاً حراً ، ومعنى بديعاً ، ونظماً حلواً ، وكلمة رشيقة ، ومثلاً سهلاً ، ووزناً مقبولاً .

فالسهولة والرشاقة ، والصقل والانتقاء ، هي المطالب التي تتوخى في الأسلوب البليغ . وهذه الأمور تعد معايير في النثر كما في الشعر ، أي في جميع النتاج اللغوي الفني لذلك العصر الإسلامي الأوسط ؛ وهي مع الإبداع والأصالة الفكرية من حيث المعنى والخيال ، تعبر ذلك النتاج الأدبي للقرن المذكور طابعاً عقلياً يتجه إلى الغوص والتعمق .

وهكذا يصبح الشعر الرفيع ضرباً من بلاغة التعبير يقترب من النثر ، وعلى العكس يكتسب النثر المسجوع صبغة شعرية فنية . وبينما كان يفرق من قبل تفريقاً واضحاً بين الشاعر والنثر ، صارت القاعدة أن الكاتب البليغ يعرف كيف يتصرف في التعبير بين الخطاب المنظوم والخطاب المنثور .

ولا يوجد بين كبار رجال النثر في القرن الرابع ، من لم يقرض أيضاً الشعر الرشيقي ، والنظم الأنيق : الخوارزمي ، البديع الهمداني ، ابن العميد ، صاحب ابن عباد ، المهلب ، الإسكافي ... الخ .

وإلى أي حد رسخ الشعور والإحساس بشدة القرابة ، وقوة الرابطة ، بين النثر والشعر ؟ هذا ما يتصدى لبيانها كتاب « الصناعتين » لإبي هلال العسكري ، الذي يعالج كلا الأسلوبين جميعاً في النتاج الأدبي .

(١) يافوت : إرشاد ٢ من ٢٠٢ الخ .

« العربية » واللغة المولدة

في القرن الرابع الهجرى - العاشر الميلادى

آذن انحلال الدولة العباسية نهائياً إلى أكثر من عشر دويلات مستقلة سنة ٩٣٦/٣٢٤ ؛ بابتداء عهد جديد للعربية المولدة .

فأكتساب التحرر الجديد من سلطان بغداد ، لم يظهر أثره فى السياسة والاقتصاد ، فى كل إقليم ، فحسب ؛ بل كان كذلك بعيد الآثار فى الدائرة اللغوية . وقد انضمت لهجات كل إقليم ، بعضها إلى بعض ، وتآلفت مجموعات من اللهجات تمتاز كل منها عن الأخرى امتيازاً يختلف ، قوة وضعفاً ، باشتراكها فى كيفية خاصة من الأصوات ، والصيغ ، وقواعد التركيب ، والمادة اللغوية .

وهذه اللهجات الإقليمية ، فى العراق ، وما بين النهرين ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقية ، وأسبانيا ؛ نضحت على لغة المثقفين ، وأكسبتها فى كل إقليم لوناً محلياً ذا طابع خاص ؛ بحيث أقدم « المقدسى » فى كتاب رحلته المكتوب سنة ٩٨٥/٣٤٥ ، وفى وصفه للعالم الإسلامى إذ ذاك ، على محاولة تمييز كل إقليم ، من الوجهة اللغوية ، بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به .

وبهذا كان كتابه ، الذى يصور ذروة الأدب الجغرافى للعصر الإسلامى الأوسط ، كنزاً لتاريخ العربية المولدة ، ندين له ببيانات نفيسة القيمة ، لاسيما بالنظر إلى جغرافية الكلمات .

ومن ناحية أخرى بقى مقام العربية الفصحى ، من حيث هى لغة الأدب الوحيدة فى العالم الإسلامى ، ثابتاً غير منازع ، نظراً لبقاء وحدة الثقافة فى الدولة كاملة غير منقوصة ؛ بل لقد ازداد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذى قبل ؛ لأن جميع الأقاليم

أنذرت تسهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط أعظم من الأوقات التي كان أدب العراق يحتل فيها المحل الأول .

لم تضع حدود الأقاليم حواجز وفواصل في سبيل الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء . فالقالي (٢٨٨ — ٣٥٦ هـ) الذي نشأ في أرمينية ، وتأدب ببغداد ، علم وأنج في أسبانيا . والخوارزمي (المتوفى ٣٨٣ هـ) غادر وطنه إلى العراق ؛ وخدم سيف الدولة في حلب ؛ والبلعسي في بخارى ؛ والميكالي في نيسابور ؛ والشار في سجستان ؛ والصاحب في أصفهان ؛ وعضد الدولة في شيراز ؛ وختم حياة مغامراته في نيسابور . ومثل ذلك طوف بديع الزمان الهمداني في خراسان ؛ وسجستان ؛ وأفغانستان ؛ قبل أن يستوطن هراة ، حيث توفي بها سنة ٣٩٨ هـ عن نحو أربعين عاماً^(٢) .

وتقدم لنا مثالا آخر حياة المتنبي ، التي كان مجاها بين العراق ، وسورية ، ومصر ، وفارس ..

ومثل هذه الحياة في التجوال والمغامرات لم يكن أمرا غير مألوف ؛ بل كان هو القاعدة المطردة . وهو يبين إلى أي مدى تشابهت إذ ذاك في جميع البلدان نظم الحياة الأدبية وشروطها . فقد طوّفت طبقة كبيرة من الأدباء الجوالين في محيط العالم الإسلامي من قطب إلى قطب ، وكفلت بذلك نشاطاً دائماً في تبادل الأفكار والمذاهب ؛ وحفظت هذا لسان الأدب طابعها الفصيح ؛ كما جعلها أيضاً لغة العلم والثقافة في الإسلام ، التي كانت تفهم أيضاً خارج المحيط العربي .

هذا ، وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية ، أنها صارت لغة فصحي في درجة ثابتة كاملة الحلقات ، ولم يعد لها تأثير حتى متبادل مع لهجة الأعراب . فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرء ويترعرع في بيئة لغوية حية ؛ بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة دائمة .

(١) الثعالي : يتيمة ج ٤ ص ١٢٢ فابعدا .

(٢) الكتاب المذكور ج ٤ ص ١٦٨ فابعدا .

وتشير إلى وجهة نظر الدوائر الإسلامية إذ ذاك حول هذه المسألة دعوى المقدسي : أن أسمى درجات العربية كان في فارس ، أى في أرض غير عربية اللغة ، لأن الناس هناك كانوا يبذلون اجتهادا عظيما في دراستها .

وفي ذلك العهد كان يعد فصيحاً من مسلم من الخطأ في مراعاة الإعراب والتصريف ، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الأفعال والأسماء ، وتجنب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ . وإذا فقد صارت الفصاحة وسلامة اللغة أمراً محصوراً في الثقافة المكتسبة ؛ ومن هنا غدت حذقا فنياً يحسنه المرء على تفاوت كبير في المراتب والدرجات .

وكان لا يعد إذ ذاك من اللحن اللغوى إلا الاصطدام الشنيع مع قواعد النحو ؛ فلم يعد ينشأ اللحن من الاختلاف بين الاستعمال اللغوى القديم والحديث في مجارى التعبير الحى .

وكثير من التصادم مع روح العربية الفصحى القديمة يواجهنا عند جميع المنشئين في أوائل العصر الإسلامى الأوسط ، لأن صلب الأسلوب في لغتهم قد صار فعلا من العربية المولدة .

وحتى لغة المتنبي (٣٠٣ — ٣٥٤ هـ) التى تأثرت تأثراً قوياً بمثل لهجات الأعراب — قضى الشاعر ما يزيد على سنتين وهو صبي من سنة ٣١٣ إلى ٣١٥ هـ في قبيلة كلب في أرض السماوة^(١) — تحمل سمات من العربية المولدة .

فهو يتحدث عن رُكْب الإبل^(٢) ، فيجمعها على صيغة : ركباتها ، بدلا من صيغة التثنية : ركبتيها . وهذا لا يصح توجيهه ، كما ذهب إليه الواحدى ، بالإشارة إلى آية ٤ من سورة التحريم : [إن تتوبا إلى الله فقد صفت] قلوبكما ؛ ولا إلى البيت الذى يتكرر الاستشهاد به كثيرا : ظهراهما مثل ظهور الترسين^(٣) . إذ أن

(١) Blachère El III 844

(٢) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ١١

(٣) انظر فهارس الشواهد لفينر .

التثنية في هاتين الحالتين مفهومة من تثنية الضمير المضاف إليه ، أو من الاسم المثني المضاف إليه^(١) . بل هو اتجاه إلى الظاهرة الملحوظة اليوم في كثير من اللهجات العربية ، وهي مطاردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه .

وشبهه بهذا استعمال لفظ الجمع : أيدي ، بل وجمع الجمع : أيادي^(٢) ، في مكان المثني . ففي عهد الصفدي^(٣) (٦٩٤ — ٥٧٧٤) كانت جمهرة علماء اللغة تكتب في رسائلها الخاصة : المملوك يقبل الأيادي الكريمة ؛ وكان الإحساس اللغوي عند الصفدي تجاه المثني ضعيفا بحيث عدّ وضع لفظ : الأيدي ، بدلا من : الأيادي ، في ذلك التعبير الخاطيء ، وسيلة كافية لتصحيحه ، ووضعه في قالب فصيح .

ومن العربية المولدة — عدا ما ذكر — عند المتنبي ، استعماله فعل المطاوعة : انهوى ، بمعنى هوى وسقط^(٤) ؛ وتعديته فعل : بعث ، بالباء وإلى جميعا : [فأجرك الإله على عيل] بعثت إلى المسيح به طيبيا^(٥) واستعماله لفظ : رؤيا بمعنى الحلم ، بدلا من الرؤية ، بمعنى النظر^(٦) ، يرجع إلى أن علامات التأنيث ، كالتاء والألف المقصورة ، والمدودة ، قد اختلطت ، كما في الكلام الدارج في اللهجات الحديثة .

والظاهر أن هذه الظاهرة بدت مبكرة في هذين اللفظين : رؤيا ورؤية^(٧) ،

(١) انظر الشواهد والأمثلة التي ذكرها : Reckendorf Arab Syntax S, 138

(٢) يراد من الأيادي ، في اللغة العربية القديمة غالبا : النعم والحانات . وانظر : Nöldeke, NBSS 114 Anm 4.

(٣) انظر العامل : كشكول (٨١٢٨٨) ص ٢١٥ .

(٤) شرح الديوان للواحدى (Diet) ص ٤٦٤ وانظر : الحفاجي : شرح درة القوام ص ٦٣

وانظر : Fleischer I 173

(٥) من القصيدة ص ٩٩ في شرح الديوان ج ١ (طبع بولاق ١٢٨٧ هـ) ؛ وانظر الحريري :

درة القوام ص ٢١ .

(٦) مطلع الفصيحة ص ٤١٥ من شرح الديوان ج ١ ؛ وانظر الحريري : درة ص ٩٥ .

(٧) بل ساق ابن بري (المتوفى ٥٨٢ هـ) بيتا للراعي ، ذكره الشهاب الحفاجي في شرح درة القوام

ص ١٤٢ :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبل يلومها

انظر الموضع المذكور .

ففسرو القرآن من أهل السنة يعدون لفظ : رؤيا ، في آية ٦٠ من سورة الإسراء ، بمعنى المشاهدة الحقيقية ، عن نظر في العلانية ، لا بمعنى الحلم^(١) .
ويقرن الشاعر أن الناصبة بالفعل المضارع المرفوع ، كآخرين ممن سبقه^(٢) ؛ كذلك يصوغ أفعال التفضيل من أسماء الألوان^(٣) : لأنت أسود في عيني من الظلم .
أما استعماله أفعال التفضيل من الرباعي حيث قال : أذهب للغيظ^(٤) ، فقد وجد ما يشبهه في القرآن والشعر القديم^(٥) ؛ وإن طالب المتزمتون في اللغة بتغيير ذلك إلى أشد ذهابا للغيظ ، لزيادة الإيضاح والبيان .

وفي مثل هذه الأحوال لا يتيسر الفصل في إرجاع الأمر إلى الاستعمال اللغوي للعربية المولدة ، أو إلى رخصة الشعر جريا على طريقة شعراء اللغة القديمة .
وهكذا يتكرر في شعر المتنبي ما عابه النحاة القدامى ، وإن قاله الكمي ، وأجازه ثعلب ، وهو استعمال : أبرق^(٦) ، (بمعنى التهديد المجازي) ، واستعمال لفظ : ذو ، مع الضمير ، بمعنى النفس^(٧) ، له شبهة في بيت الكمي^(٨) ، كما في النثر أيضا^(٩) .

وإدخال أداة الاستثناء : إلا ، على الضمير المتصل^(١٠) ، هو وإن كان لم يزد

(١) انظر الواحدى في شرح ديوان المتنبي ص ٢٤١ (نشر Diet) ، وانظر كتب التفسير في الآية المذكورة .

(٢) انظر : Diet في الشرح المذكور ص ٥٠٣ وملاحظته ص ٧١ .

(٣) انظر : Diet ص ٥٢ ، والحريرى : درة القواس ص ٣١ ؛ خزانة الأدب ج ٣ ص ٤٨١

و ص ٤٨٤ — ٤٨٦ .

(٤) شرح الديوان للواحدى ص ٣٣ .

(٥) انظر : Fleicher, Beitrage 4, 249 - 252, Reckendorf Syntax, S. 95 Anm. 1

(٦) انظر ص ١٧ من شرح الواحدى المذكور .

(٧) ذواتها ، في مطلع القصيدة ص ١٥٧ من شرح العكبرى على الديوان ج ١ .

(٨) انظر ابن يعيش ص ٣٥٥ و ص ٦٣ .

(صبحن الخزرجية مرهفات أبان ذوى أرومتها ذووها)

وقد نسب هذا البيت إلى كعب بن زهير — دون حق — في أشعار الحماسة وفي ابن يعيش أيضا .

(٩) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٢ ص ٧ (نشر دى غويه) .

(١٠) إلاك ص ١٣٢ شرح الديوان للعكبرى ج ٢ ؛ وانظر الحريرى : درة ص ١١٠ .

في الشعر القديم ، فإن الفراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) وضع يده على بيت استشهد به على ذلك ^(١) .

والجمع الشاذ : آخاء ^(٢) ، أى إخوة ، المصوغ على مثال آباء ، كان معروفاً عند يونس ^(٣) ، أستاذ سيبويه .

والجمع غير القياسي : رؤس ^(٤) ، بدلا من رؤوس ، استشهد عليه الواحدى ببيت ، هو وإن نسبه خطأ لامرئ القيس ^(٥) ، فإنه أقدم من المتنبي على كل حال .

كذلك ترخيم اسم العلم : عمرو بن حابس ، إلى عمرو بن حاب ، في غير النداء ^(٦) ليس أمراً عادماً النظير ^(٧) وإذا استعمل المتنبي لفظ : حائل ^(٨) ، في الشعر ، بدلا من لفظ حال ، بالتشديد ، الثقيل في الاستعمال الشعرى ، فإنه يلجأ فيه إلى رخصة الشعر التي كان يلجأ إليها الشعراء في مختتم القرن الأول ^(٩) .

والأمثلة التي ذكرت أخيراً تنقلنا إلى الحالات التي يتجلى فيها أسلوب الشاعر الخالص في اختيار الألفاظ وصوغ الكلام . ويتعلق بهذا إثاره أسماء الإشارة : ذا ؛ ذى ؛ هذا ؛ هذى ؛ بدلا من : هو والذي ، وإغراقه في ذلك حتى ذكر في بيت

(١) خزائن الأدب ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) انظر ابن عباد : الكشف عن مساوى المتنبي ص ١٦ ، وابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٢٠٥ (وفي الديوان شرح الواحدى : كل آبائه ، بدلا من : كل آخائه) وفي شرح المكبرى على الأصل .

(٣) انظر تاج العروس ج ١٠ ص ١١ .

(٤) انظر شرح الواحدى ص ٩٥ .

(٥) انظر الملحق ص ٢٨ (آلورد) .

(٦) شرح الواحدى المذكور ص ٥٩٢ .

(٧) انظر خزائن الأدب ج ١ ص ٣٨١ .

(٨) انظر شرح الواحدى ص ١٧٩ ، وابن الأثير : انثل السائر ص ١٨٤ .

(٩) استعمل قنبر بن أم صاحب لفظ : ضنوا (مختارات ابن الشجرى ص ٨) ؛ والمعجاج لفظ : أظلال (أرجوزة رقم ٢٩) ؛ وانظر نوادر أبي زيد ص ٤٣ ؛ سيبويه ج ١ ص ١٠ (١٣١٦ هـ) ؛ الموشح ص ٩٤ ؛ ويوجد مثل في النثر عند القالى : أمالى ج ١ ص ٢٥٩ (الطبعة الثانية) ، وآخر في حديث ؛ انظر البكرى : لآلى ص ٥٧٦ .

واحد إلى جانب ذا ، ذلك اللفظ المهجور تماما ، وهو : اللَّذْ ، بدل الذي^(١) ؛
واللفظ الدارج : هو بالإشباع بدلا من فتح الواو^(٢) .

وفي مطلع القصيدة السادسة والخمسين ، الذي كثر حوله الجدل :

أُحَادُ أُمِ سُدَّاسٍ فِي أُحَادٍ لَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

أُخِذَ عَلَيْهِ^(٣) — بحق — استعماله لفظ : أُحَادُ ، التقسيمى — مثلا : جاءوا

أحاد أى متفرقين — وسداس أيضاً ، بدلا من اسم العدد المحض : واحدة ، وست .

يضاف إلى هذا أن هذه الصيغة إنما جرى بها الاستعمال في أسماء العدد الأربعة

الأولى ، وإن أجاز الكيت لنفسه لفظ : عَشَارُ^(٤) . وفي نفس البيت عُدَّ لفظ :

لَيْلَةٌ خطأ من حيث الصيغة والدلالة ؛ إذ الصواب يقتضى : لَيْلِيَّةُ^(٥) ؛ ثم إنه وإن

كان لفظ : دَرِيهِيَّةٌ معناه الداهية العظيمة ، فلا يقتضى هذا استعمال كل تصغير بمعنى

التعظيم . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أيضا أن حذف أداة الاستفهام في هذا البيت

من ظواهر العربية المولدة .

كذلك خاصة أخرى من خصائص أسلوب المتنبي ، وهى تأليفه للجمل والألفاظ

على وجه اختياري إرادى متصنع للغاية ، نعد أمانة على طابع العربية المولدة في حقيقة

أسلوبه اللغوى . وفي الواقع يناسب العربية المولدة — لفقدانها الإعراب — نوع

ثابت مصنوع من التأليف . وعلى النقيض من ذلك تأليف الكلام في اللغة الفصحى

القديمة ، فهو فيها حرّ وإن لم يخل من تقييد — بعض الأمثلة على فساد التأليف

وفائها النقد حقها من التشهير^(٦) — . أما الاختيار الذى يؤلف المتنبي نظمه على مقتضاه

سقيما مضطربا ، فيتجلى فيه عجزه عن التعبير الموافق لروح العربية القديمة ؛ مثل تقديم

(١) ابن رشيق : عمدة ج ٢ ص ٥٧ س ٦ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٠١ (نشر : Diet) .

(٣) انظر شرح الواحدى والمكبرى على المطلع المذكور ، والحريرى في درة النواص ص ١٤٨ .

(٤) انظر الأغاني ج ١٣ ص ١٢٥ ؛ ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٥٩١ .

(٥) انظر : Fleischer, Beiträge 4, S, 241

(٦) انظر المبرد : كامل ص ١٨ ؛ المرزبانى : موشح ١٠٢ — ١٠٤ ؛ سيبويه ج ١ ص ٩ .

(Derenburg)

المسند إليه في الجملة الفعلية ، فهو ظاهرة خاصة بالعربية المولدة ، كذلك إضافة ضمير الإسناد المتصل إلى الجملة الفعلية أيضاً دون حصر ولا تأكيد ، كما^(١) في البيت المشهور^(٢) .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تسترع هذه الظواهر المخالفة للفصحى في شعر المتنبي انتباه معاصريه كثيراً ، بله الإحساس بأنها من اللحن . ويدل على ذلك جدل صاحب بن عباد في الرسالة التي كتبها في تحقير المتنبي : الكشف عن مساوي شعر المتنبي^(٣) . وقد كان صاحب بن عباد دعا الشاعر إلى زيارته بالرى ، حينما جاء إلى شيراز سنة ٥٣٥٤ هـ ، ولكن الشاعر الأبي النفس لم يره أهلاً لذلك ، فانتقم صاحب لنفسه في رسالته المذكورة من أجل هذه الإهانة .

والرسالة في صورة خطاب إلى خير بالشعر طلب إلى صاحب أن يعرب — كتابة — عن رأيه النقدي في وضع المتنبي عن مستواه الرفيع . وهو يتظاهر بإبعاد نفسه عن مظنة التحامل في الحكم — وأى عالم لا يهفو ، وأى صارم لا ينبو ، وأى جواد لا يكبو — وأنه لا ينبغي إلا حقه في تعليل حكمه ، وهو حق تمسك به محتذياً حذو الوزير العظيم : أبي الفضل بن العميد ، الذي ساق صاحب رأيه الحر في البحري وأبي تمام ؛ ثم ذكر صاحب أن الدعوى انخاطئة ، من أن علماء اللغة وحدهم هم الإخصائيون الذين يحذقون النقد ، دعوى على غير أساس ، مشيراً إلى

(١) ص ٢٠٠ في شرح العكبري ج ١ و ص ٥٣٣ في شرح الواحدى الآنف .

(٢) أكبر ما أخذه المؤلف على شعر المتنبي تبع فيه رأى النحاة البصريين ، وهم الذين يقصدهم دائماً بوصف المترمين في اللغة ، ولكن المتنبي قد عرف بمتابعة الكوفيين ، وهم يعتمدون كل ما ورد عن العرب بوجه من الوجوه . وقد عرف أنهم أوسع رواية من البصريين ؛ على أن كثيراً مما أخذه المؤلف على المتنبي ورد في بعض القراءات القرآنية ، فضلاً عن النصوص العربية .

(٣) طبع في القاهرة (١٣٤٩ هـ) واشتمل الجزء الأول من البتمة للشمالي على مضمون

الكتاب المذكور (انظر ص ١٠٥) .

اختيارات ابن الخياط التي جمعها دون ذرة من الذوق الأدبي^(١) . وبعد أن أزال صاحب بهذه المقدمة الطويلة ، التي تعدل ثلث هذه الرسالة القصيرة ، هيبة القارئ ورهبته تجاه الفن الرفيع ، وأعدّه في مهارة وحذق للجرأة على نقد الشعراء ، خلص أخيراً إلى موضوعه ، بادئاً بماأخذه على أبيات متفرقة للمتنبي (ص ١١ — ٢٦) دون جرى على نظام ثابت :

وهو يتهمة كثيراً بالسرقة ، ويرميه بفساد الحس ، وسوء أدب النفس^(٢) في حريته لأتم سيف الدولة ، ويسخر من تعقيد أسلوبه وعسرفهمه ، بحيث لا يعد أسلوب أبي يزيد البسطامي المشهور بالتعقيد شيئاً إليه^(٣) .

كما يغمز إلى أشعاره الحكمة التي حظيت بإعجاب الكثيرين (ص ١٦ س ١١) ويحط من قيمة عدد من أفخم مطالعه ، ويهزأ من ثقة الشاعر بنفسه ، ويتندر بأسلوبه ، حيث لا يتورع ابن عباد أيضاً عن إساءات للفهم مقصودة عن خبث ونكاية . وفي هذا يجد صاحب في لوازم المتنبي وخصائص لغته مدعاة قوية للهزء والسخرية مثل ميل المتنبي إلى تكرير اللفظ ، وولعه بترديد طرق التعبير — ذكر في بيتين ستة عشر وصفاً متتاليات^(٤) — والتعسف في الاطراد^(٥) ، والتفاسح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، مثل كلمة : التوراب ، بدلا من التراب (ص ١٤ س ٦) ، وكلمة : جَفَخْتُ^(٦) ، أي فخرت (ص ٢٥ س ١٦) .

بيد أنه ، على الرغم من أنه لم يدع فرصة تمرّ دون النيل من الشاعر والسخرية

(١) كان أستاذ صاحب بن عباد ومات ٨٣٢٠ هـ ؛ انظر الفهرست ص ١٢١ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٢٨٣ .

(٢) انظر في هذه المرتبة : العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ١٢٤ ؛ ابن الأثير : المثل السائر ص ٤٩٦ .

(٣) انظر الرسالة الحاتمية (نشر البستاني بيروت ١٩٣١) .

(٤) انظر في التكرار العمدة لابن رشيق ج ٢ ص ٥٩ فابعدا ، وفي الترديد العمدة

أيضا ج ٢ ص ٢٤ فابعدا ، وانظر ابن الأثير المثل السائر ص ١٨١ ، ١٨٣ .

(٥) انظر ابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٦٨ .

(٦) انظر ابن الأثير : المثل السائر ص ٩٨ .

منه ، بل وعدّ حرية الشعر عليه خطأ فاحشاً ، لم يوجه إليه تهمة اللحن في اللغة أصلاً ، مع أن في الأبيات التي ساقها كثيراً من الأمثلة على اللحن في الاستعمال اللغوي . وحتى في هذا البيت :

أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادي

الذي يدعو لحنه إلى النقد دعاء صريحاً ، لم يعلق الصاحب (ص ٢٠) إلا بأنه من عيون قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك إلا بالارتماطيق وبالأعداد الموضوعة للموسيقى ، وتصور كلام الحكل ، ورطانة الزط . وكذلك في البيت :

أطعنك طوع الدهر يا ابن يوسف لشهوتنا والحاسدو لك بالرغم

اقتصر على تخطيط التركيب : الحاسدو لك .

وفي تعرضه للناحية اللغوية لا يتناول إلا ما تعلق بالأسلوب ؛ فهو يجد كلمة : جبرين (ص ٢٠ من ١) ، بدلا من جبريل^(١) ، التي يستعملها المتنبي لضرورة الشعر ، غريبة بفيضة ؛ كما يرى (ص ١٩ من ١٥) أن حذف كلمة : الدُّنا ، جمع دنيا ، في شعر المتنبي ، خير من ذكرها ، ويتساءل في سخرية من البيت :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج^(٢) الهند أو طلع النخيل

هل استهلال الأبيات أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله : ترنج ، أفصح ؟ .

وهذا التساهل والتجاهل التام الذي يبدو من ابن عباد تجاه اللحن اللغوي في شعر المتنبي ، هو ظاهرة عامة للموقف الذي أخذه الأدباء في أوائل العصر الإسلامي الأوسط من مسألة الفصاحة وسلامة اللغة ؛ فبين الحين والآخر يتذكر أحد علماء اللغة ، على ضوء معارفه عن أدب القواعد القديمة ، أن هذا التركيب أو ذاك خاطئ في قانون اللغة الفصحى البدوية ؛ ولكن مثل هذه الملاحظات تأخذ تدريجاً

(١) انظر في هذه الصيغة وما شاكلها (إسرائيل ، إسرافين ، إسماعيل الخ) القالي : أمالي

ج ٢ ص ٤٤ (طبع دار الكتب) .

(٢) ترنج لغة في : أترج ، انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٠١ (نشر : Grünert)

في الندرة عند أدب الشروح ، حيث يأخذ تفسير الشعراء هنا طابع الذوق الأدبي الذي لم يكن يصدر في حكمه — بعد — عن القواعد والنحو ، بل عن مقاييس الأسلوب بوجه خاص .

وكذلك من نتائج ذلك الطابع الصناعي الفني للغة الأدب ، احتياج مصنفات الشعر الرفيع ، والنثر الفني البديع — في ذلك العصر — إلى الشرح والتفسير ، حتى انتشرت لدى الرأي العام فكرة أنه كلما تعسر فهم الأثر الأدبي الفني ، رجع وزنه وعلا قدره .

والمتنبى لم يكن يقتصر على إنشاد شعره فحسب ، بل كان يشفع ذلك أيضا بالشرح والتوضيح . ومن رواته ابن جنى السالف الذكر ، الذي يروى أن الشاعر كان يلقي وزناً كبيراً لحكمه ، بحيث كان يحيل سائله في مختلف الأحوال عليه . وقد ذكر من الأمثلة على ذلك^(١) ما ورد في شعر المتنبى من تصغير لفظ : إنسان ، على : أنيسيان^(٢) ؛ وقوله^(٣) :

بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا

بنصب المضارع — في ظاهر الكلام — بعد : لم الجازمة^(٤) .

ومهما يكن من أمر ، فمن الثابت أن ابن جنى كتب شرحين لديوان المتنبى^(٥) ، أحدهما وهو : الفسر لشرح ديوان أبي الطيب ، مقصور في جملته على شرح معاني

(١) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٢٥ .

(٢) انظر تاج العروس ج ٤ ص ١٠٢ .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٥٦٣ ؛ وذكره الدميري : حياة الحيوان ج ١ ص ٤٦١ (٨١٣٤٧)

(٤) في هذه الضرورة الشعرية التي جرى استعمالها في كثير من شعر الأوائل (الأعشى قصيدة ١٧ بيت ٢٠ ؛ المعراج رقم ٥١ بيت ١٠ وغير ذلك ، انظر فهارس الشواهد لفيف ص ٢٥٢) يحمل على أنه أبدل الألف من نون التوكيد الخفيفة في حالة الوقف . نعم يزعم اللحياني (ابن الأنباري : نزهة ص ٢٣٦) أن نصب المضارع بعد لم ، لهجة من لهجات العرب ، وروى قراءة شاذة في : ألم نشرح لك صدرك ؛ بفتح الفعل بعد لم ! ولكن ابن جنى في المختصب رفض هذه القراءة ولم يسوغها .

(٥) الفهرست ص ١٢٨ .

الألفاظ ، على حين يُعنى الآخر ، كما يعبر عن ذلك عنوانه : معانى أبيات المتنبي ، بما يحتويه شعره من أفكار .

ولم يكن ابن جني على الرغم من ذلك — إذا أخذنا بحكم الواحدى فى مقدمته لشرح ديوان المتنبي ، المكتوب ٤٦٢ هـ — أبا عذرتها فى تقريب فهم الأشعار الحديثة للقارىء . إذ يفترض شرح مثل هذه الأشعار — زيادة على الدراية العميقة باللغة والموضوع — تذوقاً لفنون الأدب ، وإحساساً بالجمال الفنى ، وحكماً ثابتاً صحيحاً . على حين أن ملكة ابن جني كانت ذات وجهة واحدة ، هى دائرة علم اللغة . ولذلك كان يرى عمله ينحصر فى توضيح العبارات التى يستعملها الشاعر ، وبيان عملها النحوى . وهو يرخى العنان فى ذلك كثيراً لنزوعه إلى بسط دقائق النحو العربى ، بحيث يشتمل شرحه على القسم الأعظم من النوارد اللغوية التى جمعها أبو زيد ، وعالج المسائل التى أثارها سيبويه .

وقد أورد كتابه لشرح الظواهر اللغوية النادرة (الغريب) نحو عشرين ألفاً من الشواهد (يحتوى ديوان المتنبي بأمله على ٥٤٠٠ بيت) ؛ كما حفل بمجموعة كبيرة من الأفاصيص المفقرة التى لا تساعد أدنى مساعدة على فهم شعر المتنبي . وعلى الرغم من ذلك ينقص ابن جني الفهم العميق ، والنفاذ فى دائرة المعانى . فمثلاً يتحدث المتنبي ، فى ذلك الأسلوب التصويرى المألوف فى شعر الغزل ، عن مطر الدموع الذى يسكبه الحب المغرم ، إذا أظهرت الحسناء المتدلة المتجافية أسنانها البراقة عند الابتسام :

تبلّ خدىّ كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

فيفسر ابن جني هذا المطر بريق الحبيبة الذى يتطاير من فمها إذا ضحكت^(١) . وهذا العجز عن الإحساس والشعور بمقاصد الشعر ومراميها يزيد من بنحس شرحه وخفة وزنه ، إذا لاحظنا أن مثل هذا الديوان الموسوم بطابع البلاغة القوى ، يتوقف

(١) انظر ابن الأنبار : النمل السائر ص ٢٢٩ .

هضمه ، والنفاذ إلى عالم تفكير شاعره ، على الفهم الذي لا يتيسر بسهولة لاستعاراته ومجازاته وأخيلته الكثيرة ، التي تحجب أفكاره أكثر مما تكشف عنها القطاء . ومن هنا أيضاً يتجنب شرح ابن جني ، اللاصق بمفردات الألفاظ ، جانب اللاماني ، وتقدم الأفكار والابتكار فيها ، والبناء الداخلي للشعر . وبهذا يغفل الطابع الخاص الذي يميز الشعر العربي المحدث تمييزاً أساسياً عن شعر الأعراب . ففي هذا الأخير ربما جازا اكتفاء الشارح بتفسير بعض المفردات ، وعبارات الكلام ، وتوضيح غرض الشاعر ومرماه بذكر ألفاظ دالة مختصرة ، مثل : مديح ، هجاء ، فخر ، أو نحو ذلك . أما في شعر المحدثين ، ولا سيما شعر المتنبي — يوجه خاص — فإن بناء الشعر وتكوينه الداخلي يلعب دوراً عظيماً ، بحيث لا يجوز إغفاله في الشرح والتفسير .

فما يدل على أن القصيدة بتمامها كانت ماثلة أمام نظر المتنبي ، من حيث هي وحدة تامة الأجزاء عند الشروع في إنشائها ، ما يروى من أنه كان إذا نظم قصيدة يتغنى بأبياتها بيتاً بيتاً ، وكلما توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ؛ وكان يبذل جهداً كبيراً في الانتقال من جزء إلى آخر .

وقد اشتهرت بعض قصائده لإبداعه ، وابتكاره في أبيات مطالعها ؛ على حين حظيت بعض قصائده الأخرى بالإعجاب بمحذقه في أبيات خواتيمها . ولكن الإلمام بمثل هذه الدقائق لم يكن من فن ابن جني ولا طبيعته .

ولم يغفل النقاد عن تبيان عيوب شرحه ؛ فقد حمل عليه معاصره ابن فورج^(١) حملة شمواء في كتابين يطابق عنوانهما موضوعهما : الفتح على أبي الفتح ؛ والتنجني على ابن جني ؛ ولم يتورع في ذلك ، كما يشير إليه نص من كتاب الفتح^(٢) ، عن

(١) ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ٤ ؛ سيوطي : بنية ص ٣٩ ؛ وانظر : أحمد الحق : فريدة المصر ص ٧١٥ — ٧١٨ ؛ ونسبته : ابن فورج ، التي ذكرها ياقوت ، هي في الظاهر صيغة أخرى إلى جانب : ابن فورك .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ١ ص ١٢٥ .

طعنه بتهم تخدش الشرف . ويشهد له الواحدى ، الذى قرأ الكتابين^(١) ، بأنه — غالباً — محق فى وجهة النظر الصحيح .

كذلك كتب أبو حيان التوحيدى (المتوفى ٤٠٠ هـ) رداً عليه بعنوان : الرد على ابن جنى فى شعر المتنبى^(٢) .

كما أن الشريف المرتضى (٣٥٥ — ٤٣٦ هـ) نقيب الأشراف العلوى الذائع الشهرة ، اشترك فى النزاع بكتابه : تتبع الأبيات التى تكلم عليها ابن جنى^(٣) .

وآخر أيضاً ، هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، صنف للبويهى بهاء الدولة (حكم ٣٧٩ — ٤٠٣ هـ) تهذيباً لشرح ابن جنى الكبير فى قالب مصحح مختصر^(٤) .

وأغلب الظن أن ابن وكيع (المتوفى ٣٩٣ هـ) قد حمل أيضاً على ابن جنى ، فى كتابه : المنصف ، الذى عالج فيه مسألة ابتكار المتنبى ومتابعته من سبقه ، مع نقد وتحقيق ؛ لأن ابن جنى ألف ما يسمى : كتاب النقد على ابن وكيع فى شعر المتنبى ونخطته^(٥) .

وعلى كل حال يبدو أن ابن جنى احتفظ بأسلوب الشرح الذى اختاره ، على الرغم من جميع النقد الذى وجه إليه بسببه ؛ إذ أنه ألف كتاباً خاصاً فى شرح بيت واحد نظمه عضد الدولة البويهى ؛ وألف أيضاً فى العقد الأخير من حياته شرحاً لأربع سران من شعر تلميذه : الشريف الرضى (٣٥٩ — ٤٠٦ هـ) عنوانه : تفسير العلويات ، فى أربعة أجزاء ، لكل سرثية جزء^(٦) .

(١) ديوان المتنبى ، بشرح الواحدى (نشر : Dieterici) ص ٣ .

(٢) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٣٨١ .

(٣) انظر ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ١٧٤ ؛ ابن حجر : لسان اليزان ج ٤ ص ٢٢٤ ، وقد عرف هذا الكتاب فذكره بعنوان : الرد على ابن جنى فى شرح ديوان المتنبى . وانظر الكتورى : كشف الحجب ص ٩٧ .

(٤) وقد أخذت عنه ترجمة المتنبى المستفيضة فى خزنة الأدب ج ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٩ .

(٥) ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٣١ .

(٦) ياقوت : فى الموضع السالف .

هذا الطابع ، العلمى — الأدبى ، للشعر الفنى ، الذى جعل ذلك الشعر وفقاً ،
أو حقاً ممتازاً لشرذمة قليلة من غلبة المثقفين الضليعين ، ازداد قوة على قوته فى القرن
التالى ؛ بحيث قرن أبو العلاء المعرى بعض دواوينه بالشرح والتفسير ، تيسيراً لفهمها
على القارىء .

فأشعار شبابه فى سقط الزند ، التى تم على تأثر قوى بالمتنبى ، والتى صيغت
فى أسلوب حافل بالأخيلة والمجازات ، احتاجت إلى شرح سقط الزند .
كذلك النثر المسجوع فى كتابه : الفصول والغايات ، الذى أنشأه فى سن
متأخرة كما يظهر ، والذى قال فيه الرحالة الفارسى : ناصرى خسرو (٣٩٤ —
٤٥٢/٣ هـ) حينما زار الشاعر سنة ٤٣٩ هـ : إنه بقى غير مفهوم فى القسم الأعظم منه
حتى لتلاميذ الأستاذ أنفسهم .

ظهور اللغة الدارجة في أشعار

القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي

يحمل شعر الفرص والمناسبات طابع العربية المولدة ، بمقدار أعظم وأظهر كثيراً من الشعر الفني الرفيع ؛ كما تعرض مادة غزيرة ، من الشواهد على ذلك ، المختارات المشهورة من أشعار القرن الرابع ، التي تشتمل عليها يتيمة الدهر للشمالي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .

ويقدم الفصل المعقود لابن الحجاج (المتوفى سنة ٣٩١ هـ) تصويراً خاصاً جم الفوائد^(١) .

هذا الشاعر الموهوب ، وإن كان زَمِر الخلق والمروءة ، والذي ينتمى إلى أسرة رفيعة من ذوى الجاه والمناصب ، والذي شغل منصب « المحتسب » ببغداد ردحاً من الدهر في ظل بختيار البويهى (حكم ٣٥٦ — ٣٦٧ هـ) ، ولكنه أثر أخيراً أن يبرز الأموال ، بأهاجيه وملحه ، من ذوى المناصب والرتب ؛ هذا الشاعر يعد أنه ممثلي أسلوب المجون والسخف .

وهذه وجهة فنية تحللت من جميع القيود المفروضة على صناعة الفن التقليدى ، واختارت — على معارضة متعمدة للشعر الرفيع — الأسلوب المبتذل الدارج ، بما فيه من ضعة ، وبذاءة ، وقذر ، ووضر .

وفي معارضته لوسائل الأسلوب القديم ، يدعى ابن حجاج النبوة في السخف ، ويطلب إلى معشر السخفاء أن يؤمنوا بالمعجزات التي لا تجارى في آياته العارية من الحياء^(٢) .

(١) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢١١ — ٢٧٠ .

(٢) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٢ فما بعدها .

وقد طابق الموضوع المبتذل الدارج أسلوب مبتذل دارج ؛ إذ تجنب الناحية اللفظية من ذلك الشعر الماجن — في الأعم الأغلب — كل مختار دقيق من العبارات الجارية في الأسلوب الرفيع مادام هو لا يعارضه ولا يجاريه — ومادام لا يعارض وسائل الأسلوب في الشعر القديم — وهو يولع بدلا من هذا باستخدام لغة العامة ، متزلا إلى لهجات الشحاذين ، والعيارين ، والخلايين ، والمكدين ، ببغداد^(١) .

ويرجع إلى هذا الدخيل من لغة بغداد الدارجة ، ما يكثر في أشعاره من الألفاظ الفارسية ، مثل : ^(٢) لقلق (ص ٢٤٦ س ١٦) وهو طائر ؛ والفصيح : لقلّاق ؛ وهو لفظ دارج ، وأخذ استعماله^(٣) على المتنبي^(٤) : [يصيح الحصى فيها صياح اللقالق] ؛ وجُلنار^(٥) وهو الرّمان (ص ٢٦١ س ١) ؛ بلور — في الفارسية الحديثة : بلرّ — (ص ٢٤٣ س ١٩) ؛ دُورق — في الفارسية الحديثة : دُورَه — (ص ٢٤٦ س ١٥) ؛ نَمَكُود^(٦) : اللحم المملح (ص ٢٥٢ س ١) ؛ سِكَباج^(٧) : لحم مطبوخ على طريقة خاصة (ص ٢٢٠ س ١) ؛ وفي البيت (ص ٢٤٩ س ١٠) وردت الكلمات : دِكشَاب أي ليلة أمس ؛ ودُوغَباج ، أي اللبن الحامض ؛ وزِيرَباج ، أي مرق اللحم .

(١) الميار : الذكي الكثير التطواف ، وأطلق على الدجال الواسع الحيلة . والخلدی : نسبة إلى حي في بغداد ، اشتهر بكثرة أهل الجبل على الارتزاق . والمكدي من الكدية وهي شدة الدهر ، ويراد به أيضاً الفقراء المتسولون .

(٢) ترجع أرقام الصفحات المذكورة إلى يتيمة الدهر (طبع دمشق ١٣٠١ هـ) .

(٣) ابن الأثير : المثل السائر ص ١٠٨ .

(٤) شرح المعبري على الديوان ص ٤٨٩ (بولاق) .

(٥) في الفارسية الحديثة : جلنار ، يسكون اللام وتسمى به النساء أيضاً ، وكان اسم أم بشار ابن برد جلنار (انظر الأغاني ج ٢٠ ص ٧٤) .

(٦) يرد هذا اللفظ كثيراً في كتاب المقدسي : أحسن التقاسيم ، انظر المعجم الجغرافي في هذا اللفظ : Dozy .

(٧) في الفارسية الحديثة : سكباج ؛ وسكباجة كثير في كلام الجاحظ ، وذكر في تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٥٩ س ١٧ ، والأغاني ج ١٠ ص ١٢٥ س ٧ ، وورد كتاب في الأطبحة بعنوان : كتاب السكباجة لحظة وآخر لعبيد الله بن أبي طاهر ، انظر الفهرست ، وورد لفظ سكباج لقباً ؛ تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٥٧ .

وتكثر العبارات الفارسية بوجه خاص في قصيدته في غزل المذكر (ص ٢٦٤ س ٧ — ١٥) التي يسوق فيها حواراً مع غلام أعجمي .

وفي ص ٢٤٨ س ١٩ ، يستعمل لفظ : هَمْ ، بمعنى أيضاً ، الذي عابه أبو خليفة — من قبل — في القرن الثالث ، والذي أنكر استعماله — من بعد — كل من الحريري (المتوفى ٥١٦ هـ) في درة الفواص^(١) ، ثم الطيب المشهور بالتقرير الذي كتبه عن مصر ، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (٥٥٧ — ٦٢٩ هـ) في كتاب الذيل الذي ألفه تعقياً على قصيح ثعلب^(٢) .

ويدل على أن ابن حجاج كان يحسن الفارسية لفظ : خَرْكُوش (ص ٢٣٥ س ١) الذي معناه في الفارسية : أرنب ، وشبه به في الشعر كلباً سلوقياً سريع العدو . كذلك مادة الألفاظ العربية عند هذا الشاعر ، كثيراً ما يستمدّها من لهجة بغداد الدارجة : (سَيِّ ، راسمال ، شَوْش أي أزعج) . وهي غنية بالتعبيرات الدارجة على الأخص في غزل المذكر ، مثل الكلمة المولدة : سُرْم ، بمعنى الدبر ، والصيغة الشعبية لها صُرْم ؛ وقد تجنب الكتاب الملتزمون للدقة ، بسبب ذلك ، مرادف هذه الكلمة ، وهو : الصرم ، بمعنى الهجر . وأخذ ابن الأثير^(٣) على المتنبي استعماله هذا اللفظ القصيح الذي لا يقل وروده في الشعر القديم .

ويعبر الشاعر في ص ٢١٢ س ١٤ عن تحميره لمبدأ « تنقية اللغة » تعبيراً حاداً عنيفاً .

وهو وإن استعمل لغة الكتابة أيضاً ، فقد اشتملت أشعاره الهزلية — بوجه خاص — على سمات مولدة قوية : فقد ترك الهمز إلى حد بعيد (ص ٢٢١ س ١٧ بَرِي بدلاً من : بَرِيء ؛ ص ٢٦٨ س ٢٠ قُرَان بدلاً من : قرآن ؛ ص ٢٣٩

(١) ص ١٨٣ .

(٢) انظر الزهر للسيوطي ج ١ ص ١٨٠ .

(٣) المثل السائر ص ١٠٧ س ١٠ .

من ء اظا بدلا من : اظما ، الخ) ؛ كما ترك حركات أواخر الكلمات في أحوال مثل : (ص ٢٣٧ س ٧ رُؤى بدلا من : رُؤى ؛ ص ٢٣٠ بَقى ، بدلا من : بَقى) ؛ وأهل تشديد ياء النسبة باطراد في القافية ؛ (مثل ص ٢٢٠ أسفل) ؛ واستعمل لفظ : مع ، ساكن العين باطراد بدلا من فتحها ، واستعمل هو وهى بالإشباع باطراد بدلا من فتح الواو والياء (ص ٢٣٨ س ١ ؛ ص ٢٤٩ أسفل ؛ ص ٢١٤ س ٢) . ومن مخالفة القواعد استعماله المؤنث على : غضبانته^(١) ، بدلا من : غضبي .

ويدل على قلق في قواعد الإعراب والتصريف استعماله : الوصى ، بالإشباع بدلا من تشديد الياء ونصبها ؛ واستعماله : لا بد أن تحكى ، أيضاً بإشباع الياء بدلا من فتحها (انظر ص ٢٢١ س ١٥ ؛ ص ٢٤٩ أسفل ؛ ص ٢٦٥ س ١٨) ، ومثل : أوترنى بدلا من أوترانى .

ولقد شهد كذلك غربى العالم الإسلامى فى القرن الرابع تحرراً من النماذج والقوانين المتوارثة ، التى أقرها العرف الأدبى فى ميدان الشعر .

بيد أنه فى الوقت الذى اتجهت فيه حركة التحرر المذكورة فى الشرق إلى الموضوع بوجه خاص ، واستنفدت قوتها فى خبث التصوير للرذيلة والسقوط ، واستخدام أساليب المعارضة فى تحقير رفيع الخلال ، وكريم الخصال ، عمد الشعر الأسبانى العربى باختراع « الموشح » إلى إبداع قالب فنى أعلن ثورة فى الأسلوب على العروض القديم حقاً لقد ظهر من قبل بالشرق فى باكورة العصر العباسى شعر الأدوار من المزدوجة والخمسة ؛ ولكن هذا لم يختلف عن قالب الشعر القديم اختلافاً هاماً إلا من حيث الربط بين اثنين أو أكثر من أنصاف الأبيات — وغالباً من بحر الرجز — بقافية واحدة ، لتكوين دور واحد (أ ، ب ، ج ، الخ) ، أو من حيث التأليف بين جميع مصاريع كل دور بواسطة قافية خاصة به ، مع تقفية المصراع

(١) ثبت أنها لغة لبنى أسد .

الأخير من كل دور إلى نهاية الشعر بقافية مشتركة بين جميع أدوار القصيدة (أأأ، ب ب أ، ج ج أ، الخ) .

كذلك ما يشبه الأدوار الشعرية من تأليف أنصاف الأبيات على صورة التصريح أى توحيد القافية بين المصراعين ، لم تشذ في أوزانها عن طريقة العروض القديم . وقد كان أقدم شعر الأدوار في أسبانيا — على سبيل الحدس — يحول أيضا في دائرة بحور العروض الأولى ؛ ولكنه حطم بعد ذلك أسوارها .

وعلى تقرير ابن بسام^(١) ، أنشأ قديما أحد الشعراء في سدة الأموي الأسباني عبد الله بن محمد (حكم ٢٧٥ — ٣٠٠ هـ) ، واسمه محمد بن محمود المقبرى الضرير^(٢) موشحات في القوالب المستحدثة [عبارته : وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهمة غير المستعملة] وهذا لا يكاد يفهم منه إلا أن الموشحات قد أخذت هذه الثروة المتنوعة القوالب من حيث العروض في القرن الثالث الهجرى ، تلك الثروة التى ظهر إلى جانبها الشعر القديم ، بأوزانه الستة عشر ، فقيرا موحد النغمات .

بيد أن ابن بسام قد عدّ الأب الحقيقى لهذا الفن الجديد عبادة بن ماء السماء (المتوفى ٤٢٢ أو ٤١٩ هـ) الذى أبدع فناً ثابت الدعائم ، وابتكر — على الأخص — أسلوب « التصفير » الذى فسرّه ابن بسام ، بأنه يعتمد فيه على مواضع الوقف فى المراكز والظاهر أن مراده بهذا هو الموشحات ذات الأقفال ، التى تتكون من أدوار ، كل دور منها ذو أبيات مجزأة ، توحد صدورها قافية ، وتوحد أعجازها قافية أخرى ؛ مع استقلال كل دور عن الآخر فى قوافى صدورّه وأعجازه ، ثم يختم كل دور بالقفل ؛ وهذا الأخير تتحد قوافيه السائدة فى جميع القصيدة .

وفى الحق تدل موشحتا عبادة ، اللتان ساقهما الكتبى ، على عناية فائقة بإبداع

(١) ذكره ابن شاعر الكتبى فى : فوات الوفيات (١٢٩٩ هـ) ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) انظر : M. Hartmann, Das arabisches Strophengedicht I Das Muwaschah, S. 69

القالب ؛ وكنموذج لذلك نذكر الدور الثانى من الموشح الثانى ، مع قفله :

رشيقة المعاطف كالغصن فى القوام
شُهدية المرافف كالدر فى النظام
دِعصية الروادف والخصر ذو انهضام

جواله القلادة محلولة عقد الإزار

حسنها أبدع من حسن ذبيك الغزال أكل المدمع

فالأجزاء الستة الأولى تؤلف الدور ؛ وما بعد ذلك هو القفل الذى يشتمل على القوافى المكررة فى جميع الموشحة ، وكل دور تقفى أجزاءه تقفية خاصة كما ذكرنا . فالموشحة المذكورة تتألف من ستة أدوار ؛ مطلع الدور الأول :

لله ذات حسن مليحة الحياء

ومطلع الثالث : ليلية الدوائب ووجهها نهار

ومطلع الرابع : سفرجل النهود فى مرمر الصدور

ومطلع الخامس : عفيفة الذبول نقيه الثياب

ويتحد الجزء الأول من القفل مع أجزاء الدور فى الوزن فقط ، أى لافى القافية ، على حين تختلف بقية الأجزاء عنها فى الوزن والقافية ، ولا تتحد أجزاء القفل بعضها مع بعض ، ولكنها تتحد مع أجزاء بقية الأقفال فى الموشحة كلها ، كما ذكر ، أى أن كل جزء يتحد مع الجزء المقابل له ، فقفل الدور الثالث مثلاً كما يلى :

ناديت واقواده من غادة ذات اقتدار

لحظها أقطع من حد مصقول النصال فى الفتى الأشجع

وقفل الدور الأخير :

فى النوم لى شراده وحكمها حكم اقتدار

كلما أمنع منها ، فإن طيف الخيال زارنى أهجع

والقفل الأخير من الموشحة ، وهو الذى يسمى : الخرجة ، هو القمة التى تتجه الموشحة كلها إليها ؛ ولذلك يحسب حسابها من أول الشروع فيها ؛ فجميع الأدوار الأولى عليها أن تجتمع من شقات انتباه السامع لتوجهه إلى القفل الأخير . وهذا عليه أن يرضى تطلع السامع وتشوقه بمفاجأة معنوية ولفظية تشبع ميوله ، وتقنع فضوله ؛ كما يؤخذ معنى ذلك من : « دار الطراز » لابن سناء الملك ، ففي القفل الأخير من هذه الموشحة ، تؤثر هذه الكلمات الأخيرة أعظم التأثير :

... فإن طيف الخيال زارنى أهجع

وفى هذه الموشحة ، كما فى كل موشحة تامة ، تقدم ، على جميع الأدوار ، قفل مماثل لجميع الأفعال ، ويسمى : مطلع الموشحة :

حبّ المها عباده من كل بسّام السّوار

قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنه الأبدع

هذا الفن المتنخل الدقيق من التقفية والتسييط ، الذى يضفر أجزاء متباعدة من الموشحة ويدخلها بعضها فى بعض ، ويطبع جميع الموشحة بأسمى طابع من الكمال الفنى الناضج ، ربما كان هو المعنى « بالتضفير » الذى يُعدّ « عبادة بن ماء السماء » أبا عذرتة .

كذلك الموسيقى التى كانت تلحن لهذه الموشحات — كل الموشحات كان هدفها الغناء — كان عليها أن تراعى هذا التنوع والافتنان ، وأن تأخذ أيضاً طابع التعقيد الحافل بالكمال الفنى .

ولم يكن هذا التكوين العروضى البديع ، المعتمد فى بناء هيكله على قواعد غريبة على الشعر البدوى الفصيح ، ولا ذلك الفن الغنى المتنخل فى التقفية والتصريع ، ولا تلك الموسيقى الرفيعة المعقّدة ، هى كل الخصائص التى ميّزت بين الموشحات ، والشعر الفنى القديم . بل كذلك يحملنا القالب اللغوى لهذا الفن الجديد على ملاحظة التحرر أيضاً من القيود الأولى .

فعلى رأى ابن سناء الملك^(١) ، ينبغي أن تكون « الخرجة » — فيما عدا المديح — لأنها تتضمن اسم المدوح فى هذه الحالة — بعيدة عن أسلوب السخف الحجاجى . (نسبة إلى ابن حجاج الماجن الذى ذكر آنفاً) ، وأن تكون صيغتها على قالب ابن قزمان ، أى فى أسلوب ملحون مجرد من الإعراب ، كما يحسن أن تشمل على عبارات دخيلة أعجمية اللغة^(٢) .

نعم لم يكن من السهل ، مع ذلك التغير الشديد الذى أحدثه ترك الإعراب فى مواد الألفاظ ، صوغ عبارات من اللغة الشعبية تصلح لذلك النظام العروضى العسير ، الذى يعتمد على مقاييس الحركات ، ولا يتحمل التطويل الزائد ، ولا المقاطع المغلقة . غالباً ؛ وعلى ابن سناء الملك أن يذعن لأن الخرجة فى أحوال كثيرة لابد أن تكون فى أسلوب نحوى فصيح ، بل هذا هو المستفيض الغالب فيما بقى من الموشحات .

أما أن رأى ابن سناء الملك فى ضرورة صوغ « الخرجة » باللغة الشعبية الدارجة . لم يكن مجرد نظرية مفترضة ، بل حقيقة عملية ، فهذا ما لا تنحصر الدلالة عليه . فيما ورد من الموشحات الجارية على ذلك ؛ بل ما تدل عليه النماذج الواردة فى ديوان : يهودا هاليفى (المتوفى ١١٤١ م) ، والتى تستعمل العبارات العربية والأسبانية القديمة مختلطاً بعضها ببعض على سواء ؛ كما تدل على ذلك قبل كل شىء موشحات ابن قزمان (المتوفى ٥٥٥ هـ) التى صيغ كل ما وصل إلينا منها باللغة الدارجة .

ذلك أن محاولة نظم « الزجل » أى الموشحة الشعبية الأسلوب ، إنما أمكن التجاسر عليها بعد أن تقدمت الموشحات الفصيحة باقتباس عبارات وجل مبتذلة من لغة الشعب ، وهيات بذلك البصيف والقوالب فى لغة العامة للاندماج فى أوزان الموشحة . على أنه يترأى أن هذا المزج والتقريب بين لغة الكتابة الفصيحة ، واللغة الدارجة العامية ، فى الاستعمال الفنى ، بقى مقصوراً على الأندلس ؛ على الرغم من أن

(١) انظر تلخيص أقوله فى كتاب M. Hartmann السالف الذكر ص ٩٩ فما بعدها .

(٢) ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

أسلوب الموشحة قد شق مجالا لاحتدائه وتقليده خارج الأندلس ، في شمال أفريقية ،
ومصر ، وسورية ، وما بين النهرين .

أما لماذا لم ينفذ إلى العراق ؟ فربما رجع ذلك إلى أن الموسيقى الفارسية هنا
كانت أسبق إلى التغلغل والاستيطان ، إذ أن الموشحة ترتبط بالموسيقى العربية أشد
الارتباط ، وحتى يومنا هذا تكون الموشحة جزءاً أساسياً لا يستهان به في محيط
الموسيقى العربية^(١) .

(١) يشتمل كتاب الأغاني المصرية لمحمود حدى البولاقى على ٥٠٠ صوت منها ١٣٤
موشحة قصيرة ، القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٠٨ .

وصف المقدسى للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامى

إبان القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى

كتاب : أحسن التقاسيم ، فى معرفة الأقاليم ، الذى أكله أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسى^(١) سنة ٣٧٥/٩٥٥ ، والذى يعد أنضج نتاج للعصر الإسلامى الأوسط فى دائرة وصف الدول والبلدان ، لا يحتوى على طائفة صالحة من الأخبار عن الأمور اللغوية فحسب ، بل هو فى نفس الوقت عظيم الفائدة من حيث أسلوبه الخاص .

فكما بلغ المؤلف الذروة فى كلا مقصديه على سواء : من حيث استيعاب النظرة ، وقوة الملاحظة تجاه البلدان والشعوب ؛ ومن حيث الإحساس الدقيق ، والدق المرهف ، أمام الأسلوب الأدبى ، والتعبير اللغوى ، عرف أيضاً كيف يوفق بين مطالب الكتابة فى الناحية العلمية الخاصة ، ومذاهب الأسلوب الأدبى الرفيع .

ويدل استخدام ذلك التعبير البلاغى : التقسيم — يعبر لفظ التقسيم فى اصطلاح البلاغة عن استيعاب أنسام المعنى المراد بيانه — على توفر الميل الأدبى عند المقدسى ، كما يدل على ولعه بالنثر المسجوع ، الذى لم يقتصر على استعماله فى المقدمة ، بل تعاطاه فى مواضع كثيرة من صلب الكتاب .

ولشدة تعلقه بالسجع لا يندر أن يؤثر عبارات متنخلة متخيرة ، مثل استعماله لفظ : أثام ، بمعنى خطيئة ، مريداً به الخمر ، ١٠٤ س ٥ ؛ ولفظ : دقال ، أى قلاع ، بمعنى السفن (ص ٤٥٩ س ١٥) .

كما حُبب إليه محلية عبارته بالافتباس القرآنى ، مثل : من كل فجٍ عميق

(١) « كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » نشره M. J. De Goeje للمرة الثانية سنة ١٩٠٦ (المكتبة الجغرافية المربية ٤) .

(ص ٢٧٨ س ٧ سورة الحج ، آية ٢٧) ؛ وما يدريك (ص ٣٧٨ س ٤) ،
وغير ذلك .

وأحياناً يضمن عبارات أدبية من الذاكرة ، مثل تعبيره عن قمصان الدروع
القديمة التي رآها في تيماء ، والتي بطل استعمالها في أزياء السلاح لعده ، بالدروع
الداوودية (ص ٢٥٣ س ٤) .

وبحكم اعتياده على ملاحظة الفروق بين مختلف البلدان الإسلامية في الكلام ،
والأصوات ، واللغة ، لم يقتصر على ذكر قائمة من العبارات المحلية (ص ٣٠ س ١٥ ؛
— ٣٢ س ٣) بل أكد أيضاً أنه سيتكلم في وصف كل إقليم بلسانه ، وينظر
على طريقته ، ويضرب من أمثاله ، فإذا تكلم في غير الأقاليم — من أجزاء
الكتاب — تكلم بلغة الشام لأنها إقليمه الذي به نشأ^(١) .

ومما يدل على أن مراده من لغة الأقاليم التي يتكلم بها لغة المثقفين لا لغة الشعب
الدارجة ، دعواه أن أصبح العربية يتكلم بها في المشرق ، أى في الإقليم اللغوى
الفارسى ، لأنهم يتكلمونها تكلفاً ، ويتعلمونها تلقفاً ؛ (ص ٣٢ س ٨) .

ومن هذه الناحية كان ذلك الكتاب كنزاً ثميناً من الوجهة اللغوية . فهو يذكر
(ص ٩٦ س ١١ — ٩٧ س ٢) أن أصبح العربية في جزيرة العرب عند هذيل ،
ثم في قس بن ساعدة ، ثم أخيراً بقية الحجاز ، على حين يصف لغة بلاد السواحل
(الأحقاف) بأن لسانهم (وحش)^(٢) .

وفي مدينة الثغر : صُحار ، تسود اللغة الفارسية ، في التجارة والمعاملة . كذلك
الثغران : جدة وعدن ، أكثر أهلها فارس ، بيد أن العربية هي لغة الكتابة والتفاهم .
ويذكر المقدسى قبيلة من العرب في الطرف الحيرى لا يفهم كلامهم (الحيرى) .

(١) س ٣٢ س ٤ .

(٢) « وحش » عبارة يولع المقدسى بكثرة استعمالها ، انظر دى غويه في الفهرست
اللغوى للكتاب .

ومن خصائص لهجة عدن التزام المثنى في جميع الأحوال : يدينه ورجلينه ، مع الجمع بين النون والإضافة ، وجعلهم الجيم كافا ، أو جيا غير معطشة^(١) ، وساق مثلاً لذلك الحديث الذي يقولون فيه بدل لفظ : رجس ، رِكْس^(٢) .

وهو يصف عربية العراق (ص ١٢٨ س ٧ — ٩) بأنها حسنة فاسدة ، والظاهر أن مراده أنها حسنة الوقع في الأذن وإن لم تطابق قواعد النحو ؛ بل هو يعد لهجة بغداد أجمل اللهجات العربية وأحسنها لساناً ، على الرغم من اعترافه في موضع آخر بأنه طالما استحي من اللحن اللغوي على لسان قاضي القضاة ببغداد ، دون أن يرى أحد في ذلك عيباً^(٣) .

ولهجة الكوفة أصبح نسبياً لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ، أماضرة الكوفة القديمة : البصرة ، فإنها منذ استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ تأخرت كثيراً ، بحيث لم يرها المقدسي أهلاً لعدّها في هذا السياق أصلاً ؛ فهو يقتصر على ملاحظة أن اللهجة العربية في البطائح (المستنقعات بين البصرة وواسط) ركيكة قبيحة (ص ٣٢ س ٩ ؛ ٣٤ س ١٦) ؛ ولا شك أن هذا نشأ من اختلاط السكان هناك بين قبائل عربية ، وأنباط . وأخلاف السكان الآراميين القدامى ، وأمشاج الزط الذين أسكنهم الحجاج هناك^(٤) ، وأخيراً العدد الذي لا يحصى من الزنج ؛ وهو يقول عن سكان البطائح باختصار : ليس لهم لسان ولا عقل .

ومثل عربية العراق ، كذلك عربية إقليم ما بين النهرين في حكم المقدسي (ص ١٤٦ س ٢ — ٣) حسنة ، أي حسنة الجرس في السمع ، وإن لم تكن سليمة من جهة النحو ؛ وعلى كل حال فهي من هذه الوجهة أصبح من لغة سورية ، لأن سكان ما بين النهرين عرب بدو في الأعم الأغلب ، كما تدل على ذلك أسماء

(١) انظر في هذا : Marcais, El I, 1090

(٢) انظر البخاري في كتاب الوضوء ولفظ رجس في Wensinck, Concordance

(٣) ص ١٨٣ س ٥ ، وعبارته : كنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من

كثرة ما يلحن ولا يرون ذلك عيباً .

(٤) انظر : El, IV 1337

مناطقها : ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مضر ؛ وهو يمتدح على الخصوص لهجة الموصل بأنها أحسن لهجاتها ؛ كما تمتاز صيدااء بين مناطق سورية ، بأنها (أوحش) لهجاتها (ص ٣٤ س ١٥) .

وعلى الرغم من أن لغة أهل الذمة بمصر (أى المسيحيين) هى القبطية (ص ٢٠٣ س ٥) ، فإن لغة البلاد هى العربية ، وإن كانت لهجة يصفها المقدسى بالركاكة والرخاوة (أى الإهمال من جهة النحو) ، لأن السكان اتكلوا على لسانهم فلم يتكلفوا الأدب ، والكتاب الذين يتمتعون بهذه الثقافة ، يختارون من النصارى (ص ١٨٣ س ٥) .

وأخيراً يجد المقدسى لهجة المغرب شديدة الاختلاف عن عربية البلدان الإسلامية الأخرى ، منفقة عيرة الفهم ، أما البربرية فلا يستطاع فهمها أصلاً ، (ص ٢٤٣ س ١٠) .

وعظيمة الفائدة — بوجه خاص — تلك القائمة ، المشار إليها آنفاً ، من الاستعمالات المحلية ؛ فهى تشتمل على مترادفات من أوصاف الأشخاص والأشياء التى يحتاج إليها المسافر ، وتبادر إلى ذهنه : أنواع السفن ، وأوصاف رجالها ، ومفردات خاصة بالملاحة ، واصطلاحات جغرافية ، وألفاظ المكس ورجاله ، والمقاييس والموازين والحنانات والفنادق والعبيد والخدم ، والمراتب المختلفة ، والأسواق والمتاجر ، والتجار والبضائع ، والأقمشة والثياب ، وأدوات النعال ، والأوعية ، والنباتات ، والحيوانات الأليفة — يضاف إلى ذلك قائمة تشتمل على ٤٩ صنفاً من أجناس التمر ، و ٢٤ نوعاً من سمك دجلة الذى يجلب إلى سوق البصرة (ص ١٣٠ ملحوظة P) — والصيادين ورطانتهم ، وعجلات الرى والسقى ، والقنوات ومجارى المياه ، وأخيراً اصطلاحات الإدارة والحكم .

نعم هو لا يحدد فى ذلك مناطق استعمال كل تعبير ، بيد أن مواضع أخرى من كتابه ، وورود الكلمات فى مظان أخرى ، واشتقاقها اللغوى ، أو بعض التقييدات التى توجد عند كتاب آخرين ، كل ذلك يساعد أحياناً على ذلك التحديد .

وهكذا يبين فهرست أسماء السفن في حكاية أبي القاسم بن المطهر^(١) مثلاً، أن أكثر أسماء السفن الخمسة والثلاثين التي عدّها المقدسي^(٢) كانت تستعمل في العراق — وإن لم يلزم من ذلك اختصاص العراق بها — : جاسوس : سفينة التفتيش ؛ حَيْطِيَّة : سفينة من خشب البلوط الهندي لا توثق ألواحها بالمسامير بل بألياف النخل ؛ زَبَرْب : قارب حربي صغير ؛ طيَّار : قارب سريع للتجديف خاصة ببغداد والعراق ؛ شَذَى : قارب حربي ؛ كما يذكر لفظ : قارب ، المنتشر استعماله في المغرب .
ويبدو أن من خصائص العراق أيضاً لفظ : زورق^(٣) ، قارب ؛ ومِغْبَر (معدية) ومن المستعمل في البلدان الواقعة على المحيط الهندي : يَزَجِه : سفينة لصوص البحر ؛ دُونِيَج : سفينة ذات قلع واحد تسير على السواحل ؛ ومما يدخل هنا أيضاً فيما يظهر : شَنْكُولِيَّة^(٤) وزَنْبُوق Sambuk في حالة ما إذا جعل ذلك بدلاً من شَبُوق^(٥) (ص ٣٢ س ٢) .

ومما يختص بالبحر الأبيض : شَنْدَى : مركب يزنطى لنقل الجنود ؛ شِينَا (سفينة يزنطية كثيرة القلاع Galeere)

وللتعبير عن محرك السفينة (الدفة) تعدّ كلمة : سَكَّان ، أصيلة الموطن بالعراق لصحة وجودها في اللغة المندائية (Mandaëisch^(٦)) واللغة الأكادية في صيغة : سَكَّان ؛ وقد استعمله طرفة بن العبد (١٧ — ٢٨) في سفينة بنهر دجلة ؛

(١) Alulkàsım ein bagdader Sittenbild, hrsg. von A. Mez, Heidelberg 1902

(٢) جمعت المواد المتصلة بهذه الكلمات في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في مدينة (بن) الألمانية : Kindermann : Schiff im Arabisshen, Zwickau 1934

(٣) ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة قصيدة رقم ٢٠ بيت ١٥ والزيفان ٣ بيت ١٥ ورؤية ٢٧ بيت ٣٠ و ٤١ و ٦٥ .

(٤) فسرهما دي غويه في فهرست ألفاظ الكتاب بسفينة لصوص البحر ، على أنها مأخوذة من : شَنْجُول : لس في الفارسية .

(٥) انظر : Kindermann في الأطروحة المشار إليها .

(٦) Johannesbuch 152 l Lidsbarski

والفرزدق (ص ٨٦٨ ديوان) في وصف السفن في الخليج الفارسي^(١) .
أما في المغرب^(٢) فيستعملون في ذلك لفظ رَجُل ، وربما كان ذلك أيضاً في سورية .
وللتعبير عن الملاح يستعمل في سورية لفظ : نوتى ، كما ذكره الجوهري ، وهو
مأخوذ عن اليونانية ، على حين أن لفظ : ملاح ، الذي يرجع أخيراً إلى السومرية
ربما كان خاصاً بالعراق .

ويعتبر العراقيون عن السير إلى أسفل النهر : شَبَلا ، وإلى أعلى النهر : زِقَافاً^(٣) ؛
وقد ذكر المقدسي الاصطلاحين في وصفه للعراق ولغته .
كذلك لفظ قَلَس ، المأخوذ عن اليونانية ، بمعنى حبل السفينة ، الذي ذكره
المقدسي إلى جانب لفظ : حبل ، كان مستعملاً في العراق بشهادة ابن دريد^(٤) .
وتسمى الرياح المساعدة في العراق : شَرَّتَه^(٥) ؛ وفي غيرها (ربما في سورية ؟) :
طارُوس .

وعظيمة هي الفروق في دائرة أسماء المقاييس والموازين والنقد ؛ فمثلاً لفظ : مَنَ
(Mine) معروف في جميع المحيط الإسلامي بمعنى رطلين ، إلا في مكة حيث يستعمل
لفظ : رطل (ص ٩٩ س ٤) ؛ كذلك يستعمل في مكة بدلاً من لفظ : قنطار ،
لفظ : بهار ، ويزن ثلاثمائة رطل (ص ٩٩ س ٩) . وأصغر النقد في كل مكان عادة
لفظ : حبة ، واسمها في عمان : طَسُوَه^(٦) . وهو دليل على اتصال هذا الإقليم بالدولة
الساسانية من الناحية الاقتصادية . فكلمة : تاسوك في الفارسية الوسطى ، وتاسو ،
في الفارسية الحديثة ، وطسُوج ، في العربية ، تعبر عادة — بحسب الأصل — عن

(١) ذكرت مظان أخرى في : Fraenkel Fremdwörter 222

(٢) ذكر Dozy شواهد مستخرجة من رحلة ابن جبير ص ٣٢١ س ٥ والشرح المغربي
لشعر مسلم بن الوليد ص ١٢ س ١٩ .

(٣) انظر المسعودي ج ١ ص ٢٨٢ طبع باريس ، يوافق ج ١ ص ٧٨ س ٧ (طبع
القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

(٤) انظر حكاية أبي القاسم السالفة الذكر ص ١٠٨ س ١ ، وكلا اللغزين مأخوذ عن الآرامية .

(٥) انظر : A. Siddipi, Ibn Duraid 737 وانظر النسبتين : القلاس والفلوسى .

(٦) انظر فهرس الفاظ الكتاب وحكاية أبي القاسم .

(٧) هذا ما يؤخذ من ص ٩٩ س ١٤ ومن عطفه طسوج على حبة في ص ٢١ س ٣ .

رُبْع الدائق ، وبهذا عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار ، ثم عن جزء من الأرض يمكن سقيه برُبْع من الماء . وأخيراً عُبِّرَ به عن الناحية ، لأنها تصور أقل وحدة من وحدات التنظيم الإداري .

وذكر المقدسي من وسائل السقي والريّ إلى جانب لفظ : دُولَاب (الساقية أو عجلة الماء) الفارسي ، ولفظ : حَنَانَة ، العربي ، لفظ زَرْنُوق بمعنى البئر ، وهو لفظ ينتمي إلى الآرامية ^(١) ولا يزال حياً إلى اليوم عند أهل نجد ^(٢) . وفي خوزستان تسمى السواقي : نواعير ، جمع ناعورية أو ناعور ؛ وهذا اللفظ الآرامي الأصل ^(٣) ، كان غير معروف في المغرب ، بحيث وجد المقدسي من اللازم التعبير عنه بلفظ : دواليب (ص ٤١١ س ١١) .

ومن الألفاظ الدالة على سكان الريف ، في مقابلة كل من سكان البادية وسكان الحضر ، يظهر أن لفظ : قرياتي ^(٤) من ألفاظ اللهجة السورية ، ولفظ سوادي من ألفاظ العراق ^(٥) ، كلفظ : رُستاق ، نسبة إلى : رُستاق ، من البهلوية رُستاك ^(٦) . ومن الألفاظ الدالة على السنور ، ثبت استعمال لفظ هرّ ، اسماً مؤنثاً في العربية القديمة ؛ ولفظ : دَمَة ، المأخوذ من : دِمَت ، الحبشية ، يبدو أنه كان مستعملاً في جنوبي الجزيرة ^(٧) . ولفظ : قطة كلفظ : قَطُس ، يبدو رجوعه إلى اللغة المصرية ، وهو منتشر في سورية ومصر وشمال أفريقية . ولفظ : سِنُور ، مستفيض في لغة الكتابة القديمة بالعراق ^(٨) .

(١) انظر : Fraenkel, Fremdwörter 134 واختلط هذا اللفظ على Mez في Renaissance ص ٤٢٤ بلفظ : زرزور .

(٢) Bräunlich, The Well in Ancient Arabia

(٣) Fraenkel في الكتاب السابق ص ١٣٤ و Mez في Renaissance 424

(٤) وهي نسبة عامية إلى قرية ذكرها المقدسي في ص ١٧٣ س ٦ ، انظر دي غويه في فهرس الألفاظ . واستعمل الجاحظ لفظ : فروى في اليان ج ١ ص ٦٨ س ٢٧ و ج ٢ ص ٤ س ٢٧

(٥) انظر : حكاية أبي القاسم ص ١٠٧ س ٨ .

(٦) لسان الرستاق ص ٤٧١ س ١١ هي لغة السهل من كرمان .

(٧) انظر دوزي في المادة .

(٨) انظر كلمات أخرى بمعنى القطعة في الديميري تحت كلمة : سنور .

وفي أسبانيا يسمى عنقود العنب : كرمة ، ويستعمل المقدسي كثيراً جمعه على :
كرمات — وقد أثبت « دى غويه » أنه مغربي في فهرس الألفاظ — في وصفه
للأندلس . وفي المشرق يستعمل بدلا من ذلك لفظ : دالية ، المأخوذ من الآرامية .
وفي موضع آخر (ص ٣٣٥ س ٦) نستفيد عرضاً أن الحديقة تسمى بالأندلس :
مئية ؛ وهناك أيضاً ينبه إلى أن لفظ : إقليم ، يدل في أسبانيا على المنطقة الريفية .

وفي أحوال أخرى يدل الاختلاف اللغوي على اختلاف الثقافة وتضادها بين
سكان البادية ، وسكان الحضر المستقرين ، ذلك التضاد الذي بلغ من البعد بحيث
تصور اللهجات البدوية إلى اليوم وحدة لغوية مستقلة .

فمثلا لفظ : أثافي ، أى حجارة الموقد ، لفظ بدوي ، على حين لفظ : موقدة ،
الذي لم يذكره الجوهري ، مستعمل عند سكان الحضر . زيادة على ذلك يستعمل
المقدسي (ص ٣٦٤ س ١٣) لفظ : ديكدان ، (الأثافي أيضاً) الفارسي ، في وصف
بناء سد يأجوج ومأجوج ، لإعارة هذا الوصف صبغة محلية .

ويبدو أنه يقصد إلى تنويع الكلام وتجميله أكثر مما يرمى إلى التلوين بالصبغة
المحلية ، في ذكر التعبيرات المختلفة عن : الخصى ؛ فلفظ : خصى ، القديم الجاف ،
قد خفف إلى لفظ : خادم ؛ ولما كانت التربية كثيراً من صنعة الأخصياء ، فقد
خطبوا تأديباً بالألفاظ : معلم ، أستاذ ، شيخ . وهكذا يتحدث المقدسي
(ص ٢٤٢ س ١٣) مع « غريب » الخادم عن أمر الخدم ، ويوجه الخطاب إليه
بلفظ : المعلم ، ثم استعمل هذه الألفاظ أيضاً في غير الخطاب بمعنى « الخصى » .

وأحياناً يتعاطى المقدسي ألفاظاً خارجة عن محيط اللغة العربية ، كما في التعبير
عن مجامع الأبنية التي لا تقتصر على تقديم أماكن لراحة المسافرين الأجانب — على وجه
الخصوص — ومحطات لرحالهم ، بل تشمل أيضاً ، كما هو الحال في كبار الفنادق
الحالية ، على مخازن ومتاجر ومصانع ، وتقرن بين صفة دار الضيافة وصفة السوق العامة ؛
وفي هذا يعد لفظ : فندق ، المأخوذ من : پاند كيون اليونانية ، من خصائص سورية

ومصر وشمال أفريقية ، أى منطقة نفوذ الدولة البيزنطية ؛ مثل لفظ : خان فى فارس ؛ ولفظ : تيم فيما بين النهرين ، الذى يستعمله المقدسى كثيراً فى وصفها ، وإلى هذا يستخدم أيضاً اللفظ العربى : دار التجار^(١) .

وإذا كان المقدسى يستعمل زيادة على ذلك للدلالة على ساحات السوق لفظ : قيصرية ، فربما جاز لنا أن نرى فى هذا اللفظ أثر اللهجة السورية ، لأنه راجع إلى أصل يونانى كان جارياً فى تلك البلاد التى خضعت سالفاً للسلطان البيزنطى^(٢) .

وفى التعبير عن استحکامات الأبنية ، يبدو أن لفظ : حصن ، مقصور على جزيرة العرب وسورية وفلسطين ، على حين كان لفظ : قلعة ، يتردد فى محيط أوسع انتشاراً ، وعلى الأخص فى شمال أفريقية وأسبانيا ؛ وبطابقه فى المنطقة اللغوية الإيرانية لفظ : كلات^(٣) ؛ وفى خراسان وما وراء النهرين تسمى القاعة التى توجد فى كل مدينة تقريباً : قهنذر^(٤) ، ومعناه الأصلى : الحصن القديم .

يبد أن عناية المقدسى اللغوية لم تقتصر على العربية ، بل تمتد إلى جميع اللغات التى يجرى الكلام بها فى إيران لذلك العهد^(٥) . وكلامه صريح فى أنه كان يفهم الفارسية إلى حد كبير حتى إنه كان يستطيع أن يحكم على لهجاتها بحسب مكاتبتها من قانون لغة الكتابة .

فهو يسم لهجة نيسابور (ص ٣٣٤) بأنها فصيحة مفهومة غير أنهم يكسرون أوائل الكلم (علامة الفعل الأولى : ب) مثل ييشو ، أى كن ، ويزيدون السين بلا فائدة مثل : بگفتستى .

(١) وعلى عكس ذلك يدل لفظ : خاقاه على الدبر ، فى كرمان ، انظر دى غويه فى فهرس الألفاظ .

(٢) انظر : Streck El 2 706

(٣) انظر فى هذا اللفظ : El

(٤) انظر فى لفظ : قهنذر ، المغرب للجوالقي ص ١٢٢ س ٣ ؛ يافوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٠ ؛ تاج السروس فى السادة ، وهو يطابق فى المغرب لفظ : قسبة ، انظر : El2 . 838

(٥) انظر ص ٣٣٤ س ٢ ؛ ٣٣٦ س ١ ؛ ٣٦٨ س ٩ — ١١ ؛ ٣٩٨ س ٧ — ١٠ ؛

٤١٨ س ١ — ١١ ؛ ٤٨٢ س ٩ .

ويعد لهجتي طوس ونسا قرينتين إلى لهجة نيسابور ، بل أحسن لسانا ؛ كذلك لسان بُست حسنة ، ولهجة سجستان فيها تحامل وخصوصة يخرجون الكلام من صدورهم ويجهرون فيه ؛ على حين أن لسان مرو ومروروز له مهابة وعظمة ، غير أن فيه تحاملا وطولا ومدا في أواخر الكلم ، كذلك لهجة بلخ حسنة إلا أن فيها كلمات تستقبح .

وغاية في القسوة حكمه على لسان هراة (الوحش) ، وهنا يحكى قصة عن بعض ملوك خراسان إذ جمع رجالا من خمس كور خراسان الأساسية ، فلما حضروا تكلموا جميعا ، فقال عن السجستاني : هذا لسان يصلح للقتال ، والنيسابوري يصلح للتقاضى ، والمروزي يصلح للوزارة ، والبلخي يصلح للرسالة (لكتابة الرسائل) ، أما لسان هراة فيصلح للكنيف .

وتشبه اللهجة المروزية لهجة سرخس وأبيورد ؛ وبين المروزية والهروية لهجة جرجستان (جرج الشار) ؛ وبين المروزية والبلخية لهجة جوزجان . وأخيرا تشبه البلخية لهجة طخارستان وباميان ، إلا أن هاتين منفلتان عسيرا الفهم . أما لغة خوارزم فهي لا تفهم أصلا . وقد لفت نظره في اللهجة البخارية تكرار كلمات من الحشو الذي لا طائل تحته ؛ مثل : يكي ، أداة للتفكير ، إلى جانب حرف : ي (ياء التنكير) أو : دانستی ، هل تعلم ؟ . ولكنها لغة البلاط (درية) ؛ لأن بخارى كانت عاصمة الصفريين .

وفي السمرقندية لاحظ المقدسي صوتا بين الكاف والقاف ، والظاهر أنه نوع من الجيم ؛ وعد من لهجات الهيطل لغة الشاش أحسنها . والصغدية تشبه لغة القرويين في بخارى ؛ وهنا يستطرد ملاحظا أن الناس في كل إقليم من الأقاليم التي ذكرها يتكلمون في الريف (الرساتيق) بلسان مغاير للهجة الحضر .

وفي الالهجيتين المتقاربتين : لهجتي قومس وجرجان ، اللتين يصفهما بالحلاوة ، يستعملون علامة الفعل الأولى : هـ ، بدلا من : بـ ، مثل : ها كُن : افعل . ونستفيد في موضع آخر (ص ٣٦٩ س ٤) أن العالم عندهم يسمى : معلما ،

وأن : لوك ، معناه جيد . وقريب إلى ذلك لسان طبرستان الذي يقول المقدسي إن فيه عجلة . أما الديلمية فهي ذات صبغة مخالفة لما تقدم منغلقة عسيرة الفهم . ولفت نظره في الجيلانية حرف الخاء ؛ والخزمية عسيرة الفهم ؛ ولهجة الرى تستعمل علامة الفعل الأولى : رَ ، رَادِه ، رَاكُنْ ؛ وفي همدان يقولون : وَاثِم . وفي لهجة قزوین يستعمل حرف القاف ، ويقولون للجيد : نِجْ . والأصفهانية لهجة (وحشة) فيها مد . ووصف المقدسي حالة اللغة (في ص ٤١٨ س ١ — ١١) في خوزستان فقال إنهم يمزجون بين العربية والفارسية إذ يحسنون اللغتين على سواء ، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلوا إلى العربية . والكرمانية (ص ٤٧١ س ١١ — ١٢) تشبه الخراسانية ، وهي سهلة الفهم على النقيض من البلوصية التي تشبه لغة السند . ثم يصف لغة مكران (ص ٤٨٢ س ٩) بأنها (وحشة) .

وجدير بالملاحظة أن المقدسي يسوق حديثاً مذهيباً يصرح بروح العداء للفرس : « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية »^(١) . وهذا الخبر الذي كشف النقاد المسلمون^(٢) عن شدة الجراءة في وضعه ، تعلمه المقدسي في رامهرمز حيث كانت اللغة الخوزية ، التي لا صلة لها بالعربية ولا بالفارسية ، لا تزال مستعملة على ألسنة السكان .

كذلك نستفيد طرفاً من أسماء الأعلام المعتاد استعمالها في فارس (ص ٣٩٨ س ٤ — ٦) . ففي الرى يقولون بدلا من : على ، حسن ، احمد : علکا ، مسکا ، حمکا ، للتلميح . وفي همدان يقولون بدلا من : أحمد ، محمد ، عائشة : أحمدلا ، محمدلا ، عيشلا ؛ فيضيف الأولون مقطع : — كا ، والآخرين مقطع : — لا ، إلى الأسماء . وفي ساوة يضيفون مقطع : آن ، أبو العباسان ، حسان ، جعفران . وفي كرمان

(١) ص ١٨ : س ٦ — ١١ ؛ انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٩٩ ، ويوجد حديث في كنز العمال ج ٢ ص ١٨٤ يحرم استعمال الفارسية في الحج .
(٢) انظر ابن حبان (ذكره ابن حجر في الموضع السابق) ، والذهبي : ميزان الاعتدال ، وابن حجر : لسان ، تحت : إسماعيل بن زياد .

أحب الكنى : أبو جعفر ؛ أما فى أصفهان فهو : أبو مسلم ؛ وأخيراً فى قزوين :
أبو الحسين .

هذا ، وإن ذلك الطلاء البلاغى ، والافتنان فى أنواع الأساليب التى حلت بها
المقدسى كتابه ، لا يمكن أن يندفع النظر عن أن لغته فى جوهرها من العربية المولدة :
فهو لا يعنى كثيراً بالفرقة بين المقصور والممدود ، وهو يسوق فى قافية السجع
(ص ١٥١) مع لفظ : دنيا ، الكلمتين : لأوى (بدلا من لأواء) وأميا ، الذى
هو بدوره جمع مولد للفظ : ماء^(١) ؛ ومثل (ص ٤٤ س ١٤) لفظ : كرا ، بدلا
من : كراء .

ووردت عنده صيغة « تفاعل » من رأى : ترايا . وهو يصوغ (ص ٢٢٥
س ١٢ ، ٧) جمعا للفظ : مأجن : على مواجين ؛ ولللفظ : أذاة ، ضرر (ص ٢٠٢
س ٣) على : أذايات :

ومن المولد استعماله لفظ : أخير (ص ٣٤ س ١٧) بدلا من : خير^(٢) . ومن
الاستعمال الشعبى الدارج معاملته التركيب الإضافى معاملة اللفظ المفرد ، وصوغه
النسبة إليه على هذا الأساس (ص ٢٠٣ س ٤) كان شفعمويا أبو عمريا (أى شافعى
المذهب يقرأ على طريقة أبى عمرو^(٣)) .

وكثيراً ما يستعمل أوصافاً مختومة بقطع : — آنى ، مثل : بلغمانى
(ص ٤٧٩ س ٩) ، ذنبانى ، كالذيل (ص ٤٠٣ س ١٨) ، طولانى ، طويل
(ص ٤٨٧ س ٣) .

وهو يستعمل لفظ : منبوت : ، بمعنى مُنبت (ص ١٨٣ س ١٩) وداخل ،

(١) انظر : Nöldeke NBSS 168

(٢) Fleischer Beiträge 4, 248

(٣) يقصد أبا الطيب بن غلبون (المتوفى ٣٨٩ هـ) ، انظر : تاريخ القرآن لنولدكه ،

ج ٣ ص ١٧٢ ، ٢١٧ .

مكان : أدخل ؛ ويستعمل مضارع المعلوم : يزن ، يحد ، يقدر ، وربما أيضاً : يقف ، بمعنى مضارع المجهول .

وهو يقول (ص ٤٥٠ تعليق) : أدخلوا به ، أى دخلوا به ، وهو تعبير خطأ الحريري^(١) .

وهو يعدى خطب باللام أو إلى ، فى حديثه عن الأمير الذى يتم له الاعتراف بالولاية بإلقاء الخطبة .

وإلى جانب استعماله لفظ : خاصة ، عند التخصيص ، يستعمل أيضاً لفظ : وبخاصة ، وبخاصية .

وجدير بالملاحظة من تعبيرات الاستعانة بالأداة على تحديد الغرض استعماله : برسم ، بمعنى : لأجل (ص ١٨٨ تعليق ٢) .

ومن الاستعمال الشعبى الدارج استعماله : ترى ، بمعنى : فإذا ، فيكون (ص ٣٦٤ م ٩) .

وهو يستعمل أحياناً : ما ، بمعنى أى شئ .

وهو يجرى على قواعد الإعراب والتصريف بوجه عام ، وإن دل تعبيره (ص ٣٥٨ م ٥) وتراهم . . . حزبان ، بدلا من : حزين ؛ وربما أيضاً (ص ٣٧٧ م ٨) شبه ثوران ، بدلا من : ثورين — فى كلتا الحالتين تظهر موافقة السجع — على أن الشعور الحى عنده إزاء الإعراب غير قوى .

ومن العربية المولدة قبل كل شئ ، المادة اللغوية . ذلك أن وصف البلدان والشعوب الإسلامية ليس من السهل السير بوسائط اللغة العربية القديمة . فنتائج الصناعة ، ومحاصيل الزراعة ، والمهن ، والحرف ، والظواهر المختلفة المتنوعة للحياة اليومية ، ينبغى التعبير عنها بالمصطلحات المتعارفة ؛ وفى هذا تلعب اللغة الفارسية دوراً عظيماً . على أنه هناك أيضاً ، حيث لا توجد أسباب واقعية ، يحبب إليه أن يستخدم

ألفاظاً وعبارات مولدة . ومن أمثال هذه الألفاظ القريبة إليه : على كل حال ؛ بليد ، بمعنى قدر (من الفارسية الحديثة : بليد) ، بلاذه ، قذارة ؛ عَفِن ، غلبة ، بمعنى العصبية .

ومن المعروف أن النسخة التي نشرها دي غويه De Goeje تعتمد على مخطوطتين متغايرتين ، تقدمان صورتين مختلفتين للكتاب . فكثيراً ما تقدم إحداها صيغة شعبية ، على حين تذكر الأخرى صيغة فصيحة مكانها . وفي مثل هذه الأحوال عمد الناشر غالباً — طبقاً للسنّة المتبعة في القرن الماضي — إلى اختيار الصيغة الفصيحة في النص ، والتنبيه إلى الأخرى في التعليق ، وإن ذكرها أيضاً في الكشف لألفاظ الكتاب .

على أنه لا يقتصر الأمر على احتمال تسرب عبارات شعبية إلى النص بسبب تساهل الكتاب — وهذا ينطبق أيضاً بصفة أساسية على جميع النصوص التي لا تتناول بالعناية الدقيقة في الرواية المدرسية ، ولذلك كانت ضحية لإهمال الكتاب وتساهلهم — بل قد حصل العكس أيضاً ، حيث عمد الكتاب أحياناً إلى تصحيح عبارات دارجة في النص من تلقاء أنفسهم .

فمثلاً (ص ١٢٥ س ٢) كتب أحد الكتاب على هامش النسخة : B معلقاً على الجمع الدارج : الأفام (وضع دي غويه : الأفواه اعتماداً على نسخة : C) ملاحظته الاستنكارية : لا يصدق أن المؤلف يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع .

فلو وجدت نسخة أخرى مشهورة ، أخذت عن نسخة : B تلك ، لربما قرأنا فيها العبارة الصحيحة : الأفواه ، بعد التصحيح بناء على التعليق المذكور .

وفي مكان آخر (ص ٣٩٤ س ٣) ساق — على عكس ما سبق — نسخة : C أفام (أو بعبارة أخرى على سبيل التصحيف : أفام) ؛ ولنولدكه NBSS168 (Neue Bemerkungen zur semitischen Sprachwissenschaft) كل الحق إذا ذكر هذا الجمع : الأفام ، من خصائص المقدسى .

كذلك يوجد (ص ٣٠٤ س ١٣) في نسخة : B الحقائق ، وفي نسخة : C الحقيبات ، و (ص ٤٠ س ١٥) أو (٢٣٨ س ٤) الحيلة في : B ، والميلة في : C ، على حين تقدم كلتا النسختين (ص ٤٨١ س ١٠) الصيغة الملحونة : يهوعلون . أما مسألة : كيف كتب المقدسي نفسه في حقيقة الأمر ، فلا يمكن الحكم فيها بصفة عامة . بل لابد في كل حالة خاصة من الفحص الدقيق . وعلى حين يلقي المقدسي وزناً للأسلوب الجود المتخل ، ويكتب فوق هذا في نثر مسجوع ، يتخلى كتاب فيون آخرون ، في قمة العصر الإسلامي الأوسط ، عن كل طلاء بلاغي ، ويستخدمون في كتبهم لغة تعد من العربية المولدة ، لا من حيث قوالها الداخلية فحسب ، بل كذلك من حيث مادتها اللغوية وعباراتها الخاصة كذلك .

وقد حفظ هؤلاء الكتاب من الانزلاق في الشعبية الدارجة بالكلية ، أنهم كانوا لا يزالون يعيشون في جو التراث الحى للثقافة الإسلامية ، والتربية اللغوية . فبوساطة المدرسة والمدارس التي أحاطتهم علماء بالعربية القديمة وأعلامها الأوائل ، وبسبب اعتمادهم في علومهم الخاصة على أسلافهم أيضاً من الوجهة اللغوية ، نجدهم محصنين قليلاً أو كثيراً بسياج من قوانين النحو ، يراعون قواعدها ولو إلى حد معلوم يختلف باختلاف الأشخاص .

وهكذا نجد مثلاً المادة اللغوية التي يستعملها ابن النديم في كتابه الفهرست^(١) ، الذي ألفه سنة ٣٧٧ ، مولدة في الكثير الغالب : أسباب (ص ٥٣ س ١٦) بمعنى أقارب^(٢) ؛ طنز (ص ٨٦ س ١٠) بمعنى مزاح^(٣) ؛ طيب (ص ٤٤ س ١٢) ؛ بمعنى : ذكى ، واستعمله الجاحظ أيضاً من قبل^(٤) ؛ حكاية بمعنى :

(١) أخرجه فلوجل في ليز ج ١٨٧١ م .

(٢) توجد أمثلة أخرى لذلك الاستعمال في باقوت : إرشاد ج ٢ ص ١٣٦ س ٤ ج ٢ ص ٣١٠ س ٦ وغيرها ؛ تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٨٤ س ٢١ وغيرها ؛ أغاني ج ٢٠ ص ١٥٣ س ١٣ وغيرها .

(٣) قال الجوهري عن ذلك : معرب أو مولد ، وانظر جولدزهر JRAS 1912 816

(٤) انظر البغلاء للجاحظ (نشر فان فلوتن وملاحظته على ذلك ص VIII)

خبر^(١) . سائر ، بمعنى جميع^(٢) ، وهو منتقد عند المتزمتين اللغويين .
وهو يستعمل أيضاً صيغاً مولدة مثل : حِلَاب ، جمع حَلْبَة (ص ١١٣ س ٢٨) ،
ومثل ما ذكر ابن خالويه^(٣) أنه مأخوذ من رطانة صبيان الكتاب : حواميم
(ص ٢٦ س ١٤) بدلا من آل حاميم ؛ ومثل النسبة على : جسماني وروحاني
(١٠ س ٢٣) وهولاني ، أي مادي (ص ١٠ س ٧) وصنعاوي أي كيميائي
(٣٥١ س ١٨) وكثير من الألفاظ الدخيلة .

وهولا يكتفي بصوغ لفظ : أولا ، على الظرفية ، بل يصوغ منه أيضاً مؤثنا
على : أوله ؛ وهو ما عده الحريري^(٤) (حوالي سنة ٥٠٠) خطأ لغويا شنيعا على
السنة العوام .

ومن الشعبي أيضاً هذا التعبير : رجع يفعل (ص ٣٣١ س ٤) بمعنى كرر الفعل .
وقوله : وستة سوري ، أي وستة كتب سورية ، لم يطابق بين الوصف والموصوف ،
كما في اللهجات الحديثة في الوقت الحاضر^(٥) .

وكثيراً ما يفصل بين المضاف والمضاف إليه بلفظ معطوف على المضاف ، مثل :
(ص ٧٧ س ٨) أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط
المذهبيين^(٦) ، بدلا من الصحيح : أسماء جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن
خلط المذهبيين وأخبارهم . وكما في هذا المثال المذكور : علماء النحويين واللغويين ،

(١) انظر ماكدونالد في : El II 221

(٢) انظر الحريري : درة القواس ص ٣ .

(٣) كتاب ليس ، حكاية الزهرج ١ ص ١٠٨ .

(٤) درة القواس ص ١٢٦ ، وانظر : Fleischer Beiträge 9. 139

(٥) انظر : قواعد اللغة المصرية العامة تأليف : Spitta Bey ص ٣٩٨ .

(٦) ورد مثل ذلك نادراً في الشعر القديم ، انظر الأعشى قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ .

أما اليوم فهو كثير الاستعمال .

بحده يحذف في مواضع مختلفة أداة التعريف من اللفظ المضاف لوصفه : مشايخ
البصريين (ص ٢٨ س ١٤) أو علماء البصريين (ص ٥٤ س ٢٣) .
وهذا التركيب : في يوم الأحد ، ربيع الأول على سبيل الإضافة الخ له نماذج
قديمة ، وإن لم تجد اعترافاً من النحاة ؛ وهي جارية باطراد في استعمال الحديث .
كذلك من الشعبي استعمال المجرور بدلا من المرفوع ، مثل (ص ٣٢٩ س ٣)
كونين ، بدلا من : كونان ؛ ونسختين ، بدلا من نسختان (ص ٢٧٤ س ٢٦ ؛
٢٧٥ س ٥ ؛ ٢٧٦ س ٦) .

اللغة العربية في عهد السلجوقيين

لم تكد تعمّر قرنين من الزمان مرحلة « عربية الأدب الفصحى » في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، تلك المرحلة التي بدأت في الثلث الأول من القرن الرابع — العاشر ، مع الانحلال النهائي للدولة العباسية ، والتي نشرت لواء عربية الأدب فوق كافة ربوع العالم الإسلامي ، شعاراً موحّداً ، ورباطاً وثيقاً .

ذلك أن الغارات التي نشطت منذ بداية القرن الرابع — العاشر ، فيما وراء النهرين ، والتي أشعل نيرانها السلجوقيون ، بعد أن دخلوا في المحيط الإسلامي لبضع عشرات السنين من قبل ، مقبلين من أبعد نقطة في حدوده الشمالية — الشرقية ، لم تؤد تلك الغارات من الناحية السياسية فقط إلى إنشاء دولة مدت ظلها ، مع الدول التي خلفتها بحكم التوارث الإقطاعي ، على مناطق مترامية الأطراف في آسيا الوسطى والصغرى حتى أواسط القرن السابع — الثالث عشر ، في مدة وجيزة ؛ بل لقد أحدثت أيضاً تغييرات أساسية في ناحية الإدارة والاقتصاد .

فباستيلاء السلجوقيين على الحكم وصل الأتراك ، الذين ينتمون إلى أواسط آسيا ، والذين اعتنقوا الإسلام فيما وراء النهرين وخراسان ، إلى الرياسة والسلطان ؛ فأنخذوا دولة السامانيين ونظمها نموذجاً لهم ، وصارت الفارسية على عهد السلجوقيين لغة سُدّة الملك ، والسفارات الرسمية ، والسياسة ، والأدب والشعر ؛ وأخذت تنافس العربية من خراسان إلى داخل سورية .

وقد كُتب بهذه اللغة كل من كتابي : سياسة نامه ، الذي ألّفه الوزير نظام الملك سنة ٤٨٤ هـ ليقدمه إلى سيده : ملك شاه ؛ والنثر المسبوك ، الذي ألّفه الغزالي لمحمود ، خلف ملك شاه .

وإذا نسب إلى ابن محمود هذا ، السلطان محمود (حكم ٥١١ - ٥٢٨ هـ) أنه كان جيد الدراية بالعربية^(١) ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى تعليماً مؤسساً ، لأن العربية قد حفظت مكاتبتها الفذة من حيث هي لغة القرآن ، والعبادة ، والفقهاء القانوني ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة المحافظة ، التي سار عليها السلجوقيون ، عناية أكثر من أى عهد سابق .

نعم طالما تمتع العلماء والكتاب والشعراء ورجال الفنون من قبل ذلك بالخطوة عند الأمراء ، فعادت هذه الحماية الأدبية على تلاميذهم أيضاً عن طريق مباشر ؛ ولكن الأمراء السلجوقيين هم الذين ربطوا تشجيعهم ومؤازرتهم لرجال العلم بالتكليف الرسمي ، والإسناد العملي .

ولما كانوا مقتنعين بأن بقاء سلطانهم ، وأمان دولتهم ، متوقف على طائفة من القضاة ، ورجال الإدارة ، راسخة القدم في المذهب السني المحافظ ، لا جرم أسس السلاطين والوزراء والولاة وكبار أصحاب المناصب في الدولة ، منذ أواسط القرن الخامس - الحادي عشر ، مدارس قام فيها العلماء المقربون (وأحياناً كبار القضاة) على تخريج النشء المطلوب ، لإدارة الضرائب والدخل والخرج ، ورعاية الفقه والقوانين . وقد كان من أثر التحديد العملي لهذه طبيعة التعليم المذكور ، أن صار الفقه القانوني مركز الدائرة في منهاج التعليم بالضرورة . أما دراسة النحو ، فلم تكن لها إلا دلالة علم اللغة المقدس : *sacra philologia* ، وكان هدفها تعريف التلاميذ باللغة الفصحى .

وتسمح لنا بنظرة في طريقة هذا التعليم كتب أبي زكريا التبريزي (١٠٣٠/٤٢١ - ١١٠٩/٥٠٢) ، الذي ظل عشرات من السنين أستاذاً للعربية في مدرسة الدولة الأولى : المدرسة النظامية ببغداد ، التي أسست سنة ٤٥٩ هـ للفقهاء الشافعي أبي إسحاق الشيرازي .

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٥١٩ (١٢٩٩ هـ) .

فهو يذكر في مقدمة أشهر كتبه : شرح ديوان الحماسة ، كيف اهتدى إلى التفكير في شرح هذا النص . وهو يصدر في هذه المقدمة عن رأى المحافظ المشهور : من أن أشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة ؛ ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب ، الدال على الخطأ من الصواب ؛ وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات ، المفصحة عن المجاز والاستعارات ؛ وعلم الأشعار . وهو يسوق ، للتنبيه على قيمة الشعر ، الحديث المروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكماً »^(١) ؛ ويذكر أيضاً خبراً عن ابن عباس أنه لم يفسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر^(٢) .

وقد ساقه ذلك إلى أشهر المختارات من أشعار العرب : حماسة أبي تمام ، الفصيحة التي تناولها كثير من الشراح . وهو أيضاً كان قد شرحها شرحاً مستوفى ، غير أنه وجد أن أكثر تلاميذه يطلبون شرحاً يفسر الأشعار بيتاً بيتاً ، ليسهل عليهم معرفة ما يشكل في كل بيت منه ؛ وهكذا عقد عزمه على شرح المختارات مرة أخرى ، وهو يريد في ذلك أن يبين اشتقاق أسماء الشعراء ، ثم يفسر الأشعار بيتاً بيتاً على الولاء ، مع شرح الغريب ، والإعراب ، والمعنى ؛ وذكر اختلاف آراء الشراح السابقين في المواضع التي اختلفوا فيها ، وإيراد الأخبار ، أى الأسباب والدواعى التي دعت إلى إنشاء الشعر .

وتبين مقدمة التبريزي المشار إليها أن طلاب العلم ، في أول مدارس الدولة العليا ، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أولى .

(١) الترمذى : أدب ، وانظر مراجع الحديث في ابن حجر : فتح البارى ج ١٠ ص ٤٤٦ ؛ كنز العمال ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ س ٢ ؛ ويتعلق بذلك خبر الخارجى نافع بن الأزرق عن ابن عباس ، المتضمن أسئلة عن مواضع من القرآن ، وتفسير ابن عباس لها ، مستشهداً على تفسيره بأقوال من شعر العرب . وقد وردت هذه الرواية على صور مختلفة كثيراً ؛ انظر المبرد : كامل ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ؛ جهرة أشعار العرب ؛ السيوطى : إتقان ص ٢٨١ — ٣٠٩ وغير ذلك .

وشرح التبريزي ، الذي أريد به أن يسد هذه الحاجة ، والذي احتفظ بمكاته ، من حيث إنه عون مريح على قراءة هذا الديوان ، حتى يومنا هذا ، إنما هو مجموعة تضم ، في مهارة وحذق ، نتائج الجهود التي بذلها علماء اللغة القدامى .
فمثلا فقه لغة الأعلام لشعراء الديوان مأخوذ برمته من مختصر ابن جني (المتوفى ٣٩٣ هـ) المختص بهذا الموضوع : المبهج في أسماء شعراء ديوان الحماسة ^(١) ، دون تسمية ذلك المصدر .

كما يظهر أن الأخبار عن الحوادث التي هيأت الدواعي الخاصة لإنشاء الأشعار ، ترجع بصورة عامة إلى شرح أبي رياش ^(٢) .
وكذلك شرح التبريزي للمعلقات لا يزيد زيادة تذكر على خلاصة بحوث علماء اللغة في القرن الرابع — العاشر ، كما يتبين ذلك من موازنته بشرح ديوان الحماسة الأسبق منه ؛ ولكنه يمتاز أيضاً باختصاره وشموله .

ومما يتسق مع هذه الطريقة المتجهة اتجاهاً كلياً إلى سد حاجات التعليم ، أن التبريزي قد تناول كلا من كتاب الألفاظ ، وإصلاح المنطق لابن السكيت بالدراسة الجديدة الدقيقة : التهذيب ، حيث أكل النصوص ، وذكر أسماء الشعراء ، وشرح الغامض من أبيات الشواهد لفظاً ومعنى ^(٣) .

وخلف التبريزي في المدرسة النظامية زميله ، وسليل وطنه ، من مدينة استرأباد : علي بن أبي زيد (المتوفى ٥١٦ هـ) ^(٤) .

(١) طبع بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٢) انظر في : أبي رياش ، ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٧٤ فما بعدها ، وشرحه لديوان الحماسة ذكر في خزنة الأدب عدة مرات .

(٣) كانت لغة التبريزي الأصلية الفارسية بلهجة أذربيجان ؛ انظر الفصحة المروية في ذلك عند السمعاني : أنساب ١١٠ ب ، وذكرها ياقوت في الإرشاد ج ١ ص ١٧٣ ؛ ونقل ياقوت في معجم البلدان عن التبريزي أنه كان ينطق : تبريز ، بكسر التاء ؛ وليس معنى هذا أنها تنطق كذلك في الفارسية ، وإنما هو تعريب منه لذلك اللفظ ، لأن المترجمين للغويين لا يعترفون باسم على وزن تفعيل بالفتح .

(٤) انظر : نزهة الألباء ص ٤٤٨ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٤١٥ — ٤٢٠ ؛ السيوطي : بنية ص ٣٥١ .

وتدل نسبته التي عرف بها : الفصيحي ، على وجهته وهدفه العلمي ؛ وهو يدين بهذه النسبة لولعه بكتاب الفصيحي ثعلب ؛ الذي كان يحفظه ويكثر من دراسته . ولما كان مجاهراً بنزعتيه الشيعية ، لا يدارى فيها ولا يوارى ، فقد اضطر إلى النزول عن التدريس بالمدرسة النظامية لأبي منصور الجوالقي (٤٦٦ — ٥٣٩ هـ) الذي تسامت عقيدته السنيّة على كل مظنة .

وقد غنى الجوالقي — على النقيض من أستاذه التبريزي — عناية خاصة بمتن اللغة العربية . وكتاب العرب^(١) ، من بين مؤلفاته ، يعد مختصراً — مريحاً — لأعمال أجيال سالفة من الباحثين ، ولكنه لا يكاد يحتوى على رأى جديد^(٢) . كما أن شرحه على كتاب : أدب الكاتب لابن قتيبة^(٣) ، مجهود جد متواضع ، يتلانى أمام الأعين ، إذا وازناه قبل كل شيء بالشرح النفيس القيمة للنقادة البطليوسي^(٤) . والصورة التي يقدمها التبريزي لأخطاط مستوى الثقافة اللغوية في بغداد إبان القرن الخامس — الحادى عشر ، تجد ما يؤيدها ويكملها في كتاب عن اللحن اللغوى على ألسنة الطبقات المثقفة : درة الفواص ، فى أوهام الخواص ، الذى ألفه معاصر للتبريزي ، هو الحريرى ، صاحب المقامات المشهور (المتوفى سنة ٥١٦ / ١١٢٢) . وكما يؤذن به العنوان لا يعنى الكتاب المذكور بالأخطاء اللغوية الجارية على لسان الجماهير العامة من الشعب ، التى كان يوجد إذ ذاك عدد كبير من المؤلفات فيها ، بل بأخطاء الطبقات الرفيعة ، أى الأوساط التى كان الحريرى نفسه ينتمى إليها بأصله ومرتبته .

(١) نشره إدوارد سنخاو فى ليزج سنة ١٨٦٧ م ، عن مخطوط فى ليدن ؛ وأكمل شبتابك بعض ما فيه من السقط بوساطة مخطوطين فى دار الكتب المصرية (ZDMG 33 208 - 224) وتوجد نسخة ناقصة من الأول والآخر فى ميونيخ ؛ فهرست جلازر ١٢٣ .

(٢) انظر العرب ص ٢٦ س ١١ .

(٣) طبع بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .

(٤) نشره : Thorbecke فى ليزج ١٨٧١ ؛ وتشتمل طبعة الجواب باستانبول على شرح الفهاب الحفاجى على درة الفواص أيضاً .

فقد كان الحريري صاحب الأخبار بالبصرة ، كما أن أباه لم يكن من الأغنياء
فحسب ، بل كان كذلك رجلاً ذا ثقافة خاصة^(١) ، بحيث اهتم بأن يتلقى ابنه العلم
على أشهر نخبة البصرة لذلك العهد : الفضل بن محمد القصباني^(٢) .

والحريري يمثل مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتزمت ، والأخطاء التي يثيرها في
درة الفواص ، هي في أغلب الحالات نفس الأخطاء التي لاحظها ابن قتيبة قبل ذلك
بقرنين ونصف في كتابه : أدب الكاتب ؛ محليات تسربت تدريجاً إلى
لغة المثقفين .

يبد أن أعظم من تلك الأحوال إفادة ، ما ذكره الحريري من الأخطاء التي
وقع فيها معاصروه من شدة حرصهم على سلامة التعبير ، فلم يصيبوا القصد ، لتلاشي
الشعور اللغوي ، والدوق العربي السليم عندهم ، تجاه طبيعة اللغة الفصيحة .

وهكذا نراهم يستعملون مثلاً الإعراب ، في حالة سرد الألفاظ دون تركيب جمل ؛
فهم يعدون : واحد ، اثنان ، ثلاثة الخ (ص ١٧١) بالإعراب ؛ مع أن الإعراب
إنما يصح في حالة التركيب ، وفي سياق الجملة ؛ ولهذا تستغنى مجاميع الحروف المذكورة
في أوائل السور عن كل إعراب ، ولا تقبل الجمع ؛ فمثل صيغة : حواميم ، بمعنى
السور المبدوءة بحاميم ، إنما هي مسخ وضع بدلاً من : آل حاميم ، أو ذوات حاميم .

ومن الترتيب الخالي من الإعراب : بين بين ، صباح مساء ؛ وهما ليسا منصويين
على الظرفية ، وإنما ختما بالفتحة مراعاة لجمال الصوت . ولكن معاصري الحريري
يقولون بدلاً من التعبير الأول : بين البين (ص ٦٣) ، على حين يستبدلون من
الثاني خطأ : صباح مساء ، على الإضافة أيضاً .

(١) يؤخذ هذا من درة الفواص ص ٧٩ س ١ .
(٢) ذكره الحريري في درة الفواص ، ص ٣١ ، ٤٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ؛ ويؤخذ
من نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٤٢٥ (انظر ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ١٤٣ والسيوطي :
بنية ص ٣٧٣) أنه مات في السادس من صفر ٤٤٤ هـ ؛ فإذا صح هذا فلا بد أن يكون ميلاد
الحريري متقدماً على ما ذكر بعشر سنوات على الأقل .

ويدل على اضطرابهم وعدم تمكنهم في استعمال الإعراب ملاحظه الحريرى من أنهم يخلطون بين : بكم ثوبك مصبوغا ، وبكم ثوبك مصبوغ : فالأول سؤال عن ثمن الثوب ، والثانى سؤال عن ثمن الصباغة ؛ والفرق بينهما مثل الفرق بين : فى دارى زيد قائماً ، أى زيد فى دارى وهو قائم ؛ وفى دارى زيد قائم ، أى زيد قائم فى دارى^(١) .

كذلك تلاشى عندهم الشعور بالفرق بين المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم ؛ ولذلك استعملوا فى أمر الغائب صيغة المضارع المرفوع : يعتمد ، بدلا من الصحيح : ليعتمد .

وكذلك لم تعد لهم ألفة بصيغة المضارع المؤنث للمخاطب والغائب فى حالة الجمع ، التى استعوض عنها فى اللغة الدارجة بصيغة المذكر ، والتى امتازت فى اللغة الفصيحة بنون النسوة ، مثل : يكتبن وتكتبن ، إزاء المذكر : يكتبون وتكتبون ، فعمدوا إلى التفرقة بين الجنسين بمجرد التاء أول الفعل فى حالة جمع المؤنث الغائب (تكتبن) ظناً منهم أن التاء هى علامة التأنيث فى صيغ المضارع .

وعلى عهد الحريرى كان التنوين قد أهمل فى اللغة الدارجة منذ زمن طويل ، ولهذا كان خطأ المثقفين فى استعماله غير قليل . فقد صاغوا مثلاً : دنياً ، أى عالماً (ص ٧٠) ، وهو استعمال غلط ؛ ومن العجيب أن ابن برى دافع عنه ، كما تسرب إلى الحديث فى نصوص البخارى^(٢) ، على الرغم من أن أكثر النحاة قد أدركوا الوجه الصحيح من أن « دنيا » على أنه وصف لمؤنث أدنى غلبت عليه الاسمية ، لا يقبل التنوين أيضاً فى حالة التكثير .

وزيادة على ذلك ، اختلطت فى العربية المولدة علامات التأنيث ، من التاء والألفين المقصورة والمدودة ، وهذا يوضح أن معاصرى الحريرى غيروا لفظ : عزلاً .

(١) انظر الحقاى على درة القواس ، ص ٢٤٧ س ١ .

(٢) القسطلانى ج ١ ص ٥٦ .

بمعنى فم الزادة ، إلى عَزَلَة (ص ١٦٦) ، واختفى تدريجاً أيضاً الفرق بين ألف القطع وألف الوصل ، ونشأ من ذلك أن وقع بعض المثقفين في أخطاء من هذا النوع . وينحى الحريري بشدة اللائمة (ص ١١٨) على صيغة : ابنت ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، وهي خلط بين صيغتي : بنت وابنة .

وأجرى حكم الفعل المعتل الياء على الفعل المضعف في اللغة الدارجة ؛ ولهذا بالغ معاصرو الحريري في إجراء الفعل المضعف مجرى السالم ، فقالوا : سارره ، بدلا من : ساره (ص ٨٥) ؛ كما صاغوا من أفعال معتلة أوزاناً على قياس الفعل الصحيح ، مثل : مَشَوْرَة ، بدلا من مَشُورَة (ص ٢١) ، وكما في اسمي المفعول : مبيوع ، بدلا من : مبيع ، ومصوون ، بدلا من : مصون (ص ٥٩) .

كذلك لم تتوفر لديهم الخبرة باستعمال فعلى المدح والذم : نعم وبئس ، لعدم جريانها في اللغة الشعبية ، ففي اللغة الفصيحة يتطلب كلا الفعلين إلى جانب الاسم المسند إليه المدح أو الذم ، اسما مرفوعاً آخر يعين موضوع الجملة برمتها : نعم الرجل زيد ، بمعنى : أى رجل جدير بالمدح هو زيد ، أما : نعم الرجل ، فقط ، فهو مدح لمبهم بلام الجنس ، محتاج إلى التمييز . وإذا قيل : نعم ما فعلت ، فهو كذلك محتاج إلى تمييز المفعول ؛ وعلى هذا خطأ الحريري ما يقوله معاصروه ، مثل : نعم من مدحت ، وبئس من ذممت^(١) .

وكان اسم الموصول القديم في اللغة الشعبية قد تحول إلى الصيغة الجامدة : اللى ؛ واستعمل أيضاً في مصدر الجمل المصدرية ، مثل : أن فعل كذا ؛ ولهذا استعمل المثقفون على عهد الحريري صيغة اسم الموصول القديم أيضاً : الذى ، متصدرة الجملة المصدرية ، فقالوا مثلاً : الحمد لله الذى كان كذا ، أى : أن كان كذا (ص ١٦٢) .

ومن المشهور في قواعد النحو أن الفعل المسند إلى المتنى والجمع الظاهرين الواقعين

(١) انظر شرح درة القواس للشهاب الحفاجى ص ١٨٨ وانظر : Nöldeke NBSS 219

بعد الفعل ، يلزم حالة الإفراد ، ولكن اللغة الشعبية طابقت هنا أيضاً بين الفعل والفاعل (كما في لغة أكلوني البراغيث) ، وعلى هذا طابق معاصرو الحريري أيضاً بينهما (ص ١٠٨) .

كما عاملوا لفظي : كلا وكلتا معاملة المثنى ، فأخبروا عنهما بصيغة المثنى ، وقالوا : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين خرجتا ، مع أن القصيح : خرج وخرجت ؛ وإن ورد الاستعمالان في شعر الفرزدق^(١) ، ديوان ص ٣٤ بيت ١ (درة ص ١٠٣) . وعلى حين تقع في الأمثلة التي ذكرنا أخطاء ناشئة من شدة الحرص على سلامة اللغة ، ومواقفة القواعد ، تدل أخطاء أخرى أثارها الحريري أيضاً على مبلغ ضعف شعور المثقفين ، وقلة خبرتهم بالعربية الفصيحة .

فهم لم يعودوا يلاحظون أن أسماء الآلات تتميز بالميم المكسورة في أول الكلمة عن أسماء الأمكنة والأزمنة ؛ ولذلك يستعملون مثلاً لفظ : مَرَوْحَة ، لافي معنى الموضع الكثير الريح ، بل في معنى ما يروح به (ص ١٥٦) .

كما لم يفرقوا بين الاسم الدال على المرة الواحدة وهو : فَعْلَة بفتح القاء ، والاسم الدال على هيئة الحدث وهو : فِعْلَة بكسر القاء ، والاسم الدال على القِلَّة ، وهو : فَعْلَة بضم القاء (ص ١٧١) .

وأهلوا جمع القلة ، فقالوا مثلاً : ثلاثة شهور ، بدلاً من : ثلاثة أشهر (ص ١٦٣) . واستعملوا في صيغة الاستفهام لفظي : أو ، وأم ، دون فرق ولا تمييز ، على حين أن الفصيحة تستعمل : أو ، في الاستفهام عن أحد الشيئين ، مثل : أزيد عندك أو عمر ؟ بمعنى هل أحد هذين عندك ؟ وتستعمل : أم ، في الاستفهام عن التعيين ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى قد علمت أن أحدهما عندك ، ولكن أيهما الذي عندك ؟ (ص ١٩٥) .

(١) وقد اجتمعا في قوله :

كلاماً حين جد الجرى بينهما قد أقلما وكلا أنفيهما رابى

وانظر الحفاجي على الدرة ص ١٤٧ ،

كما لم يفرقوا بين : نعم وبلى ، فيضعون كلا منهما موضع الآخر ؛ وموضع نعم هو جواب الاستخبار المجرد من النفي ، وموضع بلى هو جواب الاستخبار عن النفي ؛ ولهذا وقعت في جواب قوله تعالى : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » (آية ١٧١ من سورة الأعراف) ؛ قال ابن عباس : لو أنهم قالوا : نعم لكفروا ، (ص ١٩١) .

وأخيراً يمكن التنبيه إلى الأحوال التي لم يلاحظ فيها معاصرو الحريري قواعد حذف علامة التانيث وإثباتها . فقد صاغوا قوالب مثل : امرأة شكورة وصبورة ، على حين أن هذه التاء إنما تدخل في اللغة الفصيحة على وزن : فعول بمعنى مفعول ، لا بمعنى فاعل (ص ١١٢) ؛ ومثل هذا قولهم جُبَّةُ خلقة ، والصواب جُبَّةُ خلق ، لأن العرب ساوت فيه بين نعت المذكر والمؤنث (ص ١٦٣) . وكما قالوا ضُبَّعة ، (ص ٧٤) ورِخْلَةٌ وهي الأتى من ولد الضأن ، والصواب : ضبع ورِخْل ، لأنهما لا يكونان إلا مؤنثين .

وينكر الحريري جمع : جوالق على : جوالقات ، وصوابه : جواليق ؛ والجوالق الفرارة . (ص ١٩٠) ؛ على أن جمع المؤنث السالم قد انتشر انتشاراً واسعاً ، على حساب جمع التكسير ، للفرد المذكر ، بحيث ذكر الحريري عدداً كبيراً من الشواذ في ذلك الباب : جمع حمام ؛ خيال ، جواب ، مكتوب ، مقام ، مَصَّام ، إوان ، وهو حديدة تكون مع الرائض ، ويوان بكسر الباء وضمتها وهو عمود في الخباء ؛ وجمع أسماء الشهور : شعبان ، شوال ، المحرم ؛ والألفاظ الأعجمية : ساباط ، سرادق ، إيوان ، هاوُن ، سِجِلٌ ؛ كما في جمع تصغير المفرد المذكر مثل : دريهمات وبُويبات .

وهذه الحرب التي حمل الحريري لواءها في درة الغواص ، لم تستخدم تجاه أخطاء متفرقة من الحماقات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هي موجهة إلى الروح اللغوية السائدة في العصر الأوسط على الإطلاق .

وهو يمثل مذهب اللغويين البصريين المتطرف المتزمت في « تنقية اللغة العربية » ؛ فهو يتطلب مثلاً أن يقال : جاء القوم بأجمعهم ، بضم الميم ، على أنه

جمع للفظ : جمع ؛ على خين يجوز ابن قتيبة^(١) وابن السكيت ، إلى جانب هذا ، أن يقال : بأجمعهم ، بفتح الميم ، على أنه لفظ : أجمع ، المستعمل في تثنية كيد^(٢) . وهو يقصر استعمال لفظ : ندى ، على : ندى المرأة ، على الرغم من ورود هذا اللفظ للرجل أيضاً ، حتى في الحديث^(٣) .

وفي تأريخ الأيام يغلط الطريقة المتبعة (ص ٧٥) : في عدم أيام الشهر ، بأن يقولوا : لأول يوم من الشهر ، مستهل الشهر ، لعشرين خلت من شهر كذا ؛ سالكا في التاريخ مذهب المتزمتين القدماء^(٤) كما ذكره أبو على الفارسي في تذكرته : وعلى هذا يقال في أول الشهر : أول يوم من شهر كذا ، أو غرة شهر كذا ؛ واليوم الثاني : لليلتين خلتا ؛ واليوم الثالث إلى العاشر : لثلاث ليال خلون ، لأربع ليال خلون الخ ؛ واليوم الحادي عشر إلى الخامس عشر : لإحدى عشرة ليلة خلت الخ ، واليوم الخامس عشر : منتصف شهر كذا ؛ واليوم السادس عشر إلى اليوم العشرين : لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم الحادي والعشرين إلى الثامن والعشرين : لعشر ليال بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم التاسع والعشرين لليلتين بقيتا من شهر كذا ؛ واليوم الثلاثين : سلخ شهر كذا^(٥) .

ويتمسك الحريري ، في النظرية المتعلقة بلفظي : من ومنذ ، بمذهب سيبويه ، الذي يخصص الأولى بابتداء المكان ، والثانية بابتداء الزمان . ولم تقتصر معارضة ذلك على الكوفيين ، بل عارضه أيضاً بعض العلماء من صفوف البصريين ، كالملبرد^(٦) .

(١) أدب الكاتب ص ٤٤٣ .

(٢) إصلاح المنطق ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) انظر الشهاب الحفاجي على درة الفواص ، وانظر : Nöldeke. NBSS 121

(٤) انظر أدب الكتاب لأصولي ص ١٨٠ فا بعدها .

(٥) هذا التزم في التعبير لا يقول عليه أكثر العلماء ؛ انظر الشهاب الحفاجي على الدرة

ص ١١٤ — ١١٧ .

(٦) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٦٣ فا بعدها .

وفي مسألة الألفاظ الأعجمية ، يمثل الحريري الرأي القائل بوجوب ضغط اللفظ الأعجمي في قالب عربي ، وطبعه على ذلك النحو بالطابع العربي .
وعلى هذا يجب أن يقال : شِطْرَنَج بكسر الشين ، بدلا من فتحها ، ودستور بضم الدال بدلا من فتحها ، وسِرْدَاب بكسر السين بدلا من فتحها ، وهاوُن بضم الواو بدلا من فتحها (ص ١٣١ ، ١٠١ ، ٤٩ ، ١٧٧) ولكنها قوالب بقيت غريبة في الاستعمال الحى ، لأنها لديه غير مألوفة ، ولجراتها — فى بعض الأحيان — على تحويل المعنى والدلالة كما فى تغيير اسم المدينة المعروفة : سامراء ، إلى : سُرْمَن رأى (ص ١٨٠) .

كما تمسك الحريري بمذهب البصريين فى النسبة ، من وجوب النسبة إلى صيغة المفرد ، ما لم تكن صيغة الجمع علما (ص ٥٣) على الرغم من وجود صيغ قديمة ، مثل : الأنصارى .

وجدّد التنبيه — الذى لم نجد فتىلا — إلى منع النسب إلى مجموع صيغة التركيب الإضافى وما شاكله ، فلا يقال : رامهرمزي ودارقطنى ، بل رامى ودارى (ص ١٥٣) .
أما تصحيحه تصغير مختار على : مخيّر ، وتخطئته مخيتر ، فهو ضرب من ضروب التزمّت البالغ أقصى درجات التطرف ، ومثلها كثير فى أوزان التصغير^(١) .
وفى كل هذا ، لم يخل الحريري من الترجيح الاختيارى ، بل التصحيح الخاطى تماما فى بعض الأحيان .

فهو يذهب (ص ٩٩) — مع ابن قتيبة^(٢) — إلى أن لفظ : بصُر ، بضم الصاد ، خاص برؤية البصيرة ، وأبصر ، خاص برؤية العين ؛ على حين أن فى آية (١١) من سورة القصص : « فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ » ، أى رأتة بالعين .
وهو يرى أن لفظ : ركاب : أى مركب السلطان مثلا ، خطأ ، لأنه يرى أن الركاب اسم يختص بالإبل (ص ١٣٠) ، ولكنه أخطأ فى ذلك ، لأن معنى

(١) انظر تركة الألباء ص ٢٠٠ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٨٠ .

الركاب هنا هو آلة الركوب المعلقة في السرج ، ويستعمل في كل من الفارسية والتركية أيضاً ، كالعربية ، كناية عن سير الملك ، تأدبا مع الملوك^(١) وهو يريد تفسير لفظ : زوج ، بأنه أحد الزوجين ، المرأة أو الرجل ، ويخطئ إطلاقه على مجموع الاثنين أيضاً (ص ١٨٥) وهو خطأ لأن الاستعمال الثاني أيضاً معروف قديماً وحديثاً .

ولفظ : قَيْنَة : معناه في لغة العرب الجارية المغنية بوجه خاص ، والأمة بوجه عام ؛ وإذا قصره الحريري على التفسير الأخير ، مزيفاً الأول (ص ١٩٧) فهو يتابع في ذلك أبا عمرو بن العلاء^(٢) ، الذي ربط هذا اللفظ بكلمتي : قين ، أي حداد ، وقَان القين الحديد ، سواء ، ووجد معنى : الأمة ، بذلك أنسب ، لما فيه من معنى الخدمة والامتهان .

وينتقد الحريري (ص ١٢٩) مع ثعلب^(٣) : ركض الحصان بمعنى جرى ، مفسراً معناه بضرب الحصان بالرجلين لكي يسرع . وهذا خطأ لأن الفاعل ورد لازماً بمعنى جرى ، ومتعدياً بالمعنى الذي ذكره .

وهو يفرق — بحق — بين : بَشارة بفتح الباء ، وبِشارة بكسر ها ، وبُشارة ، بضمها ، فهي بالفتح الجمال والحُسْنُ ، وبالكسر ما بشرت به من بشرى ، وبالضم حق ما يعطى على البشارة بالكسر ؛ أما قوله : إن البشارة بالكسر لا تستعمل إلا في الخير ، فيرد عليه بأنها تستعمل في الشر مجازاً ، مثل قوله تعالى : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (آية ٢٤ من سورة الانشقاق) .

أراد الحريري أن ينفخ من روحه في المربية القديمة الفصيحة ، ليبعثها إلى الحياة من جديد ؛ بيد أن القوة الكامنة ، والنشاط المتجدد في حياة اللغة الشعبية الدارجة الحية ، كان أقوى من كل مبادئ المتزمتين وتعاليمهم .

(١) انظر الفهاسب الحفاجى ص ١٧٣ ؛ وانظر : El III 251

(٢) انظر في هذا : Geyer : Zwei Gedichte (SWA 192,3) 2,61

(٣) فصبح ثعلب ص ٩ س ٢ (نشر : Barthi)

نعم ، بل لقد انزلق الحريرى نفسه فى التيار ، فلم يندر عنده اللحن والخروج على القواعد التى قررناها فى « الدرّة » .

فبدلاً من لفظ : أول ، بضم اللام ، تعثر قلمه فكتب : أولاً^(١) ، اللفظ الذى خطأه (فى ١٢٦)

وعلى النقيض من تعاليه (ص ١٨٢) ، استعمل لفظ : حساب ، بمعنى : حسابان^(٢) .

وهو يعلم (ص ١٢٩) أن فعل : سقط فى يده ، فعل غير شخصى ملازم للبناء للمجهول ، ومع ذلك يكتب فى مقاماته (ص ٣٩٦ س ٣) سقط الفتى فى يده . وهو يؤكد فى الدرّة (ص ٩٥) أنه لا يجوز صوغ الرباعى المضعف من أسماء العدد ، بل الثلاثى فقط مع أنه يقول فى مقاماته : فترجع صاحب بيمنتته فى نظمه ، وتسبع صاحب ميسرته على رغبة ؛ فخالف نفسه .

وهو ينبه فى كلامه (ص ٤٣) إلى أن لفظ كافة لا يعرف باللام ولا بالإضافة ، وأنه لا بد من تنكيره ونصبه على الحال ، حتى وإن قال ذلك ابن قريعة القاضى (المتوفى ٣٦٧) ؛ ومع ذلك يقول هو فى موضع آخر (ص ١٧٦) : اتفق كافة أهل الملل .

وهو يزعم أن وزن : افعل ، يقال فيما تمكن واستقر وثبت واستمر ؛ أما إذا كان اللون عرض بسبب يزول ومعنى يحول فيقال فيه : افعال ، مثل اصفار واحمار . ولكن هذه الدعوى غير معروفة ؛ على حين أنه نفسه يقول فى المقامة الحرامية : فازورت مقلته واحمرت وبجنتاه ؛ وقال فى موضع آخر : اسود العيش الأبيض .

وهو يحذر من سوء استعمال علامات التأنيث ، ولكنه يقول (ص ٥٥ س ٤) : غزالة ، بمعنى ظبية .

(١) درة ص ٧٦ س ١٤ .

(٢) انظر الحفاجى ص ٢٣٣ س ٣ .

وبهذا يقدم الحريري البرهان على أن الملاحظات العميقة ، والتعليقات الدقيقة لمذهب المتزمتين الذي يمثله في الدرة ، لم تكن — عملياً — مستطاعة التنفيذ .

هذا ، بيد أن كلا من النتاج الأدبي اللامع ، كمقامات الحريري ؛ والملاحظات الدقيقة ، البعيدة الغوص على الأخطاء اللغوية ، عند المثقفين ، كدرة الفواص ، لم تستطع أن تقف التطور اللغوي في سبيله التي سلكها .

فلا ذلك الانحلال المطرد في الدول الإسلامية ، ولا الاضطرابات الداخلية في دولة السلجوقيين ، ولا تلك الحروب العنيفة المحترمة في وجه الصليبيين (١٠٩٥ — ١٢٩١ م) ، ولا الدويلات التي قامت بالشرق ، كانت تسمح بتهيئة الجو الصالح ، والبيئة المواتمة للعناية بالتراث الأدبي التليد .

حقاً لقد لقيت كتابة الحريري عن الالحن اللغوي في دوائر الطبقات الخاصة ، اهتماماً كبيراً عند صدورها ، وأثارت حلقات من النزاع المستعر الذي تجاذبه عدد من مشاهير اللغويين في القرن السادس — الثاني عشر . بيد أن كتب مناقشتهم ومنازعاتهم إن دلت على شيء ، فإنما تدل على مبلغ ضعف الإحساس اللغوي العام ، وفي دوائر اللغويين الإخصائيين بوجه خاص ؛ كما تدل على مدى ضعف ملكة النقد والتحصيل عندهم ، بحيث لم يعودوا يستطيعون إدراك الفروق الأساسية بين العربية الفصيحة ، والعربية المولدة ، فاتجهوا إلى الاعتراف بألفاظ ، وقوالب ، وتعبيرات مولدة ، بل شعبية دارجة أحياناً ، على أنها صحيحة في العربية الفصيحة ، ما دام قد ثبت ورودها في كتابة القرون الثلاثة الإسلامية الأولى ؛ وهم حملوا — من أجل ذلك — على تزمت الحريري حملة شعواء ، واختلفوا فيما بينهم على أي الظواهر اللغوية التي غلطها الحريري يمكن تصحيحها وتسويتها ؟

وهكذا كتب صاحب الحواشي على الصّحاح ، المصري المشهور : ابن برّي (٤٩٩ — ٥٨٢ هـ) تعليقات برهن فيها على صحة عدد كبير من العبارات التي خطأها الحريري ، وعدّها ابن وطنه الشهاب الخفاجي (حوال ٩٧٩ — ١٠٦٩ هـ) بعد

حوالى خمسمائة عام ، متأثراً بمذهبه ، جذيرةً بإدماجها فى شرحه على درة الفواص^(١) .
وهذه التعليقات تتم على ضعف وتخاذل كبير فى ملكة النقد والحكم الصحيح ؛
فمثلاً لا يستطيع ابن برى أن ينكر أن مادة : ش وش ، غريبة على العربية ، وأنها
من خصائص اللغة المولدة^(٢) ؛ بيد أنه يصحح عريبتها ، اعتماداً على أن الليث
صرح بذلك^(٣) .

كما حاول أن يمحو الفرق الواضح بين عبارتي : مخوف ، أى حصل الخوف منه ،
ومخيف ، أى مولد للخوف ، بأنه فى حالة قولنا : الطريق مخوف لا بد من تقدير
مفعول محذوف ، تقديره : أخاف الطريق زيذا الهلاك ، وإذا قلنا الطريق مخيف ،
فالطريق ليس هو المخوف منه فى المعنى ، وإنما المخوف منه فى المعنى هو الهلاك
والعطب ، واستنتج من ذلك أن مآل المعنيين واحد ، وكلا التعبيرين صحيح^(٤) .

وكذلك الأمر فى حجية الحديث فى شئون اللغة ، فكون الحديث غير حجة
فى أمور اللغة ، لعدم التعبد بلفظه ، حقيقة كان فى وسع كل عالم باللغة ، حتى فى هذا
العصر المتأخر ، أن يكون على علم منها ؛ ولكن ابن برى لا يكتفى باتخاذ الحديث
مصدراً للغة ، بل يمول فى ذلك أيضاً على الروايات التى ثبت ضعفها ، حيث أثر
الأخذ بالرواية : « بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ » بدلاً من الرواية المستفيضة « بُعِثْتُ
إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ » ، أى إلى العرب والعجم ، واستدل بذلك على صحة التعبير
الأول فى المعنى المذكور^(٥) .

أما ما كان يفهمه ابن برى من مبدأ « تنقية اللغة العربية » فبدل على ذلك
كتابه : « أغلاط الضعفاء من أهل الفقه من أقطار مختلفة »^(٦) ، وهو عبارة عن

(١) انظر الشرح المذكور من ٦٣ من ١١ ، من ٧٣ من ١١ ، من ٩٨ من ١٧ .

Nöldeke. ZDMG 537

(٢) انظر فى تسريبها من الآرامية :

(٣) خفاجى من ٦٢ من ١٧ .

(٤) خفاجى من ٢٤٨ من ٣ .

(٥) خفاجى من ٢١٩ ، وانظر فى الحديث : مسلم كتاب المساجد .

(٦) نشره : Ch. Torrey فى Nöldeke-Festschrift, Orientalische Studien I.

ثبت جاف لنحو مائة حالة من الاستعمالات اللغوية المنشورة بين الفقهاء التي يبدها ابن برى بعبارات يعدها فصيحة . دون شرح ولا تعليل . ويوجد بينها بعض الأحوال المعروفة من كتب علماء اللغة المتشددين على أنها أخطاء مشهورة : مثل حذف همزة المد في كلمة : ولاء ، أى السيادة على الرقيق (ص ٢١٨ س ٣) ، ومثل معاملة الفعل المهموز اللام على نمط المعتل اللام (ص ٢١٥ س ٣) : بِدَايَة ، بدلا من : بُدَاة ؛ (ص ٢١٥ س ٦) مِيضَاتٌ ، بدلا من مِيضَاة ؛ ومثل إبدال حرف بحرف دون مسوغ ، مثل (ص ٢١٩ س ١٢) مَزْدَغَة ، بدلا من : مِصْدَغَة ؛ ومثل (ص ٢١٩ س ٤) نَحَاص ، بدلا من : نَحَاس ، تاجر الرقيق ؛ و : ص ٢١٩ س ٣ : هَذَر ، أسرع ، بدلا من حَدَر ؛ و ص ٢١٩ س ٢ : بَشِيمة ، بدلا من : بِشِيمة ، محل الولد ؛ و ص ٢١٩ س ١٢ : دَشِيش ، أى الدقيق الخشن ، بدلا من : جَشِيش^(١) . ومثل الخلط بين : قسم بكسر القاف بمعنى : حصة ونصيب ، وبين قسم بفتح القاف بمعنى المصدر أى التقسيم ؛ ثم الأحوال الكثيرة التي استعملت فيها صيغ مولدة ، مثل : مُصَلَّاة ، بدلا من : مُصَلَّى (ص ٢٢٠ س ١٤) ، ومثل : أَجِنَّة ، بمعنى حدائق (ص ٢١٦ س ٢) وَأَصْعُ جَمْعاً لَصَاعٍ بدلا من أَصْوَعُ (ص ٢١٨ س ٧) ومثل : حَزَرَاتٍ بسكون الزاى ، بدلا من فَتَحَهَا ، بمعنى خيار المال (ص ٢١٧ س ٢) ؛ ثم أحوال مثل : جَذْعَة بسكون الذال بدلا من فَتَحَهَا ، بمعنى الحَمَل الصغير (ص ٢١٧ س ٣) وبكرة بتحريك الكاف بدلا من تَسْكِينَهَا ، بمعنى العجلة التي يدور عليها حبل البئر (ص ٢١٦ س ٤) ومثل : شَوْرَة العروسة ، بدلا من : شَوَار العروس (ص ٢٢٠ س ١٤) .

وفى الأفعال يهتم بوجه خاص بالخلط فى تضرير الفعل ، ولا سيما فى أسماء الفاعل والمفعول ، واستعمال المجهول خطأ^(٢) .

كما اهتم اهتماما خاصاً بالألفاظ الأعجمية التي ينظر إليها ابن برى بنظرة المتزمتين اللغويين ، فهو يطلب : صابوره ، وهو ما تثقل به السفن من متاع ، بدلا من :

(١) انظر : R. Mielck, Terminologie und Technologie der Müller- und Bäcker im islamischen Mittelalter 37

(٢) كنز العمال ج ٢ ص ٣٠٢ .

سابوره ، من الكلمة اللاتينية : Saburra ومعناها الرمل ؛ ويطلب : قدّس ، ويجمع على أقديس ، ومعناه السطل ، بدلا من الكلمة ، اليونانية الأصل بنفس المعنى : قادوس ؛ ويطلب : حصّ ، بدلا من : حبّس ؛ ويطلب : زنبيل بكسر الزاي بدلا من : زبيل ، أو زنبيل ، بفتحها ؛ ويطلب : مروروذ بتخفيف الراء الثانية بدلا من تشديدها ، وهي كلمة معربة عن : مرورود ، ناحية من فارس ؛ ومرود اسم نهر . ويطلب جمع اللفظ القبطي : قمّس ، على : قوامسة ، بدلا من قوامسة ، خالطاً في ذلك بين الكلمة القبطية المذكورة بمعنى نائب البطريرك ، وبين الكلمة اللاتينية الأصل : قورمس ، وهي تسمية كانت تطلق بالآندلس على رئيس الطوائف المسيحية .

كما النبس عليه (ص ٢٢٠ س ٦) لفظ : بعوث ، الوارد في كتاب منسوب إلى الخليفة عمر^(١) ، بمعنى عيد الفصح عند المسيحيين ، فطلب تصحيحه على : بعوث ، بالغين المعجمة . ولفظ : بعوث يرجع إلى السريانية ، ومعناه فيها بحسب الأصل : صلاة ، ولا يدلّ فيها بوجه عام على مطلق التغني بالدعاء ، بل معناه عند المسيحيين الملكانيين ، أغنية خاصة^(٢) .

كذلك في تفسير الغريب الوارد في الحديث ، لا يصادف ابن بري دائماً كثير من التوفيق ؛ نعم هو يفرّق تفرقة صحيحة بين لفظي : باسور وناسور (ص ٢٢٠ س ٨) ، وهما تعبيران وردا في مجاميع السنة مختلفين مختلفين^(٣) ؛ ولكنه يخطئ حيث يصحح (ص ٢١٩ س ١٤) لفظ : أرض بؤر^(٤) ، بفتح الباء ؛ لأن ضم الباء الذي يخطئه هو ، يؤيده اللفظ السرياني : بؤرا ، الذي أخذ منه اللفظ العربي .

(١) كنز العمال ج ٢ ص ٣٠٢

G. Graf, ZS7, 240 und 244

(٢) انظر :

(٣) انظر البخاري : تقصير الصلاة ، حيث ذكر : بواسير ، على الوجه الصحيح . وسنن

أبي داود : صلاة ؛ وابن ماجه : إقامة الصلاة ، حيث ورد على عكس ذلك : ناسور .

(٤) لم يقتصر ورود هذا اللفظ على الحديث المذكور في لسان الميزان ج ٣ ص ٤٢٦ ، كما

ذكره العقيلي ، بل ورد كذلك في مواضع أخرى ، مثل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

أكيدر صاحب دومة الجندل ؛ ابن سعد ج ١٢ ص ٣٦ س ٢١ .

هذا ، وقد كتب أيضاً تعليقات في مناقشة « درة الغواص » ابن ظفر^(١) ، الذي توفي في « حماة » بعد مغامرات كثيرة سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨^(٢) ، والذي كتب أيضاً شرحين على مقامات الحريري .

وعلى نفس الطريقة أيضاً كتب العالم اللغوي البغدادي : ابن الخشاب (المتوفى ٥٦٧ هـ) نقداً على الدرة ، ووقع من أجل ذلك في نزاع مع « ابن بري » الذي كتب كتاباً في الرد عليه^(٣) . والظاهر أن ذلك الاختلاف حول تصحيح بعض العبارات التي خطأها الحريري .

وأخيراً تلاشى الإحساس اللغوي تجاه سلامة اللغة كل التلاشي ، حتى عد بعض النحاة ظواهر لغوية مولدة ، من اللغة الصحيحة الفصيحة ، لمجرد أنها وردت — عرضاً — في حديث ينسب على أي وجه إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

فقد أراد بعضهم أن يصحح العبارة التي وردت في شعر رؤبة (قطعة رقم ٢١ آلورد) : كاد أن يفعل ، بدلا من الفصيحة : كاد يفعل ، اعتماداً على أنها وردت في الخبر : كاد الفقر أن يكون كفراً^(٤) ، على أن أبا البركات بن الأنباري (٥١٣ — ٥٧٧ هـ) قد ردّ على ذلك بأن « هذا الحديث إن صح — لم يرد هذا الحديث في الجامع الصحيح — فزيادة : أن ، من كلام الراوي لا من كلامه عليه السلام ، لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد »^(٥) .

وعلى الرغم من هذا فقد لقي الرأي القائل بحجية الحديث في أمور اللغة تأييداً مطرداً . ويقال إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة^(٦)

(١) انظر ياقوت : إرشاد ج ٧ ص ١٠٣ ؛ حاجي خليفة ج ١ ص ٤٨٤ (١٣١٠ هـ) وقد ظن أنه شخصان لشخص واحد .

(٢) كذا ذكره ابن العماد الأصمعي الذي كان من معارفه . أما التاريخ الذي ذكره ياقوت في الإرشاد ج ٧ ص ١٠٢ والذي يذكر في مواضع أخرى وهو ٥٦٥ ، فهو لا يكاد يصدق ، لأنه قد ثبت أن ابن ظفر ظل يمارس التعليم والاقراء حتى سنة ٥٦٦ هـ ، وانظر : ZDMG 42, 626 .

(٣) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٤٨٥ .

(٤) السيوطي : الجامع الصغير ، وانظر ابن الديبع : تمييز الطبيب من الحديث ص ١١٤ ، (طبع ١٢٤٧ هـ) وفيه أحاديث أخرى تشتمل على ذلك التعبير .

(٥) لاصاف ص ٢٣٤ (نشر : Weil) .

(٦) انظر ابن الضائع في شرح الجمل ، كما هو مذكور في خزانة الأدب ج ١ ص ٥ س ١٢ .

هو النحوى : ابن خروف^(١) ، الأندلسى ، الذى اختلّ فى آخر عمره ، ومات فى حلب فى أوائل القرن السابع الهجرى ، والذى نال شرحه على : « الكتاب » لسيبويه ، و « الجمل » للزجاج ، حظوة كبيرة .

وتبعه فى ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتداد والاهتمام بالحديث ، حتى إنه عاون « اليونينى » على تصحيح نسخة من البخارى ، وألف مصنفًا خاصًا فى تفسير بعض النصوص الصعبة من الحديث^(٢) . وهو يرى أن القرآن هو أوثق المصادر وأصحها فى أمور اللغة ، وتجيء أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك مباشرة فى المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدويين من الأعراب فى المرتبة الثالثة^(٣) . وقد أدى به هذا إلى تصحيح تعبير مثل : أكلونى البراغيث ، لجرد أنه ورد مثله فى حديث رواه البخارى ومسلم ، وصيغته : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار »^(٤) .

وتوسع الاستراباذى ، الذى كتب حوالى سنة ٦٨٣ هـ شرحه على متن الكافية لابن الحاجب^(٥) ، فى صحة الاستشهاد فى أمور اللغة أيضاً حتى بأهل البيت . وبهذا طرأ على طبيعة العربية تحول حاسم .

وهكذا لم تعد عربية الأدب فى العصر الإسلامى الأوسط منذ مختتم القرن الهجرى الثالث ، لساناً طبيعياً لطائفة لغوية من الشعوب ، بل لقد تحولت إلى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أساساً لتكوينها الحقيقى ، وطابعها الداخلى . ولم تعد

(١) المقرئ : نفح الطيب ج ١ ص ٩٠٠ ؛ السيوطى : بنية ص ٣٥٤ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٥ ص ٤٢٠ وتختلف الروايات فى هذه المراجع اختلافاً كبيراً .

(٢) انظر : ZDMG 92 81 f .

(٣) الكنى : فوات التوفيات ج ٢ ص ٢٨٨ (طبع ١٢٩٩ هـ) ؛ السيوطى : بنية ص ٥٥ ؛ المقرئ ج ١ ص ٦٠٨ .

(٤) البخارى : مواقيت الصلاة ، التوحيد ؛ مسلم : مساجد ؛ مالك : موطأ (زرقانى ج ١ ص ٣٠٨) ؛ النسائى : الصلاة ؛ وفى البخارى : بدء الخلق ، ورد التعبير القصيح : الملائكة يتعاقبون الخ ؛ وأظهر من ذلك نفس الموطأ (زرقانى ج ١ ص ٣٠٩) إن لله ملائكة يتعاقبون الخ .

(٥) انظر : خزنة الأدب ج ١ ص ٤ وفى ترجمته انظر الخزنة أيضاً ج ١ ص ١٢ — ١٤

العناية بسلامة اللغة من حيث ظواهر الإعراب والتصريف ، التي ضعف إحساس الكتاب بها ، أهم من العناية بمحشد طائفة من العبارات القديمة ، والاستعمالات العربية الغريبة ، التي تقحم إقحاماً ولكن دون اقتصار على حدود استعمالها البدوي القديم . وقد كان يبلغ تمسك الكاتب باللغة الصحيحة ، ووقوفه عند مبدأ تنقية اللغة ، يختلف إما باختلاف الموضوع الذي يتناوله ، أو باختلاف الثقافة اللغوية التي حصل عليها ؛ وفي بعض الأحيان كانت لهجة وطنه الذي نشأ فيه تلعب دوراً هاماً في تحديد تعبيره .

وكما أخذت الرابطة التي كانت تربط بين جميع البلدان الإسلامية من ناحية الثقافة والعلم ، تضطرب عُراها ، وتضعف أواصرها ، بسبب الحروب المتتالية ، ازداد الانحلال والانحطاط في المستوى اللغوي والثقافي العام ، واستقل كل إقليم بثقافته الخاصة ، ولهجة لغوية محلية .

وتقرير ابن الصلاح (٥٧٧ — ٦٤٣ هـ) من أن كثيراً من شيوخ عصره لا يدرون ما يروون ، ولا يضبطون ما في كتبهم ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته ، لا ينطبق على المحدثين فحسب ، بل على جميع العلماء في عصر السلجوقيين بوجه عام^(١) .

وإزاء هذا التحول الكبير لم يكن من المستغرب أن تتكاثر الأخطاء واللحن في قواعد العربية الفصيحة ، وأن تنضج اللهجات المولدة بقوة أشد من ذي قبل على لغة الأدب ، وأن تأخذ هذه اللغة في كل إقليم طابعها المحلي .

وهكذا يجري الفارس العربي المشهور : أسامة بن منقذ (٤٨٨ / ١٠٩٥ — ٥٨٤ / ١١٨٨) على الحدود والقوالب العربية المتوارثة في أشعاره ؛ بيد أنه في الحديث عن ذكرياته ، ومغامراته التي شهداها في حياته — تردد مجرى حياته في

(١) انظر عبارة ابن الصلاح المذكورة بنهاها في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (على هامش القسطلاني ج ١ ص ٢٠) .

المرحلة الكثيرة الزعازع والقلقل المحدودة باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس سنة ١٠٩٩/٤٩٢ واسترجاع صلاح الدين لها سنة ١١٨٨/٥٨٣ — يخرج عن قيود اللغة الأدبية، فيكتب في أسلوب عربي طبيعي بسيط، يبدو فيه كثير من الطابع العام المتعارف اليوم في اللغة العربية — السورية.

وحتى النحوى ابن يعيش (١١٥٨/٥٥٣ — ١٢٤٥/٦٤٣) يتنازل في شرحه للمفصل عن التظاهر بالأدب، فيكتب في أسلوب عادى ركيك.

وفى تراجم الأطباء التى كتبها معاصره المتأخر عنه قليلا: ابن أبى أصيبعة^(١).
(١٢٠٣/٦٠٠ — ١٢٧٠/٦٦٨) نستفيد معرفة لغة المسامرة والحديث التى كانت سائدة بالقاهرة بين الطبقات المثقفة لذلك العهد.

وفى ذلك تقدم لغة كل كاتب فى ذلك العصر المتأخر، مشا كلها الخاصة؛ ولا بد من محاولات كثيرة لكشف النقاب عن جميع هذه التفاصيل.

(١) انظر : Aug - Muller) über Text - und Sprachgebrauch von Ibn abi Usaibias Geschichte der ärzte, in SMA 1884, 853 - 977

عود على بدء

جاء السيل المغولى ، الذى أصاب فى الصميم بلداناً كان لها التصدر فى قيادة ركب الثقافة والمدنية فى العالم الإسلامى ، والذى اكتسح خلافة بغداد (١٢٥٨/٦٥٦) فأكمل حلقة الختام لمرحلة الانحلال فى تاريخ اللغة العربية ، أى المرحلة التى بدأت بقيام دولة السلجوقيين ؛ وبهذا تقطعت الخيوط الأخيرة من الثقافة التليدة المتوارثة فى الأقاليم التى تغلغل فيها المغول . وما ظهر بعد ذلك فى تلك الأقاليم من حركات تتجه إلى النهوض على استحياء ، لم تكن له صلة مباشرة بالقديم الغابر . . .

وقد برزت « مصر » إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامى منذ ذلك العهد ؛ فقد نجت من عاصفة المغول ، وصارت — تحت إمرة سلاطين المماليك بعد رد الصليبيين على أعقابهم — أولى دول الإسلام العظمى .

ذلك أن الثراء الواسع العريض ، الذى قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى ، فى القرنين الثامن والتاسع (الرابع عشر والخامس عشر) ، قد هيا الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية ، وساعد على إنشاء نهضة أدبية فى مصر وسورية ، تميزت — من الوجهة اللغوية — بظهور التعبيرات المحلية المصرية .

ولقد دامت هذه النهضة قرنين من الزمان ، ولكن كشف البرتغاليين طريق البحر إلى شرق الهند كان من أثره المباشر خرق امتياز مصر التجارى ، والقضاء على ذلك الثراء العظيم . وبهذا فقدت مصر سلطانها المسيطر ، واستولى العثمانيون عليها فى سنة ١٥١٧/٩٢٣

وعلى غرار مصر ، خضعت كل البلدان الناطقة بالضاد ، على وجه التقريب — ما عدا مراکش — ، من قبل أو من بعد ، لسلطان العثمانيين .

وتشمل المرحلة التي بدأت بذلك العهد ، ممتدةً إلى آخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أحلك قرون التاريخ العربي ، لا من الوجهة السياسية فحسب ، بل من الوجهة اللغوية كذلك .

وعلى النقيض من هذا تبدو المرحلة الحديثة ، التي تلت ذلك ، نيرة مشرقة مشمولة بالنور التاريخي الساطع . وتبدأ هذه المرحلة الأخيرة بحملة « نابليون » على مصر سنة ١٧٩٨ م ، مقترنة بشعار تنظيم نفسها ، وترتيب أمرها ، تجاه العالم الغربي . فإدخال النظم الغربية الذي بدأ على يد « محمد علي » وإقامة المدارس والمعاهد على النمط الأوربي ، وتغذيتها بالعلماء الأوربيين ، وإرسال الشباب المصري إلى الجامعات الأوربية ، وتأسيس مطبعة للدولة ، وإصدار صحيفة رسمية ، وإنشاء مكاتب للترجمة تقوم على تعريب عدد لا يحصى من المؤلفات الأوربية في شتى أنواع العلوم والفنون ، تيسيراً لتناولها في العالم العربي ؛ كل ذلك عاد على اللغة العربية — في مصر بادية ذي بدء — بآثار بعيدة المدى في التأثير .

وما يشهد بذلك تلك الألفاظ الدخيلة من اللغات الأوربية : أولاً من الفرنسية والإيطالية ، وأخيراً من الإنجليزية .

وقد أدت كثرة ذلك الغريب ، المهدد لكيان العربية ، إلى قيام حركة مضادة ، تدعو إلى استحضار الماضي العظيم ، وإحياء تليد الحضارة والثقافة من التراث القديم . وقد أعلنت تلك الحركة عن نفسها ببعث لغوى جديد ؛ فطبع منذ ذلك العهد ما لا يحصى من كتب الأدب العربي في جميع العصور بالقاهرة وغيرها ، وأدى الاشتغال بالآثار الأدبية من مخلفات العصور الفائرة إلى نشوء حركة « التنقية اللغوية » نشأة جديدة أخرى .

ولم يقف الأمر عند نشر المؤلفات الكثيرة في النحو العربي وما إليه من المعاجم العديدة الأجزاء ، بل اشتدت العناية أيضاً بالبحث في مسائل الاستعمال اللغوي ، وصواب التعبير . وقد استعيض فعلاً عن كثير من الألفاظ الغربية ، بصيغ عربية حديثة .

ومن أعمال المجمعين العلميين في القاهرة ودمشق إيجاد ألفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات ، لاسيما في دائرة الشؤون الهندسية ، والآلية ، والطبية ، والكيميائية ، والطبيعية ، وغيرها مما أنشأته الحضارة الغربية الحديثة .

وهذا الكفاح في وجه « الغريب » يدور في الأعم الأغلب حول مذاهب الاستعمال اللغوي ، وتوفير المادة اللغوية المولدة ، وتيسير النقل المجازي ، ومسألة الوضع الحديث .

على أنه لا يتعرض بمساس للنقل الغربي في الأمور العملية ، واقتباس الأشياء والمدلولات الغربية الأصل . فمثلا الحقيقة الثابتة من أن الشرق مدين للغرب بالسيارة ، لا يمحوها استعمال هذا اللفظ الفصيح : سيارة ، ومعناه الأصلي : قافلة ، بدلا من : أوتوموبيل .

وأهم من ذلك أن حركة « تنقية اللغة » تقصر نقدها غالباً على ظواهر وسائل التعبير ، على حين أن بواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الأوربية ، المتغلغل خفياً دون انقطاع . فالمصري الحديث الذي يستعمل هذا التعبير : (تحية) قلبية ، في موضع : herzlich, heartily, Cordial ، يعترف بالتأثير الغربي من وجهة مضاعفة : فهو يصوغ على نموذج أوربي ، من اسم عربي ، بوساطة نسبة عربية ، وصفاً لا يجوز حسب القواعد العربية الفصيحة صوغه من أسماء الأعضاء الجسمية ؛ كما أنه من ناحية أخرى يخالف مذهب لفته التي تعدُّ القلب مركز العقل والشجاعة ، فينسب إليه مشاعر وإحساسات تنسبها العربية الأصيلة إلى الكبد أو الضلوع أو الأحشاء .

ومثل هذه الترجمة المعنوية ، التي هي العادة المتبعة في عربية الصحافة بوجه خاص ، تقرب الشقة بين العربية الحديثة ، وبين اللغات الأوربية الراقية تقريباً بيننا ، بحيث قد يتأتى في المستقبل عدُّها عضواً في الرابطة اللغوية الأوربية بالمعنى الذي قصد إليه : تروبتسكوى Trubetzkoy .

يبد أن الآثار البعيدة العمق ، التي تركها الغرب في العربية الحديثة ، لا تقتصر على العربية الفصيحة ، بل كذلك اللهجات المحلية آخذة في التغير البطيء المتواصل الخطى بوساطة التأثير بالغرب . فقد كان من أثر انكماش الأمية أن تغفلت لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ، ومفرداتها ، في دوائر كانت لا تعرف من قبل سوى العامية ، كما تعمل الصحافة عملها أيضاً في ذلك الاتجاه .

ومما يوحد الألسنة وينفي الفروق اللغوية ، التجنيد في الخدمة العسكرية ، إذ يجمع الرجال من المناطق اللغوية المختلفة في حياة واحدة .

وأبعد من ذلك أثراً ما تقوم به في هذا السبيل مسارح السمر الشعبي ، التي تقدم الأغاني والمقطوعات الفنية .

ومما يعمل على الانسجام وتقريب الألسنة بوجه خاص : المذيع ، والحاكي ، والخيالة (السينما) الناطقة .

ولما كانت مصر قد تقدمت خطوات فسيحة في ميادين النقل الآلي والفني المشار إليها ، فقد يكون متيسراً أن تصبح لغة التحدث القاهرية هي المثل الأعلى للعالم العربي خارج مصر في نواحي النطق الصوتي ، والتعبير السائد ، والمادة اللغوية ؛ وأن بعيد التاريخ ثانية لمصر تلك المكانة التي حققت لها تصدر في طليعة البلدان الناطقة بالضاد على عهد المماليك في القرنين السابع والثامن (الثالث عشر والرابع عشر) .

وقد ظهر أخيراً أثر آخر من آثار التأثير بالغرب ، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر ، تنحي بالنقد على العربية الفصيحة نفسها ، وتتحدث عن صيغ التعليم اللغوي بصيغة جديدة ، توأمت قواعد التربية اللغوية الحديثة .

وقد كان لزاماً على العربية الفصيحة أن تقضى على تلك الحركة ، لأن انتصارها قد لا يبقى أثراً للنحو العربي ، بل لما هو أهم من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية يتعسر أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة

رابطاً عاماً لكل البلدان الناطقة بالعربية . وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ، رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطيء الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية .

ملحق

مادة : لحن ، ومشتقاتها

يتطلب معنى اللحن اللغوي أن يكون الصواب متقدما عليه . وكلاهما يمكن حصوله وتصوّره إذا تجاوز التفكير في اللغة خطوات نشأتها الأولى . بيد أن مثل هذا التفكير والتأمل في نشوء اللغة كان بعيدا كل البعد عن عرب البادية قبل الإسلام .

حقا كان لهم ذوق مرهف ، وإحساس ناضج كل النضج بجمال اللفظ المنطوق : سواء في الخطاب البسيط المألوف ، أم في النثر الفنى المسجوع وغير المسجوع ، أم في الكلام الموزون المنظوم . كما عرفوا أيضا تلك العوائق الحسية والنفسية التي تعترض النطق ، وتؤثر في المنطق ، فيعني^(١) الخطيب أو يرتج عليه .

ولاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللّفة ، والرتة^(٢) ، واللجلجة ، والحبسة ؛ بل لاحظوا أيضا خصائص من اللهجات واللغات الخاصة^(٣) ؛ ولكنهم لم يعرفوا كتبها للخطأ في القواعد والخروج على النحو .

وهذا اللفظ القديم : اللّحن ، الذي يطلقه علماء اللغة والنحو اصطلاحا على : الخطأ في اللغة ، إنما اكتسب هذا المدلول نتيجة لاتفاق عرفي على تغيير معناه الأصلي في وقت متأخر .

والمدلول الأصلي للفظ : لحن ، بفتح الحاء ، هو : مال ؛ وتفسر المعاجم دون ذكر الشاهد : لحن إلى ، بمعنى : مال إلى^(٤) . ومن هنا تدل مشتقات هذه المادة

(١) انظر مثلا المفضليات قصيدة رقم ٩١ بيت ٢٣ ؛ الخطيئة : ديوان ص ٧٧ س ١٩ .

(٢) انظر النسبة بالأرت مثلا (الجهرة لابن دريد ص ٢٢٧ س ١٥) .

(٣) انظر الكامل للمبرد ص ٣٦٤ (نشر : Wright) .

(٤) قرن الزمخشري في كتابه : الفائق ج ٢ ص ٢٢١ لحن إلى لحد بمعنى ضل ؛ ومسألة تعلق

المدتين مع : لحظ ، بمعنى أصلى واحد ، ترجع إلى مبحث الاشتقاق الأكبر .

على معان تتميز بالإشارة إلى الميل والتحول عن الهيئة المألوفة . وهذا لا يعنى أن الحالة للمألوفة هي الصواب ، وأن الميل والتحول عنها يؤدي إلى الانحراف والخطأ ؛ كما لا يعنى أن المقصود هو التحول إلى الصواب والحق .

وعلى هذا فمعنى : لَحْنٌ على وزن : فَطْنٌ ، سريع الميل والالتفات ، أى حَوْلٌ قَلْبٌ ، وهذا معناه الفطن الأريب ؛ وهكذا يصف لبيد مثلاً (قصيدة رقم ١٣ بيت ٣ ؛ ص ٦١ نشر الخالدي) وليداً يمانياً مَرِنًا على الكتابة :

متعود لَحْنٌ يعيد بكفه قلماً على عُسْب ذَبْلَن وبان

وفعل : لحن بكسر الحاء يفسر على ذلك بمعنى : فطن ؛ ومصدره : اللَّحْن بفتح الحاء ، كما في بيت قعنب بن أم صاحب^(١) الذي عاش في عهد الوليد بن الملك :
[غَمَسْتُ عَنْهُمْ وَمَا ظَنُّي مَخَافَتَهُمْ] وسوف يعرفهم ذو اللب واللحن^(٢)
وقد روى أيضاً^(٣) أن اللَّحْنَ بسكون الحاء مصدر لَحَنَ بفتحها ، ورد بمعنى الإصابة والفطنة كذلك .

وأفضل التفضيل : لَحْنٌ ، ورد في حديث مستفيض روى في كل مجاميع السنة^(٤) بحث المؤمنين على الصدق والحق إذا تقاضوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) :
« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، فَلَئِنْ بَعْضُكُمْ أَن يَكُونَ لَحْنٌ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » .

ولما كان معنى اللحن في هذا المثال الأخير متحققاً في أن يكون أحد الخصمين أعرف بالبابس حالته حُلَّة من البلاغة المُنْعَنَة — في بعض الروايات بدلاً من : لعل بعضكم

(١) انظر التبريزي : شرح الحماسة ص ٦٣٦ (نشر : Freitag) .

(٢) الصول : أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ والظاهر أن هذا البيت من الأبيات التي رواها ابن الشجري لقعنب المذكور في مختاراته ص ٧ — ٩ .

(٣) انظر القالي : أمالي ج ١ ص ٥ ص ١ .

(٤) مالك : الموطأ ، كتاب الأفضية (الزرقاني على الموطأ ج ٣ ص ١٧٩ ؛ البخاري : كتاب الأحكام) (وانظر فنسك : فهارس الأحاديث ج ٢ ص ٣٧) .

أن يكون ألحن : لعل بعضكم أن يكون أبلغ^(١) — فقد استعمل لفظ : اللحن ،
بسكون الحاء ، في معنى : التعبير بصورة مخالفة للمألوف بوجه عام ، ويدخل في ذلك .
الغناء ، بمعنى أن اللحن غالباً هو النغمة^(٢) المخالفة للمألوف في أصوات الغناء .

ويمكن استعمال اللحن مجازاً أيضاً في هديل الحمام وغنائه^(٣) . فقد قال شاعر
بدوى من شعراء القرن الثاني : هو جهم بن خلف^(٤) ، في أبيات له^(٥) :

تغنّت عليه بلحن لها يهتج للصب ما قد مضى

وقال في مكان آخر^(٦) :

مألوفة الألحان مطراب الضحى تبكي بشجو دائم وتوجع

وفي قصيدة نسبت إلى جحدر ، أحد لصوص العرب ومعاصر الحجاج ، قال
في حامتين^(٧) :

تجاوبتا بلحن أعجمي على غصنين من غرب وبان

ومثل هذا المعنى ورد أيضاً في البيت الذي لم ينسّم قائله^(٨) :

باتا على غصن بان في ذرى قن يرددان لحونا ذات ألوان

(١) البخاري : كتاب المظالم (وانظر فنسك في المرجع السابق) .

(٢) وهذا هو المقصود دائماً في الأغاني لأبي الفرج . وإلى جانب ألحان ولحون ذكر الزمخشري .
أيضاً في أساس البلاغة : ملاحن ، في صيغ الجمع . وإطلاق اللحن على النغمة مستفيض في اللهجة
اليهودية — العربية ، ويرد كثيراً في ديوان يهودا هاليفي . وفي النصوص النصرانية — العربية
يعناه نوع خاص من الغناء الديني . انظر : G. Graf ZS 9, 245 .

(٣) هكذا البكري في اللآلي ص ٢١ بس ٢ خلافاً لأبي على القالي ج ١ ص ٥ حيث يريد
أن يفسر ألحان الحمام باللفات على أن اللحن هو اللغة .

(٤) الفهرست ص ٧٠ .

(٥) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ٣ ص ٦١ .

(٦) ابن الشجري : حماسة ص ١٧١ .

(٧) القالي : أمالي ج ١ ص ٢٨٢ ؛ السيوطي : شرح شواهد المغني ص ١٢٠ نقلاً عن
ابن عساكر : تاريخ دمشق ؛ الدميري ج ٢ ص ٤٥١ ؛ عبد القادر : خزانة ج ٤ ص ٤٨٤ نقلاً
عن كتاب اللصوص للسكري ؛ معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢١١ .

(٨) القالي : أمالي ج ١ ص ٦ ؛ ابن الأنباري : كتاب الأضداد ص ٢١٠ ؛ تاج العروس
ج ٩ ص ٣٣١ ؛ وذكر القالي مثاليين آخرين لهذا المعنى .

أما أن لفظ : لحن ، على صيغة اسم الفاعل ، استعمل أيضا بمعنى : حسن الصوت ، فيدل عليه المثل المعروف : «الحن من الجرادتين» : أي أحسن صوتاً وغناء . والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي ، سيد المعلقة في سالف الدهر . وكذلك المثل الآخر : «الحن من قيتي يزيد»^(١) ، والمراد بهما حباة وسلامة ، مغنيتا يزيد بن عبد الملك اللتان قيل فيهما إنهما كانتا لحن من رُئي في الإسلام من قيان النساء .

ويتصل بهذا المعنى فعل : لَحَنَ بالتشديد ، أي رَتَّل بالنغم القرآن مثلاً ، حيث نهى المحافظون عن ذلك^(٢) .

وأخيراً صار لفظ : تلحين (وجمعه : تلاحين) أي طريقة الغناء ، أو النغمة الرئيسة ، اصطلاحاً من اصطلاحات الموسيقى^(٣) .

ويقصد من اللحن أيضاً : النطق على أسلوب مخالف للمألوف ، كما يراد به طريقة التعبير بوجه عام . وفي هذا المعنى يقول ذو الرمة^(٤) :

* في لحنه عن لغات العرب تعجيم *

ويقول عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب في القرن الثاني للهجرة ، في الغول :

أرنت بلحن بعد لحن [وأوقدت حوالى نيراناً تلوخ وتزهـر^(٥)]

(١) مجمع الأمثال للبدياني (١٣٤٢ هـ) ج ٢ ص ١٨٤ — ١٨٦ .

(٢) انظر مسند الدارمي : فضائل القرآن .

(٣) انظر : Dozy, Supplément في المادة . وقد استعمل شاعر من عهد المأمون فعل : لحن في تقسيم أصوات الغناء ، وهو محمد بن حازم الباهلي (أغاني ج ١٢ ص ١٥٨) ، كما ذكره ابن قتيبة : عيون ج ٣ ص ١٠٩ ، وبهذا المعنى ورد أيضاً في رواية سائقها الزجاجي في أماليه ص ٤٩ س ٢ ؛ كما ذكره أيضاً الهمداني في وصف جزيرة العرب ص ٢٠٣ س ٧ . بمعنى تقسيم النساء أصوات الأغاني التي ينحن بها على الموتى الخ .

(٤) ديوان قصيدة ٧٥ بيت ٤٤ .

(٥) الجاحظ : حيوان ج ٦ ص ٥٠ ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٩٣ ؛ الباقلائي : إعجاز القرآن ص ٤٤ ؛ السيوطي شرح شواهد المفني ص ١٠٧ ؛ خزنة الأدب ج ٣ ص ٢١٣ ؛ واستعمله الفرزدق في عواء الكلب (أمالي المرتضى ج ٤ ص ٢٩) وفي مكانه بالديوان : نبـح بدلاً من : لحن .

وفي بيت لم يسمّ قائله^(١) :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل وبيت الله لسنا نشا كله

ويتصل بذلك القول المأثور : « هذا ليس من لحنى ولا من لحن قومى » ،

ومعناه تقريبا : ليس هذا من شأنى ولا من طريقي^(٢) .

وهذا المعنى : طريقة التعبير ، ورد في كثير من الأحاديث ، وإن كان من

الصعب التحقق من قدمها وصحتها . فقد روى أن أبا ميسرة عمرو بن شرحبيل

(المتوفى ٦٣ هـ) أحد الصحابة المتأخرين ، استعمل هذا التعبير : لحن اليمين^(٣) .

ورأى كل من الأصمعى وأبى زيد لفظ : لحن ، مرادفاً للفظ : لغة^(٤) ؛ وعلى ذلك

فمعنى : لحن ، نطق بلغته الخاصة^(٥) .

وبهذا فسّرت ثلاثة أقوال نسبت إلى الخليفة عمر الأكبر ، وإن كان يظهر

ضعف نسبتها إليه ، : (١) تعلموا الفرائض والسنن واللحن^(٦) . (٢) تعلموا

اللعن في القرآن^(٧) . (٣) أبى أقرؤنا وإنا نرغب عن كثير من لحنه^(٨) .

على أن الغالب استعمال اللحن في معنى الطريقة غير المألوفة في التعبير ، بوجه

من الوجوه : فقد يقصد من ذلك أن تريد الشيء فتورى عنه بقول آخر . وهذا

(١) تاج العروس في المادة .

(٢) القالى : ذيل الأمالى ص ٣٩ ؛ وذكره الزخشرى في الأساس ؛ وكلاهما على أنه من كلام

أبى المهدى أو أبى مهبدة الأعرابى أحد من يروى عنهم الأصمى (ابن قتيبة : معارف ص ٢٧١)

(٣) القالى : أمالى ج ١ ص ٥ (وانظر الفائق للزخشرى ج ٢ ص ٢٢٢ ، فقد ذكر بدلا

من ميسرة : أبا ميسرة) .

(٤) القالى : أمالى ج ١ ص ٥ ؛ الفائق ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ وروى صاحب تاج العروس

أن هذا اللفظ بالمعنى المذكور خاص بلهجة بنى كلاب .

(٥) القالى ج ١ ص ٦ ؛ ابن دريد : الملاحن ص ٧ (القاهرة ١٣٤٧ هـ) .

(٦) القالى ج ١ ص ٥ وفي الأساس والفائق والنهاية لابن الأثير في المادة .

(٧) ابن الأثير : النهاية ج ٤ ص ٥٦ (١٣٢٢ هـ) .

(٨) الفائق ج ٢ ص ٢٢٢ ؛ ابن الأثير ج ٤ ص ٥٧ .

المعنى يبرز بوضوح في بيت من قصيدة قالها القتال الكلابي ، الذي عاش في عهد مروان بن الحكم ، يلوم قومه لتخلفهم عن مساعدته :
ولقد لحت لكم لكيا تفهموا ووحيت^(١) وحيًا ليس بالمرتاب^(٢)
وفي مثال ثان لهذا التعبير يقول مالك بن أسماء صهر الحجاج بن يوسف في جارية تغنى بها :

منطق صائب وتلحن أحيًا نا وخير الحديث ما كان لحنا^(٣)
ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين : الخطأ اللغوي ، والغناء ، وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن في الكلام أي تخطئ ، وأن اللحن في الكلام مما يستحسن من النساء^(٤) .

نعم قد نبهه إلى وهمه العالم المشهور بين رجال القصور : علي بن يحيى المنجم (المتوفى ٢٧٥ هـ) ، ولكنه لم يستطع إصلاح ما كتبه في كتابه البيان والتبيين بعد أن سار في الآفاق وانتشر أيما انتشار^(٥) .

-
- (١) استعمال الثلاثي : وحى ، بدلا من الرباعي : أوحى ، ورد في قراءات شاذة ، مثل : وحى إلى ، بدلا من : أوحى إلى (آية ١ من سورة الجن) ، ومعناه الأصلي يؤخذ من آية ١١ في سورة صريم : ه فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا ، أي أشار إليهم . ومن هذا المعنى يتفرع المعنيان الآخران : (١) الوحي الشرعي الذي ينزل على الرسول في صور مختلفة (ويتصل بما ذكره في دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ١١٨١ من أن أصله في العبرية والآرامية بمعنى السرعة ، وفي الحبشية بمعنى المعرفة) (٢) الرسم ، الكتابة ، الخبر .
- (٢) القالي : أمالي ج ١ ص ٤ ، والبكري في اللآل ج ١ ص ١٣ (كما ذكره أيضا ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٩٤ مطبع القاهرة ١٣٢٨ هـ) ؛ الصولي : أدب الكتاب ص ١٣٠ ؛ تاج المروس ج ٩ ص ٣٣١ ؛ ابن الأنباري : الأضداد ص ٢٠٩ ؛ ورواه الزغشري في الكشف ص ٣٧٠ ، وعب الدين في شرح شواهد الكشف ص ٤٢ : لكيا تعرفوا . ومن رواه دون نسبة فائله روى الشطر الثاني : واللحن يعرفه ذوو الألباب . وانظر الميداني ج ٢ ص ١٨٥ والمرتضى : أمالي ج ١ ص ١١ .
- (٣) الجاحظ : بيان ج ١ ص ٩٢ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ١ في المقدمة ؛ الشعر والشعراء ص ٤٩٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٤٢ .
- (٤) البيان ج ١ ص ٦٢ .
- (٥) الأغاني ج ١٦ ص ٤٣ (ونقله عنه تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤ ؛ البكري : اللآل ج ١ ص ١٧) وله رواية مساوقة عن المرزباني في أمالي المرتضى ج ١ ص ١٢ ؛ ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٦٥ ؛ السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٠ .

ونظراً لذلك التأثير البعيد الذى كان لكتب الجاحظ فى الأجيال من بعده ، لم يكن غريباً أن يؤخذ تفسيره الخاطيء بالقبول فى أوساط مختلفة ؛ كما فعل ذلك ابن قتيبة فى « عيون الأخبار »^(١) ، وهو كتاب نال من الحظوة مالا يكاد يقل عن كتاب البيان والتبيين ، وأسهم أيضاً فى إذاعة ذلك التفسير .

نعم لم تخرس المعارضة دونه بين حين وآخر ، كما أملى ابن دريد (المتوفى ٣٢١ هـ) على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجة للتفسير الذى ذكره الجاحظ^(٢) ؛ وكما فعل مثل ذلك فى جيل آخر بعد ابن دريد أبو بكر الصولى^(٣) (المتوفى ٣٣٦ هـ) .

وذكر ابن الأنبارى (المتوفى ٣٢٧ هـ) — الذى يتفق شرحه للفظ اللحن مع شرح ابن الأعرابى (المتوفى ٢٣١ هـ) الذى يصفه بالصواب — أن مذهب ابن قتيبة من أن العرب تستحسن اللحن فى كلام النساء غير صحيح ، إذ أن العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من الرجال ؛ ثم عضد ذلك بشواهد فى طيب حديث الصواب^(٤) .

بيد أن ذلك التفسير الخاطيء لم يكن من السهل تلاشيهِ ؛ فقد ذكره قدامة بن جعفر^(٥) ، وإن فهم من كلامه أنه يأخذ به لعدم انضاح تفسير آخر فى نظره^(٦) ؛ ويؤخذ من كلامه أيضاً عدم ارتياعه إلى أن الخطأ فى كلام النساء يعد جميلاً .

وفى ختام القرن الرابع (العاشر) استطاع أحد حوارى الجاحظ وهو أبو حيان

(١) انظر مقدمة عيون الأخبار .

(٢) الميدانى ج ٢ ص ١٨٥ عن حمزة الأصبهانى . وفى مقدمة كتاب الملاحن يذكر ابن دريد التفسير الصحيح دون تعرض للجاحظ .

(٣) أدب الكتاب ص ١٢٠ .

(٤) الأضداد لابن الأنبارى ص ٢١٠ (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وتجدد مواضع من حديث الصواب فى البيان للجاحظ ج ١ ص ١٠٩ ؛ ابن قتيبة : عيون ج ٤ ص ٨١ — ٨٤ ؛ المصرى : زهر الآداب (على هامش المقد ١٣١٦ هـ) ج ١ ص ١٣ ؛ ابن الشجرى : حماسة ص ١٩٥ ؛ المرتضى : أمالى ج ٢ ص ١٥٧ وغير ذلك .

(٥) نقد النثر ص ١٢٤ — ١٢٥ (القاهرة ١٩٣٣) .

(٦) انظر قدامة فى الموضع السابق . وهو يروى البيت : وخير الحديث . ولكن روى أيضاً : وأحلى الحديث ، كما عند الجاحظ وابن قتيبة الخ .

التوحيدي أن يحاول تسوية حمل اللحن في هذا البيت على المعنى الذي ذكره الجاحظ ، أى الخطأ في الكلام ، وإن لم ينف أيضاً احتمال تفسيره بالرمز والإشارة^(١) .
وابتداء من القرن الخامس درج الناس على فهم التفسير الصحيح للبيت ، أى الرمز والإشارة^(٢) .

وورد هذا المعنى في النثر في خبر عن غزوة الخندق . فقد أرسل النبي [صلى الله عليه وسلم] سعد بن معاذ وسعد بن عباد وغيرهما إلى بني قريظة ليتبينوا ما إذا كانت قريظة تريد أن تنكث عهدها معه ، وقال لهم : « فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه^(٣) » ، فلما رجع الرسل ذكروا للرسول [صلى الله عليه وسلم] لفظي : « عضل والقارة » وهما قبيلتان غدرتا بأصحاب النبي [صلى الله عليه وسلم] من قبل ، فعلم النبي [صلى الله عليه وسلم] من ذلك أن قريظة نكثت العهد .

واشتهر أيضاً على أنه مثال للحن بمعنى اللغز والتورية ، ما جاء في رسالة أرسلها أحد الأعراب في يوم الوقيط ، وهو يوم من أيام العرب في عهد فتنة عثمان ، إلى قومه يحذرهم من الغزو^(٤) .

وأخيراً ، يتصل بهذا ما جاء في آية ٣٠ من سورة محمد [عليه السلام] ، وهو الموضع الوحيد الذي ورد فيه لفظ اللحن في القرآن ؛ وفي هذه الآية ، التي نزلت بعد غزوة بدر بقليل ، يقول الله سبحانه عن المنافقين : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَاهُمْ

(١) ياقوت : إرشاد ج ٦ ص ٦٦ .

(٢) المرتضى ، البكري ، الميداني ، الزختمري في المواضع المذكورة آنفاً ؛ وانظر ابن رشيبي في العمدة ج ١ ص ٢١٠ ؛ ياقوت : إرشاد ج ١ ص ٢١ ؛ البلوي : ألف باء ج ١ ص ١٤ وغير ذلك .

(٣) ابن هشام ص ٦٧٥ ؛ الروض الأثف ج ٢ ص ١٩٠ ؛ الواقدي : ص ١٩٧ ؛ المبرد :

كامل ص ٦٣٢ .

(٤) نقائض جرير والفرزدق ج ١ ص ٣٠٥ ؛ وذكر ابن دريد رواية أخرى في الملاحن ص ٤ ، ونقلها القالي في الأمالي ج ١ ص ٦ (وعنه البكري في اللآلي ص ٢١) والمرتضى ج ١ ص ١٢ ؛ وتوجد الكلمات التي ذكرها ابن دريد والقالي في معاني الشعر للأشناداني ص ٥٧ .

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ . ولا يوجد أفصح ولا أبلغ ، ولا أنصح ولا أئين في إصابة الحز من ذلك التعبير : لحن القول ، في وصف طريقة التعبير المعسولة التي لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، والتي يرمز بها أعداء محمد [صلى الله عليه وسلم] إلى معان يفهمها إخوانهم في الرياء والنفاق .

ويتعلق بهذا السياق أيضاً فعل : لَاحَنَ (وهو مرادف لفعل : قَاطَن ^(١)) ، فأى أظهر له ذكاه وفطنته ، ولا سيما بتعاطي التورية والإلغاز ؛ كما في بيت الطرماح ، قصيدة ٤٧ بيت ٥ ^(٢) :

وَأَدَّتْ إِلَى الْقَوْلِ عَنْهُنَّ زَوَلَةٌ تَلَا حَنَ أَوْ تَرَنُو لَقَوْلَ الْمَلَا حَنَ
وعلى حين يراد من اللحن بالمعنى الأخير ، أى التورية والتعبية كما في الأمثلة الأخيرة ، الرمز إلى السامع بغير ما يفهم من صريح الكلام ، يستعمل اللحن أيضاً ، في أحوال أخرى ، بمعنى ما يقصد إليه المتكلم نفسه من معنى يقصده ولا يتبين من ظاهر اللفظ ، كما في حالة استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة منها .
وقد ظن كثيرون إذا أقسموا يمينا على شيء أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه السامع ؛ فإذا حلف إنسان : ما سألت فلانا حاجة قط ، قصدوا في أنفسهم من لفظ : حاجة ، أمراً معيناً .

وقد ذكر ابن دريد في كتابه : الملاحن ^(٣) ، مجموعة من مثل هذه الألفاظ المحتملة لمعان مختلفة ، مع ملاحظته على ذلك أن من يضطر إلى اليمين يستطيع استخدامها لينقذ نفسه من كيد المتسلط ، ويسلم مع ذلك من غضب القوى الجبار . وقد أمكنه أن يجمع من هذه الألفاظ نحو أربعمائة كلمة من كلمات الحيل في القسم ، من بين العدد الدثر من الألفاظ المشتركة في العربية .

(١) الزغشري : أساس ج ٢ ص ٢٢٢ ، فسر : يلاحن الناس بقوله : يفاطنهم ويجاهلهم بفطنته ودهائه .

(٢) ديوان نشر كرنكو .

(٣) نهره : H. Thorbecke سنة ١٨٨٢ في هايدلبرج ، وطبع في القاهرة ١٣٤٧ هـ .

وتنقل خطوات قليلة لفظ : لحن ، من معنى التضييل والتعمية ، إلى معنى الخطأ في التعبير : لحن بفتح الحاء ، أخطأ في الكلام ؛ تلحن بالتشديد ، عدّه لاحقاً ، عد عليه لحناً ؛ تلحن وتلحانة وتلحنة ، كثير اللحن .

وإلى هذا اسم الفاعل : لاحن ، في قولهم : قدح لاحن ، أى ليس بصافي الصوت عند الإفاضة ، وقوس لاحنة عند الإنباض ، أى عند شد وترها للرمى^(١) . وهذا المعنى ، أى الخطأ في الكلام ، يبدو في العهد الإسلامي في غير عربية البدو بصورة قوية — لم يعق هذا الاستعمال عن الانفراد في التعبير إلا استعمال اللحن بمعنى الغناء أيضاً — بحيث تورط ابن الأعرابي النحوي الكوفي (١٥٠ — ٢٣١ هـ) إذ ساقه اطراد ذلك الاستعمال إلى اعتقاد أن : لحن معناه أخطأ في الكلام ، أو فطن وأصاب الصواب ، وأنه على ذلك من قبيل الأضداد^(٢) .

وهذا الرأي المنحرف يتفق مع مذهب ذلك الكوفي العجيب الذي يذهب مثلاً إلى جواز إبدال الضاد بالظاء حسب الرغبة والاختيار^(٣) ، والذي ينكر فضل أبي عبيدة والأصمعي في تحقيق اللغة وجمعها^(٤) ، والذي يعدّ شعر أبي نواس وغيره من المحدثين كالريحان يُشم ويدوى فيرمى به^(٥) .

ويظهر في باب اللحن من كتاب الأضداد لابن الأنباري^(٦) (المتوفى ٣٢٧ هـ) ما أدى إليه هذا التفسير الذي مسخ معنى ذلك اللفظ : اللحن ، في تفسير التعبيرات المتفرقة .

(١) انظر الأساس للزمخشري في الموضع السابق .
(٢) كتب أخيراً في طبيعة الأضداد في اللغة العربية هـ كفلر في تقديمه لكتاب الأضداد لقطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) الذي نشره أخيراً : وقطرب لا يذهب إلى أن كلمة لحن من قبيل الأضداد كما فعل ابن الأعرابي .

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٩٩ (١٢٩٩ هـ) .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٥) الرزباني : موشح ص ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ؛ وكان ابن الأعرابي متعصباً على أبي تمام بوجه خاص (موشح ص ٣٠٤ ، ٣٢٩) ، ولهذا ينكر عليه ابن الأثير كل حق في الكلام فيما يتصل بالتذوق الأدبي (المثل السائر ص ٤٩٠) .

(٦) الأضداد لابن الأنباري ص ٢٠٧ — ٢١٤ (القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

ومن الأمثلة لذلك ما ذكره ابن الأعرابي في شرح البيت المذكور آنفاً
للملك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحيا نأ وخير الحديث ما كان لحناً
إذ قال : منطق قاصد للصواب وإن لم يصب ، وتصيب وتفتن أحياناً ، وخير
الحديث ما كان إصابة وفطنة .

وهذا التأويل المتهافت يجد شبيهه في تفسير ابن الأعرابي أيضاً لبيت من شعر
أمرئ القيس في معلقته^(١)

هذا ولا يزال ينقصنا بعد كل دليل يبين متى تم نقل لفظ اللحن إلى معنى الخطأ
في الكلام . وأغلب الظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عند ما تنبه العرب
بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى فرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون . وكثير من
هؤلاء لم يكونوا يستطيعون إخراج حروف الحلق والإطباق بالدقة المعروفة في العربية
من مخارجها ، فاستعاضوا عنها بحروف أخف على ألسنتهم وأسهل على طباعهم .
وكان من أثر هذا إلى جانب الثراء العظيم في مادة اللغة العربية ، أن نشأ من
التحريف واختلاط الكلمات مالا مناص عنه في التفاهم العادي .

فإذا قال أعجمي مثلاً : أهل ، الذي معناه ظهر أو فرح ، بدلاً من : أحل ، بمعنى
أجاز وأذن ؛ أو : أرب ، الذي معناه الحاجة أو العقل ، بدلاً من : عرب جمع عربي ؛
أو : سار ، الذي معناه ذهب ، بدلاً من : صار بمعنى : تحوّل ؛ أو : دل الذي معناه
هدى ، بدلاً من : ضل ، بمعنى غوى وحار ؛ أو : ترك ، الذي معناه : ودع وأبقى
بدلاً من : طرق ، بمعنى دق على الباب ليلاً ، لم يكن من السهل على العربي أن يتابع
كلامه بالفهم الصحيح ؛ وكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ
اللغوي ، والخلط في التعبير .

وليكن هناك من القرص قبل الإسلام أيضاً ما يسمح باختلاط العرب بغيرهم

من الأعاجم في المناسبات المختلفة ؛ فإن الهجرة العربية الكبرى التي تمت في القرن الأول للإسلام ، وهيأت الفرصة العظمى لاحتكاك العرب بالأعاجم ، واصطدام لغتهم باللغات الأخرى ، هي التي يعول عليها بالنسبة لما ترتب عليها من آثار جماعية غير فردية . وقد كانت نتائج ذلك ما لا حظناه في الأبواب المتقدمة ، وما قررناه من قيام مبدأ « تنقية اللغة العربية » في أواخر القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي) . ومن آثار نشأة ذلك المبدأ المتزمت إطلاق لفظ اللحن على الخطأ اللغوي ، كما ورد مثلاً في شعر ربيعة ، ويحيى بن نوفل .

وقد يجوز أن نضيف هنا إلى هذين الشاهدين بيتاً للحكم بن عبدل الأسدي^(١) ، وكان هذا الشاعر موالياً لوالى البصرة الأموي : عبد الملك بن بشر بن مروان (حكم البصرة في سنتي ١٠٢ — ١٠٣ هـ^(٢)) ، وكانت بينه وبين حاجب الأمير ملاحاة وخصومة ، فأراد أن يحمل الأمير على إقالته من منصبه وقال يهجوهُ :
ليت الأمير أطاعني فشفيتهُ من كل من يُكفي القصيد ويلحن^(٣)
هذا البيت إلى البيتين المشار إليهما من قبل ، يبدو أنه أقدم الشواهد على استعمال كلمة : لحن ، في معنى الخطأ اللغوي .

(١) انظر الأغانى ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥٩ .

(٢) Zambaur, S. 40

(٣) الجاحظ : حيوان ج ١ ص ١١٨ .

فهرس الأعلام

الأرقام المذكورة بعد حرف (ت) تبين مواضع الأعلام من التعليق في أسفل الصفحات
« حرف الهمة »

- آكل المرار ، حجر بن معاوية بن ثور وهو كندة ؛ ت : ص ١٦٥ س ٢
آلورڈ W. - Ahlward ؛ ت : ص ٢٧ س ١ ، ٨ ص ٢٩ س ٤ ص ٣٠ س ٣
ص ٣٨ س ٧ ، ص ٤٢ س ١١ ص ٤٨ س ٢ ص ٨٩ س ٥ ص ٩١ س ٣
ص ٩٢ س ٧ ص ١٢١ س ٣ ص ١٧٢ س ٧
أبان بن عبد الحميد ، أبو يحيى اللاحقي ؛ ص ٩٤ س ٥ ص ٩٦ س ١٤
أبان بن الوليد البجلي ؛ ص ٣٨ س ٥ ؛ ت : ص ٣٨ س ٣
أبان بن الوليد بن عقبة ؛ ت : ص ٣٨ س ٨
إبراهيم بن أدهم ؛ ت : ص ٧٠ س ٦
إبراهيم بن إسحاق بن بشر الحربي ؛ ص ٦٥ س ١١ ص ٦٦ س ٢ ص ١٤١ س ٧ ؛
ت : ص ٥ س ٧
إبراهيم بن اسماعيل العلوي بن طباطبا ؛ ت : ص ١١٤ س ١٣
إبراهيم بن حبيب ؛ ص ٩٧ س ٥
إبراهيم بن السري الزجاج = الزجاج
إبراهيم بن سيابة = ابن سيابة
إبراهيم بن عثمان ، قاضي واسط ؛ ص ٦٦ س ١٠
إبراهيم بن علي = أبو إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي
إبراهيم بن علي بن تميم الحصري = الحصري
إبراهيم بن محمد البيهقي = البيهقي
إبراهيم بن محمد بن عرقه ، نبطويه = نبطويه
إبراهيم الموصلي ؛ ص ٩٣ س ١١ ص ٩٤ س ١ ص ٩٨ س ١٢ ، ١٦
إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة الشاعر
إبراهيم بن هشام بن اسماعيل ؛ ص ٣٧ س ٦
إبرمان A. Ebermann ؛ ت : ص ١٦ س ١١

ابن أبي إسحاق ، عبد الله ، الحضرمي النحوي ؛ ص ٤٧ س ٣ ، ١١ ، ١٦ ص ٤٨

س ٢ ؛ ت : ص ٤٧ س ٨ ص ٦٤ س ٨

ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم : ص ٢٢٩ س ٧ ؛ ت : ص ١٠٧ س ٢ ، ٨

ص ٢٢٩ س ٢

ابن أبي البغل ، أبو القاسم أحمد بن يحيى ؛ ت : ص ١١٤ س ١٦

ابن أبي سنة المغني : ص ٨٨ س ١٥

ابن أبي شبة المغني : ص ٨٨ س ١٦

ابن أبي طاهر = أحمد بن طيفور : ص ١٣٥ س ١٠ ؛ ت : ص ١٣٥ س ٢

ص ١٣٨ س ٦

ابن أبي القرمطي ؛ ت : ص ١٦٢ س ٣

ابن أبي الوفاء ، أبو محمد عقيل بن أبي الوفاء محمد ، محيي الدين القرشي ؛

ت : ص ٨٠ س ٧

ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد بن الحسين ؛ ت : ص ٦٥ س ٣ ص ٧٩ س ٤

ابن الأثير اللؤرخ ، طي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، عز الدين ؛

ت : ص ٣٠ س ٤ ، ٩

ابن الأثير الأديب ، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الفتح :

ص ١٢٥ س ٣ ص ١٤١ س ١٤ ص ١٨٤ س ١٥ ؛ ت : ص ١١ س ٢

ص ٧١ س ٣ ، ٧ ص ٩١ س ٩ ص ٩٢ س ٨ ص ١٠٤ س ٣ ص ١٣٨ س ٧

ص ١٦٩ س ٢ ص ١٧٢ س ١٠ ص ١٧٥ س ٣ ، ٦ ، ٨ ص ١٧٨ س ١

ص ١٨٣ س ٥ ص ٢٤٤ س ٨

ابن الأخرم ، أستاذ الحاكم الأصغر : ص ٨٠ س ١

ابن الأعرابي ، محمد بن زياد النحوي الكوفي : ص ٧٥ س ٧ ص ٨٨ س ٧ ،

١٢ ، ١٥ ص ٨٩ س ٣ ص ٩٠ س ٢١ ، ٢٣ ص ٩١ س ٣ ص ٢٤١ س ٩

ص ٢٤٤ س ٨ ص ٢٤٥ س ١ ؛ ت : ص ١٦٤ س ٩ ص ٢٤٤ س ٤ ، ٧

ابن الأنباري = أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله

ابن الأنباري = أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار

ابن بري ، عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري : ص ٢١٤ س ١٦ ص ٢٢٢

س ٢١ ص ٢٢٣ س ٣ ، ١٣ ، ١٨ ص ٢٢٤ س ٢ ، ٢١ ص ٢٢٥ س ١٤

ص ٢٢٦ س ٤ ؛ ت : ص ١٧٠ س ١٠

ابن بسام ، علي بن محمد بن نصر ، أبو الحسن : ص ١٦٣ س ١٥ ص ١٨٦
س ١٦ ، ١٤ ، ٧

ابن ثوابة ، محمد بن أحمد ، أبو عبد الله : ص ١٣٧ س ١٩

ابن جبير ، محمد بن أحمد ، أبو الحسن ؛ ت : ص ١٩٦ س ٢

ابن الجراح ، محمد بن داود : ص ١١٣ س ١٢

ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد ، أبو الخير ؛ ت : ص ٤٨ س ٤
ص ٧٣ س ٣ ص ٧٨ س ١٥

ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني : ص ١٦٠ س ٤ ، ٦ ، ٧ ص ١٦١ س ٨

ص ١٧٧ س ١٥ ، ٩ ص ١٧٨ س ٣ ، ٧ ، ١٥ ، ٢٠ ص ١٧٩ س ٣ ، ١٧ ، ١٧

١٩ ، ٢٠ ص ١٨٠ س ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ص ٢١١ س ٤ ؛

ت : ص ١٣ س ٣ ص ٣٢ س ٣ ، ٦ ص ٣٣ س ١ ص ٤٧ س ٢ ص ٧٨

س ١٠ ص ٨٠ س ٨ ص ١٢٣ س ٨ ص ١٥٦ س ٧ ص ١٧٧ س ٨ ص ١٨٠ س ٤

ابن الحاجب النحوي ، عثمان بن عمر ، أبو بكر : ص ٢٢٧ س ١٣

ابن حبان ، محمد بن أحمد بن حبان البسقي ؛ ت : ص ٨٤ س ٤ ص ٢٠١ س ٣

ابن حجاج ، الحسين بن أحمد بن حجاج ، الشاعر البغدادي : ص ١٨٢ س ٨ ، ١٨

ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العقلائي ، شهاب الدين ؛ ت : ص ١٢ س ٥

ص ٢١ س ٥ ص ٢٣ س ٣ ص ٢٤ س ٦ ص ٢٥ س ٢ ، ٦ ص ٢٧ س ١٣

ص ٣٠ س ١٥ ص ٣٣ س ٤ ص ٥٣ س ١٤ ، ١٥ ص ٥٤ س ٢ ص ٥٧

س ٢ ص ٥٨ س ٦ ص ٥٩ س ٢ ص ٦٤ س ٦ ص ٦٦ س ٨ ، ١١ ، ١٤

ص ٦٧ س ١ ص ٦٩ س ٦ ، ٨ ص ٧١ س ١١ ص ٧٢ س ١٠ ص ٧٣

س ٧٩ ص ١١ ، ٦ ، ٣ ص ٧٦ س ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ص ٧٧ س ٢ ، ٩ ص ٧٩

س ٩٠ ، ١ ص ٨٠ س ٦ ص ٨٣ س ١٠ ص ٨٤ س ٤ ص ٩٢ س ٤ ص ١٠٧

س ٦ ص ١٨٠ س ٣ ص ٢٠١ س ١ ، ٣ ، ٤ ص ٢١٠ س ١

ابن خالويه ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله : ص ٦٠ س ٩ ص ١٤٩

س ١٦ ص ٢٠٦ س ٣ ؛ ت : ص ٢٩ س ١ ص ٣٢ س ٣ ، ٦ ص ٣٣ س ١

ص ٦٠ س ٦ ، ٢ ص ٧١ س ٧ ص ١٢٣ س ٨ ، ٩

ابن خرداذبه ، عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم : ص ٩٨ س ١٦

ابن خروف ، علي بن محمد ، النحوي : ص ٢٢٧ س ١

ابن الحشاش ، عبد الله بن أحمد ، البغدادي : ص ٢٢٦ س ٣
 ابن خلکان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ؛ ت : ص ٢٤ س ١ ص ٢٧ س ٤
 ص ٢٨ س ١٠ ، ٥ ص ٣٣ س ٢ ص ٣٥ س ٢ ص ٥٦ س ٣ ص ٦٥ س ٧
 ص ٦٧ س ٩ ص ٧٠ س ٢ ص ٧٥ س ٢ ص ٨٥ س ٢ ص ٨٦ س ٧
 ص ٨٩ س ٤ ص ٩١ س ١ ص ١٠٣ س ٥ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١١٤
 س ١٤ ، ٧ ، ٥ ص ١٣٦ س ١٠ ص ١٦٢ س ٥ ص ١٧٧ س ٣ ص ٢٠٩
 س ١ ص ٢٤٤ س ٥

ابن الحياط ، محمد بن أحمد بن منصور ، أبو بكر : ص ١٧٥ س ١
 ابن درستويه ، عبيد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ، أبو عبد الله : ص ٦٠ س ٨
 ابن دريد ، أبو بكر ، محمد بن الحسن : ص ٩٩ س ١٣ ص ١٩٦ س ٩ ص ٢٤١
 س ٧ ، ٥ ص ٢٤٣ س ١٦ ؛ ت : ص ١٦ س ٩ ص ٤٠ س ٤ ص ٤٣ س ١٣
 ص ١١٥ س ٤ ص ١٩٦ س ٧ ص ٢٣٥ س ٢ ص ٢٣٩ س ٨ ص ٢٤١
 س ٢ ص ٢٤٢ س ٩ ، ٧

ابن الديبع ، عمرو بن طي بن محمد الزبيدي ؛ ت : ص ٢١ س ٦ ، ٧ ص ٢٢٦ س ٥
 ابن رسته ، أحمد بن عمر ، أبو علي ؛ ت : ص ٢٤ س ٣
 ابن رشيقي ، أبو علي ، الحسن بن علي ؛ ت : ص ٣٦ س ١٠ ص ٤١ س ٢
 ص ٥٨ س ٩ ، ١ ص ٩٨ س ١ ص ١٦٣ س ١ ، ٣ ص ١٧٢ س ٢ ص ١٧٣
 س ١ ص ١٧٥ س ٣ ، ٥ ، ٧ ص ٢٤٢ س ٢

ابن الرومي ، علي بن العباس : ص ١٣٦ س ١٠
 ابن زينب المراكبي ، عبد الله بن اسماعيل : ص ١٢٥ س ٨
 ابن الزيات ، محمد بن عبد الملك : ص ١٢٦ س ٨
 ابن السراج ، محمد بن السري البغدادي النحوي ؛ ت : ص ١١٤ س ٦
 ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ص ٧٧ س ٩ ؛ ت : ص ٢٣ س ٦ ، ٥
 ص ٢٥ س ١ ص ٢٧ س ١٢ ص ٥٣ س ٧ ص ٦٦ س ٨ ص ٧٢ س ٨
 ص ٧٣ س ٢ ص ٧٤ س ٣ ، ٥ ص ٧٦ س ٩ ، ١٠ ص ٧٨ س ١٥ ص ٨٠
 س ٦ ص ٨٤ س ٣ ص ١٠١ س ١ ص ٢١٠ س ٣ ص ٢٢٥ س ٦
 ابن السكيت ، يعقوب ، الكوفي : ص ٨٥ س ٨ ص ١٢٣ س ١٢ ص ١٣٢
 س ١٣ ص ١٤٨ س ١٦ ، ٧ ، ٥ ص ٢١١ س ١٣ ص ٢١٨ س ١ ؛
 ت : ص ١٦٤ س ٤ ، ٤ ص ١٦٥ س ٧

ابن سلام ، محمد بن سلام ، الجحى : ص ١٤٠ س ١٤ ص ١٨٨ س ٥ ص ١٨٩
س ١ ، ٩ ، ١١ ؛ ت : ص ١١ س ١ ص ٢٨ س ٩ ص ٤٦ س ٤ ص ٤٧
س ١ ، ٢ ، ٧ ص ٤٨ س ١ ص ٥٣ س ٤ ص ٦٢ س ٦ ص ٦٤ س ٩
ص ١١٤ س ٣

ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر

ابن سيرين ، محمد : ص ٧٢ س ١

ابن سيابة ، إبراهيم : ص ٩٣ س ١٧

ابن شاذى وزير المعتصم : ص ١٢٧ س ١٦

ابن شاذى الكندي ، محمد : ص ١٨٦ س ٢١ ؛ ت : ص ١٨٦ س ١ ص ٢٢٧ س ٤

ابن الشجرى ، هبة الله بن على ؛ ت : ص ٣٦ س ٤ ص ٤٣ س ٥ ص ٦٨ س ٨

ص ١٧٢ س ١١ ص ٢٣٦ س ٣ ص ٢٣٧ س ١٠ ص ٢٤١ س ١١

ابن شوكر السندى : ص ٦٩ س ٣ ، ٥

ابن الصلاح ، عثمان بن عمرو بن عثمان ، تقى الدين : ص ٢٢٨ س ١٢ ؛

ت : ص ٢٢٨ س ١

ابن الضائع ، على بن محمد بن على ؛ ت : ص ٢٢٦ س ٨

ابن الطبرى النوى : ص ٧٧ س ٢

ابن الطيب اللغوى ، عبد الواحد بن على ؛ ت : ص ٧٧ س ١

ابن طيفور ، أحمد = ابن أبى طاهر

ابن طولون ، أحمد ؛ ت : ص ١٣٦ س ١١

ابن ظفر ، محمد بن عبد الله : ص ٢٢٥ س ١٩ ؛ ت : ص ٢٢٦ س ٣

ابن عباد = صاحب بن عباد

ابن عباس ، عبد الله : ص ٢١٠ س ٧ ص ٢١٧ س ٤ ؛ ت : ص ٢١٠ س ٤

ابن عبد البر ، يوسف بن على بن محمد ؛ ت : ص ٢٥ س ٢

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ؛ ت : ص ١١٩ س ٧

ابن عدى ، الهيثم : ص ٧٩ س ١٠

ابن العباد ، عبد الحى بن احمد بن محمد بن العباد الحنبلى ؛ ت : ص ٢٢٦ س ١

ابن العميد ، محمد بن الحسين ، أبو الفضل : ص ١٣٥ س ١٤ ص ١٦٤ س ١

ص ١٦٦ س ٣ ، ١٦ ص ١٧٤ س ١٥

ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ؛ ت : ص ٢٣٧ س ١٢

ابن فارس ، أحمد : ص ٦٥ س ١٣ ص ١٦٦ س ٣

ابن فورجة ، محمد بن أحمد : ص ١٧٩ س ١٨ ؛ ت ١٧٩ س ٢ ، ٣

ابن فورك = ابن فورجة

ابن قادم النحوي ، محمد بن عبد الله ، أبو جعفر : ص ١٢٧ س ٧

ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم : ص ٢٣ س ١ ، ٧ ص ٧٥ س ٧ ص

٩١ س ٤ ص ١٠٦ س ٢ ص ١٢٦ س ١ ص ١٣١ س ١ ، ٩ ، ١٠ ص ١٣٢

س ١ ، ٤ ص ١٣٣ س ١٤ ص ١٣٤ س ٢٠ ، ٥ ص ١٣٥ س ٣ ، ٦ ص ٢١٢

س ٩ ص ٢١٣ س ٥ ص ٢١٨ س ١ ص ٢١٩ س ١٨ ص ٢٤١ س ٣ ،

٩ ؛ ت : ص ١٠ س ١ ، ٢ ص ١٣ س ٣ ص ١٥ س ١٤ ، ١٦ ص ١٦ س

١ ، ٦ ، ١٥ ص ١٧ س ٥ ، ٧ ص ٢١ س ٤ ص ٢٣ س ١ ، ٧ ص ٢٤ س ١

ص ٢٥ س ٤ ص ٢٧ س ١ ، ٥ ص ٢٨ س ٥ ص ٢٩ س ١ ص ٣٠ س ٨

ص ٣١ س ٣ ص ٣٣ س ٢ ص ٣٤ س ١١ ص ٣٥ س ١ ص ٣٨ س ١٠ ص ٤٢

س ٢ ، ٧ ص ٤٧ س ٧ ص ٥١ س ٥ ، ١٢ ص ٥٣ س ٦ ص ٥٩ س ١ ، ٤

ص ٦٠ س ٩ ص ٦٤ س ١٢ ص ٦٦ س ١٣ ص ٦٧ س ٣ ، ٤ ، ٨ ص ٦٨

س ٣ ، ٥ ص ٧٠ س ١ ، ٧ ص ٧٣ س ٥ ، ٩ ص ٧٤ س ١٣ ص ٧٥ س ١٠

ص ٨١ س ٤ ص ٨٢ س ٦ ص ٨٤ س ١ ص ٨٦ س ٩ ص ٨٩ س ١ ص ٩١

س ٣ ص ٩٢ س ٢ ص ٩٣ س ٣ ص ١١٣ س ٥ ص ١١٤ س ٢ ص ١١٨

س ٧ ص ١١٩ س ٢ ، ٦ ص ١٢٠ س ٤ ص ١٢٦ س ٦ ص ١٢٧ س ٩

ص ١٤٦ س ٢ ص ١٧٣ س ٤ ص ١٧٦ س ٣ ص ٢٣٨ س ٥ ، ٩ ص ٢٣٩

س ٣ ص ٢٤١ س ١٠ ، ١٥

ابن القرية ، أيوب بن يزيد ؛ ت : ص ٢٨ س ٤

ابن قريعة القاضي ، محمد بن عبد الرحمن : ص ٢٢١ س ١٣

ابن قزمان ، محمد بن عبد الملك : ص ١٨٩ س ١٥

ابن القفطي ، علي بن يوسف بن إبراهيم ؛ ت : ص ٨٤ س ١٠

ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : ص ٤٦ س ٩ ص ٨١ س ٦ ؛ ت : ص ٢٣ س ١

ابن كناسة ، أبو محمد عبد الله بن يحيى : ص ٤١ س ١٠

ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد ؛ ت : ص ١٢١ س ٥ ص ٢٢٥ س ٣

- ابن مالك النحوى ، جمال الدين محمد بن عبد الله : ص ١٠٢ س ١٨ ص ٢٢٧ س ٤
ابن المدينى ، على بن عبد الله بن جعفر : ص ٧٥ س ١٣ ص ٧٦ س ١٥
ابن المعتز ، عبد الله ؛ ت : ص ١٢٤ س ٢
ابن مفرغ ، يزيد بن ربيعة الحبرى : ص ١٥ س ١٣ ص ١٦ س ٥ ص ٢٤ س ٤ ؛
ت : ص ٢٣ س ٢
ابن المقفع ، عبد الله : ص ٥٢ س ٤ ص ٥٥ س ٤ ، ٧ ، ٩ ، ١٩ ص ٥٦ س ١٤ ،
١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ص ٥٧ س ٧ ، ٩ ، ١٤ ص ٥٨ س ٤ ، ١٣
ص ٦٠ س ١
ابن منذر ، محمد : ص ٧٤ س ٥ ص ٩٤ س ١٣ ص ٩٨ س ٢٠ ؛ ت : ص ١٥ س ١٠
ص ٨٤ س ٧
ابن المنجم ، على بن يحيى : ص ١٢٨ س ٢٠ ص ٢٤٠ س ٧ ؛ ت : ص ١١٤ س ٨
ابن ميادة ، الرماح بن أبرد ، أبو شراحيل أو شرحيل : ص ٢٦ س ٨ ، ٥
ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، صاحب الفهرست : ص ٦٣ س ٥ ص ٨٩ س ١٧
ص ٢٠٥ س ١٦ ؛ ت : ص ٧٩ س ٧
ابن هرمة ، إبراهيم : ص ١٢٠ س ١٨
ابن هشام ، عبد الملك ؛ ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٤٢ س ١٠ ص ٩٩ س ٦ ص ٢٤٢ س ٥
ابن وكيع : ص ١٨٠ س ١٠
ابن يعيش ، يعيش بن على بن يعيش الحلبي النحوى : ص ٢٢٩ س ٥ ؛ ت : ص ٤٨
س ٨ ص ٧١ س ٣ ص ٨١ س ٢ ص ٩١ س ٨ ص ١٠٣ س ٨ ص ١٢٦ س ٣
ص ١٥٦ س ٤ ص ١٧١ س ١١ ، ١٣
أبو الأبيض العنسى : ص ٨٢ س ٧
أبو إسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى ، إبراهيم بن على : ص ٢٠٩ س ٢٢
أبو الأسود الدؤلى ، ظالم بن عمرو بن جندل : ص ١١ س ٢١ ص ١٢٣ س ١٤ ؛ ت :
ص ١١ س ٣
أبو أيوب الطنافسى : ص ٧٦ س ٦
أبو البركات ابن الأنبارى ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله : ص ٢٢٦ س ٢ ؛ ت :
ص ١١ س ١ ص ١٦ س ٩ ، ٥ ص ٢٨ س ٩ ص ٣٢ س ٢٠١ ص ٤٤ س ٧
ص ٦١ س ٣ ص ٦٢ س ٢ ص ٦٥ س ٥ ص ٧٣ س ٨ ص ٧٥ س ٢ ص ٨١

س ٢ ص ٨٦ س ٦ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١١٩ س ٣ ص ١٢٢ س ٢ ص ١٢٦
س ٤ ص ١٧٧ س ٧ ص ٢١٣ س ٣ ص ٢١٨ س ٧ ص ٢٣٧ س ١٤ ص ٢٤١
س ٩ ص ٢٤٤ س ١٠

أبو بكر ابن الأنباري ، محمد بن القاسم بن بشار : ص ٢٤١ س ٨ ص ٢٤٤ س ١٥

أبو بكر الخوارزمي ، محمد بن العباس : ص ١٦٦ س ١٦ ص ١٦٨ س ٥

أبو بكر ابن دريد ، محمد بن الحسن بن دريد

أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عتيق أبي قحافة : ص ٢٥ س ٤

أبو بكر الصولي ، محمد بن يحيى : ص ٢٤١ س ٧ ؛ ت : ص ٦٦ س ١٣ ص ٦٩

س ١٢ ص ٧٠ س ٩ ص ٧٢ س ٦ ص ٧٨ س ٧ ص ٨٦ س ١ ص ٦٠١ ص ٩٣

س ٥ ص ١٢٧ س ١ ص ٨٠١ ص ١٣٦ س ٦ ص ٢١٨ س ٤ ص ٢٣٦ س ٢

أبو بكر بن علي الصنهاجي ، ت : ص ٢٠ س ٨

أبو بكر تقيع بن ممية = تقيع بن ممية

أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي : ص ٨٢ س ٦ ص ١٢٣ س ٩ ، ١٤ ، ١٦ ص ١٣٥

س ١٠ ص ١٧٤ س ١٦ ص ٢١٠ س ٩ ؛ ت : ص ٢٤٤ س ٧

أبو الجاموس ، نور بن يزيد : ص ٥٥ س ٧

أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد : ص ١٢٢ س ١٩ ؛ ت : ص ٦٨ س ٨

أبو حامد الغزالي ، محمد بن محمد : ص ٢٠٨ س ٢٠

أبو جباح : ص ٤٣ س ٢ ؛ ت : ص ٤٣ س ٢

أبو حزام العكلي ، غالب بن الحارث : ص ١٢١ س ٢

أبو الحسن بن طباطبا ؛ ت : ص ١١٤ س ١٧

أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت : ص ٦٥ س ٤ ، ٨ ، ١٤ ص ٦٦ س ١ ، ٢ ، ٥ ؛ ت :

ص ٦٦ س ٣

أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود : ص ١٢٢ س ٢ ؛ ت : ص ١٠٧ س ٦

أبو حيان التوحيدى ، علي بن محمد بن العباس : ص ١٦٣ س ٢١ ص ١٦٦ س ٢

ص ١٨٠ س ٣ ص ٢٤١ س ١٦

أبو حية النيرى ، الهيثم بن الربيع ؛ ت : ص ٤٣ س ٤

أبو خليفة الجحى ، الفضل بن الحباب : ص ١٤٠ س ١٣ ، ١٧ ص ١٨٤ س ٣

أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي ؛ ت : ص ١١٤ س ٩ ص ٢٢٥ س ٣

- أبو الدرداء ، عويمر بن مالك أو ابن زيد الحزرجي الأنصاري : ص ٧٣ س ١١، ١٠
- أبو دلف الحزرجي : مسعر بن مهلهل الينبوعي : ص ١٦٥ س ١٣
- أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى بن معقل : ص ١٢٤ س ٩
- أبو دواد الإيادي ، حارثة بن الحجاج : ص ٥١ س ١١ : ت : ص ١٢٣ س ١١
- أبو رمادة : ص ١١٤ س ٤ : ت : ص ١١٤ س ٣
- أبو رياش ، أحمد بن إبراهيم القيسي : ص ٢١١ س ٨ : ت : ص ٢١١ س ٢
- أبو زكريا التبريزي ، يحيى بن طلي : ص ٢٠٩ س ١٩ ص ٢١٠ س ١٧ ص ٢١١
- س ١ ، ٩ ، ١٣ ، ١٦ ص ٢١٢ س ١٤، ١١، ٦ : ت : ص ٣٥ س ١ ص ١٤٨
- س ١ ص ٢١١ س ٤ ، ٦ ص ٢٣٦ س ١
- أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان الفقيه المدني : ص ٧٧ س ٩
- أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس بن ثابت : ص ٥١ س ٧ ص ٥٣ س ١٢ ص ٨٥
- س ١٥، ١٣ ص ٩٠ س ٢ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٤١ س ١٩ ص ١٧٨ س ١٠
- ص ٢٣٩ س ٧ : ت : ص ٤٢ س ١٣ ص ٥٣ س ١٢ ، ١٣ ص ١٦٤ س ٢
- ص ١٧٢ س ١٢
- أبو إسحاق (بدلا من أبي إسحاق) : ص ٩٤ س ٢
- أبو سعيد العلم = أبو سعيد المؤدب ، محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي : ص ٥٣
- س ١٠ ص ٥٤ س ٣
- أبو سفيان ، صخر بن حرب بن أمية : ص ٢٤ س ٢
- أبو شيبة الواسطي ، عبد الرحمن بن إسحاق : ص ٦٦ س ١١
- أبو شعصة العامري ، يزيد بن عوف : ص ١٢١ س ١
- أبو صفرة : ص ٢٤ س ١٠ : ت : ص ٢٤ س ١١
- أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل
- أبو الطيب بن غلبون : ت : ص ٢٠٢ س ٣
- أبو العاص بن عبد الوهاب الثقفي : ت : ص ٥٣ س ٩
- أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى = البحرى
- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : ص ٢٤ س ٧ ص ٨٤ س ٩ ص ٨٥ س ١٣ ص ٨٦
- س ٢ ص ٨٨ س ٨، ٣، ١١ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٣٢ س ١٢ ص ٢٤٤ س ١٣ :
- ت : ص ٥ س ١١ ص ٢٤ س ٨ ص ٤٢ س ١٢ ص ٨٨ س ٤ ص ١١٥ س
- أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم : ص ٩٦ س ١٢ ، ١٥ ص ١٠٠ س ٨
- أبو عطاء السندي ، أفلح بن يسار : ص ٣٤ س ١٤ ، ١٦ ص ٣٥ س ٦ ص ٥٢ س ١

- أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان : ص ١٨١ س ٣ ؛ ت : ص ٤٣ س ٦
 أبو علقمة النحوي : ص ١١٩ س ٧ ؛ ت : ص ٤٣ س ٦
 أبو علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : ص ١٦٠ س ٨ ص ٢١٨ س ٧
 أبو طي القالي ، إسماعيل بن القاسم = القالي
 أبو طي للمالكي ؛ ت : ص ٧٧ س ٤
 أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ؛ ت : ص ٤٨ س ١٠
 أبو عمرو بن العلاء الخزاعي التميمي ، اسمه كنيته ، ص ٣١ س ١٦ ص ٤٨ س ١٠
 ص ٤٩ س ٤ ص ٥٩ س ١٣ ، ١٥ ص ٦٣ س ٩ ص ٨١ س ١٢ ص ٢٢٠
 س ٨ ؛ ت : ص ٤٢ س ١٣ ص ٤٨ س ٥ ص ٤٩ س ٣
 أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين : ص ٣٤ س ١٢ ص ٩٨ س ١٧ ؛ ت : ص ١٣٦
 س ٤ ص ٢٣٧ س ٢
 أبو الفضل الرياشي ، العباس بن الفرج : ص ١٢٢ س ٩
 أبو الفضل بن العميد ، محمد بن الحسين = ابن العميد
 أبو الفضل الميكالي ، عبيد الله بن أحمد : ص ١٦٨ س ٦
 أبو القاسم بن طباطبا ، أمير العلويين بمصر ؛ ت : ص ١١٤ س ١٥
 أبو القاسم بن المطهر : ص ١٩٥ س ١ ؛ ت : ص ١١٧ س ٢ ص ١٩٥ س ١ ص ١٩٦
 س ٦ ، ٨ ص ١٩٧ س ٧
 أبو قحطان ؛ ت : ص ٨٣ س ٧
 أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب : ص ٢٥ س ٩
 أبو محمد الزيدى ، يحيى بن المبارك : ص ٦١ س ١٣
 أبو معمر عبد الله بن سخبرة : ص ٧١ س ١٣
 أبو منصور الجواليقي ، موهوب بن أحمد = الجواليقي
 أبو المنهال ، عتبان بن وصيلة : ص ٢٧ س ٤
 أبو مهدية أو أبو المهدى الأعرابي ؛ ت : ص ٢٣٩ س ٣
 أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس : ص ٧٨ س ٥
 أبو ميسرة ، عمرو بن شراحيل الصحابي أو ابن شراحيل : ص ٢٣٩ س ٦ ؛
 ت : ص ٢٣٩ س ٥
 أبو النجم العجلي ، الفضل بن قدامة ؛ ت : ص ١٦٥ س ٦
 أبو نخيلة ، يعمر السعدي : ص ٥٢ س ٢

- أبو النضير ، عمر بن عبد الملك : ص ٩٤ س ٩ ، ٦
أبو نواس ، الحسن بن هانيء : ص ٩١ س ٨ ، ١٧ ص ٩٣ س ١٧ ص ٩٧
س ٩ ص ١٣٥ س ٥ ص ٢٤٤ س ١٣ ؛ ت : ص ٩٧ س ٧ ص ١١٤ س ٤
أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل : ص ١٦٦ س ١٩
أبو وجزة ، يزيد بن أبي عبيد السعدي ؛ ت : ص ١٤٤ س ١
أبو يحيى اللاحقي = أبان بن عبد الحميد
أبو يزيد البسطامي ، طيفور بن عيسى بن آدم : ص ١٧٥ س ٨
أبو اليقظان ، سحيم بن حفص النسابة ؛ ت : ص ٣٠ س ٨
أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : ص ٨٦ س ١٠ ، ١٤
ص ١٢٠ س ٩
أبي بن كعب : ص ٢٣٩ س ١١
الأحذب السعدي : ص ٨٢ س ٢
أحمد بن أبي خالد ، وزير المأمون : ص ١٢٧ س ١٣
أحمد بن الحسين ، أبو الفضل بديع الزمان الهمداني = البديع الهمداني
أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي = المتنبي
أحمد الحق ؛ ت : ص ١٧٩ س ١
أحمد بن حنبل ؛ ت : ص ١٥٦ س ٥
أحمد زكي ؛ ت : ص ٦٩ س ٢
أحمد بن طيفور = ابن أبي طاهر
أحمد بن طولون ؛ ت : ص ١٣٦ س ١١
أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي
أحمد بن فارس ، أبو الحسين = ابن فارس
أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر النحاس النحوي للصري = النحاس
أحمد بن محمد البسقي الخارزنجي = الخارزنجي
أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي = المرزوقي
أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي = الحفاجي
أحمد بن المدبر : ص ١٣٦ س ١٢ ؛ ت : ص ١٣٦ س ٩ ، ١٠
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري = البلاذري
أحمد بن يحيى بن يسار ، ثعلب النحوي الإمام = ثعلب

- الأخطل ، غياث بن غوث ، أبو مالك : ص ٣٦ س ٩ ص ١٠١ س ١٧ ؛ ت : ص ٣٦ س ١٢ ، ٤
الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان : ص ١٤١ س ١٨
الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة المجاشعي : ص ٥٢ س ١٣
أزدة بنت سمية : ص ٢٣ س ١٥
الأزرقى ، أحمد بن إبراهيم ؛ ت : ص ٩٩ س ٦
الأزهري صاحب المعجم ، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى الهروى :
ص ١٦٢ س ٦ ، ١٤ ؛ ت : ص ١٦٢ س ٥
أسامة بن منقذ : ص ٢٢٨ س ١٩
الأستراباذى ، محمد بن الحسن الرضى الأستراباذى ، نجم الدين : ص ٢٢٧ س ١٢
إسحاق بن إبراهيم المصعبى : ص ١٢٧ س ٤ ، ٧ ، ٩ ص ١٣٨ س ١٠
إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ص ١٣٨ س ٩
الاسكافى ، علي بن محمد بن القاسم : ص ١٦٦ س ١٧
إسماعيل بن أبي خالد هرمز ، الكوفى : ص ٧٦ س ٣
إسماعيل بن بلبل ، أبو الصقر : ص ١٣٧ س ١٧
إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب المعجم = الجوهري
إسماعيل بن زياد ؛ ت : ص ٢٠١ س ٤
إسماعيل بن عباد ، الصاحب = الصاحب بن عباد
الأسود بن أبي كريمة : ص ١١٣ س ٨
الأشعرى ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ؛ ت : ص ٣٠ س ١٤ ص ٥٩ س ٣
اشناس التركى : ص ١٢٨ س ٥ ، ٧
الاشنادانى ، أبو عثمان سعيد بن هارون ؛ ت : ص ٥٧ س ٤ ص ٢٤٢ س ٩
الاصطخرى ، إبراهيم بن محمد ؛ ت : ص ١٦٤ س ١٢
الأصمعى ، عبد الملك بن قزيب : ص ٢٥ س ٧ ص ٣٨ س ١ ، ٩ ص ٤٠ س ٨ ، ٥
ص ٤٢ س ١١ ص ٤٣ س ١١ ، ١٢ ص ٤٥ س ٦ ، ٢ ص ٥١ س ١١ ، ١٤
ص ٥٦ س ١٢ ص ٦٠ س ٢ ص ٦٨ س ٤ ، ١١ ص ٦٩ س ٣ ، ٩ ص ٨٣
س ٦ ، ٥ ص ٨٥ س ١٢ ص ٨٦ س ٩ ، ١٢ ، ١٥ ص ٨٨ س ٨ ، ١٠ ص
٩٠ س ١٨ ، ٢٢ ص ٩١ س ٢ ، ٣ ، ٤ ص ١٢٢ س ٥ ص ١٣٢ س ١٠
ص ١٣٨ س ٤ ص ٢٣٩ س ٧ ص ٢٤٤ س ١٣ ؛ ت : ص ٢٨ س ٦ ص ٤٢
س ٩ ص ٤٥ س ٥ ، ٦ ، ٨ ص ٦٨ س ١٤

الأعرج الطائي ؛ ت : ص ٧١ س ٨ ص ١٢٥ س ١
الأعشى ، ميمون بن قيس : ص ٥٧ س ١٦ ؛ ت : ص ٨٣ س ٤ ص ١٧٧ س ٤
ص ٢٠٦ س ٦

أعشى همدان ، عبد الرحمن ، أبو المصباح : ص ٦٨ س ٧ ، ٩
الأعمش ، سليمان بن مهران : ص ٣٢ س ١٧ ص ٧٢ س ١٥
إلياس برشينايا ؛ ت : ص ٣٠ س ٦
امرؤ القيس بن حجر الكندي : ص ١٧٢ س ٦ ص ٢٤٥ س ٧ ؛ ت : ص ٤٧
س ٥ ص ٦٠ س ٣

أم جعفر ، زيدة = زيدة
أم الهيثم الأعراية ، غنية : ص ٨٨ س ٣
الأمين : ص ٦١ س ١٥ ص ٩١ س ١٧
أمية بن أبي الصلت : ص ٤١ س ١٦ ص ٥١ س ١٣
أوجست فيشر = فيشر
أيوب بن كيسان السخيتاني : ص ٧٢ س ٧

د حرف الباء ،

بابك الحرى : ص ١١٦ س ١٢
الباخرزى ، على بن الحسن بن على ، أبو على : ص ٤٤ س ٩ ؛ ت : ص ٤٤ س ٦ ص
٦٨ س ١١

بارت Barth ؛ ت : ص ٤٩ س ٨ ص ١٤١ س ٤ ص ٢٢٠ س ٣
الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٩
البحرى ، أبو عبادة ، الوليد بن عبيد : ص ١٣٥ س ٨ ص ١٧٤ س ١٦ ؛ ت : ص
٨٢ س ١

البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجمعي : ص ٣٣ س ٨ ص ٧٩ س ١٤ ص
٢١٤ س ١٧ ص ٢٢٧ س ٥ ، ١٠ ؛ ت : ص ٥٨ س ٧ ص ٦٧ س ١٠ ص
٨٢ س ١٠ ص ١٥٦ س ٦ ص ١٩٣ س ٢ ص ٢٢٥ س ٢ ص ٢٢٧ س ٦ ، ٧
ص ٢٣٦ س ٥ ص ٢٣٧ س ١

بختيار البويهى : ص ١٨٢ س ١٢

- بدر الدين (طابع ديوان بشار) ؛ ت : ص ٥٧ س ٤
البديع الهمداني ، أبو الفضل أحمد بن الحسين : ص ١٦٦ س ١٦٠ ص ١٦٨ س ٨
براون Browne ؛ ت : ص ٥٣ س ١
برجسترسر Bergstraesser ؛ ت : ص ٧٨ س ١٠
البردخت ، علي بن الخليل : ص ٦٤ س ٨ ص ٨٤ س ٢
برزويه : ص ٥٥ س ١٢
برصومة (زاهر الرشيد) : ص ١٠٣ س ٧
بركلان C. Brockelmann ؛ ت : ص ٨٩ س ٦ ص ١٢١ س ٤
بروينلش Bräunlich ؛ ت : ص ٤٤ س ٣ ص ١١٨ س ٢ ص ١٩٧ س ٣
برفيه Brevier ؛ ت : ص ١٩ س ٧
بروز ؛ ت : ص ١٨ س ٦
البيستاني ، بطرس ؛ ت : ص ١٦٤ س ٥ ص ١٧٥ س ٤
بسخره بن يهبوذان ؛ ت : ص ٢٤ س ٨
بشر بن غياث الريسى : ص ١٢٠ س ٩
بشر بن المعتمر المعتزلي : ص ٥٣ س ١٣ ص ٩٦ س ٢٠
بشر بن الفضل : ص ٥٣ س ١٣
بشار بن برد : ص ٥٢ س ١١ ، ١٢ ص ٥٥ س ٤ ص ٥٧ س ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ص
٥٨ س ١ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ص ٩٨ س ٢ ، ٣ ، ٦ ، ١١ ص ١٠٠ س ٨ ؛ ت : ص ٥٧
س ٤ ص ٨٣ س ٣ ص ١٨٣ س ٧
بشكست النحوى المدنى ؛ ت : ص ٦٨ س ١
البطليوسى ، عبد الله بن محمد بن السيد : ص ٩١ س ٤ ص ١٣٢ س ٩ ، ١٣ ص
٢١٢ س ١٠ ؛ ت : ص ٤٢ س ٣ ص ٨٩ س ٢ ص ٩٥ س ٧ ص ١١٣ س ٥ ص
١٢٣ س ١٠ ص ١٣٢ س ٢
بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي : ص ١٤٩ س ١٤
البكرى ، أبو غييد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ؛ ت : ص ٣١ س ٨ ص ٣٤
س ٧ ص ١٧٢ س ١٤ ص ٢٣٧ س ٦ ص ٢٤٠ س ٢ ص ٢٤٢ س ٢ ، ٨

البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر : ص ١٧ س ٤ ؛ ت : ص ١٤ س ٣ ، ٥ ص ١٥
س ١ ، ١٢ ص ١٧ س ٦ ص ١٨ س ١ ، ٤ ، ٦ ص ٢٣ س ٦ ، ٨ ص ٢٤
س ١٦ ص ٢٧ س ١ ، ٨ ص ٣٠ س ٩ ص ٧٨ س ٧ ص ١٠٤ س ٨ ص
١٧١ س ١٤

بلاشير Blachère ؛ ت : ص ١٦٩ س ١
بلال بن أبي بردة : ص ٢٩ س ٨ ص ٦٧ س ١ ، ٥
بلال بن رباح الحبشى الصحابى : ص ١٢ س ١٥
البلعمى ، أبو على محمد البلعمى : ص ١٦٨ س ٦
البلوى ، أبو الحجاج يوسف بن محمد ؛ ت : ص ٢٤٢ س ٣
بهاء الدولة البويهى ، أبو نصر بن عضد الدولة : ص ١٨٠ س ٨٠
بهاء الدين العاملى ، محمد بن الحسين ؛ ت : ص ٩٢ س ٨ ص ١٧٠ س ٤
بيتجن F. Beathgen ؛ ت : ص ٣٠ س ٦
يدبا (يدبى) : ص ٥٥ س ١٥
ييدرسن Pedersen ؛ ت : ص ١٥١ س ٤
البيدق ، محمد الراوية المعروف بالبيدق ؛ ت : ص ٢٠ س ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨
بيريس Perés ؛ ت : ص ٤٩ س ١٠
بيكر C. H. Becker ؛ ت : ص ١٣٦ س ٧
البيهقى ، إبراهيم بن محمد ؛ ت : ص ٢٧ س ٦ ، ٩ ص ٩٥ س ٩ ص ١٢٧ س ٤ ص
١٢٨ س ٣
بيفن Bevan ؛ ت : ص ٢٠ س ٢ ، ٣

، حرف التاء ،

التبريزى = أبو زكريا التبريزى

نبيع : ص ١٦ س ٧
تربكه Thorbecke ؛ ت : ص ٤٢ س ٤ ص ٢١٢ س ٦ ص ٢٤٣ س ٤
الترمذى ، أبو عيسى محمد بن عيسى ؛ ت : ص ٨٢ س ١٠ ص ٨٤ س ٥ ص ١١٨
س ٦ ص ٢١٠ س ١
تروبتسكوى Trubetzkoy : ص ٢٣٢ س ٢٣

تري Ch. Torry ؛ ت : ص ٤٥ س ٨ ص ٦٨ س ١٤ ص ٨٣ س ٥ ص ٢٢٣ س ٦
التوزي ، عبد الله بن محمد بن هارون : س ٦٣ س ١٥

د حرف الشام ،

الثعالي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل : ص ١٨٢ س ٦ ؛ ت : ص ٥٩ س ١ ص
٩٧ س ٢ ص ١٦٥ س ١٠ ص ١٦٨ س ١ ص ١٧٤ س ٦
ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار : ص ٤٩ س ١٠ ص ١٣٩ س ١٦ ،
١٨ ، ٢٠ ص ١٤١ س ٤ ، ٧ ، ٩ ص ١٧١ س ١١ ص ١٨٤ س ٧ ص ٢١٢
س ٢ ص ٢٢٠ س ١١ ؛ ت : ص ٤٩ س ٨ ص ٧١ س ١ ص ٢٢٠ س ٣
ثور بن يزيد = أبو الجاموس

د حرف الجيم ،

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : ص ١٨ س ٧ ص ١٩ س ٥ ، ١٩ ص ٢٢ س
٤ ص ٣١ س ٢ ص ٣٢ س ٩ ص ٥٦ س ١٣ ص ٦٠ س ١٧ ص ٦٥
س ٤ ص ٧١ س ١٢ ص ٧٦ س ٧ ص ٨٠ س ١٠ ، ١٣ ص ١٠٢
س ١٢ ص ١٠٦ س ٦ ص ١١١ س ١٦ ص ١١٢ س ٣ ، ١١ ، ١٣
ص ١١٣ س ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ص ١١٤ س ٢ ، ٨ ، ٩ ص ١١٥
س ٦ ، ١٣ ص ١١٦ س ٥ ، ٨ ص ١١٧ س ٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥
ص ١١٨ س ٨ ، ١٠ ص ١١٩ س ١ ، ١٢ ، ١٦ ص ١٢٠ س ٨ ص
١٢١ س ١٦ ص ١٢٦ س ١٤ ص ١٢٩ س ٣ ، ٥ ص ١٣٢ س ٤ ، ٦ ص
١٦٣ س ١٤ ص ٢٠٥ س ١٩ ص ٢٤٠ س ٥ ، ١٠ ، ١٥ ص ٢٤١ س ١ ،
٦ ، ١٦ ص ٢٤٢ س ٢ ؛ ت : ص ١٠ س ١ ص ١٢ س ٥ ص ١٣ س ١
ص ١٥ س ١٤ ، ١٦ ص ١٦ س ١ ، ٦ ص ٢٦ س ٢ ص ٢٧ س ١ ، ٨ ،
١٢ ص ٢٨ س ١ ، ٣ ص ٢٩ س ٢ ص ٣٠ س ١٣ ص ٣١ س ١ ، ٢ ،
٤ ، ٧ ص ٣٢ س ٥ ص ٣٣ س ٦ ص ٣٤ س ٢ ص ٣٦ س ٣ ص ٤٣ س
٤ ص ٥٣ س ٨ ، ١٠ ص ٥٤ س ١ ص ٥٦ س ٤ ص ٥٧ س ٥ ص ٥٨ س
٩ ص ٦٠ س ١٠ ص ٦٤ س ١١ ، ٥ ص ٦٦ س ١٢ ص ٦٧ س ٤ ، ٨ ص
٦٨ س ٥ ص ٧٠ س ٦ ص ٧٢ س ٥ ، ٧ ص ٧٥ س ٨ ص ٧٨ س ٤ ، ٨

ص ٨٤ س ٧ ص ٨٦ س ٤ ص ٩٥ س ١ ، ٩ ص ٩٧ س ١ ، ٢ ص ٩٩
 س ٣ ص ١١٧ س ٤ ص ١١٨ س ٣ ص ١١٩ س ٧ ص ١٢٠ س ٤ ص ١٢٧
 س ٤ ص ١٦٤ س ٧ ص ١٨٣ س ١١ ص ١٩٧ س ٦ ص ٢٠٥ س ٦ ص
 ٢٣٧ س ٩ ص ٢٣٨ س ٩ ص ٢٤١ س ٣ ، ٧ ، ١٠ ، ١٥ ص ٢٤٦ س ٣

جابر G. Oeyer ؛ ت : ص ٨٣ س ٤ ص ٢٢٠ س ٢

جبريل بن بخيشوع : ص ٨٤ س ١٢

جحدر ، أحد لصوص العرب : ص ٢٣٧ س ٩

الجراذقان : ص ٢٣٨ س ٢ ، ٣

جراف G. Graf ؛ ت : ص ١٠٣ س ٣ ص ١٠٤ س ٥ ص ١٠٦ س ٥ ص ١٠٧

س ١ ص ١٠٨ س ١ ، ٣ ص ١٠٩ س ١ ص ١٦٢ س ١ ص ٢٢٥ س ١

ص ٢٣٧ س ٥

جرير بن عبد الله البجلي : ص ١٤٦ س ٢

جرير بن عطية : ص ٢٠ س ٣ ، ٩ ، ١٣ ص ٢٦ س ٢ ص ٣٦ س ٨ ، ١٥ ص ٨٤

س ٢ ص ١٢٢ س ١٥ ، ١٧ ؛ ت : ص ١٢ س ٤ ص ٣٥ س ٢ ، ٤ ص ٩١

س ٧ ص ١٦٤ س ١ ، ١٠ ص ٢٤٢ س ٧

جرينت Grünert ؛ ت : ص ٤٢ س ٢ ص ٧٥ س ٦ ص ١٢٦ س ١ ص ١٣٢ س ١

ص ١٧٦ س ٣

جعثن ، أخت القرزدق : ص ٢٠ س ١٤ ، ١٦

جعفر بن سليمان الهاشمي : ص ٦٨ س ٥

جعفر الصادق : ص ١٣٧ س ٢

جلالز Glaser ؛ ت : ص ٢١٢ س ٣

جلد مايستر Gildemeister ؛ ت : ص ٢٠ س ٤

جلتنار ، أم بشار بن برد ؛ ت : ص ١٨٣ س ٨

الجماز البصري ، محمد بن عبد الله : ص ١٢٥ س ١٢

الجمحي ، محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام

جناد بن واصل : ص ٦٣ س ١٣ ص ٦٤ س ١

الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس : ص ١٦ س ٧ ؛ ت : ص ٦٩ س ٢

جهم بن خلف : ص ٢٣٧ س ٥

الجوالقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الحضر ؛ ت : ص ١٥ س ٧ ص ٤٢ س
 ٣ ص ٥٨ س ٨ ، ١١ ص ٧٦ س ٢ ص ٨٣ س ٦ ص ٨٦ س ٩ ص ٨٩
 س ٢ ص ١١٣ س ٩ ص ١٢٧ س ٦ ، ١٠ ص ١٩٩ س ٥
 جورج ياكوب C. Jacob ؛ ت : ص ٢٤ س ٤
 جولد تسير Goldziher ١. ؛ ت : ص ٤ س ١٠ ص ٥ س ٥ ص ٢٤ س ١٢ ص ٣٥
 س ٦ ص ٤١ س ٦ ص ٥٨ س ٢ ص ٧٠ س ٨ ص ٧٧ س ٦ ص ٧٩ س ٦
 ص ٩٣ س ١ ص ١١٣ س ١ ص ١٦٥ س ١١ ص ٢٠٥ س ٥
 الجوهري صاحب المعجم ، إسماعيل بن حماد : ص ٩٠ س ٩ ص ١٩٦ س ٣ ص ١٩٨
 س ١٠ ؛ ت : ص ٢٠٥ س ٥

حرف الحاء ،

حاجز الشاعر ، ابن عوف الأزدي ؛ ت : ص ٤٣ س ٣ ص ٨٠ س ٢
 حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلبي ؛ ت : ص ٦٦ س ١ ص ١٦٥ س ٩
 ص ٢٢٥ س ٧ ص ٢٢٦ س ٤
 الحارث بن كعدة : ص ٢٣ س ١٠ ، ١٤
 حارثة بن الحجاج = أبو دواد الإيادي
 الحاكم الأصغر : ص ٥٩ س ١٥
 حبابة ، قينة يزيد بن عبد الملك : ص ٢٣٨ س ٤
 حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام
 الحجاج بن يوسف الثقفي : ص ١٠ س ١ ص ٢٦ س ٢ ص ٢٨ س ٥ ، ٧ ص ٢٩
 س ٣ ص ٣١ س ١٧ ص ٨٢ س ١ ص ١١٩ س ٣ ص ١٩٣ س ١٥ ص ٢٣٧
 س ٩ ص ٢٤٠ س ١ ؛ ت : ص ٢٨ س ٤ ص ٤٢ س ١٢
 حرب : ص ١١٥ س ١٦
 الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي ؛ ص ١٠٢ س ١٧ ص ١٨٤ س ٥ ص ٢٠٦
 س ٨ ص ٢١٢ س ١٤ ، ١٧ ص ٢١٣ س ١ ، ٤ ، ٨ ، ١٧ ص
 ٢١٤ س ١ ، ١٤ ، ٢١ ص ٢١٥ س ٣ ، ٦ ، ١٥ ، ١٩ ص ٢١٧ س ٥ ،
 ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ص ٢١٨ س ١٥ ص ٢١٩ س ١ ، ٩ ، ١٦ ص ٢٢٠ س ٧ ،
 ١١ ، ١٩ ص ٢٢١ س ١ ص ٢٢٢ س ١ ، ٣ ، ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣

ص ٢٢٦ س ٢ ، ٦ : ت : ص ١٩ س ٦ ص ٤٢ س ٣ ص ٤٤ س ٩ ص ٧٥
 س ٢ ص ٩٢ س ٧ ص ٩٧ س ٩ ص ١٠٤ س ١٠ ص ١٠٧ س ٥ ، ٩ ص
 ١٠٨ س ٤ ص ١٢١ س ٦ ص ١٢٣ س ١ ص ١٧٠ س ٧ ، ٩ ص ١٧١
 س ٤ ، ١٥ ص ١٧٣ س ٣ ص ٢٠٦ س ٢ ص ٢١٣ س ٢ ، ٥

حسان بن أبي حسان النبطي : ص ٣٤ س ٢

الحسين بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي الفارسي

الحسن بن أحمد بن يعقوب ، أبو محمد الحمداني = الحمداني

حسين بن الحر : ت : ص ٧٨ س ٨

الحسن بن عبد الله البصري : ص ١٦ س ٨ : ت : ص ٣١ س ١٤ ص ٣٢ س ٩

الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري = أبو هلال العسكري

الحسن بن هاني ، = أبو نواس :

الحسن بن وهب الكاتب : ص ١٢٦ س ٧

الحسين بن أحمد أبو عبد الله بن خالويه = ابن خالويه

حسين بن الأصرم : ص ٨٧ س ٩ ، ١٠ ، ١٣

حسين بن الحارث : ص ٧٨ س ٨

الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم : ت : ص ٢٤١ س ١٠

الخطيئة ، جرول بن أوس : ت : ص ٢٣٥ س ١

حفص الأموي : ص ١٢١ س ١

حفص بن أبي ودعة : ص ٦٤ س ٤ ، ٦ ، ١٠

حفص بن عمر الحوضي : ص ٧٩ س ١٣

الحكم بن أبي العاص : ص ٨٣ س ١٤

الحكم بن عبد الله الأسدي : ص ٢٤٦ س ٨

حماد الراوية ، أبو ليلى بن ميسرة أو ابن مابور : ص ٦٢ س ١٧ ص ٦٣ س ١ ، ٢ :

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٣ ص ٦٤ س ٢ ، ٥ ص ٩٧ س ١٢ : ت : ص ٦٣

س ٤ ، ٥ ، ٨

حماد بن سلمة البصري : ص ٧٣ س ٣ ، ٩

حماد عجرد بن يحيى ، أبو عمرو بن نهج : ص ٦٤ س ٨

حمزة بن يعض : ت : ص ٣٠ س ١٠

حرف الخاء ،

- خارجة بن مصعب ؛ ت : ص ٧١ س ٨
 الخارزنجي ، أحمد بن محمد البسقي : ص ١٦٢ س ١٦
 خالد بن الحارث المحدث : ص ٥٣ س ١٣
 خالد بن صفوان : ص ٦٧ س ٣
 خالد بن عبد الله القسري : ص ٣٠ س ٧ ، ٩ ، ١٣ ص ٣١ س ٣ ص ١١٦ س ١١ ؛
 ت : ص ٣٨ س ٣ ، ٤
 خالد بن يزيد ، خالويه البصري : ص ١١٦ س ١١
 خشينشار : ص ٨٤ س ٨
 الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : ص ٦٥ س ١٨ ص ٦٦ س ١ ؛
 ت : ص ٥ س ٨ ، ١١ ص ٢٤ س ١٣ ص ٢٤٤ س ٦
 الحفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري : ص ٢٢٢ س ٢٣ ؛ ت : ص
 ٢٧ س ١٤ ص ٦٠ س ٧ ص ٧٥ س ٥ ص ١٠٤ س ١٤ ص ١٢١ س ٦
 ص ١٢٣ س ٢ ص ١٦٠ س ١ ص ١٧٠ س ٥ ، ١٠ ص ٢١٢ س ٧ ص ٢١٤
 س ١ ص ٢١٥ س ١ ص ٢١٦ س ٣ ص ٢١٨ س ٣ ، ٥ ص ٢٢٠ س ١
 ص ٢٢١ س ٢ ص ٢٢٣ س ٣ ، ٤ ، ٥
 خلف الأحمر : ص ٦٩ س ٢ ، ٤ ؛ ت : ص ٦٩ س ٤
 الخليل بن أحمد : ص ١١ س ٩ ؛ ت : ص ١١ س ٥
 خليل بن أيك الصفدي = الصفدي
 الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو علي ، صاحب مفاتيح العلوم ؛ ت :
 ص ١١ س ٤

- الخوارزمي ، محمد بن العباس ، أبو بكر = أبو بكر الخوارزمي
 خواستي (جد أبي شيبة قاضي واسط) ؛ ت : ص ٦٦ س ١٠
 الحياط ، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ؛ ت : ص ٩٧ س ٢

حرف الدال ،

- الدارمي ، علي بن عمرو ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٢
 الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد = أبو عمرو الداني
 دكين الراجز ؛ ت : ص ١٦٤ س ١١

الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ؛ ت : ص ٢٧ س ٤ ص ٤٣ س ٤ ص ٦٥ س ٦

ص ٩٧ س ٦ ص ١١٦ س ١ ، ٥ ص ١٦٥ س ٤ ص ١٧٧ س ٣ ص ١٩٧

س ١٠ ص ٢٣٧ س ١٢

دوزي Dozy ؛ ت : ص ٣٩ س ٢ ص ٧٠ س ١٦ ص ١١٨ س ٥ ص ١٥١ س ٢

ص ١٨٣ س ١٠ ص ١٩٦ س ٢ ص ٢٣٨ س ٣

ديت Diet ؛ ت : ص ١٧١ س ١ ، ٣ ، ٤

ديترتشي Dietrich ؛ ت : ص ١٨٠ س ١

ديرنبورج Derenbourg ؛ ت : ص ٤٢ س ١ ص ٧٣ س ١٢ ص ١٢٣ س ١٣

ص ١٧٣ س ٧

دي غوي De Goje ؛ ص ١٩٨ س ٢ ص ٢٠٤ س ٤ ، ١٦ ؛ ت : ص ١٧ س ٤

ص ٩٣ س ٩ ص ١٥٤ س ٢ ص ١٧١ س ١٤ ص ١٧٣ س ٢ ص ١٩١ س ١

ص ١٩٢ س ٢ ص ١٩٥ س ٧ ص ١٩٧ س ٥ ص ١٩٩ س ١

ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان ؛ ت : ص ١٣٦ س ٩

ديلم : ص ١٨ س ١

حرف الذال ،

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ؛ ت : ص ٣٠ س ١٥ ص ٣٣ س ٢ ، ٤

ص ٥٣ س ١٤ ص ٥٩ س ٢ ص ٦٦ س ٩ ، ١١ ص ٦٧ س ١ ص ٦٩ س ٦

ص ٧٠ س ١٣ ص ٧٣ س ٢ ، ٦ ص ٧٥ س ١١ ص ٧٦ س ٧ ص ٧٩

س ١ ، ٢ ، ٨ ص ٨٠ س ١ ، ٦ ص ٨٣ س ١٠ ص ٢٠١ س ٣

ذو الأصبع العدواني ، حرثان بن الحارث ؛ ت : ص ٧١ س ٧

ذو الرمة ، غيلان بن عقبة ؛ ص ٤٠ س ١٣ ص ٤٣ س ٥ ، ٢ ، ٤ ص ٤٤ س ١٠

ص ٤٥ س ١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ص ٢٣٨ س ١٢ ؛ ت : ص ٢٩ س ١ ص ٤٣

س ٩ ص ٤٤ س ١ ص ٤٥ س ٤ ص ١٩٥ س ٥

حرف الراء ،

الرائق ، أمير الأمراء : ص ١٣٠ س ٦

رايت Wright ؛ ت : ص ٢٣٥ س ٣

راينهارد Reinhardt ؛ ت : ص ١٠٤ س ٢

- رطب : ص ٩٨ س ٩٠
- رغبة الراى بن أبى عبد الرحمن ، أبو عثمان : ص ٦٩ س ١٣ ، ١٤
- رستم : ص ١٧ س ١٧ ؛ ت : ص ١٨ س ٤
- رشم : O. Rescher ؛ ت : ص ١٢١ س ٧ ص ١٥٦ س ٧
- الرشك ، يزيد بن أبى يزيد : ص ٨٤ س ٤
- الرشيد ، هارون = هارون الرشيد
- رغيب بن قيس الغبرى ؛ ت : ص ١٠٣ س ٧
- رقية بن مصقلة : ص ٦٦ س ١٤ ؛ ت : ص ٦٦ س ١٣
- ركندورف Reckendorf ؛ ت : ص ٣٤ س ١٠ ص ٦٠ س ٤ ص ١٠٨ س ٢
- ص ١٧٠ س ١ ص ١٧١ س ٧
- الرمباح بن أبرد = ابن ميادة
- الرمادى ؛ ت : ص ١١٤ س ٥
- رؤبة بن العجاج : ص ٢٩ س ٧ ، ١٠ ص ٣٠ س ٣ ص ٣١ س ١٦ ص ٣٨ س ٦٤
- ص ٥٢ س ٢ ص ٥٧ س ٢٠ ص ٨١ س ٧ ص ٢٢٦ س ١٠ ص ٢٤٦ س ٧ ؛
- ت : ص ٣٨ س ٦ ، ١٤ ، ١٧ ص ١١٥ س ٢ ص ١٩٥ س ٦
- رودو كانا كيس Rhodokanakis ؛ ت : ص ٤٩ س ٥
- رؤياخ بن سنيح أو رباح بن سنيح : ص ٣٩ س ١٢ ؛ ت : ص ٣٦ س ٦
- حرف الزاى ،
- زبيدة ، أم جعفر : ص ٥٦ س ٥ ، ٦
- الزير بن العوام ؛ ت : ص ٨١ س ٤
- زيتارستين Zettarstéen ؛ ت : ص ١٥ س ٥ ص ١٦٢ س ٤
- الزجاج النحوى ، إبراهيم بن البرى : ص ١٠٤ س ٩ ص ٢٢٧ س ٣
- الزجاج النحوى ، عبد الرحمن بن إسحاق ؛ ت : ص ٢٧ س ٣ ص ٢٨ س ٤ ص ٧٢
- س ٤ ص ٧٨ س ٢ ص ٢٣٨ س ٥
- زر بن حبش : ص ٧٨ س ١٢
- الزرقانى ، محمد بن عبد البقى ؛ ت : ص ٢٢٧ س ٦ ، ٨ ص ٢٣٦ س ٥
- الزفان ؛ ت : ص ٤٢ س ١١ ص ١٩٥ س ٥
- زنبور Zambaur ؛ ت : ص ١٦ س ١٤ ص ٥٧ س ٢ ص ١٢٧ س ٣ ص ٢٢٧ س ٢

- الزنجبلى ، محمود بن عمرو ؛ ت : ص ٦٧ س ١٠١ ص ٧٥ بن ٩ ص ١٠٣ س ٨
 ص ١٢٦ س ٣ ص ٢٣٥ س ٤ ص ٢٣٧ س ٢ ص ٢٣٩ س ٢ ، ٤ ص ٢٤٢
 س ٢ ص ٢٤٣ س ١ ص ٢٤٤ س ١
 زياد بن أبى حسان النبطى : ص ٣٤ س ٢
 زياد بن أبيه : ص ١١ س ٢ ص ١٥ س ٨ ص ١٦ س ٢ ، ٨ ص ١٨ س ٢ ص ٤٣
 س ١٦ ص ٢٤ س ١
 زياد بن سلمة لأبى حنيفة : ص ٣٣ س ١٢ ص ٣٤ س ٣ ، ٥ ، ١٤ ص ٥١ س ١٤
 زياد بن معاوية ، أبو أمامة ، النابغة الديالى = النابغة الديالى
 زيد الحيل الطائى ؛ ت : ص ٨٢ س ٢
 زيد بن على : ص ٣٢ س ٧ ؛ ت : ص ٣٥ س ٤
 حرف السين ،
 سالم بن محمد بن أبى بكر : ص ٢٥ س ٥
 سبخت = أبو عبيدة معمر بن المثنى
 سحيم عبد بنى الحساس ؛ ص ١٢ س ١٩ ؛ ت : ص ٩١ س ٦
 سخاو E. Sachau ؛ ت : ص ١٥ س ٧ ص ٢٤ س ١١ ص ١٠٤ س ٩ ص ٣١٢ س ١
 سراقه الباهلى ؛ ت : ص ٥٨ س ١٢
 سرجويه الطبيب : ص ٨٣ س ١٠
 سعد بن أبى وقاص : ص ١٧ س ١٧ ؛ ت : ص ١٨ س ٤
 سعد بن عباد : ص ٢٤٢ س ٦
 سعد بن معاذ : ص ٢٤٢ س ٦
 سعيد بن أوس بن ثابت = أبو زيد الأنصارى
 سعيد بن جبير : ص ٣٢ س ١٦
 سعيد بن سلم بن قتيبة : ص ٩١ س ١
 سعيد بن عبد العزيز التنوخى الدمشقى : ص ٧٣ س ٢
 سعيد بن مسعدة الجاشعى = الأخفش الأوسط
 السفاح ، أبو العباس عبد الله بن محمد : ص ٨٥ س ٤
 سفيان بن أبى عبيدة : ص ٧٤ س ٦ ، ٨ ص ٩٩ س ٩
 سفيان بن رباح ؛ ت : ص ٣٦ س ٩
 السكرى ، أبو سعيد الحسن بن الحسين ؛ ت : ص ٨٢ س ١ ص ٢٣٧ س ١٣

- سكوس B, Skoss ؛ ت : ص ١٠٣ س ٣ ص ١٠٨ س ٧
 سلافة ، قينة يزيد بن عبد الملك : ص ٢٣٨ س ٤
 سلم بن عمرو الحاسر : ص ٩٧ س ١٦ ص ٩٨ س ١
 سلم بن قتيبة الباهلي : ص ٥٧ س ١٧ ؛ ت : ص ٥٧ س ٣
 سليمان بن سليم بن كيسان الكابي : ص ٣٥ س ٧ ، ٨ ، ٩ ص ٣٦ س ١
 سليمان بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٩ س ٢١
 سليمان بن عبد الملك : ص ٢٧ س ٨
 سليمان بن علي : ص ٥٥ س ٨
 سليمان بن مهران ، الأعمش = الأعمش
 سليمي : ص ١٢٠ س ١٤
 السمقي ، يوسف بن خالد اللقي السمقي ، الفقيه الحنفي صاحب أبي خنيفة ؛ ت : ص ٨٠ س ٥
 السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور ؛ ت : ص ٧٦ س ١ ص ٨٤ س ٤ ، ٥
 ص ٢١١ س ٥
 صمية : ص ٢٣ س ٨ ص ٢٤ س ٣
 السندوبي ؛ ت : ص ٤٧ س ٥
 سنيح بن رباح : ص ٣٦ س ١٣ ؛ ت : ص ٣٦ س ٨
 سهل بن محمد ، أبو حاتم السجستاني = أبو حاتم السجستاني
 سهل بن هارون : ص ١٢٠ س ٤
 السهيلي ، عمرو بن علي السهيلي الخثعمي ؛ ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٤٥ س ١٠ ص ٢٤٠ س ٤
 سيديويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر : ص ١١ س ١٨ ص ٥٠ س ٢١ ص ٥١ س ٢
 ص ٥٢ س ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ص ٥٤ س ٥ ص ٦٢ س ١٧ ص ٦٦ س ٤
 ص ٧٠ س ٩ ص ٧٣ س ٨ ص ١٢٦ س ٤ ص ١٧٢ س ٤ ص ١٧٨ س ١١
 ص ٢١٨ س ١٥ ص ٢٢٧ س ٣ ؛ ت : ص ١٢ س ١ ص ٣٦ س ١٠ ص ٤٢
 س ١ ص ٤٨ س ١ ص ٣ ، ١ ص ٥١ س ١ ، ٢ ، ٣ ص ٧٣ س ١٢ ص ٨٣ س ٦
 ص ٨٧ س ١ ص ١٢٤ س ١٢ ص ١٧٢ س ١٤ ص ١٧٣ س ٦
 السيد الخنري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد : ص ٩٣ س ٢
 السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ؛ ت : ص ٣١ س ٥ ص ٦١
 س ٢ ، ٤ ص ٦٤ س ١ ص ٧٣ س ٨ ص ٨٦ س ٣ ، ٤ ص ٢٢ س ٢

سيف الدولة ، على بن عبد الله بن حمدان : ص ١٦٨ س ٦ ص ١٧٥ س ٧

سيلجزون Seligsohn ؛ ت : ص ٨١ س ٥

سيمون Simon ؛ ت : ص ٢٢ س ٤

السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين بن محمد بن عثمان : ص ١٠٢ س ١٩ ؛ ت :

ص ٦٢ س ١٣ ، ٢ ص ٧٧ س ١٢ ، ١ ص ٧٨ س ١٤ ، ٧ ص ١٠٤ س ١٣

ص ١١٦ س ٥ ص ١١٩ س ٤ ص ١٢٧ س ١ ص ١٤٦ س ١ ص ١٦٠

س ٣ ص ١٧٩ س ١ ص ١٨٤ س ٢ ص ٢١٠ س ٦ ص ٢١١ س ١٠

ص ٢١٣ س ٣ ص ٢٢٦ س ٥ ص ٢٢٧ س ١ ، ٤ ص ٢٣٧ س ١١

ص ٢٣٨ س ١٠

و حرف الشين ،

الشار : ص ١٦٨ س ٦

شاهنشاه : ص ١٧ س ١٦

شيتابك Spitta Bey ؛ ت : ص ٧٥ س ١٢

شبيب بن البرصاء ؛ ت : ص ١٢٦ س ٧ ص ٢٠٦ س ٥

شبيب بن شبة : ص ٢٧ س ٥ ص ٦٧ س ١ ، ٤ ، ٩ ص ٢١٢ س ١

شبيجلبرج Spiegelberg ؛ ت : ص ٢٢ س ٢

شترك Strack ؛ ت : ص ١٩٩ س ٣

شرف الدين ، الملك المعظم : ص ٦٥ س ١٧ ص ٦٦ س ٨

الشريف الرضى ، محمد بن الحسين بن موسى : ص ١٨٠ س ١٧ ؛ ت : ص ١١٨ س ٨

الشريف المرتضى ، على بن الحسين بن موسى : ص ١٨٠ س ٥ ؛ ت : ص ٣٦ س

١٠ ص ٥٦ س ١ ص ٦٤ س ٥ ص ٨١ س ٩ ، ١٠ ص ٩١ س ٢ ص ٢٣٨ س ١١

ص ٢٤١ س ١٢ ص ٢٤٢ س ٢ ، ٨

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم ؛ ت : ص ١١٤ س ٩

الشعي ، عامر بن شراحيل الحميري الكوفي : ص ٧٢ س ٢ ، ٥ ص ٨٦ س ١٢

شليفر J. Schleifer ؛ ت : ص ١٥٦ س ٢

الشتنمري ، أبو الحجاج الألم يوسف بن سليمان ؛ ت : ص ٣٦ س ١٠

الشهاب الحفاجي أحمد بن محمد بن عمر = الحفاجي .

شهاب الدين ، محمد بن إسماعيل ، صاحب « منقبة الملك » ؛ ت : ص ٩٥ س ١١

شوخرت Schuchardt ؛ ت : ص ١٩ س ٦

شوشى : ص ١١٤ س ٨

شوكر ؛ ت : ص ٦٩ س ٥ ، ٦

الشوكرى ؛ ت : ص ٦٩ س ٤

شيخ بن رياح ؛ ت : ص ٣٦ س ٧

شرويه : ص ١٥ س ٦ ؛ ت : ص ١٥ س ٨ ، ١٠ ، ١١

حرف الصاد ،

الصاحب بن عباد ، إسماعيل : ص ١٥١ س ٤ ص ١٦٣ س ١٧ ، ٢٠ ، ص ١٦٤ س ١ ،

٣ ص ١٦٥ س ٦ ص ١٦٦ س ١ ، ١٦ ص ١٦٨ س ٧ ص ١٧٤ س ٧ ،

٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ص ١٧٥ س ٢ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ص ١٧٦ س

١٥ ، ٥ ؛ ت : ص ١٣٥ س ٦ ص ١٦٣ س ٢ ص ١٦٤ س ٣ ص ١٧٢ س

٢ ص ١٧٥ س ١

الصاوى (ناشر ديوان الفرزدق) ؛ ت : ص ٣٧ س ١ ص ٤٧ س ٦ ، ١٠

صبيح بن رياح : ص ٣٦ س ١٣

صخر بن حرب = أبو مفيان

الصدىقى A. Siddiqi ؛ ت : ص ١١٦ س ٦ ص ١٩٦ س ٧

الصفدى ، خليل بن أيك : ص ١٧٠ س ٥ ؛ ت : ص ٩٧ س ٥

صلاح الدين الأيوبى يوسف بن أيوب : ص ٢٢٩ س ٢

الصلحاني ؛ ت : ص ٣٦ س ٢ ، ٨

صهيب بن سنان الصحافى : ص ١٢ س ١٦ ؛ ت : ص ١٢ س ٦

الصولى ، أبو بكر محمد بن يحيى = أبو بكر الصولى

حرف الطاء ،

طالب الحق الخارجى ؛ ت : ص ٦٨ س ٢

ظاهر بن الحسين : ص ١٣٨ س ٧ ، ١١ ، ١٣ ص ١٣٩ س ١٨ ، ١٩

طاوس بن كيسان . أبو عبد الرحمن : ص ٣٢ س ١٦

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ؛ ت : ص ١٦ س ١٥ ص ٣٠ س ٤ ، ١٤ ص ٣٥

س ٤ ص ٣٨ س ٤ ص ١١٣ س ٢ ص ١٣٨ س ٣ ، ٦ ص ١٤٩ س ٤

طرفة بن العبد : ص ٨١ من ٦ ص ١٩٥ س ١٦
الطرماح بن حكيم : ص ٣٧ س ٢٠ ص ٣٨ س ١ ، ٥ ، ١٠ ص ٣٩ من ١٨ ص ٤٠
س ٥ ص ٤٢ س ١٠ ص ٥١ س ١٤ ص ٨٨ س ١٤ ص ٢٤٣ من ٦ ؛ ت :
ص ٣٨ س ١٢ ، ١٧

طفيل الغنوى ؛ ت : ص ٣٨ س ١٢
الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الفارسي ؛ ت ص ٥٨ س ٧
طيفوز بن عيسى بن آدم = أبو يزيد البطامي
و تحريف العين ،

عاصم بن شراحيل = الشعبي

عاصم بن الطفيل : ص ٥٩ س ١٧

عائشة بنت طلحة : ص ٧٦ س ١

عباد بن زياد : ص ١٦ س ٧ ؛ ت : ص ١٦ س ٢

عبادة بن ماء السماء : ص ١٨٦ س ١٤ ، ٢١ ص ١٨٨ س ١٤

العباس بن الأخنف : ص ١٠٠ س ٨

العباس بن عبد المطلب : ص ٥٤ س ١١

العباس بن الفرغ = أبو الفضل الرياشي

عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي البصري : ص ٧٦ س ٨

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العيشي : ص ٧٦ س ٢

عبد الرحمن بن عنبسة : ص ٤١ س ٥

عبد الرحمن بن عيسى الهمداني : ص ١٤٩ س ٦ ، ١٣ ص ١٥٠ س ١٦ ص ١٥١

س ٣ ، ١٠ ص ١٥٢ س ١٧ ؛ ت : ص ١٤٩ س ٢ ، ٣ ص ١٥١ س ٣

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله = أبو البركات بن الأنباري

عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ، جلال الدين السيوطي = السيوطي

عبد الصمد بن المعتل : ص ١٢٥ س ١٣ ص ١٢٦ س ٣

عبد العزى بن عبد المطلب = أبو لهب

عبد القادر بن عمر البغدادي ؛ ت : ص ١٦ س ١٠ ص ٣٤ س ١٣ ص ٣٥ س ١ ص

٥٢ س ٢ ص ٨١ س ٢ ص ١٢٤ س ٩ ص ١٢٦ ص ٢ ص ١٣٦ س ٢ ص

- عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي = ابن أبي إسحاق
عبد الله بن أبي عوف الخزاعي ؛ ت : ص ٢١ س ٢
عبد الله بن أحمد = ابن الحشاش البغدادي
عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي = غلام خليل
عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي : ص ٧٤ س ١
عبد الله بن إسماعيل = ابن زينب المراكبي
عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري = ابن بري
عبد الله بن الحارث السهمي ، المعروف بالمبرق ؛ ت : ص ٤٢ س ١٠ ، ١١
عبد الله بن خالد الأموي : ص ١١٤ س ٨
عبد الله بن الزبير : ص ٨٢ س ٨
عبد الله بن سخرية ، أبو معمر = أبو معمر
عبد الله بن طاهر : ص ١٣٨ س ١٥ ص ١٣٩ س ١٥
عبد الله بن عباس : ص ٢١٠ س ٧
عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، أبو القاسم : ص ١٨٠ س ٧
عبد الله بن عتيق : ص ١٠١ س ١٣
عبد الله بن عمر : ص ٣٣ س ٨
عبد الله بن محمد الأموي الأسباني : ص ١٨٦ س ٨
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي = البطليوسي
عبد الله بن مسعود : ص ٧٨ س ٧ ، ١٠
عبد الله بن مسلم بن قتيبة = ابن قتيبة الدينوري
عبد الله بن مسلم الهذلي : ص ٩٢ س ٥
عبد الله بن المقفع = ابن المقفع
عبد الله بن يحيى أبو محمد بن كناسة = ابن كناسة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، والي البصرة : ص ٢٤٦ س ٩
عبد الملك بن قريب = الأصمعي
عبد الملك بن مروان : ص ٢٦ س ٢٠
عبد الملك بن هشام = ابن هشام
عبد مناف : ص ٢٥ س ١١
عبد الوارث بن سعيد : ص ٧٣ س ٤

- عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب : ص ٢٣٨ س ١٤
عبيد الله بن أبي طاهر ؛ ت : ص ١٨٣ س ١٣
عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم بن خرداذبه = ابن خرداذبه
عبيد الله بن زياد : ص ١٥ س ٤ ، ٨ ، ١١ ص ١٦ س ٣ ، ١٠ ص ١٧ س ٥
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٧ س ١١ ص ١٤٠ س ٣
عبيد الله بن قيس الرقيات : ص ٤٩ س ٢
عبيد الله بن محمد العيشي : ص ٧٦ س ٢
عتبان بن وصيلة = أبو المنهال
عتبة بن غزوان : ص ٢٣ س ١٥
عثمان بن أبي العاص الثقفي : ص ٢٤ س ١٠
عثمان بن جني ، أبو الفتح = ابن جني
عثمان بن عفان : ص ٢٤٢ ، س ١٢
العجاج الراجز : ص ٩٢ س ٤ ؛ ت : ص ١٧٢ س ١١ ص ١٧٢ س ٥
العجلي ، صاحب كتاب الجرح والتعديل ؛ ت : ص ٧٢ س ٩
العديل بن الفرخ العجلي : ص ٨٢ س ٥ ؛ ت : ص ٤٢ س ١١
عدى بن زيد : ص ٥١ س ١١
عروة بن الورد ؛ ت : ص ١٦٥ س ٣
عريب الخادم : ص ١٩٨ س ١٧
العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل = أبو هلال العسكري
عضد الدولة ، أبو شجاع فناخسرو : ص ١٦٨ س ٧ ص ١٨٠ س ١٦
العقيلي ؛ ت : ص ٢٢٥ س ٥
العكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي ؛ ت : ص ١٧١ س ١٠ ، ١٥
ص ١٧٢ س ٣ ص ١٧٤ س ١ ص ١٨٣ س ٦
العلاء بن هلال ؛ ت : ص ٧٩ س ٣
علي بن أبي زيد الفصيحى = الفصيحى
علي بن أبي طالب : ص ١١ س ٣ ص ٢٥ س ٤
علي بن أحمد بن محمد الواحدى = الواحدى
هلى بن بسام أبو الحسن = ابن بسام
هلى بن الجهم : ص ١٢١ س ٨

- على بن الحسن بن علي الباخريزي = الباخريزي
 على بن الحسين الأصهباني ، أبو الفرج = أبو الفرج الأصهباني
 على بن الحسين بن موسى = الشريف المرتضى
 على بن حمزة الأصهباني ؛ ت : ص ١٠٤ س ١٢ ص ٢٤١ س ٢٠٢
 على بن حمزة أبو الحسن الكسائي = الكسائي
 على بن الخليل = البردخت
 على زين العابدين : ص ٢٥ س ٣
 على بن سليمان الأخفش = الأخفش الأصغر
 على القاري ابن سليمان العاسي : ص ١٠٢ س ٢٠ ص ١٠٨ س ١٤ ؛ ت : ص ١٠٣ س ٣
 على بن العباس بن جريج = ابن الرومي
 على بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة
 على بن محمد الحماي العلوي : ص ١٣٧ س ١ ، ٤
 على بن محمد ، ابن خروف النحوي = ابن خروف
 على بن محمد بن العباس التوحيدي = أبو حيان التوحيدي
 على بن محمد بن عبد الله المدائني = المدائني
 على بن محمد الإسكافي ، أبو القاسم = الإسكافي
 على بن يحيى المنجم = ابن المجمع
 عمار الكلبي : ص ١٦١ س ١١
 عمارة بن عقيل : ص ١٢٢ س ١٥
 العماني ، محمد بن ذؤيب : ص ٩٣ س ٦ ص ١١٣ س ٤
 عمر بن أبي ربيعة : ص ٤٦ س ١
 عمر بن الخطاب : ص ٨ س ١١ ، ١٤ ص ٢٥ س ٥ ص ٧٧ س ١٥ ص ٧٨ س ٧٠ ، ٦
 ص ٢٢٥ س ١٠ ص ٢٣٩ س ٩
 عمر بن شبة ؛ ت : ص ٦٩ س ٥
 عمر بن عبد العزيز : ص ٢٧ س ١٤ ص ٧٨ س ٦
 عمر بن عبد الملك ، أبو النضر الشاعر = أبو النضر
 عمر بن هبيرة : ص ٢٥ س ٤
 عمرو بن شراحيل أو شر حيل الصحابي = أبو ميسرة

عمرو بن عبيد : ص ٥٩ س ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ص ٨٠ س ١١ ص ١٤٧ س ٨
 عمرو بن عثمان بن قنبر = سيويه
 عمرو بن مسلم : أخو قتيبة بن مسلم : ص ٢٧ س ١٣
 عنبسة بن معدان : ت : ص ٤٧ س ٩
 غنوة : ص ١٢ س ٩ ص ٨٣ س ٧ : ت : ص ٤٨ س ١٢
 عوانة ، أبو الحكم بن الحكم بن عياض الكلبي : ت : ص ٢٣ س ٣ ص ٢٨ س ٥
 عوف بن الأحوص : ت : ص ١٢٦ س ٨
 عويمر بن مالك = أبو الدرداء
 عيسى بن يزيد بن داب : ص ٦٨ س ٦ ، ١٣ ، ١٤ ص ٦٩ س ٣ ، ٤
 عيشة (بدلا من عائشة) : ص ٧٥ س ١٤
 العيشي : ص ٧٦ س ١
 العيني ، محمود بن أحمد العتاني الحنفي : ت : ص ٣٧ س ٢ ص ٤٣ س ١ ص ٦٥ س ٦
 ص ١٥٦ س ٤

• حرف الغين •

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد = أبو حامد الغزالي
 غلام خليل ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي : ص ٧٩ س ١٤
 غنية ، أم الهيثم الأعرابية = أم الهيثم
 غيلان بن عقبة = ذو الرمة

• حرف الفاء •

الفاسي ، أبو عمران موسى بن عيسى : ت : ص ١٠٤ س ٤
 فان فلوتن Van Vloten : ت : ص ٣٦ س ٤ ، ٧ ص ٥٣ س ١٠ ص ١١٣ س ٦٠
 ص ١١٦ س ٨ ، ٩ ، ١٢ ص ١١٧ س ٤ ص ١٢٠ س ١ ص ١٢٩ س ٢
 ص ٢٠٥ س ٦
 الفتح بن خاقان : ص ١٢٨ س ١٦ ص ١٢٩ س ٦ ص ١٣٥ س ١٨ : ت : ص ١٢٩ س ٣
 الفراء ، يحيى بن زياد ، أبو زكريا : ص ٨٥ س ١٣ ، ١٩ ص ١٣٩ س ١٧ ، ١٩
 ص ١٧٢ : ت : ص ٤ س ١٥ ، ١٧ ص ٥ س ٣ ، ٩ ، ١٣
 فرّان G. Ferrand : ت : ص ١٥ س ١

فرايتاج Freitag ؛ ت : ص ٨٢ س ٥ ص ٢٣٦ س ١
 الفرزدق ؛ هام بن غالب : ص ٢٠ س ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ص ٣٦ س ١٦ ص ٢٧
 س ١٢ ، ٩ ، ٦ ص ٤٧ س ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٤ ص ٤٨ س ١ ص ٨٧ س ٩
 ص ١٢٢ س ١٧ ص ٢١٦ س ٦ ؛ ت : ص ١٢ س ٤ ص ٤٧ س ٩ ، ٥
 ص ٨٧ س ٣ ص ٩١ س ٦ ص ٩٥ س ٦ ص ١١٣ س ٤ ص ٢٣٨ س ١١
 ص ٢٤٢ س ٧ .

فرنكل Fraenkel ؛ ت : ص ١٩٦ س ١ ص ١٩٧ س ١ ، ٤
 فريدلندر Friedländer ؛ ت : ص ١٠٤ س ١
 فسخرء ، جد أبي صفرة ؛ ت : ص ٢٤ س ١٠
 الفصيحي ، علي بن أبي زيد : ص ٢١١ س ١٧ ص ٢١٢ س ١
 الفضل بن الحباب = أبو خليفة الجمحي
 الفضل الرقاشي ؛ ت : ص ٧٠ س ٤
 الفضل بن سهل ، ذو الرياستين : ص ٨٤ س ١١
 الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : ص ٢٥ س ١٠
 الفضل بن محمد القصباني النحوي : ص ٢١٣ س ٣
 الفضل بن مروان الكاتب وزير المعتصم : ص ١٢٧ س ١٥ ص ١٢٨ س ١
 فلترز K. Vollers ؛ ت : ص ٤ س ١ ص ٥ س ٢١ ، ٢٣ ص ٢٢ س ١ ص ٣ ، ٢٥
 س ٥ ص ٤٢ س ٨ ص ١٠٤ س ٢
 فلترز Vullers ؛ ت : ص ١٩ س ٢

فلوجل Flügel ؛ ت : ص ١٢٩ س ٥ ص ٢٠٥ س ١
 فليشر Fleischer ؛ ت : ص ٤٨ س ٩ ص ٥٣ س ٩ ص ٧٣ س ١٣ ص ١٠٨
 س ٥ ص ١٧٠ س ٦ ص ١٧١ س ٧ ص ١٧٣ س ٥ ص ٢٠٢ س ٢
 ص ٢٠٦ س ٤

فنكل ؛ ت : ص ٥٦ س ٤
 فيشر Fischer ؛ ت : ص ٤٤ س ٣ ص ٤٨ س ٣ ص ٧٧ س ١١ ص ٩٣ س ٧
 ص ٩٤ س ٨ ص ١٠٢ س ٣ ص ١٠٧ س ١٠ ص ١٦٩ س ٣ ص ١٧٧ س ٥
 فيل الغني : ص ١٥ س ١٠

، حرف القاف ،

- القاسم التمار : ص ١٢٠ س ١٢
- القاسم بن عبد الله ، وزير المعتضد : ص ١٤٠ س ١٢
- القاسم بن علي الحريري = الحريري
- القاسم بن عيسى بن معقل = أبو دلف العجلي
- القاسم بن محمد بن أبي بكر : ص ٢٥ س ٤
- القاسم بن محمد الثقفي ؛ ت : ص ٣٠ س ٣
- القاسم بن محمد القاسم : ص ٢٩ س ١٦ ؛ ت : ص ٣٠ س ٢
- قالون ، عيسى بن مينا : ص ٧١ س ٥
- القالى ، أبو علي إسماعيل بن القاسم ؛ ت : ص ١٦ س ٩ ص ٣١ س ٣ ، ٧ ص ٣٤
- س ٧ ص ٤٠ س ٤ ص ٤٢ س ١٣ ص ٤٨ س ٢ ص ٦٧ س ٥ ص ٧٨ س ٦
- ص ٩٢ س ٦ ص ١١٨ س ٧ ص ١٢٥ س ١ ص ٧٠ ص ١٧٢ س ١٣ ص ١٧٦
- س ١ ص ٢٣٦ س ٤ ص ٢٣٧ س ٦ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ص ٢٣٩ س ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠
- ص ٢٤٢ س ٨ ، ٩
- القتال الكلابي ، ... بن الفرحي : ص ٣٩ س ١٤
- قتيبة بن مسلم : ص ٢٧ س ١٣
- قدامة بن جعفر : ص ١٤٣ س ١٦ ص ١٤٤ س ١١ ، ١٢ ص ١٤٥ س ١ ، ٩
- ص ١٤٦ س ٨ ص ١٤٧ س ١ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٢ ص ١٤٨ س ٤ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠
- ص ١٤٩ س ٣ ، ٧ ، ١٣ ص ١٥٠ س ١٦ ص ٢٤١ س ١٣ ؛ ت : ص ٢٧
- س ٨ ص ٣٢ س ٤ ص ١١٤ س ٤ ص ١٢١ س ٢ ص ١٢٦ س ٩
- ص ١٤٩ س ٢ ، ٣ ص ٢٤١ س ١٤
- القدسى ، حسان الدين ؛ ت : ص ٨٦ س ٩
- القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر ؛ ت : ص ٧٤ س ١١ ص ٢١٤ س ٢
- ص ٢٢٨ س ٢
- القطامي ، عمير بن شبيب ؛ ت : ص ٤٣ س ٣
- قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : ص ١٣٨ س ٤ ؛ ت : ص ٦٨ س ٧ ، ٩ ص
- ٢٤٤ س ٣

قطری بن النجاء ؛ ت : ص ۶۸ س ۸ .
 قعب بن أم صاحب : ص ۲۳۶ س ۹ ؛ ت : ص ۱۷۲ س ۱۱ ص ۲۳۶ س ۳
 القلقشندی ، أبو العباس أحمد بن علی ؛ ت : ص ۱۶ س ۷ ص ۲۷ س ۹ ص ۷۰
 س ۱۱ ص ۸۶ س ۲ ص ۱۲۷ س ۲

د حرف الکاف ،

کاله P Kahle ؛ ت : ص ۴ س ۷ ، ۸ ، ۹ ، ۱۵ ص ۵ س ۱۳ ، ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۳
 ص ۷۷ س ۵

کامل (من زعماء بدو المتفق) : ص ۲۸ س ۶

الکتي = ابن شاکر

کثیر بن أبي کثیر البصري : ص ۲۸ س ۶

کثیر عزّة : ص ۴۹ س ۱۴ ص ۸۳ س ۸

کرتشکوفسکی kratschkowsky ؛ ت : ص ۴۶ س ۱

کریستن Christensen ؛ ت : ص ۵۵ س ۲

کرنکو krenkow ؛ ت : ص ۳۰ س ۳ ص ۳۶ س ۴ ، ۹ ص ۳۸ س ۱۲ ، ۱۴

ص ۶۱ س ۲ ، ۴ ص ۲۲۳ س ۳

الکسانی ، أبو الحسن علی بن حمزة : ص ۵۲ س ۱۸ ص ۶۱ س ۱۴ ، ۱۸ ص ۶۲

س ۷ ، ۱۳ ص ۸۵ س ۱۳ ص ۸۷ س ۴ ، ۱۱ ، ۱۵ ص ۸۹ س ۸ ، ۱۰

من ۹۰ س ۱ ، ۳ ، ۵ ، ۱۰ ، ۱۵ ، ۱۶

کعب الأشقر : ص ۲۴ س ۱۳ ؛ ت : ص ۲۴ س ۸

کعب بن زهير ؛ ت : ص ۱۷۱ س ۱۳

کفلر H. Koffler ؛ ت : ص ۸ س ۱ ص ۲۴۴ س ۲

کلتز H. Keller ؛ ت : ۱۳۵ س ۳

الکیت بن زيد : ص ۳۸ س ۲ ، ۵ ص ۴۰ س ۵ ، ۶ ، ۱۴ ص ۴۱ س ۵ ، ۱۱

۱۲ ، ۱۹ ، ۱۸ ص ۴۲ س ۲ ، ۱۴ ص ۴۳ س ۷ ص ۵۱ س ۱۴ ص ۶۳

س ۴ ص ۱۷۱ س ۱۰ ، ۱۲ ص ۱۷۳ س ۸ ؛ ت : ص ۳۸ س ۱۶

الکتوری ، السيد حین بن السيد محمد القولي النيسابوري الشيعي (صاحب کشف

الحجب) ؛ ت : ص ۱۸۰ س ۵

کندرممان Kindermann ؛ ت : ص ۱۹۵ س ۹ ، ۴

كندري : ص ٤ س ٨ ، ٩

د حرف اللام ،

ليد بن ربيعة العامري : ص ٢٣٦ س ٥

لبرت Lippert ؛ ت : ص ٨٤ س ١٠

لتمان E.Littmann : ص ١٢٢ س ١

اللحياني طي بن المبارك ؛ ت : ص ١٧٧ س ١

لد سبارسكي Lidsbarsky ؛ ت : ص ١٩٥ س ١٠

لغدة الأصهباني : ص ١٢٢ س ١

الليث بن المظفر : ص ٢٢٣ س ٤ ؛ ت : ص ٥٣ س ٤

ليلي العامرية : ص ٤٦ س ٦ ، ١٠

لين Lane ؛ ت : ص ١٩ س ٤ ص ٥٣ س ٤

ليني بروفنال Lévy Provençal ؛ ت : ص ٢٠ س ٩

ليني دلا فيدا Levi Della Vida ؛ ت : ص ٤٦ س ٣

د حرف الميم ،

الأمون : ص ٦١ س ١٣ ص ٧٥ س ٢ ص ٨٦ س ٧ ص ١١١ س ٢ ، ٩ ، ١١ ص

١٢٥ س ٩ ص ١٢٧ س ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ ص ١٢٨ س ٣ ص ١٣٠

س ٩ ص ١٣٨ س ١٤

مارسي Marçais ؛ ت : ص ١٩٣ س ١

ماركوارت Marquart ؛ ت : ص ٢٤ س ١١

المازني ، أبو عثمان بكر بن محمد ؛ ت : ص ٧١ س ٧

ماكارتي Marcartny ؛ ت : ص ٤٣ س ١٠

ماكدونالد Macdonald ؛ ت : ص ٢٠٦ س ١

مالك بن أسماء ، مهر الحجاج : ص ٢٤٠ س ١ ص ٢٤٥ س ٢

مالك بن أنس التيمي القرشي ، الإمام : ص ٣٣ س ٧ ، ٨ ص ٦٩ س ١٠ ، ١٢ ص

٧٠ س ٣ ص ٧١ س ٨ ص ٧٥ س ١ ؛ ت : ص ٧٠ س ١٠ ص ٢٢٧ س ٦

ص ٢٣٦ س ٥

مالك بن الربيع ؛ ت : ص ٤٨ س ٢

المبرد ، محمد بن يزيد ، أبو العباس : ص ٣٦ س ١٢ ، ١٤ ص ٣٩ س ٢٠ ص ١٢١
 س ١٠ ص ١٢٢ س ١٧ ص ١٢٦ س ٤ ص ١٤١ س ١٩ ص ٢١٨ س ١٨ ؛
 ت : ص ١٥ س ١٥ ص ٢٦ س ١ ص ٢٧ س ٩ ص ٣٠ س ١٣ ص ٣١ س ٦
 ص ٣٣ س ٦ ص ٤٢ س ٩ ص ٤٤ س ١٠ ص ٤٨ س ١١ ص ٤٩ س ٢ ، ٣ ، ٤ ص ٦٧
 س ٩ ص ٦٨ س ٩ ص ٧٢ س ٥ ص ٧٤ س ٦ ص ٨٢ س ٦ ص ٨٣ س
 ١ ، ٣ ص ٨٧ س ٣ ص ٩١ س ٦ ص ٩٣ س ٥ ص ٩٥ س ٩ ص ١١٥ س
 ١ ص ١١٨ س ٧ ص ١٢١ س ٨ ص ١٢٣ س ٣ ، ٧ ص ١٧٣ س ٦ ص
 ٢١٠ س ٥ ص ٢٣٥ س ١ ص ٢٤٢ س ٥

المبرق = عبد الله بن الحارث السهمي

Mez متز ؛ ت : ص ١٤٥ س ٢ ص ١٦٥ س ١١ ص ١٩٥ س ١ ص ١٩٧ س ١ ، ٤
 المتقي ، صاحب كنز العمال ؛ ت : ص ٢١ س ٥

المتلس ، جرير بن عبد المسيح ؛ ت : ص ٤٢ س ٨

المتني ، أحمد بن الحسين ، أبو الطيب : ص ١٦٣ س ٧ ص ١٦٨ س ١١ ص ١٦٩
 س ١٥ ص ١٧٠ س ٩ ص ١٧١ س ١٠ ص ١٧٢ س ٨ ، ٦ ص ١٧٣ س ١٣ ،
 ١٨ ص ١٧٤ س ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ص ١٧٥ س ٤ ، ١٢ ص ١٧٦ س ١٢ ،
 ١٤ ، ١٦ ص ١٧٧ س ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ص ١٧٨ س ١ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ،
 ١٦ س ١٧٩ س ٨ ، ١١ ص ١٨٠ س ٤ ، ١١ ص ١٨١ س ٥ ص ١٨٣
 س ٨ ص ١٨٤ س ١٥ ؛ ت : ص ٤٤ س ٥ ص ١٣٥ س ٦ ص ١٦٣ س ٢
 ص ١٧١ س ١ ص ١٧٢ س ٤ ص ١٧٤ س ٢ ، ٣ ، ٥ ص ١٨٠ س ١ ، ٤ ، ٦

المتوكل : ص ١٢١ س ٩ ص ١٢٨ س ١٩ ص ١٣٠ س ٤ ص ١٣٨ س ١٨

معج A. Meg ؛ ت : ص ٧٠ س ١٤ ص ١١٤ س ٥ ص ١١٧ س ٢

المجنون : ص ٤٦ س ٧ ، ٩ ، ١٠

محمد بن إبراهيم الفزاري : ص ٩٧ س ٤

محمد البلعمي ، أبو علي = البلعمي

محمد بن أبي عون الحاجب : ص ١٣٩ س ٤ ، ١٠

محمد بن أبي مؤمل : ص ١٢١ س ٤

محمد بن أحمد ، أبو عبد الله بن ثوبة = ابن ثوبة

محمد بن أحمد بن فورجة = ابن فورجة

محمد بن أحمد المقدسي ، أبو عبد الله = المقدسي

محمد بن إسحاق بن النديم ، صاحب الفهرست = ابن النديم

محمد بن بشير ؛ ت : ص ٩٤ س ٧

محمد بن الحارث الثعلبي ؛ ت : ص ١٢٩ س ٥

محمد بن حازم الباهلي ؛ ت : ص ٢٣٨ س ٤

محمد بن حبيب : ص ١٢٩ س ٢

محمد بن الحسن الأحول النحوي : ص ١٤١ س ٥

محمد بن الحسن ، أبو بكر بن دريد = ابن دريد

محمد بن الحسين ، أبو الفضل بن العميد = ابن العميد

محمد بن الحسين بن موسى = الشريف الرضي

محمد بن حميد الطوسي : ص ١٢٤ س ٨

محمد الديباجة : ص ١٣٧ س ٢

محمد بن ذؤيب = العماني

محمد الراوية ، المعروف بالبيدق = البيدق

محمد بن زياد الكوفي = ابن الأعرابي

محمد بن سعد كاتب الواقدي = ابن سعد

محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام

محمد بن سيرين

محمد بن شاكر الكندي = ابن شاكر الكندي

محمد بن شنب ؛ ت : ص ٩٥ س ١٢

محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي = أبو بكر الخوارزمي

محمد بن عبد الله الجازي = الجازي البصري

محمد بن عبد الله جمال الدين = ابن مالك النحوي

محمد بن عبد الله بن طاهر : ص ١٣٨ س ١٧ ص ١٢٩ س ١٢ ، ١٩

محمد بن عبد الله أبو جعفر بن قادم = ابن قادم النحوي

محمد بن عبد الله الكاتب البصري = المنجّع

محمد بن عبد الله بن ظفر = ابن ظفر

محمد بن عبد الملك الزيات = ابن الزيات

محمد بن عبد الملك بن قزمان = ابن قزمان

- محمد بن عبد الوهاب الثقفي : ص ٨٣ س ١٢، ١٣
 محمد بن عبدوس الجهشياري = الجهشياري
 محمد بن العساف الشجري الأعرابي : ص ١٦٠ س ٥
 محمد علي : ص ٢٣١ س ٧
 محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله الواقدي = الواقدي
 محمد بن عمران أبو عبد الله المرزباني = المرزباني
 محمد بن القاسم الثقفي : ص ٣٠ س ٥
 محمد بن القاسم بن إشار ، أبو بكر بن الأنباري = أبو بكر ابن الأنباري
 محمد بن محمد بن محمد الغزالي = أبو حامد الغزالي
 محمد بن محمود القبري الضرير : ص ١٨٦ س ٨
 محمد بن المستنير ، أبو علي قطرب النحوي = قطرب
 محمد بن منذر = ابن منذر
 محمد بن يسير : ص ٩٤ س ١٣
 محمد بن يحيى بن أبان : ص ١٢٢ س ٣
 محمد بن يحيى الصولي = أبو بكر الصولي
 السلطان محمود : ص ٢٠٨ س ٢١
 محمود حمدي البولاقى ؛ ت : ص ١٩٠ س ١
 محمود بن السلطان محمود : ص ٢٠٩ س ١
 محمود بن عمر الزعشرى = الزعشرى
 المدائني ، علي بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن ؛ ص ٣٠ س ١٣ ؛ ت : ص ١٨ س ٤
 مرداذاء ، أبو أبي صفرة ؛ ت : ص ٢٤ س ١٠
 مرجانة : ص ١٥ س ٦ ؛ ت : ص ١٥ س ١١
 مرجليوث Margoliouth ؛ ت : ص ١٦٤ س ٧
 المرزباني ، محمد بن عمران ، أبو عبد الله ؛ ت : ص ٢٧ س ٧ ص ٣٨ س ١ ، ١٠
 ص ٤٠ س ٢ ، ٧ ص ٤٢ س ٩ ص ٤٣ س ١٢ ص ٤٤ س ٧ ص ٤٥ س ٩ ، ١٠
 ص ٤٧ س ٧ ، ٩ ص ٤٩ س ٥ ، ٩ ص ٥١ س ١١ ، ١٣ ص ٦٣ س ٣ ص ٦٤ س ١١
 ص ٦٨ س ١٣ ص ٧٠ س ٤ ص ٨٦ س ٤ ص ٩٢ س ٣ ص ٩٣ س ١ ، ٨
 ص ٩٥ س ٧ ص ٩٨ س ٣ ص ١٠٣ س ٧ ص ١٢١ س ٢ ، ٦ ص ١٢٤ س ٢
 ص ١٢٥ س ٩ ص ١٣٥ س ٤ ص ١٧٣ س ٦ ص ٢٤٠ س ٣ ص ٢٤٤ س ٧

- المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ص ٣٩ س ٢
المرقش الأصغر ، ربيعة بن سفيان ، أو عمرو بن حرملة : ص ٦٤ س ٦ ، ١١ ، ١٥
مروان بن أبي حفصة : ص ٦٣ س ١
مروان بن الحكم : ص ٢٣٩ س ١٥
مزدك : ص ٥٥ س ١١
مساور الوراق : ص ٦٤ س ٨
مسعر بن كدام : ص ١٧ س ١٥
مسعر بن مهلهل اليزبوعي = أبو دافع الخزرجي
المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ؛ ت : ص ٢٥ س ١ ص ٦٩ س ١ ص ١١٦
س ١ ص ١٣٧ س ١ ص ١٤٠ س ٤ ص ١٩٦ س ٤
مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : ص ٢٢٧ س ١٠ ؛ ت : ص ٣٨ س ٧ ص
٧٤ س ١١ ص ٢٢٣ س ٥ ص ٢٢٧ س ٦ ص ٢٢٨ س ١
مسلم بن الوليد : ص ٩٣ س ١٥ ؛ ت : ص ١٩٦ س ٣
مسلمة بن عبد الملك : ص ٢٥ س ١٣ ص ٢٧ س ١٢
المطرزي ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد ؛ ت : ص ٦٧ س ١١
معاوية بن أبي سفيان : ص ١٦ س ٢ ، ٣ ص ١٨ س ٢ ص ٢٤ س ١ ، ٢
معاوية بن بكر العمليقي : ص ٢٣٨ س ٣
معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي : ص ١٢١ س ٣
المعتصم : ص ١٢٥ س ٩ ص ١٢٧ س ١٦ ص ١٢٨ س ٢ ، ١٣ ، ١٧ ص ١٣٠ س
١٣ ، ٩
المعتضد : ص ١٣٧ س ١٨ ص ١٤٠ س ١١
معد بن عدنان : ص ٥٤ س ٢
المغيرة بن حبناء : ص ٣٣ س ١٥
المغيرة بن سعيد الشيعي : ص ٣٠ س ١١
المغيرة بن شعبة ؛ ت : ص ٨٣ س ٨
المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث : ص ٢٧ س ١٠ ، ١١
المغيرة بن المهلب : ص ٣٤ س ٦
المفجع ، محمد بن عبد الله الكاتب البصري : ص ١٤٢ س ٣
المفضل الضبي بن يحيى بن يعلى بن عامر : ص ٦٣ س ٦ ؛ ت : ص ٦٣ س ٧

المفضل بن سلة ؛ ت : ص ٢٥ س ٦
المقدسى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : ص ١٦٧ س ١٣ ص ١٦٩ س ٢ ص ١٩١ س
٢ ، ٤ ، ١٣ ص ١٩٢ س ٢٠ ص ١٩٣ س ١١ ، ١٧ ص ١٩٤ س ٥ ، ٩
ص ١٩٥ س ٢ ص ١٩٦ س ٧ ص ١٩٧ س ٤ ، ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ١٩ ص ١٩٨
س ١ ص ١٩٩ س ٢ ، ٤ ، ١٢ ص ٢٠٠ س ١٨ ص ٢٠١ س ١ ، ٦ ،
١١ ، ١٤ ص ٢٠٤ س ٢٣ ص ٢٠٥ س ٤ ، ٦ ؛ ت : ص ١٠٤ س ٦ ص

١٨٣ س ٩ ص ١٩٧ س ٥

المقرى ، أبو العباس أحمد بن محمد ؛ ت : ص ٢٢٧ س ١ ، ٥

مكحول الدمشقى : ص ٣٣ س ٥

ملك شاه : ص ٢٠٨ س ٢٠ ، ٢١

مللر A. Müller ؛ ت : ص ١٠٧ س ١ ، ٨ ص ١٠٨ س ٤ ص ١٥٨ س ٢ ص
٢٢٩ س ١

المنصور : ص ٥٣ س ١٠ ص ٦٠ س ١٢ ص ٨٥ س ٥ ص ٨٦ س ٦
المهدى : ص ٥٣ س ١١ ص ٥٦ س ٩ ص ٨٣ س ١٣ ص ٨٥ س ٦ ص ١٢١ س ٣
المهدى شيخ أبى بكر بن على الصنهاجى ؛ ت : ص ٢٠ س ٩
مهدى بن مهمل : ص ٧٦ س ١٠

المهلب بن أبى صفرة : ص ٥٤ س ٨ ص ٣٣ س ١٣ ؛ ت : ص ٩٣ س ٨

المهاجى ، أبو محمد الحسن بن محمد ، الوزير : ص ١٦٦ س ١٧

المهمل ، عدى بن ريعة ؛ ت : ص ٤٢ س ٨

مورتلز B. Moritz ؛ ت : ص ١٢ س ١٣

موسى الأسوارى : ص ١١٢ س ١٥

موسى بن ميمون : ص ١٠٣ س ١٧

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الطبيب : ص ١٨٤ س ٦

موهوب بن أحمد ، أبو منصور الجوالقى = الجوالقى

الميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى ؛ ت : ص ٤٢ س ٦ ص ٤٣ س ٤

ص ٩٢ س ٨ ، ١٠ ص ١٠٦ س ٣ ص ٢٣٨ س ١٠ ص ٢٤١ س ٢ ، ٦ ص ٢٤٢ س ٢

ميلك P. Mielck ؛ ت : ص ٢٢٤ س ١

الميمنى ، عبد العزيز الراجكوتى ؛ ت : ص ٢٧ س ١١ ص ٨٩ س ٩

ميمون بن قيس = الأعشى

ميمون بن هارون ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعبى : ص ١٢٧ س ٤ ، ٩

، حرف النون ،

الناطقة الديباني ، زياد بن معاوية : ص ٤٨ س ٣ ؛ ت : ص ٤٣ س ٣ ص ٤٧ س ٤

نابليون : ص ٢٣١ س ٥

ناصرى خسرو (الرحالة الفارسى) : ص ١٨١ س ٨

نافع بن أبي نعيم المدنى القارىء : ص ٧١ س ٥ ، ٧ ، ٨ ؛ ت : ص ٧١ س ٨

نافع بن الأزرق ؛ ت : ص ٢١٠ س ٣

نافع بن جبير : ص ٢٧ س ١٢ ؛ ت : ص ٢٧ س ١٣

نافع ، أبو عبد الله مولى بن عمر : ص ٣٣ س ٧ ، ٨

النجاد ، الفقيه الحنبلى ، أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن : ص ٧٩ س ٧

النحاس النحوى المصرى ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل : ص ٣٢ س ٣

النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب : ص ٧٧ س ٣ ؛ ت : ص ٢٢٧ س ٧

نصر بن سيار : ص ٣٠ س ٣ ، ٤ ، ٦ ص ٣٥ س ٤ ص ١٠٢ س ١٤

النضر بن شميل : ص ١٠٤ س ٨

نظام الملك ، الحسن بن على الطوسى : ص ٢٠٨ س ١٩

النعمان بن ثابت = أبو حنيفة

نقطويه ، إبراهيم بن محمد بن عرفة العتقى الأزدي : ص ١٤١ س ١٦

نقيع بن ممية ، أبو بكرة : ص ٢٣ س ١٢ ، ١٦

الوهمي ، أبو محمد الحسن بن موسى ؛ ت : ص ٣٠ س ١٤

نولدكه T. Nöldeke ؛ ت : ص ٨١ س ٩ ص ٢٠٤ س ٢١ ؛ ت : ص ٤ س ٥ ص ٥

س ٢٢ ص ١٣ س ٥ ص ١٤ ص ٢٠ ، ١ ص ١٥ ص ٨ ص ١٧ س ٢ ص ٢٤

س ٢ ص ٢٨ س ١٠ ص ٤٣ س ٧ ص ٤٩ س ٦ ص ٦٦ س ٦ ص ٧٠

س ١٥ ص ٧٨ س ١١ ص ٩١ س ٤ ص ٩٢ س ١ ص ١٩٥ ص ١٠٢ س ٢

ص ١٢٦ س ١١ ص ١٦٥ س ٣ ص ١٧٠ س ٢ ص ٢٠٢ س ١ ص ٣٠١ ص ٢١٥

س ١ ص ٢١٨ س ٣ ص ٢٢٣ س ٢ ، ٦

النرونى ، يحيى الدين يحيى بن شرف ؛ ت : ص ٢١ س ٧ ص ٢٢٨ س ١

« حرف الهاء ،

- الهادي : ص ٥٣ س ١١ ص ٦٨ س ١٤ ص ٨٥ س ٨ ص ٩٧ س ١٦ ، ١٧
 هارتمان M. Hartmann : ت : ص ١٨٦ س ٢ ص ١٨٩ س ١
 هارون الرشيد : ص ٨٣ س ١٣ ص ٨٥ س ٢ ، ٩ ، ١٩ ص ٨٦ س ٩ ، ١٧
 ص ٨٩ س ١٠ ص ٩٠ س ١٧ ص ٩١ س ٩ ص ٩٣ س ١٢ ، ١٣ ص ٩٥
 س ١٢ ، ١٤ ص ٩٦ س ٨ ، ٢١ ص ٩٩ س ٢ ص ١٠٣ س ٧ ص ١٠٤
 س ٧ ص ١١١ س ٩ ، ٥٠ ص ١١٣ س ٤ : ت : ص ٢٠ س ٦
 هبة الله بن جعفر = ابن سناء الملك
 هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، أبو السعادات بن الشجري = ابن الشجري
 هرمز الفارسي ، أبو اسماعيل بن أبي خالد الكوفي : ص ٧٦ س ٥
 هشام بن حسان : ص ٧٦ س ٩
 هشام بن عبد الملك : : ص ٣٤ س ٣ ص ٣٧ س ٧ ص ٨٢ س ٧
 هشام بن معاوية النحوي الضرير : ص ١٢٧ س ١٢
 هشام بن محمد بن السائب = ابن الكلبي
 هشيم بن بشير : ص ٧٤ س ١٤ ص ٧٥ س ٨ ، ١٠ ، ١٢
 هلال بن العلاء الرقي : ص ٧٩ س ٥ : ت : ص ٧٩ س ٥
 هل Hell : ت : ص ٤٦ س ٤
 الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : ص ١٥٤ س ٤ ، ٦ ، ١٨ ص ١٥٥
 س ٤ ، ١٧ ، ٢١ ص ١٥٦ س ١ ، ١٣ ص ١٥٧ س ٥ ، ١٥ ص ١٥٨
 س ١ ، ٣ ، ١٩ ص ١٥٩ س ٥ ، ١١ : ت : ص ٤٠ س ٥ ص ٩٩ س ٥٢
 ص ١٢٣ س ٥ ص ١٥٥ س ١ ص ١٥٦ س ٨ ، ٩ ص ١٥٧ س ١
 ص ١٥٨ س ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ص ٢٣٨ ص ٦
 هورن Horn : ت : ص ١٥ س ٣ ص ١٨ س ١٠ ص ١٩ س ٣
 الهيثم بن عدي = ابن عدي

« حرف الواو ،

- الواحدى ، علي بن أحمد بن محمد : ص ١٦٩ س ١٩ ص ١٧٢ س ٥ ص ١٧٨ س ٣
 ص ١٨٠ س ١ : ت : ص ١٧٠ س ٥ ص ١٧١ س ١ ، ٦ ، ٨ ص ١٧٢
 س ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ص ١٧٣ س ٣ ص ١٧٤ س ١ ص ١٨٠ س ١

- وأصل بن عطاء : ص ١١٤ س ٩
 الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ؛ ت : ص ٢٣ س ٤ ص ٢٤٢ س ٥
 فايل G. Weil ؛ ت : ص ١٠٢ س ١ ص ٢٢٦ س ٧
 ورش ، عثمان بن سعيد المصري : ص ٧١ س ٥
 ورقاء بن زهير ؛ ت : ص ٨٨ س ٤
 فستفلد Wüstenfeld ؛ ت : ص ٤٠ س ٤ ص ٤١ س ٣ ص ٥١ س ٥ ص ٦٨ س ٣
 وكيع بن الجراح : ص ٧٥ ص ١٢ ، ١٣
 فلهاوزن J. Wellhausen ؛ ت : ص ٨ س ٣ ص ١٦ س ٣ ص ٢٣ س ٤ ، ٨ ص ٢٥
 س ١٠ ص ٣٠ س ١٦ ص ٣٤ س ٣ ص ٣٨ س ٩ ص ٤٥ س ١١ ص ٦٨
 ص ١٥ ص ٨٣ س ٨ ، ١٢
 الوليد بن عبد الملك : ص ٢٧ س ٧ ص ٣٤ س ٣ ص ٣٧ س ١٠ ص ٢٣٦ س ٩
 الوليد بن عبيد ، أبو عبادة البحتري = البحتري
 الوليد بن عقبة ؛ ت : ص ٣٨ س ٨
 الوليد بن يزيد : ص ٢٦ س ٦
 فنسنك Wensinck ؛ ت : ص ٨٢ س ١١ ص ٩٩ س ٤ ص ١١٨ س ٦ ص ٢٣٦
 س ٦ ص ٢٣٧ س ١
 وهب بن جرير : ص ٧٤ س ٣
 فينت G. Wiet

و خرف الياء ،

- ياقوت بن علي الحموي الرومي ؛ ت : ص ١١ س ١ ص ١٤ س ٤ ص ١٦ س ٥ ص ١٧
 ن ٤ ص ١٨ س ٨ ص ٢١ س ١ ص ٢٣ س ١ ص ٢٤ س ٣ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥
 ص ٢٧ س ٥ ، ١١ ص ٢٨ س ١ ، ٨ ، ٩ ص ٢٩ س ٣ ص ٣١ س ٧
 ص ٣٤ س ٨ ص ٤١ س ٦ ص ٤٤ س ٩ ص ٤٥ س ٥ ص ٤٨ س ٤
 ص ٥٦ س ٢ ص ٦٠ س ٨ ص ٦١ س ١ ص ٦٢ س ٢ ، ٥ ، ١٣ ص ٦٤
 ص ٢ ، ٣ ، ٤ ص ٦٥ س ٥ ص ٦٧ س ١٢ ص ٦٨ س ١٣ ص ٦٩ س ١ ،
 ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ص ٧٢ س ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ص ٧٣ س ١ ، ٤ ، ٨ ، ١٠
 ص ٧٤ س ٤ ص ٧٥ س ١ ص ٧٧ س ٣ ص ٧٨ س ٩ ص ٧٩ س ١ ص ٨٤
 س ١ ص ٨٧ س ١ ، ٤ ص ٨٨ س ٣ ، ٦ ص ٨٩ س ١ ص ٩٨ س ٣
 ص ١٠٤ س ٦ ، ٨ ، ١٢ ص ١١٤ س ١٨ ص ١١٨ س ١ ص ١١٩ س ٤ ،

٦ ص ١٢١ س ١ ص ١٢٢ س ١ ص ١٢٣ س ٧ ص ١٢٦ س ١٠ ص ١٢٧
 س ١ ص ٥٠١ ص ١٢٨ س ٤ ص ١٣٦ س ٤ ص ١٣٧ س ٣ ص ١٣٨ س ١ ص ٨٠١
 ص ١٣٩ س ٢ ص ١٤١ س ١ ص ١٤٢ س ١ ص ١٤٣ س ١ ص ١٤٤ س ١ ص ١٤٥
 ص ١٦١ س ١ ص ١٦٢ س ٤ ص ١٦٣ س ١ ص ١٦٤ س ١ ص ١٦٥ س ١
 ص ١٧٥ س ١ ص ١٧٧ س ١ ص ١٧٩ س ١ ص ١٨٠ س ١ ص ١٨١ س ١ ص ١٨٢
 ص ١٩٩ س ٥ ص ٢٠٥ س ٢ ص ٢١١ س ٢ ص ٢١٣ س ٣
 ص ٢٢٥ س ٧ ص ٢٢٦ س ١ ص ٢٢٧ س ١ ص ٢٣٧ س ١٣ ص ٢٤٠
 س ٣ ص ٢٤٢ س ١ ص ٣

يحيى بن آدم بن سليمان ؛ ت : ص ٢٣ س ٦.
 يحيى بن خالد البرمكي ؛ ص ٥٢ س ١٨ ص ٥٦ س ١١
 يحيى بن زياد ، أبو زكريا القراء = القراء
 يحيى بن المبارك ، أبو محمد الزيدى = أبو محمد الزيدى
 يحيى بن نوفل الحميري ؛ ص ٣٠ س ٧ ص ٣١ س ٤ ص ٢٤٦ س ٧
 يحيى بن يعمر ؛ ص ١١٩ س ٥٠٣
 يزيد بن أبي يزيد المعروف بالرثك = الرثك
 يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ؛ ص ٤٢ س ١١ ص ١٢٠
 يزيد بن ربيعة بن مفرغ = ابن مفرغ
 يزيد بن عبد الملك ؛ ص ٢١ س ٢ ص ٢٥ س ١٤ ص ٢٣٨ س ٤٠٥ ؛ ت : ص ٢٠ س ٧
 يزيد بن المهلب ؛ ص ٢٥ س ١ ص ١١٩ س ٣
 يعقوب بن إبراهيم بن خبيب = أبو يوسف القاضي
 يعقوب بن السكيت = ابن السكيت
 يعمر السعدي = أبو نخيلة
 يعيش بن علي بن يعيش = ابن يعيش النحوي
 يهودا هليفي ؛ ص ١٨٩ س ١٤ ؛ ت : ص ٢٣٧ س ٤
 يوسف بن خالد التيمي ؛ ص ٨٠ س ١٠ ص ١٣٠
 يوسف بن عمر ؛ ت : ص ٣٥ س ٣
 يونس بن حبيب الفارسي النحوي ص ٤٩ س ٥ ص ٦٢ س ١٩ ص ٦٣ س ١١
 ١٤ ص ١٧٢ س ٤ ؛ ت : ص ٦٣ س ١٢
 اليوناني ، علي بن محمد البعلبي الحنبلي الحافظ ؛ ص ٢٧ س ٥

الإشراف الفنى: حسن كامل

التصميم الأساسى للغلاف: أسامة العبد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوع